

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة بالمدينة المنورة

قسم الدعوة والاحتساب

الحسبة في الأندلس

٩٢ - ٨٩٧ هـ

دراسة تاريخية تحليلية

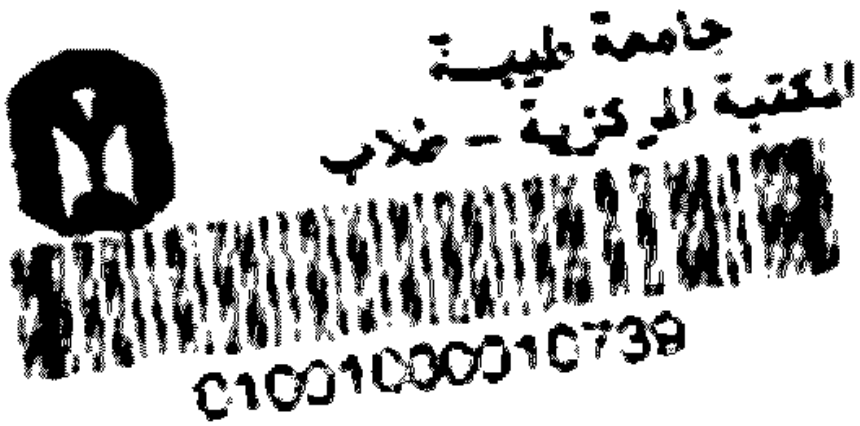
رسالة لنيل درجة الدكتوراة

إعداد الطالب

سلمي بن سلمان بن مسيغر الحسيني العوفي

ياشرف

فضيلة الشيخ الدكتور يوسف أمين حسن



العام الجامعي ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

- أهمية الموضوع، وسبب اختياره
- مشكلة البحث
- حدود البحث
- صعوبات البحث
- تنبيهات
- منهج البحث
- موضوعات البحث
- شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣)

أما بعد:

فإن المسلم فضلا عن الداعية مطالب بدراسة سير الأمم السابقة ليأخذ من ذلك دروسا وعبرا وليفيد منه في واقعه المعاصر، فكم من أمة قادت البشرية ورفعت راية الإسلام وظلت مرهوبة الجانب ثم اندرست فأصبحت أثرا بعد عين ومن ذلك أمة الإسلام في الأندلس، فقد كانت قوية عزيزة، تنشر الإسلام في الآفاق، ثم تقلبت بين العز، والذل، والنصر والهزيمة حتى هزمت من الداخل قبل أن تنهزم من عدوها الخارجي.

وإن دراسة تاريخها الإسلامي في الأندلس، واستقراءه، ولا سيما من زاوية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له أهمية عظيمة في مجال الدراسات الإسلامية عامة والدعوة خاصة.

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٢) سورة النساء الآية ١

(٣) سورة الأحزاب الآية ٨٢

لذا عرّضت على الكتابة في هذا الجانب؛ لبيان صورته عند تلك الأمة، وللإفادة منه في الواقع المعاصر، وسميت هذه الدراسة (الحسبة في الأندلس) بجانبها النظري والعملي - ٩٢-٨٩٧هـ دراسة تاريخية تحليلية.

• أهمية الموضوع، وسبب اختياره:

عند ما كنت أبحث عن موضوع في جانب الدعوة والاحتساب لأتقدم للكتابة فيه نلت نظري تراث أمتنا الإسلامية في الأندلس وعظم منزلة ذلك التراث؛ فقد استطلت الأندلس بظل الإسلام ثمانية قرون، ثم غابت شمسُه عن تلك البلاد بعد أن سطر المسلمون صفحات رائعة عن فضل الإسلام وأثره في الأمم والأوطان. وقد قام العلماء قديما وحديثا بخدمة تراث تلك الأمة في جوانب مهمة في الدراسات الإسلامية بفروعها المختلفة، واللغة العربية كذلك وفي التاريخ والجغرافيا. ورأيت ندرة من توجه إلى إبراز أثر تلك الأمة في جانب الدعوة والاحتساب بصورة متكاملة، مع عظم أهمية ذلك؛ إذ هو جانب مهم مشرق في حياة الأمة المسلمة، فلم أقف حسب ما وصلت إليه على بحث متكامل يسد به الفراغ في هذا الجانب؛ لذا عرّضت على الكتابة فيه وسميت دراستي (الحسبة في الأندلس) بجانبها النظري والعملي ٩٢ - ٨٩٧هـ دراسة تاريخية تحليلية.

وأوجز سبب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي:

١- إن الإسلام في الأندلس عاش مدة طويلة - ثمانية قرون - تقلبت الأمة فيها بين العز والذل، والنصر والهزيمة، والوحدة والفرقة فهي بحاجة إلى بحث يحلّي تلك الفترة، في جوانب الدعوة والاحتساب، ولا سيما أن تلك الأمة استقلت، وانفصلت عن الخلافة العباسية في المشرق^(١).

(١) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ٣ (بيروت مؤسسة الرسالة ١٤١٢-١٩٩٢م) ٢٤٤/٨، الدكتور عبد

الرحمن الحلي، التاريخ الأندلسي، الطبعة الثالثة، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

ص/١٣٥/٢٤٠/٢٦٢/٢٧٨

٢- إن بقاء الإسلام مدة طويلة في الأندلس خلف تراثا عظيما في شتى المجالات، وتربى فيه أجيال من أمة الإسلام، وتخرج فيه أفذاذ من العلماء كان لهم وللحسبة شأن لا بد من اطلاع الأمة الإسلامية عليه.

٣- إن الإسلام هناك له أثر عظيم على أوروبا النصرانية، فقد استنارت بنوره، واستيقظت من سباتها، وكان له أثر على حضارتها^(١)، ولا يكون ذلك التأثير إلا بسبب تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع شؤون الحياة، ومن ذلك قيام أمر الأمة على الحسبة.

٤- إن الأندلس كانت أبعد الشغور الإسلامية عن موطن الخلافة الإسلامية، وكانت منارة للإسلام في القارة الأوروبية، ولم يتم لأهلها التمكّن بآدئ ذي بدء إلا بعمل الاحتساب، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن القيام بهذا الواجب من أعظم أسباب تمكين الأمة وتباتها قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الآية^(٢).

٥- الاهتمام بالتأليف والكتابة عن الحسبة وتاريخها نظريا وعمليا يعد مظهرا حضاريا في تاريخ الإسلام، وهو دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وبالتالي هو إبراز وجه مشرق من وجوه الحضارة في الإسلام^(٣).

٦- شاع في أهل الأندلس السرف، والتبذير، والإسراف في اتباع الشهوات، والملذات، فما موقف أهل الحسبة من ذلك قوة وضعفا.

(١) انظر زغيرد خونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب فاروق بوضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الحوري، الطبعة الثانية، بيروت، المكتب التجاري ١٩٦٩ م. ص/٣٩٩-٣٤٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثامنة (بيروت مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م) ٨/٢٤٤، المذكور عدد الرحمن الحمي، للتاريخ الأندلسي، ص/١٣٥-٢٤٠.

(٢) سورة الحج الآية ٤١

(٣) انظر دكتور علي بن حسن القرني، الحسبة في الماضي والحاضر، الطبعة الأولى الرياض، مكتبة الرشد،

١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م، ص/٤

٧- أصبحت الدعوة الإسلامية علما قائما بذاته له أصوله، وتاريخه، ومسائله، وأساليبه، ودراسة الحسبة في الأندلس تعد خادما لتاريخ الدعوة، وسير الدعاة في ذلك القطر في تلك الفترة، ومن هنا تأتي أهمية الموضوع وقيمه.

٨- مناداة بعض الباحثين^(١) ولاسيما من له اطلاع كبير على التراث الأندلسي، بضرورة وأهمية استقراء تاريخ الدعوة الإسلامية في الفتوحات الإسلامية، وبخاصة في الأندلس للإفادة مما فيها من دروس دعوية في واقع الأمة المعاصر.

٩- وقفت على رسائل أندلسية في الحسبة والاحتساب لمؤلفين من الأندلس تولوا الحسبة وسيروا غورها وسجلوا تجاربهم، وقد اعتنى بهذه الرسائل مستشرقون، وبقيت على إخراجهم رغم أهميتها في بابها فأردت الإفادة من تلك الرسائل في هذا المجال^(٢)

١٠- لفت نظري اهتمام المستشرقين بتراث أمة الإسلام في الأندلس من هذه الزاوية (الحسبة) حيث كانت تعرف في الأندلس بـ(ولاية السوق) فقد قام المستشرق "بروشاليتا"^(٣) بالكتابة عن (صاحب السوق في أسبانيا)، وقد كانت في سبعمائة وستين صفحة باللغة الفرنسية، وهي لا تخلو من الهجوم على الإسلام، والتشكيك في أصل الولاية وأنها مقتبسة من الرومان، وحصر ولاية السوق في الرقابة على السوق، مع أن هذه الولاية هي في الحقيقة (الحسبة) كما نسمى بذلك في المشرق، فلا يمكن التسليم بقول من يحصر الحسبة في أضيق نطاق، وهو الرقابة على السوق وينكر على المحتسب أمره بالصلاة والصوم، واحتسابه على منكرات الأخلاق والآداب، فأهل الإسلام فضلا عن طلاب العلم الشرعي أولى تمثل هذه الدراسات.

(١) من أولئك: الدكتور عبد الرحمن المحي انتظر كتابه التاريخ الأندلسي م.س.ص/١٩٥

(٢) انظر: ابن عبد الرؤوف وابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والاحتساب، نشر وتحقيق ليثي بروفيسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٩٥م.

(٣) باحث إسباني، له كتاب صاحب السوق في أسبانيا، انظر: د. محمود مكي، وناق في شؤون الحسبة، تحقيق

د. محمد عبد الوهاب خلاف الطبعة الأولى (القاهرة، المركز العلمي لدولي للإعلام) ١٩٨٥م ص/٧

١١- إن دراسة الاحتساب في أي مجتمع من المجتمعات يكشف عما يعرض لذلك المجتمع من أمراض اجتماعية، واقتصادية، وفكرية خطيرة، وما يتضمنه من انحرافات علقت بالسواد الأعظم^(١)، ومن هنا - أيضا - تأتي أهمية هذه الدراسة وفائدتها.

١٢- لم أعثر فيما وصلت إليه بعد بحث وتحرر على كتابة وافية شاملة متكاملة تعطي صورة واضحة جلية عن هذا الجانب المهم في حياة الأمة الإسلامية، رغم أهمية الدراسات التي تحدثت عن هذا الموضوع، أو أشارت إليه؛ لذا أشعر ببقاء الحاجة قائمة إلى كتابة بحث يحلّي جميع جوانب الاحتساب في الأندلس، كما أدرك أهمية تلك الدراسات السابقة والتي سيستفيد الباحث منها.

• مشكلة البحث:

لقد تحدّد بحثي هذا بـ (الحسبة في الأندلس بجانبها النظري والعملي) من سنة/٩٢هـ إلى سنة/٨٩٧هـ نظرا لأنها المدة التي حكمت فيها الأندلس بالإسلام وهو بحث يوضح صورة الحسبة خلال تلك الفترة اخامة من عصور الأمة الإسلامية من جميع جوانبها.

ويمكن صياغة المشكلة بدقة أكثر في الأسئلة التالية:

- ١- ما نظام الاحتساب النظري في الأندلس؟
- ٢- ما شروط المحتسب في الأندلس وما أبرز واجباته؟
- ٣- ما مدى سلطة المحتسب في تغيير المنكرات، وما علاقته بالقضاة والحكام؟
- ٤- ما مجالات الاحتساب النظري في الأندلس؟
- ٥- ما مجالات الاحتساب العملي في الأندلس؟
- ٦- ما آثار الاحتساب في المجتمع الأندلسي؟
- ٧- ما الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس في الواقع المعاصر للأمة الإسلامية؟
- ٨- ما قيمة تراث الأمة الإسلامية في الأندلس في مجال البحث؟

(١) انظر عمر بن محمد السنامي، نصاب الاحتساب، تحقيق الدكتور مريزن سعيد عميري، الطبعة الأولى:

(الرياض، دار الوطن ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص/٥-٦

• صعوبات البحث:

الكتابة عن الحسبة وإبرازها في أي أمة أو مجتمع ما، يحتاج إلى إحاطة دقيقة لذلك المجتمع في جميع مجالات الحياة؛ لذا فقد واجهت بعض الصعوبات عند كتابتي عن الحسبة في الأندلس وتمثل هذه الصعوبات فيما يلي:

١- طول الفترة الزمنية للبحث حيث غطت الدراسة الفترة من ٩٢-٨٩٧هـ، وهي فترة طويلة؛ لذا كانت الإحاطة الدقيقة بكاملها صعبة المنال، ولكن رغم ذلك أقدمت على تناولها؛ لأن إبراز صورة الحسبة لا تكتمل إلا بدراسة كاملة، وحتى تكتمل الصورة عند مقارنتها بتمثيلاتها في المشرق ومصر والمغرب^(١).

٢- قلة المادة العلمية عن الحسبة ولاية في بعض الفترات وندرتها واضمحلالها في فترات أخرى، وإيجازها عند ذكر المصادر لها.

٣- تفرق المادة العلمية في بطون الكتب الكثيرة، سواء كانت شرعية أو اجتماعية أو تاريخية، أو تراجم، أو سير أو موسوعات، مما تطلب جهدا ووقتا ليس يسيرا.

٤- صعوبة التفريق بين الحسبة في المجال العملي والنظري، ولكن حاولت تجاوز ذلك بوضع ضوابط لذلك أشرت إليها في تنبيهات.

رغم تلك الصعوبات خضت غمار الكتابة في هذا الموضوع، ولم شتاته للخروج بصورة عن الحسبة لتلك الأمة.

ورغم ما بذلت من جهد وطاقة فإن العمل يظل يعتريه النقص والقصور؛ إذ إن الكمال لله وحده، فما كان من توفيق وصواب فمن الله وحده، وما كان من نقص وقصور فمني وأستغفر الله: ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢)

(١) بالفتح ضد المشرق وهي بلاد واسعة كثيرة ورعشاء شاسعة، قال بعضهم: حد من مدينة مليلة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراء المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس، ياقوت الحموي معجم

البيدات ٥/١٦١

(٢) سورة هود الآية/٨٨

• تنبيهات:

- نظرا لطبيعة الحسبة وشمولها لمجالات متعددة من جهة وسعة فترة البحث الزمنية من جهة أخرى، فإن الباحث يرى ضرورة التنبيه إلى ما يلي:
- ١- لن يتعرض الباحث إلى تحقيق الأحداث التاريخية في ذلك العصر، إلا بقدر ما يخدم البحث وسيكتفي بما تضافرت على روايته كتب التاريخ المعتمدة.
 - ٢- لن يتعرض الباحث للخوض في الخلافات القائمة حول تقييم ذلك العصر بوجه عام إلا بالقدر الذي يحتاج إليه للدفع شبهة أو تأكيد حقيقة.
 - ٣- نظرا لكون هذا البحث يتكون صلبه من فصلين الأول في الحسبة في الجانب النظري، والثاني الحسبة في الجانب العملي، فقد لاحظت الضوابط التالية في التفريق بين تلك الجانبين كل احتساب صدر من الأمير أو المحتسب المولى، أو سلك فيه طريق التدرج في الإنكار وفق درجات الاحتساب حتى بلغ إنزال العقوبة المستحقة كالقتل أو الضرب أو السجن، وكل كتاب ألفه مؤلفه للاحتساب على العقيدة، وكشف منكراتها والرد على المبتدعين والملحدين في العقيدة، وكذلك في الأخلاق والآداب وبيان منكراتها، كل ذلك اعتبرته عمليا وأدرجته في المجال العملي، وما عدا ذلك وضعته في المجال النظري، وهذا ضابط اعتبرته وقيدت به عملي للتفريق بين الجانب العملي والنظري في مجال الاحتساب.

• منهج البحث

- ١- سرت أثناء اعداد هذه الدراسة على المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي من أجل معرفة الأمور، والأحداث الواقعة في الزمن الغابر؛ وذلك لبناء حقائق والخلوص إلى نتائج تتعلق بأحداث الماضي، يمكن الاستفادة منها في الزمن الحاضر في مجال الدعوة والاحتساب.

٢- قمت بتتبع تاريخي لنظام ومجالات الاحتساب في الأندلس بشكل يجلي صورته في تلك الفترة، وبهذا سيكون للمنهج الوصفي والتحليلي حضور واضح في هذه الدراسة كما راعيت المنهج المقارن.

وحرصت أثناء إعداد هذا البحث على الالتزام بالأمور التالية:

- ١- الاعتماد على المصادر الأصلية ذات الصلة بالموضوع فيما أورد من معلومات، كما أفدت من كتب المراجع الأخرى.
- ٢- التأصيل النظري للحسبة في الأندلس وفق المذهب المعتمد في ذلك الوقت، ثم بيان مدى تطبيق ذلك الأصل عمليا.
- ٣- توثيق النصوص والشواهد بردها إلى مصادرها الأصلية وعدم النقل بالواسطة إلا عند تعذر النقل المباشر.
- ٤- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٥- تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة، وإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخرجه فيهما أو في أحدهما، وإلا خرجته من بقية الأربعة إن كان فيها، وإن لم يكن فيها، خرجته من مظانه، وذكرت حكم الأئمة المحدثين، والعلماء المتخصصين عليه.
- ٦- نظرا لكثرة ورود الأعلام في البحث قمت بكتابة ترجمة مختصرة له؛ وذلك عند أول ورود العلم، أما من لم أعثر له على ترجمة فقد أشرت إلى سمائه، وعصره الذي عاش فيه.
- ٧- التعريف بالأماكن والمدن، والقرى، وشرح ما يحتاج إلى ذلك من ألفاظ ومعطيات غامضة غريبة.
- ٨- كتابة معلومات عن المصدر أو المرجع في الحاشية عند ذكره لأول مرة، وإذا تكرر فالاكتفاء بذكره مختصرا.
- ٩- الكلام المنقول بنصه للاستشهاد به أجعله بين قوسين هكذا () وأشير إلى المصدر في الحاشية، وإذا كان هناك نصرف في العبارة أو اختصار أشير إليه بكلمة "انظر"
- ١٠- إعداد الملحقات للبحث
- ١١- إعداد الفهارس الفنية اللازمة للرسالة.

• موضوعات البحث

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.
المقدمة: وتحتوي على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه،
ثم نبذة موجزة عن أهم المصادر والمراجع، ثم موجز لتاريخ الإسلام في الأندلس.
التمهيد: ذكرت فيه تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً، وحكمها، وفضلها في
الإسلام، ونشأة الحسبة في الأندلس.

الباب الأول: الحسبة في الجانب النظري، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: نظام الاحتساب النظري

الفصل الثاني: مجالات الاحتساب النظري

الفصل الثالث: أبرز المؤلفات في الحسبة

الفصل الرابع: الحسبة في الأندلس مقارنة بغيرها من البلاد

الفصل الأول: في نظام الاحتساب النظري، وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: الأصل المذهبي للحسبة في الأندلس

المبحث الثاني: شروط المحتسب وواجباته

المبحث الثالث: أعوان المحتسب، وسلطته، ومقر عمله

المبحث الرابع: علاقة الحسبة بالولايات الأخرى في الأندلس

الفصل الثاني: مجالات الاحتساب النظري وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: الاحتساب في مجال العقيدة:

المبحث الثاني: الاحتساب في مجال العبادة:

المبحث الثالث: الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب:

المبحث الرابع: الاحتساب في مجال العلم والتعليم

المبحث الخامس: الاحتساب على الأمراء والحكام

وأما الفصل الثالث: ففي أبرز المؤلفات في الحسبة ومنها:

- كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق
- ديوان الأحكام الكبرى - التوازل والأحكام -
- آداب الحسبة
- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب

أما الفصل الرابع: تناولت فيه الحسبة في الأندلس مقارنة بغيرها في البلاد الإسلامية وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول: مكانة الحسبة في المشرق
- المبحث الثاني: مكانة الحسبة في المغرب ومصر
- المبحث الثالث: مكانة الحسبة في الأندلس
- المبحث الرابع: عقد المقارنة في الحسبة بين تلك البلاد

الباب الثاني: الحسبة في الجانب العملي وفيه أربعة فصول

- الفصل الأول: الاحتساب وأنواع المحتسبين
- الفصل الثاني: مجالات الاحتساب العملي
- الفصل الثالث: أبرز المحتسبين في المجال العملي
- الفصل الرابع: آثار الاحتساب في المجتمع الأندلسي

الفصل الأول: الاحتساب وأنواع المحتسبين وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الحسبة العملية

المبحث الثاني: المحتسب المولى

المبحث الثالث: المحتسب المتطوع

الفصل الثاني: مجالات الاحتساب العملي، وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: الاحتساب في مجالي العقيدة والعبادة

المبحث الثاني: الاحتساب في الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله

المبحث الثالث: الاحتساب في مجال الأسواق والمعاملات

المبحث الرابع: الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب

المبحث الخامس: الاحتساب على الأمراء، والحكام

المبحث السادس: الاحتساب في مجال العلم والتعليم

المبحث السابع: الاحتساب على أهل الذمة

الفصل الثالث: أبرز المحتسبين في المجال العملي، وفيه مبحثان

المبحث الأول: أبرز من تولى الحسبة

المبحث الثاني: أشهر المحتسبين المتطوعين

الفصل الرابع: آثار الاحتساب في المجتمع الأندلسي وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: آثار الاحتساب في العقيدة والعبادة

المبحث الثاني: آثار الاحتساب في الجهاد والدعوة إلى الإسلام

المبحث الثالث: آثار الاحتساب في الأسواق والمعاملات

المبحث الرابع: آثار الاحتساب في الآداب والأخلاق قوة وضعفا

المبحث الخامس: آثار الاحتساب على الأمراء والحكام.

الباب الثالث: الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس، وفيه ثلاثة فصول

الباب الثالث: الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: دروس في العقيدة والعبادة

الفصل الثاني: دروس في التعليم، والأخلاق والآداب، والمعاملات

الفصل الثالث: دروس في الجهاد في سبيل الله

الفصل الأول: دروس في العقيدة والعبادة وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: دروس في العقيدة الصحيحة ونشرها

المبحث الثاني: دروس في محاربة العقائد الباطلة

المبحث الثالث: دروس في إقامة العبادات والمحافظة عليها

المبحث الرابع: دروس في الولاء والبراء

الفصل الثاني: دروس في الأسواق والمعاملات، والأخلاق والآداب والعلم والتعليم،

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: دروس في الأسواق والمعاملات

المبحث الثاني: دروس في الأخلاق، والآداب

المبحث الثالث: دروس في مجال العلم، والتعليم

الفصل الثالث: دروس في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: دروس في الجهاد وأمن الأمة الخارجي

المبحث الثاني: دروس في الدعوة إلى الإسلام وأمن الأمة الداخلي

المبحث الثالث: دروس في وحدة الأمة

ثم الخاتمة: وفيها نتائج البحث، والتوصيات، ثم الملاحق، ثم الفهارس الفنية.

شكر وتقدير

أحمد الله وحده، وأثني عليه الخير كله بما من عليّ وتفضل من نعم عديدة لا أحصي عدّها، وأولاهها نعمة التوفيق والهداية لهذا الدين، والتوفيق لطلب العلم الشرعي والتدرج فيه، فأسأله تعالى أن يديم عليّ فضله وتوفيقه وأن يصلح الأعمال والنيات، ويوفقي لأداء شكرها والقيام بحقها.

ومن شكره تعالى الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم من باب قوله صلى الله عليه وسلم: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم (من صنّع إليه معروفًا فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء) (٢).

فجزى الله خيرًا كل من أسدى إليّ معروفًا سواء كان مشورة أو نصيحة أو إرشادًا أو توجيهًا أو إعانة في هذا البحث.

وأخص بالشكر والثناء والدعاء فضيلة الشيخ الدكتور يوسف أمين حسن المشرف على هذا البحث، الذي لم ييخل عليّ بجهده ووقته فكانت لآرائه وملحوظاته وتوجيهاته أعظم الأثر في إخراج هذا البحث على هذه الصورة، فجزاه الله عني كل خير.

كما أوجه شكري الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي تعد معقلًا من معاقل اعداد العلماء والدعاة فرعاها الله وسدد خطاها على دروب الخير والعطاء.

(١) رواه الترمذي عن أبي سعيد في أبواب البر والصلة/٣٥ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك برقم/١٩٥٥،

وأحمد في المسند ٣/٣٢، والحديث في صحيح سنن الترمذي برقم/١٥٩٢ وقال حديث حسن صحيح، وقال

عنه ابن الأثير - في جامع الأصول ٢/٥٦٠ - إسناده صحيح

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في التشيع بما لم يعط حديث رقم/٢١٠٤ وحسنه وقال عنه

ابن الأثير - في جامع الأصول ٢/٥٥٨ - إسناده قوي.

كما أخص بالشكر كلية الدعوة بالمدينة المنورة وفي مقدمتها عميدها ورئيس وأعضاء
قسم الدعوة والاحتساب فجزى الله الجميع خيرا ووفقهم لما يحب ويرضى من القول
والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: الدراسات السابقة

ثانياً: كتب الفقه والنوازل

ثالثاً: الكتب التاريخية

رابعاً: كتب التراجم

خامساً: كتب الطبقات

التمهيد:

إن المصادر والمراجع لأي بحث تعتبر مهمة عظيمة فمنها ينطلق الباحث في جمع مادته وتحليلها وعلى ضوء ذلك تكون نتائج البحث وفوائده، ونظرا لكون موضوع الحسبة في الأندلس خلال ثمانية قرون تفرقت مادتها في بطون الكتب خلال تلك الفترة الطويلة؛ ولكون الحسبة تحكي صورة اجتماعية للأمة، وقد اتسع ميدانها لذا فإن مصادر هذه الدراسة تعددت وتنوعت وأشار إلى أهم هذه المصادر والمراجع بإيجاز وفق التقسيم التالي:

أولا: الدراسات السابقة

أ - الدراسات السابقة القديمة

وقد وجدت دراسات قديمة اعتنت بموضوع الحسبة عناية بالغة ومنها ما يلي:

- ١ - آداب الحسبة للفقهاء أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي^(١).
- ٢ - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب للوفيز من الأندلس^(٢) تحقيق ليفي بروفنسال.
- ٣ - الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصمغ عيسى بن سهل الأسدي الجبالي، تحقيق رشيد النعيمي.
- ٤ - وثائق مستخرجة من الأحكام الكبرى، استخرجها وعلق عليها الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف.

٥ - النظر والأحكام في أحوال السوق ليحيى بن عمر الأندلسي.

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي مارس مهمة الحسبة في مالقة في نهاية القرن الحادي عشر للميلاد، أو بداية القرن الثاني عشر، ولم أعثر على ترجمة وافية له، وقام برحلات كثيرة وزار العديد من البلدان، وقام بتأدية فريضة الحج انظروا: السقطي في آداب الحسبة تحقيق د. حسن الزوين (لبنان، بيروت) ص ١٢.

(٢) هم: محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي له رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، وأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف له رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، وعمر بن عثمان بن العباس المرسياني له رسالة في الحسبة والمحتسب وكل هذه الرسائل اعتنى بتحقيقها وإخراجها ليفي بروفنسال تحت مسمى ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م

وهذه المصادر مهمة سأخصها بدراسة موسعة في الفصل الثالث من الباب الأول.

ب - الدراسات السابقة الحديثة

وتلت تلك الدراسات القديمة دراسات أخرى بمجانسة لها حديثة وفيما يلي ذكر ما اطلعت عليه من ذلك.

١ - خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين لعبد الرحمن الفاسي فقد أشار إلى خطة الحسبة عموماً من الناحية النظرية والتطبيقية، وتطرق إلى الحسبة في الأندلس وذكر علو مكانتها في الأندلس وسبق الأندلسيين إلى التدوين والتأليف من الناحية التطبيقية في الحسبة، وذكر أن الحسبة ما زالت في تطور وارتقاء في الأندلس حتى خرج المسلمون من الأندلس وإبقاء النصارى لهذه الخطة...^(١)

٢ - الحسبة تطورها قديماً وحديثاً لحسن بكريم فقد أشار إلى الحسبة في الأندلس في أربع صفحات^(٢).

٣ - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس لحسن بن علي بن حسن، تحدث عن الحسبة في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين بشكل موجز في صفحتين.

٤ - الرقابة المالية في الإسلام للدكتور محمود عوف محمود الكفراوي أشار إشارة عابرة إلى الحسبة في الأندلس^(٣).

(١) عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة، الطبعة الأولى (المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص/٧٤

(٢) انظر لمزيد تفصيل: حسن بكريم، الحسبة تطورها قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى (المغرب، مطبعة فضالة المحمدية

١٩٩٠م) ص/٨٧

(٣) انظر مزيد تفصيل الكتاب المذكور (مصر، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣م) ص/٥١ وما بعدها

٥ - نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس للدكتور سالم الخلف فقد أشار إلى الحسبة في الأندلس في ثمان صفحات^(١)

ثانياً: كتب الفقه والنوازل

ومن هذه الكتب ما يلي:

أ - المدونة الكبرى:

للإمام مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة/١٨٩هـ - رحمه الله - رواية الإمام سحنون بن سعيد التتويحي المتوفى سنة/٢٤٠هـ عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم المصري المتوفى سنة/١٩١هـ^(٢).

والمدونة لها مكانة عظيمة ولا سيما في الفقه المالكي، ومقدمة في الدواوين بعد موطأ مالك - رحمه الله تعالى -^(٣).

وقد اهتم الأندلسيون بالفقه المالكي منذ أن صار مذهباً رسمياً لهم حتى أن حل ما ألف في فقه هذا المذهب هو من وضعهم من مدونة سحنون حتى كانت هذه المدونة على كبرها وكثرة مسائلها من تحفيزات فقهاء الأندلس والمغرب^(٤).

ولا شك أن هذه المدونة كانت أصلاً من أصول المذهب الذي انتشر وقام في الأندلس، والحسبة قوامها الفقه فهي تستمد منه أصولها ومرجعها ومردّها لهذه القواعد

(١) انظر مرید تفصیل د/ سالم الخلف نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس رسالة مقدمة بقسم التاريخ في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية ١٤١٦هـ غير منشورة ص/٥٦

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٩/١٢٠، م.س.

(٣) الإمام مالك المدونة الكبرى ١/١٠٧

(٤) انظر القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، تقديم الدكتور محمد بن شريفة، (الطبعة الأولى لبنان بيروت دار الغرب ١٩٩٠م) ص/٩

الفقهية، فقد كانت الحسبة مختلطة بالفقه وبخاصة المعاملات ولم تظهر المؤلفات الخاصة بهذه الولاية إلا في قرون متأخرة^(١)

ب - مذاهب الأحكام في نوازل الأحكام:

للقاضي عياض^(٢) وولده محمد، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد بن شريفة طبع دار الغرب ١٩٩٠م؛ والكتاب نوازل مرتبة على كتب بدأها بكتاب الأقضية وانتهى بكتاب الصلاة حيث تعرض على القاضي عياض النازلة فيحيب عليها وهكذا^(٣).
ويظهر من تلك النوازل صور احتسابية في مجالات متعددة من مجالات الاحتساب.

ج - مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام:

للإمام الحافظ أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠هـ.
وجاءت هذه المقدمة ملحقمة بالمدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس رواية سحنون، وجاءت هذه المقدمات في مجلد وهو الجزء الخامس من الطبعة الأولى للمدونة الكبرى طبعة دار الكتب العلمية في بيروت^(٤) عام ١٤١٥هـ، وبدأ ابن رشد كتابه هذا بكتاب الطهارة، ثم كتاب الصلاة، وكتاب الصيام، والزكاة، والجهاد فالحج... وهكذا، وختم بكراء الدور، والمقدمات كما يظهر رتبها ابن رشد على ترتيب الفقهاء، وذكر في كل كتاب مسائل مهمة، وقعد قواعد مبنية على الدليل من الكتاب والسنة.

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل الأندلسي وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام

الكبرى، تحقيق د/محمد عبد الوهاب خلاف ص/٥

(٢) هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض البحصي الأندلسي المالكي الإمام العلامة الحافظ، ولد

سنة/٤٨٦هـ، له مؤلفات كثيرة منها: الشفا في شرف المصطفى، وترتيب المدارك، توفي سنة/٤٤٤هـ، انظر

سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٢-٢١٨م.ص.

(٣) انظر لمزيد تفصيل الكتاب المذكور ص/٢١ وما بعدها.

(٤) بالفتح ثم للسكون، وصم الرء وسكون الواو والشاء فوقها نقطتان مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد

من أعمال دمشق بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية. يافوت

الخمري معجم البلدان ٢/٥٢٥

د - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب:

لأحمد بن يحيى الونشريسي^(١)، خرّج الكتاب جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت عام ١٤١٠هـ/١٩٨١م: يقع الكتاب في ثلاثة عشر مجلدا.

ويتناز المعيار بكثرة ما احتوى عليه من نوازل، وهي تختلف عن الافتراضات النظرية، فكانت الأحداث التي عاشها الناس في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي مصطبغة بالصبغة المحلية، ومتأثرة بالمؤثرات الوقتية، مدعاة إلى اجتهاد الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية الملائمة عن طريق استقراء المصوص الفقهيّة الأصيلة ومقارنتها وتأويلها، وفي المعيار ينقل الونشريسي نص السؤال وأسماء المفتين إلا في حالات نادرة، ويأتي بنصوص الأسئلة على حالها، دون التصرف فيها أو تقويمها، مما يدل على أمانته العلمية. والونشريسي ليس جامع فتاوى فقط، وإنما هو ناقد بصير يقبل ويرد، ويرجح، ويضعف، يدل على ذلك ما جاء في تعقيباته^(٢).

وللمعيار جانب آخر قلما يلتفت إليه، وهو الجانب الاجتماعي والتاريخي لذلك المجتمع الإسلامي في تلك المنطقة، ولهذه الميزة وغيرها كان المعيار مصدرا ثريا لهذا البحث وبخاصة في الجانب العملي التطبيقي.

هـ - كتاب القوانين الفقهية

لابن جزري أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزري الكلبي الغرناطي المولود سنة/٦٩٣هـ والمتوفى شهيدا في وقعة طريف سنة/٧٤١هـ، فالمؤلف سني العقيدة له قدم

(١) التلمساني أبو العباس فقيه مالكي، أخذ عن علماء تلمسان، ولد سنة/٨٣٤هـ من مؤلفاته الأخرى: إيضاح المسالك إلى فرائد الإمام مالك، القواعد في فقه المالكية، عاش ثمانون سنة، وتوفي بفاس في سنة/٩١٤هـ انظر الأعلام/١/٢٦٩

(٢) انظر: الونشريسي المعيار المغرب، تخريج جماعة من الفقهاء (لبنان، بيروت دار الغرب ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ٤٨/١١

راسخة في العلم فقها وتفسيرا، وله جهاد عظيم يدل على احتسابه في مجال العلم والجهاد، فبعد أن أبلى في ميدان العلم مات مجاهدا في سبيل عقيدته.

وكتابه مهم، فقد قال - رحمه الله - (اعلم أنني افتتحته بعقيدة سنية وجيزة تقديمًا للأهم فلا جرم أن الأصول أهم من الفروع ومن الحق تأخير التابع وتقديم المتبوع، ثم قسمت الفقه إلى قسمين: أحدهما في العبادات، والآخر في المعاملات، وضمنت كل قسم عشرة كتب على مائة باب، فانحصر الفقه في عشرين كتابًا ومائتي باب، القسم الأول فيه من الكتب، كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة... وانتهى بكتاب العقيدة، والختان، والقسم الثاني فيه من الكتب كتاب النكاح... وانتهى بكتاب الوصايا، ثم ضمنته بكتاب الجامع وهو يحتوي على عشرين بابًا، وإنما انحصرت الكتب والأبواب في هذا العدد لأنني ضمنت كل شكل إلى شكله، وألحقت كل فرع بأصله، وربما جمعت في ترجمة واحدة ما يفرقه الناس في تراجم كثيرة راعيا للمقاربة والمشاكلة ورغبة في الاختصار^(١)).

والمؤلف كما أشار سابقا تعرض إلى إيجاز العقيدة السنية مما يدل على مكانتها لديه كما أنه في ثنايا الأبواب الفقهية، أشار إلى قواعد مهمة في الاحتساب وبخاصة في الزندقة والأخلاق والولاء لذا كانت فائدة هذا الكتاب في جانب الأبواب المذكورة لا سيما وأن المؤلف كتب تلك القواعد في عهد الدولة النصرية في الأندلس آخر الممالك الإسلامية، ومن هنا كانت أهمية تلك القضايا في مجال الاحتساب^(٢).

(١) انظر ابن حزي، كتاب القوانين الفقهية ط/ بدون (بيروت دار الفكر بدون) ص/ ٧

(٢) انظر المرجع السابق ص/ ٧

ثالثاً: الكتب التاريخية

ومن هذه الكتب ما يلي:

١- كتاب تاريخ افتتاح الأندلس:

لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الشهير بابن النقوطية^(١) المتوفى سنة/٣٦٦هـ/٩٨٨م من محدثي الأندلس المشهورين^(٢) وكتابه هذا فيه أخبار متفرقة عن المسلمين في الأندلس منذ دخولهم حتى بداية القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي. ومنها: ما جاء عن الأمير الحكم الربضي^(٣) وطرده للوزير أبي البسام بسبب غدره بالفقيه طالوت بن عبد الجبار، كما أن فيه إشارات من الأمراء في كيفية احتسابهم على المؤدين، وهو مصدر مهم؛ لقدمه، ولأن صاحبه عاش قريباً من تلك الأحداث التي أشار إليها.

٢- كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها - رحمه الله - والحروب الواقعة بينهم :

وهو لمؤلف غير معروف، وكان حديثه عن المسلمين في تلك البلاد قد ابتدأ بالفتح وانتهى بأخبار عبد الرحمن الناصر، وقد قدم الكتاب معلومات ليست واسعة ولكنها مركزة ومهمة.

٣- المقتبس: لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان المتوفى سنة/٤٦٩هـ الموافق/١٠٧٦م، وهو شيخ مؤرخي الإسلام في الأندلس بلا نزاع، وقد كان

(١) والنقصود بالنقوطية سارة حفيدة غيطشة ملك إسبانيا النقوطي المتوفى سنة/٣٨٦هـ/٩٧٧م

(٢) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ٧٦/٢

(٣) هو: الوزير موسى بن عبد الله بن الحسين، يكنى بابن البسام كان ذا علم وأدب بارع، ومعرفة بالكلام على

طريقة الأشعرية، توفي سنة/٤٨٦هـ، انظر ابن الزبير صلة الصلة رقم/٥٦

المقتبس مراققا للباحث في أكثر مراحل البحث؛ ولذا فهو من المصادر المهمة، وتوجد من المقتبس أربع قطع.

أ- القطعة الأولى تبدأ من سنة/٢٣٢هـ إلى ٢٦٧هـ، وهذه القطعة حققها ونشرها الدكتور محمود علي مكّي بعنوان المقتبس من أنباء أهل الأندلس وحقّقها الدكتور محمود مكّي تحقيقاً يدل على سعة اطلاعه وتبصره بفن التحقيق، وهي تشمل بعض عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وجانباً كبيراً من أنباء دولة ابنه الأمير محمد، فهذه القطعة جاءت فيها معلومات قيّمة عن الاحتساب، ومواقف المحتسبين من المنكرات في تلك الفترة.

ب- القطعة الثانية خاصة بعهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وتبدأ من سنة/٣٠٠هـ إلى ٣٣٠هـ الموافق ٩١٢/٩٤١م وقام بنشرها كل من بدرّو شالميتا، وفدريكو كورينطسي؛ وجاء في هذه القطعة إشارات عن بعض الأسلوب الإداري الذي اتبعه عبد الرحمن الناصر وكيفية الخطط في تلك الفترة، وبعض المظاهر الاجتماعية لذلك المجتمع، دلت الباحث إلى بعض جوانب صور الاحتساب.

ج- القطعة الثالثة نشرها الراهب الإسباني منشور انطواني تحت عنوان القسم الثالث من المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، وحوّت أحداث الربع الأخير من القرن الثالث الهجري حيث توقفت عند نهاية حوادث سنة/٢٩٩هـ الموافق/٩١١م.

د- القطعة الرابعة من المقتبس نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجي وهي خاصة بأحداث خمس سنوات غير كاملة من سني الخليفة الحكم المستنصر بالله، وتبدأ من سنة/٣٦٠هـ الموافق ٩٧٠م إلى سنة/٣٦٤هـ الموافق ٩٧٤م، وفيها إشارات إلى أنظمة الدولة وخططها ومنها خطة السوق والأعمال التي توكل إليه، وتأتي أهمية كتاب ابن حبان لأنه ينقل عن مؤلفات هي الآن في عداد المفقود من تراثنا الأندلسي مثل نقله عن عيسى بن أحمد الرازي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وعيسى

هذا هو ولد أحمد بن محمد الرازي المتوفى في سنة/٢٤٤هـ الموافق/٩٥٥م، الذي كانت له تواريخ، أشار إليها ابن حزم في رسالته عن الأندلس^(١).

د - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:

لؤلؤه أبي العباس أحمد بن محمد بن عذارى المتوفى بعد سنة/٧١٢هـ الموافق/١٣١٢م، والجزء الثاني اختص بتاريخ المسلمين في الأندلس حتى وفاة المنصور بن أبي عامر، وتأتي أهميته لأنه مصدر قديم ولأنه ينقل عن مصنفات لا تعرف لها وجود في الوقت الحالي مثل: "درر القلائد وغرر الفوائد" لأبي عامر محمد بن أحمد السالمي وكذلك كتاب "العبر" لابن أبي الفياض أبي بكر أحمد بن سعيد المتوفى سنة/٤٥٩هـ الموافق/١٠٦٦م^(٢).

هـ - تاريخ أبي زيد:

لعبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون والمتوفى سنة/٨٠٨هـ الموافق/١٤٠٥م والموسوم بـ "العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" فقد أورد في كتابه هذا أخبارا واسعة عن تاريخ الأندلس، كانت على جانب كبير من الأهمية، حيث تحدث وبخاصة في المقدمة عن الحسبة في الأندلس، وأنها تدخل في ولاية نقاضي، وأنها ولاية دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

و - أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام:

(١) انظر: المقرئ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطب، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ١٣٨/٤

(٢) انظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، تحقيق ليفي برونفانسال (لبنان بيروت، دار الثقافة) ١١٧/٢

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تصحيح أبو عبد الله السعيد المندوه، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت، مؤسسة

الكتب الثقافية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ٢٣٨/١

القسم الخاص بالأندلس والمسمى بـ "تاريخ إسبانيا الإسلامية" للسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ الموافق ١٣٧٤م. وفيه إشارات تتعلق بالحكم الأموي في الأندلس، وأحداث عمر بن حفصون وإبراهيم بن حجاج^(١) اللذين يعدان من كبار المتمردين في الأندلس، وهو من ثلاثة أقسام، القسم الأول خاص بالشرق، والثاني بالأندلس، والثالث بالمغرب. والقسم الثاني والموسوم بتاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، وهذا أفاد منه الباحث وبخاصة في بعض التراجم التي لها علاقة بالحسبة، وبجالات الاحتساب في الأندلس.

ز - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقرئ التلمساني ولد في تلمسان^(٢) وتلقى فيها وفي فاس علومه، وتنقل في بلاد المشرق والمغرب حتى أدركته الوفاة في مصر^(٣) سنة ١٠٤١هـ الموافق ١٦٣٢م، وإعجاب المقرئ بالوزير لسان الدين بن الخطيب هو الدافع الأساسي له في تصنيف كتاب عنه، ثم رأى أن يعهد له بتاريخ عام عن الأندلس فحاء كتابه على قسمين: الأول خاص بالأندلس، والثاني خاص بالتعريف بابن الخطيب.

وهذا الكتاب مصدر أصيل عند الأندلس لما ورد فيه من تراجم، وأخبار عند بلاد الأندلس، وكل ما سلف ذكره من مصادر تاريخية فإن أصحابها كانوا من أهل الأندلس أو المغرب.

(١) إبراهيم بن حجاج بن زيد المحدث الخافض أبو إسحاق الناجي البصري، ولد سنة ١٤٦هـ، ومات

سنة ٢٣٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١١/٣٩-٤٠.

(٢) بكسرتين وسكون الميم، وسين مهملة وبعضهم يقول تسان عوض اللام، مدينة بالمغرب، وهما مدينتان

متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداها قديمة والأخرى حديثة. ياقوت الحموي معجم البلدان ٢/٤٤

(٣) سميت مصر بمصر بن مصر إيم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن

الخطاب، ياقوت الحموي معجم البلدان ٥/١٣٧

رابعاً: في كتب التراجم:

نظراً لأهمية كتب التراجم في الدراسات التاريخية إذ تعد رافداً من الروافد التي تخدم التاريخ وبخاصة إذا كان هذا التاريخ يجلي صورة اجتماعية لمجتمع ما، لذا كان تتبع التراجم وتقصيها مهما في هذا البحث، ولذا كان من حسن الطالع أن كتب التراجم أمدتنا بعدد طيب من التراجم الأندلسية؛ لذا فإنني أقسم المصادر إلى قسمين:

أ - مصادر أندلسية: ومن هذه المصادر ما يلي:

١ - قضاة قرطبة^(١):

لأبي عبد الله محمد بن حارث الخشني، عاش في القيروان^(٢)، ثم دخل الأندلس فسمع من أعلامها، حتى بلغ منزلة عالية فأصبح حافظاً للفقهاء علماً بالفتيا وولي الشورى، وترك عدة مؤلفات توفي سنة ٣٦٨هـ الموافق ٩٧١م^(٣) وكتابه عرض للملامح الحياة القضائية في الفترة التي تعرض لها، نظراً لما بينهما من اتفاق، فقد ألف الخشني هذا الكتاب بطلب من الحكم المستنصر، وفيه تراجم لقضاة قرطبة وصور من احتسابهم في مجالات متفرقة، وهو مصدر مهم أفاد منه الباحث.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين:

(١) يضم أوله، وسمون ثانيه، وضم الطاء المهمة أيضاً، والباء الموحدة فيل: هي كلمة عجمية رومية، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبينها وبين البحر خمسة أيام، ياقوت الحموي معجم البلدان ٤/٣٢٤

(٢) مغرب وهو بالفارسية كاروان وقد نكلت به العرب قديماً وهي مدينة عظيمة بإفريقية غارت دمرها وليس بالغرب مدينة أحلّ منها إلى قدمت العرب إفريقية وأخربت البلاد فانتقل أهلها عنها فلبس بها اليوم إلا صعلوكاً لا بطمع فيه. ياقوت الحموي: معجم البلدان مصرت في الإسلام في أيام معاوية - رضي الله عنه - وكان عقبة بن نافع واليها ٤/٢٠٤

(٣) انظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ٢/١١٤

للخشي السابق وهو عبارة عن تراجم لطبقات عديدة من الفقهاء والمحدثين الأندلسيين منذ فتح الأندلس حتى عصر المؤلف، وتراجمه غير منظمة فأحيانا تطول ترجمة الفقيه حتى تصل إلى عشر صفحات - كترجمة يحيى بن يحيى اللبثي، وعبد الملك بن حبيب، وبقي بن مخلد ومحمد بن وضاح - وأحيانا تكون قصيرة لا تزيد عن سطر، وفي الكتاب هذا فوائد طيبة ومن ذلك:

رسالة الأمير الحكم الربضي للفقيه يحيى بن يحيى اللبثي.

وكتابه إلى عيسى بن دينار يؤمنهما على نفسيهما في حادثة هيج الربض^(١).

٣ - تاريخ علماء الأندلس:

لأبي الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي^(٢)، وهو يضم تراجم كثيرة لعدد كثير من علماء الأندلس حتى عصر المؤلف، والغالب فيه تراجم الفقهاء والمحدثين، لذا ورد فيه تراجم لعلماء تولوا ولاية السوق، ومن هنا كانت أهميته للبحث وكذلك فإن مؤلفه ابن الفرضي عاصر كثيرا من العلماء الذين ترجم لهم ولذا فإن معلوماته تعد أصدق وأصح؛ لأنها جاءت من طريق المشاهدة والمعاينة كما أنه ينقل أحيانا عن كتب فقدت.

٤ - جذوة المقتبس:

(١) انظر الخشي أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويسا أيبلا (طبع المجلس الأعلى للأبحاث، لعلبية معهد

التعاون مع العالم لعربي) ص ١٢٢ وما بعدها

(٢) هو: عبد الله بن محمد بن يوسف بن الأزدي القرطبي، والفرضي نسبة إلى الفرائض، ولد سنة ٣٥١ هـ وتلمذ

في قرطبة على مشايخ كثيرين، ثم رحل إلى المشرق، وكان جماعا للكتب، وكان ذا يسار، ونقل قراءة الكتب

في عهد دولة العامية، وله كتب منها تاريخ علماء الأندلس، توفي مفتولا في فنة البربر في قرطبة سنة ٤٠٣ هـ

الموافق ١٠١٢ م انظر ابن بشكوال كتاب الصلة ١/٢٥١، رقم الترجمة ٢٧٣، والذهبي سير أعلام

النبل ١٧/١٧٧-١٨٠

لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي المتوفى سنة/٤٨٨هـ الموافق/١٠٩٥م،
وقد ألفه من حفظه وهو بالعراق^(١) وأورد معلومات قيمة من علماء الأندلس.
٥ - بغية الملتبس:

لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي المتوفى/٥٩٩هـ الموافق/١٢٠٢م، وهو
كثيراً ما ينقل عن كتاب الجذوة قبله مما يؤكد المعلومات هناك كما أن هناك إشارات
تفرد بها، وتراجم لم تذكر في الجذوة أيضاً.

٦ - كتاب الصلة:

لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال من أهل إشبيلية ولد سنة/٤٩٤هـ،
وتعلم على والده في الحديث، واشتغل بالقضاء، وتعلم عليه جمع كبير من العلماء،
وتوفي سنة/٥٧٨هـ الموافق/١١٨٢م^(٢). وألف كتاب الصلة ليكون ذيلًا على كتاب ابن
الفرضي الأنف الذكر، ويعد من أهم كتب التراجم وأعظمها فائدة.

فهو يأتي بفوائد ومعلومات قيمة توضح لنا ما كان عليه المجتمع الأندلسي من
علم ومعرفة، فهو يتحدث عن محنة أحمد بن فرج الجياني وسبب محنته، وحرص الطلبة
على حضور دروسه في المسجد، كما يتحدث عن نشاط العلامة أحمد بن سعيد وتخصيصه
قسماً من داره ليقوم فيه بتدريس طلبة العلم، وغير ذلك من صور الاحتساب.

٧ - التكملة لكتاب الصلة:

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار المتوفى
سنة/٦٥٨هـ، وهو في الأصل تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال السابق إلا أن ابن الأبار
لم يكف بتراجم العلماء الذين أتوا بعد ابن بشكوال، بل ترجم لعلماء عاشوا في القرون
الثلاثة التي سبقت عصره واعتمد في كتابه على مصادر معظمها مفقودة.

(١) العراق شاطئ البحر، وسمى العراق عرافاً لأنه على شاطئ دجلة والفرات متداً حتى يتصل بالبحر على
طوله. ١.هـ باقوت الحموي معجم البلدان ٩٤/٤

(٢) انظر النهي: تذكرة الحفاظ ١٢٣٢٩/٤، وابن علكان وفيات الأعيان ١٣/٢

٨ - الحلة السراء:

لابن الأبار المتوفى سنة/٥٩٥/٦٥٩هـ الموافق/١١٩٨/١٢٦٠م، تحقيق دكتور حسين مؤنس، وهو كتاب يتعلق بميدان الأدب والشعر، وذوي النباهة منها من الخاصة والعامة، وهو يفيد كثيرا فيما اتصف فيه الخلفاء والأمراء من بني أمية، وهو لا يخلو من صور الاحتساب، وكانت الاستفادة منه عظيمة وكبيرة.

٩ - المغرب في حلى المغرب:

لابن سعيد المتوفى سنة/٦٨٥هـ.

فقد أفاد الباحث منه كثيرا وبخاصة فيما يتعلق بتراجم العلماء الذين تولوا ولاية السوق، وما جاء في ترجمة الأمير عبد الرحمن، إذ أشار وذكر أنه هو الذي ميّز وفصل ولاية السوق عن صاحب المدينة.

١٠ - كتاب صلة الصلة:

لأبي جعفر أحمد إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، المولود في سنة/٦٢٨هـ والموفى/٧٠٨هـ، وهو خمسة أقسام، نشر القسم الأول والثاني منه. أما الثالث والرابع والخامس فحققها الدكتور عبد السلام اهراس والشيخ سعيد أعراب ونشرت في المغرب، واعتنى بذلك وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة/١٤١٣هـ الموافق/١٩٩٣م، والكتاب حوى كثيرا من تراجم العلماء.

١١ - الإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين ابن الخطيب، المتوفى

سنة/٧٧٦هـ/١٣٧٤م، وقد ذكر الخطيب عددا من تراجم العلماء، وهو من المصادر الأندلسية القديمة.

١٢ - ترتيب المدارك في معرفة أعلام الإمام مالك: للقاضي عياض بن موسى بن

عياض السبتي المتوفى سنة/٥٤٤هـ، وهو من كتب التراجم في المذهب المالكي، وقد رتبه القاضي على طبقات ويعد من المصادر الأصلية في هذا المجال.

ب : تراجم عامة

كما أن الباحث أفاد من كتب التراجم العامة، ووقف على صور الاحتساب التي قام بها أولئك العلماء ومن تلك الكتب ما يلي:

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى/٧٤٨هـ، وكتاب شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي وكتاب العبر في خبر من غير للذهبي وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ دمشق لابن عساكر.

٢ - والدياج المذهب لابن فرحون المتوفى سنة/٧٩٩هـ

كما أفاد الباحث - أيضا - من كتب التفهارس الخاصة بالعلماء مثل فهرست ابن خير الإشبيلي توفي سنة/٥٧٥هـ

خامسا: في كتب الطبقات

وقد أفدت - أيضا - من كتب الطبقات ومن ذلك:

١ - طبقات الأطباء:

لسليمان بن حلجل الطبيب الأندلسي الذي أنفه سنة/٣٧٧هـ وأفاد الكتاب كثيرا عن الحسبة في مجال العلم وبخاصة في مجال الطب^(١)

٢ - كتاب طبقات الأمم:

لصاعد بن أحمد الطليطي المتوفى سنة/٤٦٣هـ وأفاد في نفس المجالات السابقة.

٣ - طبقات النحويين واللغويين:

لأبي بكر الزبيدي المتوفى/٣٧٩هـ الموافق ٩٨٩م^(٢)، وأفدت منه وبخاصة في تراجم علماء من الأندلس.

(١) انظر حذوة المقنيس رقم الترجمة/٤٥٢

(٢) هو: محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، أبو بكر من الأئمة في اللغة العربية، ألف كتابا سماه "الواضح"،

واختصر كتاب "لعين" توفي قريبا من ٣٨٠هـ، انظر حذوة المقنيس رقم/٣٤

٤ - والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:

لابن بسام الشنتريني المتوفى سنة/٥٤٢هـ، وأفدت منه في مجال الآداب والأخلاق ومنكراتها.

٥ - وغاية النهاية في الطبقات:

لابن الجزري المتوفى ٨٣٣هـ، وأفدت منه كذلك في احتساب العلماء على طلب العلم.

ونظرا لأهمية الاحتساب وتعدد بحالاته فقد أفدت كثيرا من كتب العقيدة وخاصة التي تذكر البدع في العقيدة مثل: كتاب البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح، وكتاب أصول السنة، لابن أبي زمنين المتوفى سنة/٣٩٩هـ، وكتب الفقه المالكية مثل فتح العلي لأبي عبد الله محمد أحمد عيش المتوفى سنة/١٢٩٩هـ.

وإذا كانت الدراسة لهذا البحث قد نهلت مادتها بالدرجة الأولى من المصادر فإن ذلك لا يعني مطلقا أنها كانت بمنأى عن الاستفادة من الدراسات الحديثة ولكنها من نهاية جهود المؤرخين والباحثين المحدثين ابتدأت، وعلى طائفة من تحقيقاتهم نو كأت، وبمحتاج بعضهم اهتديت، فثم للاستعانة بما وقع تحت اليد من كتب ورسائل وأبحاث ومقالات خمس الموضوع مثل: كتابات الدكتور محمد خلاف والدكتور حسين مؤنس وعبد الله عنان، وغيرهم.

موجز لعصور التاريخ الإسلامي في الأندلس، وفيه سبعة مطالب

- المطلب الأول: عهد الولاة: (٩٢ — ١٣٨ هـ) الموافق (٧١٠ — ٧٥٥ م)
- المطلب الثاني: عهد الإمارة (١٣٨ — ٣١٦ هـ) الموافق (٧٥٥ — ٩٢٩ م)
- المطلب الثالث: عهد الخلافة (٣١٦ — ٤٠٠ هـ الموافق ٩٢٩ — ١٠٠٩ م)
- المطلب الرابع: عهد الطوائف (٤٠٠ — ٤٨٤ هـ الموافق ١٠٠٩ م — ١٠٩١ م)
- المطلب الخامس: عهد المرابطين (٤٨٤ — ٥٤٠ هـ) الموافق ١٠٩١ م — ١١٢٧ م
- المطلب السادس: عهد الموحدين (٥٤٠ — ٦٣٥ هـ) الموافق (١١٤٧ م — ١٢٣٨ م)
- المطلب السابع: مملكة غرناطة: (٦٣٥ — ٨٩٨ هـ) الموافق (١٢٣٨ — ١٤٩٢ م)

المطلب الأول: عهد الولاية: (٩٢ - ١٣٨ هـ) الموافق (٧١٠ - ٧٥٥ م)

إن الإسلام دخل إلى الأندلس مبكراً، حيث دخل إليها في أوائل العقد الأخير من القرن الأول الهجري، فبعد أن وصل الشمال الإفريقي، واعتنقه أهل تلك البلاد، وذاقوا حلاوة هذا الدين القويم، أخذوا في نشره خارج بلادهم^(١).

ويبدأ هذا العهد من أول دخول الإسلام إلى الأندلس سنة ٩٢ هـ، وقيل من رحيل موسى وطارق، ويمتد حتى دخول عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام^(٢)، إلى الأندلس، ويستغرق هذا العهد على هذا الرأي حوالي ٤٢ سنة.

حكم الأندلس فيها عشرون والياً، وكان يتم تعيينهم من قبل ولاية الشمال الإفريقي، ومنهم من يتم تعيينه من قبل الخليفة نفسه في دمشق^(٣).

(١) أحمد انقري نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الدكتور

يوسف علي طویل، وأخر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٥ هـ، ٢٣٩/١، الدكتور عبد

الرحمن الحجي التاريخ الأندلسي ص/٤٣

(٢) عبد الرحمن الداخل ابن عبد الملك بن مروان أمير الأندلس وسلطانها أبو المصطفی الأموي المرواني المشهور

بإدخال، انظر سير أعلام النبلاء، ٢٤٤/٨

(٣) بكسر أوله وكسر ثانيه هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وأخره قاف، البسطة المشهورة

قصة الشام، وهي حنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة وبضارة بقعة، وكثرة فاكهة، وتراعة رقعة، وكثرة

مياه، ووجود مارب، معجم البلدان ياقوت الحموي ٤٦٣/٢ انظر نفع الطيب ٢٤٩/١، والتاريخ الأندلسي

ويمكن تفصيل ذلك، بأن فكرة فتح الأندلس قديمة تمتد إلى أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان^(١) رضي الله عنه، فقد كان القائد عقبة بن نافع^(٢) يفكر في اجتياز البحر إلى أسبانيا^(٣)

ثم إن موسى بن نصير^(٤) والي الشمال الإفريقي طلب الإذن من الخلافة في دمشق بالعبور إلى أسبانيا لنشر الإسلام، فأذن له بعد تردد في ذلك، فجهز جيشاً، وأسند قيادته إلى طارق بن زياد^(٥) والي طنجة^(٦)، فعبر طارق وجيشه من سبتة إلى الطرف الأسباني، في الخامس من شهر رجب سنة ٩٢هـ ثم تجمع الجيش في الطرف الأسباني عند جبل عرف

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي أمير المؤمنين أبو عبد الله، ولد بعد الفيل بست سنين وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم بنته رقية، وأم كنوم؛ فلذلك كان يلقب بذي النورين، وكان استشهاده يوم الجمعة سنة ٣٥هـ، الإصالة ٢٢٣/٢-٢٢٤

(٢) هو الأمير عقبة بن نافع الفهري نائب إفريقية لمعاوية وليزيد، وهو الذي أنشأ القيروان وأسكنها الناس استشهد - رحمه الله تعالى - في غزوة السور، الأدنى سنة ٦٣هـ. انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٥٢٢/٣-٥٢٤/٣

(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروتسسال، وآخر، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م دار الثقافة بيروت لبنان ٢٦/٢٧، فجر الأندلس ص/٥٤، دولة الإسلام ٢٠/١

(٤) هو: موسى بن نصير أبو عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء، ولد سنة ١٩هـ، نشأ في دمشق، وخدم بني مروان، متولي إقليم المغرب، وفاتح الأندلس، ولي غزو البحر لمعاوية - رضي الله عنه - فغزا قرص وبنى هناك حصونا، وقد استعمل على أقصى المغرب مولاه طارقاً، فبادروا فتح الأندلس، ولحقه موسى ثم فتحها، وقد حج موسى مع سليمان، فمات في المدينة النبوية سنة ٩٧هـ، انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٤/٩٦-٥٠٠/٤، الأعلام ٣٣٠/٧

(٥) طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وكان أميراً على طنجة بأقصى المغرب، وله فتوحات عظيمة جداً بالمغرب كما كان لقتية بن مسلم بالمشرق في تلك الزمان فتوحات لم يسمع عنها، انظر سير أعلام النبلاء، ٥٠٠/٤

(٦) بالفتح ثم السكون، والجيم، وهاء، مدينة في الإقليم الرابع على ساحل بحر المغر مقابل الجزيرة الخضراء، وهي من البر الأعظم وبلاد البربر. ياقوت الحموي معظم البلدان ٤/٤٣

فيما بعد باسم جبل طارق^(١)، واستعد الجيش القوطي لملاقاتهم بمائة ألف، وكانوا يشعرون بتفوقهم على المسلمين، ولا يشكون في النصر إلى درجة أنهم أعدوا ما يحملون عليه أسرى المسلمين^(٢).

وكان عدد من غير مع طارق سبعة آلاف من البربر المسلمين، ثم طلب طارق النجدة، فأمدّه موسى بن نصير بخمسة آلاف من البربر خلا اثني عشر رجلا من العرب المسلمين^(٣).

(١) نفح الطيب ٣/١٤٥/١٤٦ م.س

(٢) أبو مروان عبد الملك المعروف بابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة مطبعة السعادة) ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ص/٤٧

(٣) نفح الطيب ١/٢٣٩

أصبح الجيش الإسلامي اني عشر ألفاً، وهو عدد قليل بالنسبة إلى أعدائهم، ولكنه يتفوق بالروح المعنوية، أو بسبب العقيدة، وأهدافها السامية مستعدة للاستشهاد يسترخص الحياة من أجل هذه العقيدة التي آمن بها ويدعو الناس إليها^(١).

وبعد النقاء الجيشين نصر الله جنده في معركة عظيمة تعرف بـ(معركة برباط) في الثامن والعشرين من رمضان من عام ٩٢هـ، ثم فتح الله لجنده البلاد والقلوب، وأصبح الجيش الإسلامي يفتح البلاد والمدن، ويفتح القلوب، ويعمرها بعقيدته الإسلامية ويدعو الناس إليها^(٢)، ثم نهض موسى من القيروان لينحى بطارق في الأندلس ليساعده في إتمام عملية الفتح في جيش قوامه ثمانية عشر ألفاً، وعبر المضيق إلى أسبانيا في رمضان سنة ٩٣هـ، وكان ذلك الجيش يضم عرباً وبربراً وغيرهم، ونزل موسى بالجزيرة الخضراء، وعقد هناك الرايات لجيشه، وأقام في ذلك الموضع مسجداً عرف بمسجد الرايات في الجزيرة الخضراء^(٣)، وأخذ ذلك الجيش يفتح المدن والحصون، ثم التقى موسى بطارق قرب مدينة طليطنة^(٤) في ذي القعدة سنة ٩٤هـ، ثم أخذوا في تنظيم الشؤون الداخلية للبلاد، وكتبوا بأخبار الفتح إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك^(٥) في دمشق، وضربت العملة الإسلامية في

(١) أخبار مجموعة مؤلف مجهول ص/٧، التاريخ الأندلسي ص/٥٢/٥٣

(٢) انظر ابن الكردوس تاريخ الأندلس م.س ص/٤٦، وابن عذاري البيان المغرب م.س ٩/ م.س

(٣) انظر أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار الحلة السراء، تحقيق حسن مؤنس

(القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م) ١/٨٨ : ٢/١٨٨/١٩

(٤) هكذا ضبطه الحميدي بضم الطاءين وفتح اللامين، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية مدينة

كبيرة ذات خصائص عمودة بالأندلس، وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قراهم. ياقوت الحموي

معجم البلدان ٤/٤٠

(٥) الوليد بن عبد الملك الخليفة أبو العباس الأموي الدمشقي الذي وسع جامع بني أمية ووسع - أيضاً - مسجد

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزخرفه ورزق في دولته سعادة مات في حمادى الآخرة سنة ٩٦هـ،

انظر سير أعلام النبلاء، ٤/٣٤٧

الأندلس لأول مرة، وقاموا بدعوة الناس، وإفهامهم الإسلام، وشرحه لهم ودعوتهم إليه، بعد أن رآه أهل البلاد عمليا في خلق الفاتحين^(١).

ثم واصلوا الجهاد، وفتح البلاد، وافتتحوا مدينة سرقطة، وأنشأوا فيها مسجدا خططه وسدد قبلته مهندس المساجد في الغرب الإسلامي الجليل حنش بن عبد الله^(٢) الصنعاني، وشارك في تخطيط وهندسة عدة مساجد، وتذكر بعض المصادر^(٣) أن موسى وصل في جهاده إلى ما وراء "البرت" جنوب فرنسا، وافتتح بعض المناطق هناك مثل قرمونة وأربونة^(٤).

وأثناء قيام موسى بإتمام الفتح ورد عليه مغيث الرومي رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره بالرجوع، والإضراب عن التوغل في البلاد، ولكن موسى أخذ يكمل بعض ما بقي من البلاد حتى وصل إلى البحر الأخضر وهو ساحل المحيط، وأثناء ذلك قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر^(٥)، يأمره بالخروج من الأندلس والقدوم على الخليفة، وقد شارف الجيش الإسلامي سواحل الخليج ينظرون إليه، وتملاه نفوسهم المتطلعة، وقنوبهم المفتحة، ويسألون الله مزيدا من النصر لدعوته^(٦).

(١) انظر دكتور عبد الرحمن المحي التاريخ الأندلسي ص/ ٨٥

(٢) حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة أبو رشد بن النافعي الصنعاني نزل بإفريقية مراتبها ونوفي سنة/ ١٠٠هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٩٢

(٣) انظر المقرئ نفح الطيب ١/ ٢٦٤

(٤) ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ٩٢، نفح الطيب ١/ ٢٧٣، ٢٧٤

(٥) هو: محمد بن عمر بن ليابة أبو عبد الله الفقيه ولد سنة/ ٢٢٥هـ، وكان إماما في الفقه مقدما على أهل زمانه

في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، توفي سنة/ ٣١٤هـ، تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٨٠

(٦) أحمد المقرئ نفح الطيب ١/ ٢٧٥، فخر الأندلس ص/ ١٠٥، التاريخ الأندلسي ص/ ١٠٨، ١١١

وكان لابد لموسى من الطاعة لأمر الخليفة، فقفل راجعا بعد أن ترك ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس يقوم بما تقتضيه أحوال البلاد من الدعوة إلى الإسلام، وإتمام عمليات الفتح، وتنظيم البلاد، وإصلاح الأحوال^(١).

ثم توجه موسى و طارق ومن معهما، وعبروا المضيق في نهاية ذي الحجة سنة ٩٥هـ، ثم وصلوا إلى دمشق في أوائل جمادى الأولى سنة ٩٦هـ، والخليفة الوليد مريض، ثم توفي الوليد بن عبد الملك بعد وصول موسى بأربعين يوما^(٢).

وصحب موسى الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك^(٣) حين حج بالناس عام ٩٧هـ، ونوفي موسى في تلك الرحلة في المدينة وهو في الطريق إلى الحج^(٤).

أما طارق فلا يكاد يعرف ما حدث له بعد وصوله إلى دمشق هل بقي في دمشق، أم عاد إلى المغرب والأندلس^(٥).

والتأمل في ذلك العصر يجد أنه برز فيه الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، فهو جانب خصب لدراسة تاريخ نشر الدعوة الإسلامية، وهو من مجالات الاحتساب التطوعي؛ إذ كان هدف الفاتحين هو العمل على نشر الإسلام، وتحرير العباد من عبودية غير الله سبحانه وتعالى، وترسيخ العقيدة والإيمان في قلوبهم، وكان العمل الدارج هو إرسال الدعاة والفقهاء بجانب الجيش الفاتح لشرح الإسلام وبيانه، وقد ضمت حملة طارق بن

(١) نفح الطيب ٢٨٠/١، تاريخ الأندلس ص ١٥١/١٥٢

(٢) انظر د. عبد العزيز سالم (نشر مؤسسة شباب الجامعة تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٩/١٠٩-١١٢)

(٣) هو: سليمان بن عبد الملك بن مروان الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي بوبع بالخلافة بعد أخيه الوليد سنة ٩٦هـ، قال عنه ابن سيرين: - يرحمه الله - سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة واختتمها باستخلافة

عمر، توفي سنة ٩٩هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٥/١١١-١١٣

(٤) الفيروز آبادي المعالم المطابة في معالم طابة ص ٤٢٣، التاريخ الأندلسي ص ١٢٧

(٥) معالم الإيمان ١/٣٠١، رياض النفوس ١/٧٨

زياد عددا من الجند الفقهاء مهمتهم تفيقه الجند بجانب الواجب العسكري الذي يؤدونه^(١).

وهذا ولا شك مجال من مجالات الاحتساب، وسيأتي تفصيله في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الثاني - إن شاء الله تعالى -

مميزات هذا العهد:

ومن أبرز ما تميز به هذا العهد ما يلي:
العمل الجاد في توطيد الحكم الإسلامي في الأندلس، وتكوين المجتمع الجديد، والعمل على نشر الإسلام، وتعليمه، وتفيقه الناس في أمور دينهم، وهذا عمل ضخم وعظيم، ويحتاج إلى قوة وصبر^(٢).

كما امتاز بالتوسع في الفتوحات، والجهاد في سبيل الله تعالى، في الشمال وراء البرت، والتوغل في الأراضي الفرنسية، وكان الوالي بنفسه يقود ذلك الجهاد ويشرف عليه، ويشترك فيه حتى أن أربعة من أولئك الولاة استشهدوا في ذلك وهم:

١ - السمع بن مالك الخولاني^(٣)

٢ - وعنبسة بن سحيم الكلبي^(٤)

(١) انظر عبد الرحمن الحفي، التاريخ الأندلسي ص/١٤٥

(٢) انظر البيان المغرب ٢/٢٩/٣٤، ابن خلدون العبر ٤/٢٥٧، نفح الطيب ١/٢٣٥

(٣) هو السمع بن مالك الخولاني أمير الأندلس قتل الروم في ذي الحجة يوم عرفة سنة ١٠٠هـ، انظر تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرضي ١/٢٣٥

(٤) هو: عنبسة بن سحيم الكلبي، كان أمير الأندلس في سنة ١٠٦هـ من قبل بشر بن صفوان أمير إفريقية في أيام

هشام بن عبد الملك، توفي سنة ١٠٧هـ، وقبل سنة تسع والله أعلم انظر بغية الملتصص ص/٣٨٠

٣ - وعبد الرحمن الغافقي^(١)

٤ - وعقبة بن الحجاج السلوي^(٢)

ويذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد فكر في إخلاء الأندلس، وإجلاء المسلمين عنها؛ لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم، فكتب إليه السماح يعرفه بقوة الإسلام، وكثرة مدائنهم، وشرف معاقليهم، وعدل عن رأيه وأقر السماح على ولايته^(٣). وكان تنظيم البلاد، وإصلاحها، وإدارتها، ووضع التشريعات للبلد حسب الشريعة الإسلامية هو عمل هؤلاء الولاة في هذا العهد، وقاموا بجهود عظيمة في هذا السبيل^(٤).

(١) هو الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري من أعيان المصريين المالكيين

مات في رمضان سنة ١١٤ هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ٤٣٥/١٦

(٢) عقبة بن الحجاج السلوي دخل الأندلس وأبنا عليها من سنة ١١٦-١٢١ هـ في أيام هشام بن عبد الملك،

فأقام خمس سنين عمود السيرة، مجاهدا مظفرا حتى بلغ أربونة، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض

عليه الإسلام حيا ويرغبه فيه ويصبره بفضله، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه، فيذكر أنه أسلم على يديه

بذلك الفعل ألف رجل، توفي سنة ١٢٣ هـ. انظر ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، م.س ٢٩/٢،

والتركلي الأعلام ٢٤٠/٤

(٣) نفح الطيب ١٥/٣، أخبار مجموعة مؤلف مجهول ص/٢٣، البيان المغرب ٢٦/٢

(٤) نفح الطيب ١٦/٣، التاريخ الأندلسي ص/١٤١

المطلب الثاني: عهد الإمارة (١٢٨ - ٣١٦هـ) الموافق (٧٥٥ - ٩٢٩م)

بداية هذا العهد

يبدأ هذا العهد بمجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، بعد سقوط الدولة الأموية في الشام سنة/١٣٢هـ.

وكان عبد الرحمن الداخل بن معاوية جدُّ أمراء بني أمية في الأندلس، قد فرَّ من بطش العباسيين، واستطاع التخفي والوصول إلى الشمال الإفريقي، ونزل عند أخواله قبيلة نفزة^(١).

وفي سنة/١٣٦هـ بدأ يعدّ العدة لدخول الأندلس، واستطاع الداخل أن يجمع حوله المؤيدين له، ودخل الأندلس في غرة ربيع الأول سنة/١٣٦هـ، وحررت بينه وبين ولاية الأندلس مصادمات ومعارك انتهت بتغلبه عليهم، ودخوله إلى قرطبة^(٢).

وبويع بها أميراً على الأندلس، وكان ذلك في ذي الحجة سنة/١٣٨هـ^(٣) وبعد مرور عشرة أشهر على تولي الداخل إمارة الأندلس قطع الخطبة للعباسيين، وبذلك قطعت الأندلس عن بقية العالم الإسلامي وخلافته إدارياً وسياسياً^(٤)، ولم تحدث مواجهة بينه وبين الخلافة العباسية، كما أن الخلافة لم تقم بعمل جاد لإعادة الأندلس إلى سلطان الخلافة، وقد دام هذا العهد قرناً وثلاثة أرباع القرن، حكم فيها الأندلس ثمانية أمراء من بني أمية^(٥).

(١) انظر ابن خلدون العبر ٢٦٢/٤، ونفع الطيب ٣٢٨/١، أخبار مجموعة ص/٦٧

(٢) انظر ابن عذارى البيان المغرب ٤٧/٢

(٣) انظر الحلة السراء ٣٥/١، ابن عذارى، البيان المغرب ٤٦/٢-٤٧

(٤) الأمير شكيب أرسلان الحلل السندسية ٢٤٦/١

(٥) الحلة السراء ٣٥/١، البيان المغرب ٤٦/٢-٤٧، أعمال الأعلام ٨/٢

الأحداث البارزة في هذا العهد

من الأحداث البارزة في هذا العهد ما يلي:

- ١ - بروز ولاية السوق كولاية مستقلة وفصلها عن صاحب المدينة التي كانت داخلة تحت ولايته، وذلك في عهد الأمير أبي المطرف عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله تعالى -
- ٢ - وجد في هذا العهد عدد لا بأس به من العلماء تولوا ولاية السوق وذلك مما يدل على أهمية تلك الولاية في هذا العهد؛ سيأتي تناولهم فيما بعد من هذا البحث بإذن الله تعالى.
- ٣ - برز في هذا العهد الاحتساب التطوعي في مجال الجهاد، ومجال العلم والتعليم، والأخلاق، والآداب، وغرس العقيدة الصحيحة.
- ٤ - تحول أهل الأندلس في هذا العهد من مذهب الإمام الأوزاعي - رحمه الله^(١) - إلى مذهب أبي عبد الله الإمام مالك بن أنس المولود سنة ٩٥هـ المتوفى سنة ١٧٩هـ^(٢) وذلك مما يدل على أن الاحتساب في هذا العهد تأصل على المذهب المالكي^(٣)
- ٥ - هجوم "شارلمان" على الأندلس، وهم: قوم من النصارى قصدوا بذلك الهجوم زعزعة الأمن، وإضعاف الدولة الجديدة، وقاموا بمعاونة بعض العصاة في الداخل، ولكن تلك

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي أبو عمر النخعي ثقة جليل: المولود سنة ٨٨هـ والمتوفى

سنة ١٥٨هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧، ٣٤٨

(٢) هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ظلب العلم وهو صغير، فأخذ عن كثيرين، وصنف الموطأ؛ وتأهل

للفقهاء وحلر للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه كثير، وقصده طلبة العلم، قال عنه ابن عيينة:

مالك عام أهل المحار، وهو حجة زمانه، وقال الشافعي عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. انظر سير

أعلام النبلاء، ١٠٧/٧، ص ٣٤٨

(٣) انظر ابن حبان المقتبس ص ٢٢٦، القاضي عيسى بن سهل الأحكام الكبرى، تحقيق رشيد النعيمي جزءان

(الرياض شركة الصفحات الذهبية المحدودة ١٤١٧هـ) ١٣١٥/٢

المساعي باءت بالفشل، حتى أثر الفرنج في النهاية المسألة، ورغبوا في السلم ودعوا إليه^(١).

٦ - هجوم النورمان على الأندلس، وهم: من الخوس، قاموا بمهاجمة سواحل الأندلس بقصد إخافة المسلمين، وإلحاق الضرر بهم، وظهروا في فترات متعددة، فتصدى لهم المسلمون بكل حزم وقوة، وردوا كيدهم إلى نحورهم^(٢).

٧ - قطع الخطبة للعباسيين في الأندلس، وبذلك استقل الأندلس عن الخلافة في الشرق^(٣).

٨ - ما وقع في سنة ٢٠٢هـ في عهد الحكم بن هشام^(٤) الأول من قيام مجموعة من الفقهاء والعلماء بمحاولة خلع الأمير لما ظهر لهم فسقه، وخروجه عن بعض أحكام الشريعة، ففضى الأمير على تلك الحركة بقسوة وعنف^(٥).

٩ - قيام مجموعة من النصاري بسب الإسلام، والتطاول على مقام النبوة بسب وشتيم النبي صلى الله عليه وسلم أمام المساجد، وأمام القضاة، وأعلنوا ذلك وجاهرُوا به، وعانج المسلمون تلك الحركة بكل لين وحكمة: وفق أحكام الإسلام العادلة^(٦).

(١) البيان المغرب ٥٨/٢، نفح الطيب ٤٨/٣، دولة الإسلام في الأندلس ١٩٢/١

(٢) ابن حيان المقتبس من أنباء أهل الأندلس ٣٠٨/٢، البيان المغرب ٩٦/٢

(٣) ابن الأثير الكامل في التاريخ ١٠/٦، الحلة السراء ٣٩/١، نفح الطيب ٢٣٩/١، التاريخ الأندلسي ص ٢٤٠

(٤) هو: الأمير أبو العاص الحكم بن هشام بن الداحل عبد الرحمن الأموي المرواني، بويع بالخلافة عند موت أبيه في شهر صفر سنة ١٨٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٨-٢٣١

(٥) الحلة السراء ١٤٤/١، الروض المعطار ص ٥٧، ابن عذاري البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٧٢/٢ وما بعدها.

(٦) انظر عبد الله عنان دولة الإسلام في الأندلس ٢٦٧/١-٢٧٣، التاريخ الأندلسي ص ٢٤٣

مميزات هذا العهد:

ومما امتاز به هذا العصر انتشار الإسلام، ووجود مناصب إدارية جديدة، مثل: الحجابة، والوزارة، وظهور القوة الإسلامية في البحر، وتقدم التنظيمات العسكرية^(١)، ونمت العلوم وازدهرت، وكثر الإنتاج الثقافي، واتسع نطاق التعليم، وزاد الاهتمام بالكتب والمكتبات، واهتم بالمرافق عامة مثل: العمران، والطرق^(٢).

وقامت في هذا العهد علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول في أوروبا وغيرها بعد أن ظهرت قوة الدولة في الأندلس، وعلت مكانتها، وحرصت تلك الدول على صداقة الأندلس، وإقامة علاقات ودية معها^(٣).

أما السياسة الخارجية العامة، فهي سياسة عدم الاعتداء، والتزام بالعهود والمواثيق، وهي تلتزم الإسلام نصاً وروحاً.

وأما نشاط الفتوح، فقد أصبح ضئيلاً، وسياسة الأندلس مع العالم الإسلامي: فقد ارتبطت به على أساس الرابطة الدينية، واستمرت الصلات والسفر من تلك البلدان^(٤) وإليها، وخاصة للحج، وطلب العلم.

أما مع غير العالم الإسلامي فقد رحبت الأندلس بكل علاقة سياسة حسنة مع الدول المجاورة لها، والبعيدة عنها، ولكن رغم ذلك الترحيب والرغبة في حسن الجوار حدث مع الدول المجاورة مواجهات عسكرية: لا سيما مع دويلات أسبانيا الشمالية، التي اتبعت سياسة الاعتداء والتحرش بالمسلمين كلما وجدت لذلك مجالاً^(٥).

(١) دولة الإسلام في الأندلس ١/١٩٧/١٩٨، التاريخ الأندلسي ص/٢٧٨

(٢) المقتبس ص/٢٤٤، المغرب ١/٤٩، ٢/٩٦

(٣) انظر نفح الطيب ١/٣٧٩، البيان المغرب ٢/٢٣٢، جذوة المقتبس ١٣، ابن سعيد المغرب في حلى المغرب

التاريخ الأندلسي ص/٢٨٠، دكتور عبد الرحمن الحجي أندلسيات ١/٤٥

(٤) نفح الطيب ٣/١٢٥، التاريخ الأندلسي ٢٨٩

(٥) انظر دكتور عبد الرحمن الحجي، أندلسيات ٢/١٠٨

المطلب الثالث: عهد الخلافة (٣١٦-٤٠٠ هـ ٩٢٩-١٠٠٩ م)

يبدأ هذا العهد من إعلان الأمير عبد الرحمن الناصر الخلافة الأندلسية سنة/٣١٦ هـ الموافق/٩٢٩ م، حيث أنهى بذلك عهد الإمارة.

وقد دام حكم الناصر خمسين عاما، وصلت الأندلس فيها إلى ذروة عزها وبجدها وقوتها^(١)، وبعد وفاته تولى الخلافة ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله^(٢)، ٣٥٠/٣٦٦ هـ، وبرز حبه للعلم، وزادت العلوم ازدهارا، وزهت الأندلس بمجالس العلم والجامعات، وكان الحكم نفسه عالما كبيرا جلب الكتب إلى الأندلس، وأنفق فيها أموالا طائلة^(٣).

وبعد وفاته تولى ولده البالغ من العمر إحدى عشرة سنة، وهو هشام المؤيد^(٤) ونصغر سنه لم يستطع القيام بشؤون الدولة، فحرت أحداث أضرت بالامة وأمنها، وبرز رجل قوي وهو محمد بن أبي عامر^(٥) عرف بالخاب المنصور، فأخذ الحكم لنفسه وأخذ يحكم باسم هشام، فوطد الأمن وقويت الأمة وعز شأنها، وأرهب

(١) البيان المغرب ٢/٢٢٣ - ٢٢٤، المعبر ٤/٢٩٨، نفح الطيب ٤/٤٥٣

(٢) هو: الحكم بن عبد الرحمن بن محمد، أمير المؤمنين أبو العاص الأموي المرواني، ولد سنة ٣٠٢ هـ بويج بالخلافة بعد أبيه في رمضان سنة/٣٥٠ هـ، جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، وتوفي سنة/٣٦٦ هـ انظر سير أعلام النبلاء ٨/٢٣٩-٢٤٠

(٣) التاريخ الأندلسي ص/٢٩٩

(٤) هو: هشام المؤيد بن الحكم المستنصر صاحب الأندلس بابهوه صيا فقام بتشييد الدونة الخاحب المنصور، وكان المؤيد غائبا عن الناس لا يظهر ولا يتخذ أمرا، وكان المنصور يمنعه أن يجتمع بالناس قبل قتله البربر سنة ٤٠٣ م انظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٢٣-١٢٢

(٥) هو: الملك المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر النحطاني القرطبي المعروف بالخاب المنصور، وكان بطلا شجاعا، قام بأعباء دولة الخليفة المرواني المؤيد بالله، وكان المؤيد معه صورة يلاقيها في الأحكام نيفا وعشرين سنة، وقد غزا نيفا وخمسين غزوة، وكثر السبي في مدته، توفي بأقصى الثغور سنة/٣٩٣ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٥-١٦

النصارى بقوته وشدته في الغزو والجهاد الذي كان يقوده بنفسه، وبعد موت ابن أبي عامر حكم بعده ابنه عبد الملك "المظفر"^(١) ثم ابنه عبد الرحمن الملقب بـ "شنجول" - وهو اسم جده لأمه - وعمقته تنتهي الخلافة في الأندلس، ويرى البعض أنها تنتهي بموت الحكم المستنصر.

فالدولة العامرية امتداد للخلافة؛ لأنها تحكم باسمها^(٢)

مميزات هذا العهد

- ١ - إعلان الخلافة في الأندلس من قبل عبد الرحمن الناصر سنة/٣١٦ هـ انتهى بذلك عهد الإمارة^(٣).
- ٢ - إخضاع بعض العصاة، ومن أشهرهم عمر بن حفصون، والجماعة العظيمة التي أصابت الأندلس سنة/٣٠٢ هـ^(٤).
- ٣ - إنشاء مسجد قرطبة الجامع، ومدينة الزهراء^(٥) التي أنشأها عبد الرحمن الناصر، ومدينة الزاهرة التي أنشأها محمد بن أبي عامر سنة/٣٦٨ هـ^(٦).
- ٤ - هجوم المحوس على الأندلس عدة مرات.

-
- (١) هو: عبد الملك بن محمد أبو مروان الملقب بالمظفر، تولى الملك بعد أبيه، دامت الأندلس في أيامه في حير ومحصب وعز، وكان من الشجعان توفي سنة/٣٩٩ هـ، المصدر السابق ١٧/١٢٤
 - (٢) انظر نسان الدين بن الخطيب تاريخ أسبانيا الإسلامية، كتاب أعمال الأعلام الطبعة الثانية، تحقيق ليفي بروفنتال (بيروت دار الكشوف، ١٩٥٦ م) ٤٨/٢
 - (٣) انظر المقرئ نفع الطيب ١/٣٧٩، وابن عذاري والبيان المغرب ٢/٢٣٢
 - (٤) انظر ابن حيان المقتبس تحقيق شاميتا (المعهد الأسباني العربي للثقافة مدريد ١٩٧٩ م) ١١١
 - (٥) ممدود تانيث الأزهر وهو الأبيض المشرق، والمؤنثة زهراء، والزهراء: مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس
 - (٦) اختطبا عبد الرحمن الناصر بن محمد الأموي في سنة ٣٢٥، ياقوت الحموي معجم البلدان ٣/١٦١
 - (٦) جذوة الفتى ١٣، ابن سعيد المغرب في حلى المغرب ٢/١٨٢، ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢/٣١

- ٥ - قوة الجهاد في الأندلس مما أظهر قوة الإسلام أمام أعدائه النصارى^(١).
- ٦ - بروز الاحتساب في حانبيه الرسمي والتطوعي في مجالات كثيرة، منها: الجهاد وقمع البدع والمنكرات ونشر العلم والتعليم.

(١) انظر ابن حيان المقتبس م.س ص/١٦٨

العلاقات الداخلية والخارجية

أما علاقة الأندلس مع العالم الإسلامي فكانت حسنة مع الشمال الإفريقي، ولدى ظهور الخطر الفاطمي على الأندلس، وضع الأندلس بعض مناطق الشمال الإفريقي تحت نفوذه مما يدل على تصديه لذلك الخطر ورفضه له.

أما مع الشرق فكانت سياسة ود ومحبة، فالناس على صلة ببعضهم البعض فالرحلة بينهم قائمة للحج، والسياحة، وتلقي العلم، والدراسة^(١).

أما مع غير العالم الإسلامي فقد قامت على عدم الاعتداء عموماً، والاستعداد لعروض الصداقة، فأرسلت بعض الدول الأوربية الوفود إلى الناصر في قرطبة تخطب وده، وتبعث أخدايا لتأكيد ذلك^(٢)، فرحبت الأندلس بالسفراء، واستجابت لكثير من مطالبهم^(٣).

المطلب الرابع: عهد الطوائف (٤٠٠ - ٤٨٤ هـ الموافق

١٠٠٩ - ١٠٩١ م)

بعد ذهاب الخلافة وانتهاء حكم بني عامر عاشت الأندلس سنوات صعبة من الفتن، والفرقة، والحروب الداخلية، فتمزقت الأندلس فأصبحت حالتها تبعث على الأسى والحزن، عندما بدأ البناء الشامخ بالتصدع والانهيار، وأخذت كل مدينة تستقل بأمورها، وتعلن إمارتها، وتنافس المدينة الأخرى، فأعلن أهل قرطبة وعلى رأسهم أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور^(٤) إلغاء الخلافة، فأسند أهل قرطبة أمرهم إليه وذلك في

(١) انظر المحي التاريخ الأندلسي ص/٣١٨، ابن خلدون العر ٣١٢/٤

(٢) المرجع السابق ٣١٨

(٣) انظر البيان المغرب ١٥٠/٢، وابن خلدون المقدمة ٣١٥/٤

(٤) هو: جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم القرطبي، من دهاة الرجال وعقلائهم، دبر أمر قرطبة، ولم ينسم

بالإمرة، توفي سنة ٤٣٥ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣٩/١٢ - ١٤٠

سنة/٤٢٢هـ^(١)، وتبعت قرطبة عدة مدن في الأندلس، وكانت دولة ابن جهور من أقوى وأفضل دول الطوائف، وقامت كذلك عدد من الممالك؛ يحكم كل منها أمير مستقل عن غيره، فقسمت الأندلس إلى ست مناطق رئيسة تضم كل منها إمارة أو أكثر حتى بلغت أحياناً عشرين إمارة، مما كان له أسوأ الأثر وأعظمه في ضعفها أمام أعدائها النصاري، ومن ثم ذهاب تلك الأمة وضياعها^(٢)، وأثناء ذلك الضياع والتفريق قام رجال من العلماء، ومن الأمراء بالدعوة إلى التوحيد، وجمع كلمة الأمة أمام أعدائها، لكن لم تجد تلك الدعوة أذن صاغية، ولم تجد فيهم النصائح، والوعظ، والتذكير، وبيان الخطر الداهم الذي ينتظر الأمة بأجمعها، فقد أُنذر أولئك الدعاة المحتسبون الأمة وأَعذروا إلى الله في البيان والتبليغ، فحقت عليهم كلمة الله^(٣).

ملاحح هذا العهد

ومن أبرز ملامح هذا العهد ما يلي:

١ - في هذا العهد عاشت الأندلس سنوات صعبة من الفرقة والتنافس فانتابت الأندلس حالة فرقة وشتات تبعث على الأسى، حيث كثرت الفتن واستقلت كل مدينة بأميرها، وتصدع بنيان الوحدة، وأطلق على هذا العهد عهد الطوائف ولجأ بعض أولئك الأمراء إلى أعدائهم النصاري وطلبوا منهم النجدة ضد إخوانهم المسلمين مما كان له أسوأ الأثر على مستقبل الإسلام هناك^(٤).

(١) انظر البيان المغرب ٣/١٥٠، أعمال الأعلام ٢/١٣٩، محمد عبد الله عنان دول الطوائف ص/١٢٠

(٢) انظر البيان المغرب ٣/١٥٠، الحلة للسراء ٢/٣٠، نفح الطيب ١/٢١٣، عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب الطبعة السابعة تحقيق محمد سعيد العريان (المغرب النادر البيضاء، دار الكتب، ١٩٧٨م) ص/١٠٩

(٣) انظر دول الطوائف ص/١١١، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤/١٢٤، أعمال الأعلام ٢/١٨٠

(٤) انظر محمد عبد الله عنان عنان م.س ص/٤٨

٢ - رغم صعوبة ذلك العهد وشدته إلا أن الحسبة وجد لها حضور في ذلك العهد سواء
المحتسب المولى أو المتطوع، وربما فُوض المحتسب المولى على أمور وأشياء لم تدخل في
ولايته أصلاً، ونظر في قضايا هي من اختصاص القضاة أو ولاية الشرطة مما يدل على
بروز الاحتساب في ذلك العهد^(١)

٣ - يلاحظ في هذا العهد أن هناك من العلماء من قام بمحاولة توحيد وجمع كلمة
المسلمين، وسافر إلى عدة دول من دول الطوائف هذا الغرض مثل: القاضي الفقيه أبي
الوليد الباجي^(٢) - رحمه الله احتساباً لوجه الله تعالى، كما قام بعض العلماء بالعبور
إلى المغرب أو بلاد إفريقيا يطلبون التحدة من إخوانهم المسلمين، منهم: ابن حزم،
والفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي المتوفى سنة/٤٨٧هـ^(٣)

المطلب الخامس: عهد المرابطين (٤٨٤ - ٥٢٠ هـ)

الموافق (١٠٩٢ - ١١٣٤ م)

يرجع نسب المرابطين إلى قبيلة "المتونة" إحدى بطون صنهاجة، وقد أقاموا لهم
دولة في المغرب الأقصى على أسس التمسك بالإسلام والدعوة إليه.

(١) انظر ابن الأبار الحلة السراء ٩٨/٢، ابن فرحون الديباج ١٢٠، ابن سعيد المغرب في حلى المغرب

٢٣٩/١، الروض المعطار ص/٤٠-٤١

(٢) أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الأندلسي القرطبي صاحب التصانيف الإمام العلامة

القاضي ولد سنة/٤٠٣هـ، وتوفي سنة/٤٧٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء: ١٨/٥٤٥

(٣) ابن الأبار الحلة السراء ٩٨/٢، ابن فرحون، الديباج ١٢٠

ومن أبرز أمراء هذه الدولة: يوسف بن تاشفين الذي اتخذ من "أغمات"^(١) عاصمة لدولته مراکش^(٢) سنة/٤٥٤هـ، ولما كانت أوضاع المسلمين في الأندلس إلى تفكك، وانحطاط، وتسلب أعداؤهم عليهم مستغلين أوضاعهم السيئة تلك، فكروا في أنفسهم وتطلعوا إلى نجدة إخوانهم في العقيدة، فوجدوا أن المرابطين أقرب إليهم، فولوا وجوههم إليهم، فلبى أميرهم النداء، وعبر المرابطون إلى الأندلس بمجاهدين في سبيل الله تعالى ناصرين لدينه.

فكانت معركة "الزلاقة"^(٣) الشهيرة في رجب سنة/٤٧٩هـ التي كتب الله فيها النصر للمسلمين على أعدائهم النصارى، فاستبشر المسلمون في الأندلس خيرا بذلك النصر العظيم^(٤)؛ ثم عاد أمير المرابطين إلى المغرب بعد أن وعظ، ونصح أمراء الأندلس بالاتفاق، والائتلاف ووعدوه بذلك، ولكنهم لم يوفوا بذلك الوعد^(٥)، فعاد النصارى إلى الإغارة على شرقي الأندلس، وتهديد المسلمين، فاضطر المعتمد بن عباد أن يطلب النجدة من المرابطين، فعبر بنفسه إلى المغرب، وقابل أمير المسلمين، ووعد يوسف بن تاشفين خيرا، فوفى بوعده، وعبر بنفسه إلى الأندلس سنة/٤٨١هـ^(٦)، فحاصر بعض حصون النصارى وأخافهم، ثم عاد إلى المغرب، ولكن ساءت أحوال دول الطوائف بعد ذلك، فوردت

(١) ناحية من بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراکش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، أجمع بلد لأصناف

الخيرات. ياقوت الحموي معجم البلدان ١/٢٢٥

(٢) بالفتح ثم التشديد وضم الكاف؛ وشين معجم، أعظم مدينة بالمغرب، وأجلها وبها سرير ملك بني عبد

المؤمن، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن

تاشفين، ياقوت الحموي معجم البلدان ٥/٩٤

(٣) بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وقاف، أرض بالأندلس قرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المؤمنين يوسف

بن تاشفين. ياقوت الحموي معجم البلدان ٢/١٤٦

(٤) انظر البيان المغرب ص/١٠٦

(٥) البيان المغرب ص/١٠٦، التاريخ الأندلسي ص/٤٢١

(٦) انظر أعمال الأعلام ٣/٢٤٩

الكتب، والفتاوى من بعض الفقهاء إلى أمير المسلمين يوسف تطلب منه انجذاب الأندلس وإنقاذها من ملوك الطوائف، فعبر أمير المسلمين إلى الأندلس في أوائل سنة/٤٨٣هـ^(١)، وبدأ هذه المرة بخلع ملوك الطوائف، وضم الأندلس إلى مملكته في المغرب فأصبحت تابعة له ثم عاد إلى المغرب^(٢)، ثم أخذت أحوال الأندلس تتغير، والعدو يقوى، ويقوم بغزو المدن، ويستولي عليها، فأخذ سلطان المرابطين يضعف، حتى انتهت دولتهم ليرثهم بعد ذلك الموحدون^(٣)، وقد بقيت الأندلس تحت سلطان المرابطين حوالي نصف قرن^(٤).

قال لسان الدين ابن الخطيب^(٥): (كانت دولتهم دولة خير، وجهاد، وعافية، وأكثر الدول جريا على السنة رحمة الله عليهم)^(٦).

(١) انظر لمحمد عبد الله عنان عصر المرابطين والموحدين ٤١/١

(٢) أعمال الأعلام ص/١٦٣، دول الطوائف ص/٣٥١

(٣) انظر التاريخ الأندلسي ص/٤٣٩

(٤) المرجع السابق ص/٤٣٩

(٥) هو: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب،

ولد بغرناطة سنة/٧١٣هـ، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتابا منها الإحاطة في أخبار غرناطة، توفي

سنة/٧٧٦هـ، انظر الأعلام ٢٣٥/٦

(٦) انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٦٥/٣

المطلب السادس: عهد الموحدين (٥٤٠ - ٦٢٠ هـ) الموافق

(١١٤٥ - ١٢٢٣ م)

• قيام دولة الموحدين

قامت دولة الموحدين في جنوب المغرب في منطقة السوس^(١)، على أساس الدعوة إلى الإسلام، وتنقية صفاء عقيدة التوحيد مما يشوبها، وكان المؤسس الأول لدعوتهم هو: أبو عبد الله المهدي محمد بن "تومرت"^(٢) والتحق به عبد المؤمن بن علي الكومي^(٣) الذي نهض بدعوة الموحدين بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة/٥٢٤ هـ^(٤).

وبعد حرب مع المرابطين في المغرب قامت دولة الموحدين؛ وامتد سلطانها إلى الأندلس بعد أن أقبلت الوفود من الأندلس تدعو عبد المؤمن إلى الأندلس للجهاد ضد النصارى.

(١) يضم أوله، وسكون تانيه، وسين مهملة أخرى، بلدة بجوزستان، وقيل - أيضا - بلد بالمغرب، وقيل كورة

مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى كورة أخرى، ياقوت الحموي معجم البلدان ٢٨١/٣

(٢) هو: محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري أبو عبد الله، ولد سنة/٤٨٥ هـ، له كتاب كنز العلوم،

خرج بالمغرب، وادعى العصمة وأنه المهدي، رحل إلى المشرق، وحج، وحصل أطرافا من العلم؛ وكان أمرا

بالمعروف نهاء عن السكر، وكان يحش العيش فقيرا، لا لذة له في مأكلا ولا منكح، ودخل في الدماء ليل

الرياسة المردية، ثم كثر أتباعه حتى أخذ الأمر من المرابطين وتوسعت دولته حتى أصحابه بالموحدين ومن خالفه

بالمسحجين، وعرفت دولته بالموحدين؛ توفي سنة/٥٢٤ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٩، الأعلام

٢٢٨/٦-٢٢٩

(٣) هو: عبد المؤمن بن علي بن علوي سلطان المغرب الذي كان يلقب بأبى المؤمنين الكومي القيسي المغربي،

ولد سنة/٤٨٧ هـ، وتوفي سنة/٥٥٨ هـ انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٦٦-٢٧٥

(٤) انظر ابن خلدون المقدمة ٢/٧٥٣، ابن القطان نظم الجمان ٦/١٢٦، أعمال الأعلام ٢٧٠/-، الذهبي

العبر ٥٧/٤

ومن وفد عليه: القاضي أبو بكر بن العربي^(١) على رأس مجموعة كبيرة من علماء إشبيلية وقدموا بيعتهم لأمير الموحدين سنة/٥٤٢هـ^(٢)، فأرسل جيشا إلى الأندلس لإزالة ما بقي من سلطان المرابطين.

وبعد أن استقر الأمر للموحدين أولى عبد المؤمن اهتماما كبيرا بالأندلس، حتى عبر هو بنفسه إليها، فأشرف على أحوالها، واهتم بشأنها، وأولى عناية كبيرة بالجهاد في الأندلس ضد النصارى^(٣).

أبرز الأحداث في هذا العهد

ومن أبرز الأحداث في هذا العهد ما يلي:

١ -وقعة الأرك سنة/٥٩١هـ بين الجيش الإسلامي - بقيادة الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور الذي عبر إلى الأندلس بنفسه على رأس جيشه الذي جمعه - والجيش النصراني بقيادة ألفونس الثامن ملك قشتالة^(٤)، فنصر الله فيها جنده نصرا عزيزا، وأعادت للإسلام قوته، ولأهله عزتهم، واستبشروا به خيرا^(٥).

٢ -وقعة العقاب التي وقعت في ١٥/٢/٦٠٩هـ بين الموحدين والنصارى في الأندلس وهزم فيها المسلمون، وكثر فيهم القتل، وكانت الخسارة فيها عظيمة، ولها نتائج

(١) الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي صاحب التصانيف، ولد سنة/٤٦٨هـ، من كتبه عارضة الأحوذ في شرح جامع الترمذي، وتفسير القرآن، وكوكب الحديث، والمسلسلات، وأميات المسائل، وغير ذلك، توفي سنة/٥٤٣هـ انظر السير ٢٠٣-١٩٧/٢٠

(٢) انظر أبي الحسن أنباهي المراقبة العليا ص/١٠٦، نفع الطيب ٣/٢

(٣) انظر ابن صاحب الصلاة عبد الملك المن بالإمامة ٤٤٦/٢، المراكشي المعجب ص/٣٤١

(٤) إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج. ياقوت الحموي معظم البلدان ٣٥٢/٤

(٥) انظر البيان المغرب ص/١٩١/١٩٢

كبيرة على مستقبل الإسلام والمسلمين في الأندلس^(١)، وكانت معركة العقاب من أشنع الهزائم التي لحقت بالمسلمين في الأندلس، فقد استولى النصارى على غنائم كثيرة، وثمينة، ومنها: العلم الموحدى الذي ما زال محفوظاً في أسبانيا^(٢).

٣ - أصبحت الأندلس إحدى مناطق دولة الموحدين، وتابعة لمركز الموحدين في المغرب، وكثيراً ما يعبر الخليفة الموحدى البحر إلى الأندلس ليرتب أوضاعها، ويشرف على تصريف شؤونها عن كثب، كما أصبحت إشبيلية عاصمة للأندلس في عهد الموحدين ٤ - بروز علماء في شتى الميادين في هذا العهد^(٣).

(١) انظر عصر المرابطين والموحدين ٢/٢٨٩، ٢/٣١٧

(٢) انظر عصر المرابطين والموحدين ٢/٣١٧

(٣) انظر دكتور عبد الرحمن المحيى التاريخ الأندلسي ص/٥٠٧، ابن الأبار الذيل والنكمة ٥/١/٢٦٦

المطلب السابع: مملكة غرناطة

• تأسيس مملكة غرناطة "الأندلس الصغرى"

في نهاية العصر الموحي ضعفت المقاومة الإسلامية في الأندلس أمام قوى أسبانيا النصرانية المتحدة مما أدى إلى سقوط القواعد الأندلسية الكبرى في أيدي النصارى. وبرز في الميدان رجال تطلعوا إلى جمع كلمة المسلمين والوقوف أمام أعدائهم من النصارى ومن هؤلاء:

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي^(١)، الذي دخلت تحت طاعته عدة مدن أندلسية مرسية^(٢)، وقرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، ومالقة، والمرية^(٣) وغيرها^(٤).

وابن الأحمر^(٥) الذي كان ينافس ابن هود، وبعد وفاة ابن هود في المرية أوائل سنة ٦٣٤هـ استطاع ابن الأحمر تأسيس مملكة غرناطة "الأندلس الصغرى" وتوارث أبناؤه وأسرته من بعده حكم هذه المملكة حتى سقوطها على أيدي النصارى^(٦)، وخروج المسلمين منها

(١) هو: محمد بن يوسف بن هود أبو عبد الله الجذامي من أعقاب بني هود الجذاميين من ملوك الطوائف، تولى بالمرور على الله نولى الملك سنة ٦٢٥هـ، وتوفي سنة ٦٣٥هـ، انظر الأعلام ١٤٩/٧

(٢) يضم أوله، والسكون، وكسر السين المهملة، وباء مفتوحة خفيفة وهاء: وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم، وهي ذات أشجار: وحدائق حدائق، وبها كانت منزل ابن مردنيش، والتعمرت في زمانه حتى صار قاعدة الأندلس. ياقوت الحموي معجم البلدان ١٠٧/٥

(٣) بالفتح ثم الكسر، ونشديد الياء بنقطتين من تحتها، وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، ويعمل بها الرشي والديجاج فيحد عمله. ياقوت الحموي معجم البلدان ١١٩/٥

(٤) انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٧٧/٢، ٢٨٠: المغرب ١٠٨/١٠٩، الإحاطة ١٣٠/٢

(٥) هو: أبو بكر بن معاوية بن عبد الرحمن محدث الأندلس ومستندها الثقة الأموي المرواني القرطبي المعروف بابن الأحمر، وكان شيخاً نبلاً ثقة معبراً توفي سنة ٣٥٨هـ، وقد قارب التسعين، انظر السير ٦٨/١٦

(٦) انظر الذمعي العبر ٣٥٩/٤، نفح الطيب ٤٤٦/١، البيان المغرب ص/٣٣٥، أعمال الأعلام ٢٨٩/٢

وطمس معالم الإسلام فيها بعد أن تعرضوا للأذى والاضطهاد، والتنكيل، والتعذيب في
أبشع صورة عرفها التاريخ^(١)

(١) انظر العبر ٤/٣٦٤-٣٦٥، الروض المغطار ١١٨، نهاية الأندلس ٣٧، أزهار الرياض ١/٦٦

التمهيد

وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول: تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً
- المبحث الثاني: حكم الحسبة
- المبحث الثالث: فضل الحسبة وأهميتها
- المبحث الرابع: نشأة الحسبة في الأندلس

المبحث الأول: تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الحسبة لغة:

الحسبة - بكسر الحاء المهملة - اسم مصدر احتسب يحتسب احتساباً وحسبة^(١).
وتطلق في اللغة على عدة معان ومن أهم تلك المعاني ثلاثة وهي:

المعنى الأول: طلب الأجر

والحسبة - بالكسر - هو طلب الأجر، أو الأجر^(٢)، وورد في تاج العروس - أيضاً - ما يفيد أن هذا الفعل: احتسب يتعدى بالباء واحتسب بكذا أجراً عند الله: اعتاده وينوي به وجه الله^(٣)، وفي هذا المعنى ورد قوله عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٤).

وإذا ابتغى الإنسان بعمله ثواب الله تعالى قيل له: احتسب، ومنه احتسب ابنه، إذا مات كبيراً وذلك أن يعبده في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى^(٥).

المعنى الثاني: الإنكار

يقال: احتسب فلان على فلان، أي: أنكر عليه قبيح عمله ومنه المحتسب الذي ينكر على الناس قبيح أعمالهم^(٦).

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب، وعبد الصادق العبيدي، الطبعة الثانية

دار التراث العربي، الطبعة الثانية مادة (حسب) ١٦٦/٢

(٢) انظر الزبيدي تاج العروس، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٠٦هـ، مصر المصنعة مادة (حسب) ٢١٢/١

(٣) انظر المصدر السابق ٢١٣/١

(٤) أخرجه البخاري - رحمه الله - انظر صحيحه مع الفتح لابن حجر العسقلاني ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي

الطبعة الثانية، دار الريان للتراث، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان برقم ٩٢/١/٣٨

(٥) انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون دار الكتب العربية الطبعة الثانية ٢/٥٩/٦٠

(٦) انظر الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، مادة

(حسب) ١١٠/١

المعنى الثالث: حسن التدبير والنظر في الأمر، وإحصاؤه أو عدّه.

يقال فلان حسن الحسبة في الأمر، أي: حسن التدبير والكفاية والنظر فيه^(١).

وقد تبين مما سبق المعاني المذكورة في أصل اشتقاق كلمة الحسبة وهي:

طلب الأجر، والإنكار، وحسن التدبير والنظر.

وهي بيت القصيد في هذا الموضوع فلذلك يحسن الاختصار عليها، وإن كان هذه المادة:

"احتسب" أو الحسبة" معاني أخرى، والله سبحانه وتعالى أعلم^(٢).

ولكن الأكمل اعتبار هذه المعاني الثلاثة في التعريف اللغوي.

ثانياً: تعريفها اصطلاحاً

تعددت تعريفات الحسبة اصطلاحاً وتباينت، وهذا ناشئ عن التعريف اللغوي لها، الذي

أفسح المجال لهذا الاختلاف، وكذلك طبيعة الحسبة من حيث اختلاطها بأنظمة أخرى

كالقضاء، والمظالم، والشرطة، وكذلك اختلافها من عصر إلى عصر، فيتسع اختصاصها في

عصر، ويضيق في عصر آخر^(٣).

وكذلك اختلاف الفهم والنظر في الدور الذي يقوم به المحتسب، فالبعض يرى أنها وظيفة

دينية^(٤)، ويرى البعض أنها من وظائف الدولة الإسلامية التي يراد بها مراقبة السوق في

موازينه، ومكائنه، وأسعاره^(٥)، والبعض الآخر ينظر إليها باعتبارها رقابة إدارية تقوم بها

الدولة عن طريق موظفين خاصين^(٦).

(١) انظر: ابن فارس معجم مقاييس اللغة ٦٠/٢، والجوهري، الصحاح (حسب) ١١٠/١

(٢) انظر: عمر محمد السامي، نصاب الاحتساب، تحقيق د. مريزن سعيد عسيري، الطبعة الأولى (الرياض، دار

لوطي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) من مطبوعات الرئاسة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص/٨٣-٨٤

(٣) رسياني بن شاء الله أمثلة على هذا في الأندلس وخاصة في عصر ملوك الطوائف فيها

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر ص/٢٣٨م.س.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء تحقيق شعب الأرناؤوط، والعرقسوس، الجزء الثامن عشر، الطبعة الأولى، مؤسسة

لرسالة، ٢٠٣/١٨

(٦) محمد المبارك، الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية، ص/٧٣

وعلى الرغم من أن كل رأي من هذه الآراء يعد صحيحا في حدود نظريته الجزئية لنظام الحسبة، إلا أننا لا نقرها جميعا، وذلك أن نظام الحسبة وإن شمل مجالات، يشملها القضاء، والمظالم، والإدارة، وعلى الرغم من أنه يُصدرُ أحكاما قضائية، وتدابير وقائية، وأوامر إدارية، على الرغم من ذلك كله، فالنظرة ينبغي أن تكون مستوعبة لأصوله الشرعية، وهدفه، وغايته^(١)، كما أنه من الخطأ حصر الحسبة في جانب الاقتصاد ومراقبة الأسواق، وإغفال الجوانب الشرعية، كالعقيدة، والعبادة، وكأنه سلخٌ للحسبة من أصلها الديني الشرعي، وجعلها وظيفة نظامية صرفة بعيدة عن الدين والأخلاق، ونظرا لهذه الجوانب المتعددة في مفهوم الحسبة تعددت تعريفات الحسبة اصطلاحا بحيث لا يمكن إطلاق تعريف واحد، جامع، مانع، من غير النظر إلى الاعتبارات والحيثيات المختلفة؛ ولذا يمكن تصنيف هذه الاعتبارات كالتالي:

١ - الحسبة بوصفها عملا دينيا وعبادة شرعية يصح من كل مسلم أداؤها.

٢ - الحسبة بوصفها ولاية من ولايات الدولة الإسلامية.

٣ - الحسبة بوصفها علما له أصوله وقواعده.

وتأتي تحت القسم الأول عدة تعريفات. ومنها:

(١) الدكتور محمد كمال الدين إمام أصول الحسبة في الإسلام دراسة تأصيلية مقارنة: (دار

المناعة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص/٩٦

١ — تعريف الماوردي^(١) وأبي يعلى الفراء^(٢).

الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله^(٣)، وأضاف ابن الأخوة^(٤) عبارة "وإصلاح بين الناس"^(٥).

(١) هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، كان من كبار فقهاء الشافعية: توفي سنة/٤٥٠هـ، ومن مصنفاته: كتاب الخاوي، وتفسير القرآن الكريم، وأدب الدين والدنيا، والأحكام السلطانية، انظر طاش كيري راده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية ٢٩٨/١ بيروت، لبنان

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن علف الفراء، عالم عصره في الأصول والفروع، من أهل بغداد، تولى القضاء، له تصانيف كثيرة منها: الإيمان، والأحكام السلطانية، وأحكام القرآن، وغيرها توفي ٤٥٨هـ، انظر تاريخ بغداد/٢/٢٥٦، ابن العماد الخبلي، شذرات الذهب/٣/٢٠٦، الزركلي الأعلام/٦/٩٩

(٣) الماوردي الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تعليق وتخريج نوال عبد الطيف (دار الكتاب العربي بيروت) ص/٢٩٩، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي دار الوطن الرياض ص/٢٨٤

(٤) ابن الأخوة هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة القرشي ضياء الدين، المحدث، ولد سنة/٦٤٨هـ، توفي في رجب سنة/٧٢٩هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٤/٧ م.س.

(٥) انظر: ابن الأخوة معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد حسن (مصر الميمنة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٦م) ص/٥١

٢ — تعريف أبي حامد الغزالي^(١).

قال في الإحياء: "الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر"^(٢).

واعتراض على هذا التعريف بأنه ذكر النهي عن المنكر ولم يذكر الجانب الآخر وهو الأمر بالمعروف.

وقد يعتذر للغزالي عن هذا الاعتراض بأن النهي عن المنكر يتضمن الأمر بالمعروف، وهو تعريف قاصر حيث حصر المنكرات في جانب من جوانب الحقوق، وهي الحقوق المتعلقة بحق الله تعالى، والحقوق المشتركة.

٣ — تعريف الشيرازي^(٣)، وابن بسام^(٤):

ذكر أن الحسبة: أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإصلاح بين الناس^(٥).

(١) هو: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسوف متصوف، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فيلاد الشام فمصر، ونسبه إلى صياغته الغزل أو إلى عزالة (من قرى طوس) من كتبه إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، وشفاء العليل في بيان الشبه والخيل ومسالك التعليل، والمنقذ من الضلال، توفي سنة ٥٠٥ هـ، انظر: ابن حلكان، وفيات الأعيان/٤٦٣، والسكي، طبقات الشافعية الكبرى/١٠١، شذرات الذهب/٤/١٠، الأعلام/٢٠/٧.

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي إحياء علوم الدين (دار الكتب العلمية بيروت) الطبعة الأولى ٢/٣١٢.

(٣) الشيرازي: هو عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله أبو النجيب جلال الدين العدوي الشيرازي، التوفي سنة ٥٨٩ هـ، انظر الأعلام، ٢/٢٤٠.

(٤) ابن بسام الخنيسب، وهو محمد بن أحمد بن بسام الخنيسب، له كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة وتظهر من كتابه أنه تولى الحسبة، وأنه عاش في مصر، وألف كتابه منها انظر الكتاب نفسه المقدمة/١، ومقال الحسبة في الإسلام في مجلة المقتبس المجلد ٣ سنة ١٩٠٨ م، ومقال كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة في مجلة الشرق، السنة العاشرة العدد ٢١، سنة ١٩٠٧ م.

(٥) عبد الرحمن بن نصر الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة تحقيق لباز العريبي دار الثقافة ص/١، نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام بغداد طبعة المعارف ١٩٦٨ م/ص/١٠.

٤ - تعريف الدكتور محمد كمال الدين إمام:

قال: ((الحسبة هي فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقاً للشرع الإسلامي^(١))).

٥ - تعريف الدكتور القرني:

قال: ((الحسبة عمل يقوم به المسلم لتغيير منكر ظاهر، أو أمر بمعروف دائر من خلال ولاية رسمية أو جهود تطوعية، وعلى المكلف بها ما ليس على المتطوع^(٢))). وهذا التعريف قريب من تعريف الماوردي وأبي يعلى مع الاختلاف في تبديل، وإضافة إلى تعريف الماوردي وأبي يعلى.

التعريف المختار

والذي أختاره، وأميل إليه، هو تعريف الماوردي، وأبي يعلى: وهو أن الحسبة ((هي: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله^(٣))). وهذا تعريف جامع مانع ومختصر؛ يشمل المحتسب المولى والمتطوع، ويرتكز على جوهر الحسبة، وهذا مطلوب في التعريفات^(٤).

(١) كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص/١٦.

(٢) الحسبة في الماضي والحاضر، حراء، الطبعة الأولى (الرياض مكتبة الرشد ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ٦٣-٦٤.

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية م.س. ص/٢٩٩.

(٤) انظر فضل إلهي، الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها ص/١٦.

٢ - أما تعريف الحسبة باعتبارها ولاية^(١) من ولايات الدولة الإسلامية:
فأذكر منها:

تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

عرفها في كتابه الحسبة بقوله: (وأما المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاية والقضاة، وأهل الديوان ونحوهم^(٣).
وبفهم من هذا ذكر اختصاصات المحتسب وتميزها عن غيرها
تعريف السنامي^(٤):

قال: ((الحسبة في الشريعة عام تتناول كل مشروع يفعل الله تعالى كالأذان، والإقامة وأداء
الشهادة، مع كثرة تعدادها، ولهذا قيل القضاء باب من أبواب الحسبة، وقيل: القضاء جزء
من أجزاء الاحتساب))^(٥)

(١) تسمى في الأندلس بولاية السوق، وصاحب المنصب بوالي السوق، ولم تعرف عندهم بالحسبة إلا في وقت متأخر من القرن الخامس الهجري: انظر عبد الرحمن الفاسي خطة الحسبة، م.س.ص ١٧/

(٢) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الخرائي الدمشقي، ولد بخران يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، ثم تحول به والده إلى دمشق، كان كثير البحث والمطالعة، عالماً، زاهداً، مجاهداً داعية، أفتى ودرس، وهو دون العشرين، مات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ، له مؤلفات عدة، منها: السياسة الشرعية، والصارم المسلول، ومنهاج السنة؛ ودرء تعارض العقل والنقل، وغيرها، انظر البداية والنهاية ١٣٥/١، شذرات الذهب ٨٠/٨٦

(٣) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة، ص ١٥/

(٤) السنامي هو عمر بن محمد بن عوض السنامي، وتوفي قبل سنة ٧٢٥هـ تقريباً له كتاب نصاب الاحتساب: انظر عبد الخي بن فخر الدين الحسيني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ٩٧/١

(٥) عمر بن محمد السنامي، نصاب الاحتساب: تحقيق الدكتور مريزن بن سعد عسيري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، المملكة العربية السعودية الرياض، دار الوطن، ص ٨٤-٨٥

تعريف القلقشندي^(١)

ذكر أن موضوعها التحدث عن أرباب المعاش والصنائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته^(٢).

وهذا حصرها في مكان ضيق في مجال المعاش والصنائع، مع أنها تتعدى إلى مجالات أخرى، مثل الحسبة على العبادة، كالصلاة والزكاة
تعريف ابن خلدون^(٣):

قال: أما الحسبة فهي: (وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(٤). وهناك تعريف عبد العزيز بن محمد مرشد^(٥)، وأحمد المراغي^(٦)، ومحمد المبارك^(٧)، وحسن بكريم^(٨)، إلا أن هذه التعريفات لم تسلم من نقض واعتراض.

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري، مؤرخ، أديب، بحاث، ولد في قلقشندي من قرى مصر بقرب القاهرة، وهو من دار علم من تصانيفه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، توفي في القاهرة ٨٢١ هـ، انظر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع، دار مكتبة الحياة، بيروت ٨/٢، والأعلام للزركلي ١٧٧/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٢٠٩/١١

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الحضرمي الأشيلي الفيلسوف المؤرخ، اشتهر بكتابه العبر، وفيه المقدمة التي من أصول علم الاجتماع، تولى قضاء المالكية في مصر، وتوفي فجأة في القاهرة عام ٨٠٨، انظر شذارت الذهب ٧٦/٧، الأعلام ٣٣٠/٣

(٤) ابن خلدون المقدمة ص ٢٢٥

(٥) عرفها بقوله: ((الحسبة رقابة إدارية تقوم بها الدولة عن طريق وال مختص على أفعال الأفراد وتصرفاتهم لصيغها بالعصبة الإسلامية، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وفقا لأحكام الشرع وفواعده)) نظام الحسبة في الإسلام ص ١٦

(٦) عرفها بأنها ((مشارقة السوق والنظر في مكاييله وموازينه، ومنع الغش والتدليس فيما يباع وبشئ من مأكول، ومصنوع، ورفع الضرر عن الطريق، برفع الحرج عن السابلة من القادمين والرائحين، وتنظيف الشوارع، والحارات، والأزقة، إلى نحو ذلك من الوظائف التي تقوم بها الآن مجالس البلدية، ومفتشوا الصحة،

التعريف المختار:

يمكن الجمع بين تعريفي شيخ الإسلام وابن خلدون، والخروج بتعريف قريب إلى الدقة والكمال.

فيقال: ولاية الحسبة هي: ولاية دينية من ولايات الدولة الإسلامية تختص بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من اختصاصات الولاة والقضاة، وأهل الديوان.

وهذا التعريف قريب مما جاء في كتاب الطرق الحكمية لابن القيم^(١).

وهو التعريف المختار؛ لشموله ودقته.

ومفتشوا الطب البيطري، ومصنحة النكايل، والموازن، وقلم المرور، ورجال الشرطة الموكول إليهم المحافظة على الآداب العامة إلى غير ذلك)) مجلة الأزهر، الجزء الأول: المحرم سنة: ١٣٥٦ هـ المجلد الثامن ص/٦٩٤، وهذا تعريف طويل، وتفصيل اختصاصات الحسبة، وهذا غير محمود في التعريفات.

(٧) قال: إنها ((رقابة إدارية تقوم بها الدولة عن طريق موظفين خاصين على نشاط الأفراد في مجال الأخلاق، والدين، والاقتصاد، أي: في المجال الاجتماعي بوجه عام تحقيقاً للعدل، والفضيلة، وفقاً للمبادئ المقررة في الشرع الإسلامي، ولأعراف المألوفة في كل بيئة وزمن)) محمد المبارك، الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية ص/٧٣/٧٤، ويؤخذ على هذا التعريف طول التعريف، وحصر الحسبة في مجال الأخلاق، والدين، وعدم ذكر المجالات الأخرى كالرقابة على السوق.

(٨) قال: هي (رقابة المجتمع على نفسه قصد الحيلولة دونه والانحراف عن الشريعة التي ارتضاها لنفسه، وتكون هذه الرقابة واجبة أو فرض عين على كل مكلف، وذو أهلية، وتصبح فرض كفاية إذا قامت الدولة بهذه المراقبة، ويكون مجالها الإشراف على الأسواق، ومراقبة المرافق العامة للمدينة، ورعاية أخلاق سكانها ليكون كل هذا تمثيلاً مع الشرع والعرف، والقانون))، الحسبة تطورها قديماً وحديثاً ص/٢٤

(٩) هو العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، المفسر التحوي الأضرلي، ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ، ومن مصنفاته: أعلام الموقعين، وزاد المعاد، وزاد المسير، انظر شذرات الذهب ١٧٠/١٦٨/٦

ثالثاً: تعريف الحسبة بوصفها علماً له أصوله وقواعده:

١ - تعريف حاجي خليفة^(١):

قال هي: ((علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم اللاتي لا يتم التمدن بدونها من حيث إجراؤها على قانون العدل، بحيث يتم التراضي بين المتعاملين، وعن سياسة العباد بنهي عن المنكر وأمر بالمعروف بحيث لا يؤدي إلى مشاجرات، وتفاخر بين العباد بحسب ما رآه الخليفة من الزجر، والمنع، ومبادؤه بعضها فقهي، وبعضها أمور استحسانية ناشئة عن رأي الخليفة^(٢))).

ويلحظ على هذا التعريف ما يلي:

- أنه تعريف طويل ركيك العبارة، وهو أشبه بالشرح منه إلى التعريف.
- أنه غير جامع، فقد أغفل أمور العبادة والعقائد، وأغفل أموراً أخرى ينجم عنها فساد غير فساد المشاجرات.

٢ - تعريف طاش كيري زاده^(٣):

قال: ((علم الاحتساب وهو النظر في أمور أهل المدينة بإجراء ما رسم في الرياسة الإصلاحية، ونهي ما يخالفها، أو بتنفيذ ما تقرر في الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) هو مصطفى بن عبد الله المعروف بالحاج خليفة، مؤرخ بحانة تركي الأصل متعرب، مولده ووفاته في القسطنطينية، تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني، انقطع في السنوات الأخيرة لتدريس العلوم، من كتبه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكتاب تقويم التاريخ، وميزان الحق، توفي ١٠٦٨هـ، انظر الزركلي، الأعلام ٢٣٦/٧

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، الطبعة الرابعة مكتبة المتنبي، بغداد، ١٥/١

(٣) هو أحمد بن مصطفى بن حليل أبو الخير المشهور بطاش كيري زاده كان من العلماء الأعيان كان قاضياً بحلب ودرس بعدة مدارس ثم قلد القضاء بالقسطنطينية فأجرى الأحكام الدينية إلى أن رمد رمداً شديداً انتهى إلى أن عميت كرمناه متواضعا بعيداً عن التكبر والعناء. توفي بمرض الباسور سنة ٩٦٨هـ، انظر شذرات الذهب لابن العماد ٣٥٢/٨

المنكر وبواظب على هذه الأمور ليلاً ونهاراً، سرا وجهاراً))^(١).

التعريف المختار:

والتعريف المختار للحسبة بوصفها علماً له أصوله وقواعده هو أن يقال: علم الحسبة هو العلم الذي تعرف به قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحكامها، ويعرف به تنظيم الولاية القائمة بالاحتساب فهو تعريف يجمع بين معرفة قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعرفة أحكام تلك الولاية - أعني ولاية وتنظيماتها الحسبة.

تنبيهات:

* اصطلاح الحسبة توسع فيه العلماء ومنشأ ذلك اتساع اشتقاقها اللغوي، واعتباراتها المتعددة وهذا التعدد والتوسع في المعنى اللغوي والاصطلاحي يدل على أهمية الحسبة وعظم شأنها.

* عمدت إلى ذكر التعريفات السالفة للحسبة في الاصطلاح للاعتبارات الثلاثة السابقة؛ إذ كان الهدف من هذا البحث [الحسبة في الأندلس] بيان ذلك في جميع المجالات الثلاثة منذ دخلها الإسلام حتى خرج منها.

* بيانها كعمل ديني وعبادة شرعية يصح من كل مسلم أداؤها وبهذا تشمل مجالات متعددة في الحياة والمجتمع وكل مسلم متطوع فضلاً عن مولى.

* وبيانها كولاية من ولايات الدولة الإسلامية، وهي في الأندلس إحدى الولايات الست^(٢).

* وبيانها كعلم له أصوله وقواعده، مما حدا بأهل الأندلس إلى تدارسها والتأليف فيها^(٣).

(١) طائش كيري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ٢٩٣/١

(٢) انظر: أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تاريخ فضاء الأندلس، الطبعة الخامسة (بيروت، دار الآفاق

الجديدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص/٥

(٣) ابن خلدون، المقدمة ٢٣٨/١، م.س. نفح الطيب لأحمد المقرئ ٢٠٩/١-٢١٠ م.س.

المبحث الثاني: حكم الحسبة:

اتفق العلماء على أن الاحتساب والقيام به واجب على المسلمين، وهو من فروض الإسلام التي ينبغي الاهتمام بها والقيام بحققها، ثم اختلفوا في حكم هذا الواجب هل هو فرض كفاية، أو فرض عين؟ على قولين:

١ - جمهور الفقهاء يرون أن الحسبة فرض كفاية، ومنهم على سبيل المثال النووي^(١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير^(٢)، رحمهم الله تعالى.

واستدلوا بما يلي:

أ - يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)، فقالوا: إن "من" في قوله تعالى "منكم" للتبعية وكذا في "من" في حديث أبي سعيد الخدري^(٤) - رضي الله عنه - «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده....» الحديث^(٥)، وهذا يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية.

(١) هو شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن حسن الفقيه الشافعي النووي الدمشقي، ولد في محرم سنة ٦٣١هـ وتوفي في رجب سنة ٦٧٦هـ، ومن مصنفاته: الروضة والمجموع، وشرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين. انظر شذرات الذهب ٣٥٤/٢-٣٥٦/٢

(٢) هو المحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كنز البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي، ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ ومن مصنفاته: البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن العظيم، وكتاب في جمع المسانيد للعشرة، انظر شذرات الذهب ٢٣١/٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٠٤

(٤) هو الإمام المجاهد مفتي المدينة أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد، شهد الخندق، وبيعة الرضوان، وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة ٧٤هـ، انظر أسد الغابة ١٦٨/٢

(٥) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١،

قال أبو بكر الجصاص^(١) في تفسير الآية: (قد حوت هذه الآية معنيين: أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والآخر: أنه فرض على الكفاية ليس بفرض على كل أحد في نفسه إذا قام به غيره^(٢)).

ب - يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣)، قال القرطبي^(٤): - رحمه الله - ((وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة وأنه على الكفاية دون الأعيان^(٥))).

وقال الشاطبي^(٦): - رحمه الله - (إن التفقه في دين الله فرض كفاية؛ لأن الله تعالى أوجب خروج طائفة من المؤمنين - وليس جميع المؤمنين - للتفقه، وعلى هؤلاء تقع مسئولية الإنذار، وليست على عامة الناس^(٧)).

(١) هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي الملقب بالجصاص، ولد سنة ٣٠٥ هـ وتوفي سنة ٣٧٠ هـ كان إمام الحنفية في عصره ببغداد، ومن مصنفاته: أصول الجصاص، وأحكام القرآن، والفصول في الأصول، انظر شذرات الذهب

٧٢/٣

(٢) أبو بكر أحمد الرازي الجصاص، أحكام القرآن للإمام مراعاة صدقي محمد جميل، دار الفكر ١٤١٤ هـ.

(٣) سورة التوبة آية ١٢٢

(٤) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزازي كان إماماً مفسراً محدثاً صاحب التفسير والتذكرة بأمور الآخرة توفي في مصر سنة ٦٧١ هـ انظر شذرات الذهب، ٣٣٥/٥

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تصحيح أحمد عبد الغني البردوني، (دار الكتاب العربي الطبعة الثانية) ٢٩٤/٨

(٦) الشاطبي هو الإمام المسند العالم العامل الأصولي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٩٢/٢٠

(٧) أبو إسحاق الشاطبي، الموالات في أصول الشريعة، الطبعة الثانية (دار المعرفة، بيروت)، ١٧٦/١

ج - ويقول الله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرُوا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور﴾^(١)

وهذه الآية استدل بها القرطبي على رجحان القول بفرضية الكفاية.

فقال: (القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، وقد عينهم الله تعالى بقوله: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾ الآية، وليس كل الناس مكوا^(٢)).

د - واحتجوا بأن العامي الجاهل بأحكام الدين لا يصلح له التقدم لذلك الأمر.

يقول أبو السعود^(٣) في تفسيره: (ولأنهما - أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من عظام الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى، ومراتب الاحتساب، وكيفية إقامتها، فإن من لا يعلمها أو شك أن يأمر بتنكر وينهى عن معروف، ويُغْلِظُ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة، وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التماسدي والإصرار^(٤)).

٢ - والفريق الآخر من العلماء يرى أن الحسبة فرض عين ومنهم الزجاج^(٥)، والرازي^(٦).
واستدلوا بما يلي:

(١) سورة الحج آية ٤١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٤

(٣) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى، أبو السعود مفسر، شاعر من علماء الترك المستعربين، ولد

سنة/٨٩٨هـ، وتوفي رحمه الله - سنة/٩٨٢هـ، انظر الأعلام ٥٩/٧

(٤) تفسير أبي السعود، ٢٦٧/٢

(٥) هو الإمام الشحوي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج البغدادي لزم الميرد فكان يعطيه من عمل الزجاج

كل يوم درهما فتصحح وعلمه، وكان من ندماء المعتضدين له كتاب الإنسان وأعضائه، وكتاب القرمس أخذ

عنه أبو علي الفارسي توفي ٣١١ هـ انظر السير ٣٦٠/١٤

(٦) هو العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الرازي الأصولي، ولد سنة

٥٤٤ هـ، وتوفي بهرة يوم عبد الفطر سنة ٦٠٦ هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ٥٠٠/٢١

أ - بالآية الكريمة ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ التي استدل بها القائلون بفرضية الكفاية ولكنهم قالوا: إن "مِنْ" في قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ بيانية وليست للتبعض، وأن الأمة يجب عليها الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الزجاج: (ومعنى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ - والله أعلم - ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر^(١))

وقال الرازي: (- - -) إذا ثبت هذا فنقول: معنى الآية: كونوا أمة دعوة إلى الخير، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما كلمة "مِنْ" فهي هنا للبيان لا للتبعض كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (- - -)^(٢)

ب - واستدلوا كذلك بقوله تعالى في الآية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فقالوا: (إن الآية أكدت الفلاح لأولئك المتصفين بالصفات المذكورة في الآية وهي الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣)).
الرأي المختار:

والذي يظهر أن حكم الحسبة يختلف من شخص لآخر باعتبار النظر إلى عم الشخص وقدرته؛ إلا أنه ينبغي لكل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كل على قدر علمه وقدرته، وبقدر تحقيق المصلحة وانتفاء المفسدة.
وأن المناسب لعصرنا الحاضر هو القول بفرضية ذلك على الأعيان؛ وذلك لكثرة المنكرات، وكثرة الجهل حيث أصبح العلماء لا يستطيعون وحدهم مقاومة هذه المنكرات، فلا بد من تعاون أفراد المجتمع ووقوفهم صفا واحدا في وجه المنكرات محذرين منها أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

(١) أبو إسحاق الزجاج معاني القرآن، ط، ٤٥٢/١، ٤٥٣

(٢) الرازي، تفسير الرازي ١٦٨/٨

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٦٨/٢، محمد بن علي الشوكاني وفتح القدير الجامع بين فن الرواية والدرابة في

علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ٢٦٩/١

فالقِيَام بهذه الفريضة سمة من سمات المجتمع المؤمن، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)

فالاختلاف بين الفريقين خلاف نظري فإنه لا يمكن أن تحقق الكفاية يوماً ما، ما دام في المسلمين مسلم مقصر وفي الناس كافر، وإنما قد تحقق الكفاية في أحوال خاصة أو أماكن معينة ولا يمكن تحقيقها على ساحة المجتمع الإسلامي عامة، وعلى هذا يمكن أن تتفق الأقوال، كما أن الذين قالوا: إن الحسبة فرض كفاية قالوا: إن هناك أحوالاً تصير الحسبة فيها فرض عين على الجميع، ومن تلك الأحوال:

١ - التعيين من قبل السلطان حيث تصير الحسبة فرض عين على من عينه السلطان أو نائبه، يقول الإمام الماوردي: (إن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية وفرضه عليه غير داخل في فرض الكفاية)^(٢)

٢ - التفرد بالعلم بموجب الحسبة يقول الإمام النووي: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، ثم إنه قد يتعين إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو)^(٣)

٣ - انحصار القدرة في أشخاص محدودين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره)^(٤)، وبين هذا الأمر الإمام النووي بأسلوب آخر حيث يقول: (إنه قد يتعين إذا كان لا يتمكن من إزالته إلا هو كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف)^(٥)

(١) سورة التوبة الآية ٧١

(٢) الأحكام السلطانية ص/٢٤٠، وانظر - أيضاً - أبو يعلى الحنبلي، الأحكام السلطانية ص/٢٨٤

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي زكريا عجي الدين من شرف، مكتبة الغزالي مؤسسة مناهل العرفان ٢٣/٢

(٤) انظر الحسبة في الإسلام، ط ١، تحقيق سيد محمد بن أبي سعد (الكويت مكتبة دار الأرقم

١٤٠٣هـ) ص/١٢/١٣، وانظر الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/٣١١

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٢٣

٤ - تغير الأحوال يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -: (فعند قلة الدعاة وكثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته)^(١).

ولا شك أن الحسبة والقيام بها من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة عظيمة جدا في دين الإسلام، ومن الضرورات في كل زمان ومكان، والناس في عصرنا الحاضر بأمر الحاجة إليها وفق تعاليم كتاب الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعمل الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

المبحث الثالث: فضل الحسبة وأهميتها

القيام بالحسبة فضله عظيم في الإسلام؛ إذ هي فروض الإسلام الواجبة وسبب لخيرية هذه الأمة، بل القيام بها من خصائص هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٢) أخرج البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن أبي هريرة^(٣) - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»^(٤)، فبين الله تعالى أن من أسباب خيرية هذه الأمة قيامها بهذه المهمة الشريفة.

(١) الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة ص/١٦

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠

(٣) أبو هريرة: الإمام الحافظ الفقيه المجتهد صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدومسي اليماني، اختلف في اسمه على أقوال جملة أرجحها عبد الرحمن بن صخر، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين،

فقل بلغ أصحابه ثمان مائة، توفي سنة ٥٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢/٥٧٨-٦٢٦

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» برقم ٥٥٧؛ الصحيح مع الفتح

يقول ابن عطية^(١) الأندلسي: (وهذه الخيرية التي فرضها الله هذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله)^(٢).

(١) هو عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي منسرفيه عارف بالأحكام والحديث ولي قضاء المرية توفى

٥٤٢هـ، انظر الأعلام ٢٨٢/٣

(٢) ابن عطية المحور الوجيز ١٩٥/٣

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في هذه الآية: (من سره أن يكون من هذه الأمة فليود شرط الله فيها)^(١)

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سببا لخلاكتهم^(٢).

وقال أبو حيان^(٣) الأندلسي: (لما كملوا في أنفسهم سعوا في تكميل غيرهم بهذين الوصفين)^(٤).

والآية دالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مميزات هذه الأمة وأسباب خيريتها، قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^(٥)، والمعنى لتكن فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل مسلم بحسبه^(٦)، وقد جعل الله هذه المهمة من أخص أوصاف النبي - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث...﴾^(٧)

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٣٤١/١

(٢) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٧٣/٤

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي عالم في التفسير والحديث والفرائض واللغات ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالفاخرة وبها توفي سنة ٧٤٥هـ بعد أن كف بصره. انظر شذرات الذهب ١٤٥/٦

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ٣٦/٣

(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٤

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٦/٣

(٧) سورة الأعراف الآية ١٥٧

يقول ابن كثير: (هذه صفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الكتب المقدسة)^(١).
وقد قام - صلى الله عليه وسلم - بهذا الأمر حق القيام، وقد قام بها في نفسه في جوانب الحياة المختلفة.

والقيام بالحسبة من أخص أوصاف المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) وقد وصفهم الله بهذا الأمر قبل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وصف الأمة بما وصف به نبيها)^(٤).
وقال ابن كثير: (فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح)^(٥).
كذلك فإن إقامة الحسبة في المجتمع من أسباب النصر والتمكين قال تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرِ اللَّهُ مَنِ انْصَرَهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٦)، فهؤلاء هم الذين ينصرون الله، وهم يحققون بذلك صفة الأمة المسلمة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٢٨٢

(٢) سورة التوبة الآية ٧١

(٣) سورة التوبة الآية ١١٢

(٤) ابن تيمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص/٢٧

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٣٤١

(٦) سورة الحج الآية ٤٠/٤١

من أسباب تمكين الأمة وثباتها، قال ابن الجوزي^(١) نقلاً عن الزجاج^(٢): (هذه صفة ناصرية)^(٣).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٤) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ (الآية دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله هم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان هم ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فليس هم وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له)^(٥).

وهذا كلام نفيس وتعقيب لطيف عقب هذه الآية الكريمة كالجزاء من جنس العمل، فمن نصر الله نصره الله، ونصر الله إنما يكون باتباع شرعه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة لدين الله وسبب للتمكين قال تعالى: ﴿إِنْ

(١) هو الإمام العلامة أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي التيمسي البكري البغدادي صاحب التصانيف ولد سنة ٥١٠هـ، وتوفي ليلة الجمعة من رمضان سنة ٥٩٧هـ انظر سير أعلام النبلاء: ٢١/٣٦٥

(٢) هو الإمام النحوي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج البغدادي، وله كتاب معاني القرآن وتوابعه مات سنة ٣١٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ١٤/٣٦٠

(٣) زاد المسير ٥/٤٣٧

(٤) هو: محمد الأمين بن المختار الحكي، مفسر، ومدرس، من علماء "شنقيط" ولد وتعلم بها، وحج سنة ١٣٦٧هـ، واستقر مدرسا في المدينة المنورة، ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ولد سنة ١٣٢٥هـ، وتوفي - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته - بمكة سنة ١٣٩٣هـ، ومن مؤلفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن، مذكرة أصول الفقه، انظر الأعلام ٦/٤٥

(٥) أضواء البيان ٥/٧٠٣/٤٠٤

تنصروا الله ينصركم^(١)، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاية وضمان للأمة من عذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٢) يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (فهذا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نعمته؛ ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٣)).

كما أن الاحتساب وجد عند أهل الكتاب وأثنى الله عليهم بذلك، قال تعالى: ﴿لِيسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤)، فقد مدحهم الله تبارك وتعالى عند ما كانوا قائمين بهذا الأمر كما في الآية ولكنهم عند ما ضيعوا هذا الواجب وتقاعسوا عن القيام به مقتهم الله ولعنهم بسبب ذلك، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٥)، والآية دالة على الحث بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والتحذير لهذه الأمة من مسلك أهل الكتاب في هذا، كما أن عدم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الصفات البارزة لأهل النفاق يقول

(١) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - الآية ٧

(٢) سورة هود الآية ١١٦/١١٧

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٨٠

(٤) سورة آل عمران الآيتين ١١٣/١١٤

(٥) سورة المائدة الآيتان ٧٨/٧٩

تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(١).

كما أن السنة دعت إلى الاحتساب وحثت عليه تأكيداً على القيام في الدفاع على القيم الإسلامية في الدفاع عن القيم والمبادئ الأخلاقية قال - صلى الله عليه وسلم: - «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك من أضعف الإيمان»، ثم نجد الترهيب يشتد من ترك القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله - صلى الله عليه وسلم: - «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم»^(٢).

وعن النعمان بن بشير^(٣) - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقلنا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً»^(٤)، وتظهر أهمية نظام الحسبة في المجتمع الإسلامي من حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث جعله ضمن أول الشروط على الذين بايعهم في العقبة من أهل العقبة الثانية فقد روى الإمام أحمد^(٥) في

(١) سورة التوبة الآية ٦٧

(٢) رواه الترمذي ٦٨١٤ رقم ٢١٦٩ في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) هو: النعمان بن بشير بن سعيد - رضي الله عنه - صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأنصاري

الخروجي، ولد سنة ٢١هـ، سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنه من صفار الصحابة باتفاق، توفي

سنة ٦٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٣/٤١١-٤١٢

(٤) أخرجه البخاري - رحمه الله - انظر صحيحه مع الفتح كتاب الشركة، باب هل يفرع في القسمة ١٢٢/٥

(٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صنفنا توفي

سنة ٢٤١هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ١١/١٢٢

مسنده عن جابر^(١) - رضي الله عنه - وقد كان أحد المبايعين قوله: «...يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تبايعني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم....»^(٢) الحديث، كما أنه قد ورد عن سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - آثار كثيرة تؤكد ما سبق، فقد روى عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قوله: «يا أيها الناس ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر تعيشوا بخير»^(٣).

وقال حذيفة بن اليمان: ^(٤) - رضي الله عنه - حين سئل عن ميت الأحياء؟ فقال: «الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه»^(٥).

وقال عمر بن عبد العزيز: ^(٦) - رحمه الله تعالى - «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، ولكن إذا ظهرت المعاصي ولم ينكروا استحقوا العقوبة»^(٧)، كما أن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإخلاص النية في ذلك، يعطي الأمة قوة وهبة فضلا عن

(١) هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن بن حرام - متهمة وراء - الأنصاري ثم السلمي صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة وتوفي - رضي الله عنه - بالمدينة بعد السبعين، انظر سير أعلام النبلاء،

١٨٩/٣، التقريب ١٢٢/١

(٢) أخرجه الإمام أحمد انظر مسنده ٣٢٢/٣ - ٣٢٤، ٣٢٥/٥

(٣) تفسير الرازي ١٧٩/٨

(٤) هو الصحابي الجليل حذيفة ابن اليمان واسم اليمان حسيل - مصغرا - العبي حليف الأنصار صحابي حليل من السابقين، وأبوه صحابي - أيضا - استشهد بأحد، وتوفي حذيفة في أول خلافة علي سنة ٣٦هـ، انظر سير

أعلام النبلاء ٣٦١/٢، التقريب ١٥٦/١

(٥) انقراي، إحياء علوم الدين، ٣١١/٢

(٦) هو الإمام عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة، فعد مع الخلفاء الراشدين مات سنة ١٠١هـ، انظر التقريب

٦٠/٢، سير أعلام النبلاء ١١٤/٥

(٧) عمر السامي، نظام الحسبة ص ٩٨

الفرد في نفسه يقول أبو عبد الرحمن العمري^(١) (...من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعته منه هبة الطاعة فلو أمر ولده وبعض مواليه لا استخف به)^(٢).

وقال إبراهيم بن أدهم^(٣): (وكل من ذلَّ لغير الله فهو والكلب سواء)^(٤)، ومن قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتفع قدره عند الله تعالى وعند الناس والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة السلف - رحمهم الله تعالى - وما تمسكت أمة بهذا الركن وقامت به إلا عزت وقويت ومكنت في الأرض، والنصوص السابقة من الكتاب والسنة دالة على ذلك وصریحة في هذا المعنى، فالقيام بالحسبة عزٌّ للأمة، ورفع لها، وشرف عظيم، وهو أمان من عذاب الله وعقابه.

(١) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر الخطاب المدني ضعيف عابده مات سنة ١٧٦ هـ انظر

الذمى سير اعلام النبلاء، ٣٣٩/٧، التهذيب، ٢٨٦/٥

(٢) الخافض عبد الغي المقدسي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص/١٩٠

(٣) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد التميمي أحد العباد، وأكابر الزهاد، قال عنه سفيان الثوري: كان

إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل ولو كان من الصحابة لكان فاضلاً توفي ١٦٢ هـ انظر السير ٣٨٧/٧،

والحلية ٣٦٧/٧

(٤) السير ٣٩٤/٧

المبحث الخامس

نشأة الحسبة في الأندلس

- هل ثبت دخول الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - في الأندلس
- دخول التابعين فيها
- دواعي التحقيق في دخول الصحابة أو التابعين في الأندلس
- أبرز مجالات احتساب التابعين في الأندلس
- أول إشارة إلى لفظ المحتسب في الأندلس
- في عهد من عرفت ولاية السوق كإدارة مستقلة
- أول من تولى ولاية السوق في الأندلس
- بقاء ولاية الحسبة في الأندلس حتى بعد رحيل المسلمين عنها
- أسباب إنشاء ولاية الحسبة في الأندلس

التمهيد:

الحسبة بمفهومها الشامل قديمة في الأندلس بقدوم دخول الفاتحين لتلك البلاد، فالجاهدون الأوائل الحاملون لعقيدة التوحيد والعاملون على نشرها في كل أرض دخلها الإسلام هم في الحقيقة محسوبون؛ لأنهم طالبون للأجر والثوبة من الله تعالى^(١).

وقد أولى لفاتحون للمغرب، والأندلس نشر الدعوة الإسلامية جُلَّ اهتمامهم، فقد بعث عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عشرة من التابعين إلى تلك الجهات ليقوموا بتعليم البربر أمور دينهم ونشر الدعوة بينهم^(٢).

وفعل مثل ذلك موسى بن نصير^(٣) حيث ترك عددا من المسلمين الأوائل يفقهون إخوانهم من مسلمي البربر الداخلين إلى الأندلس أمور دينهم، وقدر هذا العدد بـ "سبعة عشر رجلا" هم كل أو بعض مسلمي العرب الداخلين مع جيش طارق في حملته إلى الأندلس سنة ٩٢ هـ^(٤).

هل ثبت دخول الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - إلى الأندلس؟

هناك خلاف بين المؤرخين في هذا، أما إفريقية فقد دخلها الصحابي المنذر الإفريقي^(٥) رضي الله عنه، روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي "من قال إذا أصبح رضيت بالله ربا

(١) انظر الدكتور عبد الرحمن الحجي التاريخ الأندلسي ص/٢٠

(٢) انظر ابن القرضي: تاريخ علماء الأندلس ١٢٢/١

(٣) انظر التاريخ الأندلسي ص/١٤٨

(٤) انظر ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (لبنان، بيروت، دار الثقافة) ٤٣/١

(٥) المنذر - مصفرا - الأسلمي ويقال الثمالي ذكره ابن يونس، وقال: رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم روى عنه عبد الرحمن الحبلي، وقال البغوي سكن إفريقية انظر ابن حجر العسقلاني الإصابة في تمييز

الصحابة: بيروت لبنان دار الكتب العلمية ١٤٤/٦

وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزعيم لآخذون بيده فلا أدخلنه الجنة^(١)
 أما الأندلس فقد روى عبد الملك بن حبيب السلمي^(٢) ذلك^(٣) إلا أن المراكشي^(٤) شكك
 في تلك الرواية، وجزم بعدم دخوله إليها فقال (لم يصح من طريق يوثق به أنه دخلها أحد
 منهم - أي: الصحابة رضي الله عنهم^(٥))
 كما أنكر بعض المؤرخين دخول أي منهم الأندلس^(٦)، والعلم عند الله.

دخول التابعين إلى الأندلس:

أما دخول التابعين، فإنه من الثابت والمسلم به أن هناك رجالاً منهم دخلوا إلى
 الأندلس مع الفاتحين لها، ولكن تضاربت الأقوال في عدد أولئك التابعين.

(١) انظر ابن حجر العسقلاني، الإصابة ١٤٤/٦

(٢) هو العلامة، فقيه الأندلس أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي العباسي الأندلسي، ولد في
 حياة الإمام مالك بعد أربعين ومائة، وكان عالماً بالتاريخ والأدب، ورأساً في فقه المالكية، وموصوفاً بالحدق في
 الفقه، بعيد للصيت، كثير لتصانيف صنف كتاب الواضحة، وكتاب الجامع، وحروب الإسلام، وطبقات
 الفقهاء والتابعين، توفي سنة ٢٣٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٢/١٠٢/١٠٧، والأعلام ١٥٧/٤

(٣) انظر ابن حجر الإصابة م.س. ١٤٤/٦

(٤) هو عبد الواحد بن علي النجدي المراكشي الفوري، ولد سنة ٥٨١هـ الموافق ١١٨٥م، وتعلم بفاس والأندلس
 ورحل إلى مصر، ونجول في بعض بلدان المشرق؛ له كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وكتابات الذيل
 والتكملة توفي سنة ٦٤٨هـ الموافق ١٢٥٠م. انظر الزركلي الأعلام ١٧٦/٤

(٥) انظر المراكشي الذيل والتكملة، السفر الثامن القسم الثاني ص/٣٧٩

(٦) انظر الذيل والتكملة تحقيق إحسان عباس السفر الثامن القسم الثاني (لبنان بيروت، دار الثقافة) ص/٣٧٩

فقال عبد الملك بن حبيب إن عددهم يبلغ قريبا من العشرين رجلا^(١)، وأما ابن بشكوال فقد ذكر أن عددهم يبلغ ثمانية وعشرين رجلا^(٢)، وأما ابن عبد المنعم الحميري^(٣)، و المقرئ فقد ذكرا أن العدد يبلغ سبعة عشر رجلا^(٤)، وقد نفى بعض المؤرخين ما ورد في المصادر التاريخية من أسماء بعض أولئك التابعين ودخولهم إلى الأندلس^(٥)، وصرح ابن الفرضي أن عددهم لا يتجاوز الأربعة^(٦)، وناهه في العدد ابن أبي الفياض لكنه خالفه في بعض الأسماء^(٧)، وقد صرح المقرئ أن عدد التابعين الذين دخلوا الأندلس لم يتجاوز الخمسة^(٨).

وتلخص من هذا أن التابعين الذين دخلوا الأندلس هم:

١ - موسى بن نصير اللخمي (١٩ - ٩٧ هـ) الموافق / ٦٤٠ - ٧١٥ م).

(١) عبد الملك بن حبيب الفتح الأندلس نشر الدكتور مكّي ص/ ٢٢٢، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بدمريد

المجلد الخامس/ ١٩٥٧ م دمريد

(٢) نفح الطيب ٢٨٨/١

(٣) هو محمد بن محمد عبد الله بن عبد المنعم أبو عبد الله الحميري عالم بالبلدان والسير والأخبار أندلسي له

الروص المعطار في أخبار الأقطار مملدان توفي سنة / ٩٠٠ هـ انظر الأعلام ٥٣/٧

(٤) انظر عبد المنعم الحميري الروص المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس الطبعة الثانية (بيروت

مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م) ص/ ٣٣، والمقرئ نفح الطيب (١/ ٢٧٨-٢٨٨)

(٥) انظر نفح الطيب ١١/١٠/٣

(٦) ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ١٤٨/١

(٧) انظر نفح الطيب ١٢/٣

(٨) انظر المصدر السابق ١٢/٣

- ٢ - حنش بن عبد الله الصنعاني^(١) المتوفى سنة/١٠٠هـ الموافق/٧١٨م.
- ٣ - علي بن أبي رباح بن نصر اللخمي، ولد سنة/١٥هـ الموافق/٦٣٦م، وتوفي بين سنتي/١١٤ - ١١٧هـ الموافق سنة/٧٣٢ - ٧٣٥م^(٢).

(١) نسبة إلى صنعاء الشام، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤٣١/٤٢٦/٣ صنعاء موضعان أحدهما: باليمن وهي المعظمى، وأخرى: قرية بالقوطة من دمشق وهذه هي التي ينسب إليه حنش بن عبد الله الصنعاني، وهو تلميذ دخل الأندلس، وتوفي في قرطبة. انظر ابن الفرص تاريخ علماء الأندلس ١٢٥/١

(٢) انظر ابن الفرص: تاريخ علماء الأندلس ص/٣١٠ رقم/٩١٥

٤ - حبان بن أبي جبلة القرشي المصري يكنى أبا النصر، كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل إفريقية توفي سنة ١٢٢هـ^(١)

٥ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي المتوفى سنة ١٠٠هـ الموافق ٧١٨م^(٢)، وإذا جاز أن نضيف التابعي التالي:

٦ - أبو ثمامة بكر بن سودة الجذامي المتوفى سنة ١٢٨هـ الموافق ٧٤٦م، وهذا غرق أثناء احتيازه للأندلس، وبذلك يصبح عددهم ستة إذا اعتبر الجذامي معهم^(٣).

دواعي التحقيق في دخول الصحابة أو التابعين إلى الأندلس:

والداعي إلى تحقيق دخول أحد من الصحابة أو التابعين إلى الأندلس، هو معرفة ما يكون لأولئك الكرام من أثر في الاحتساب، ونشر الدعوة الإسلامية، وتعليم أحكام الشريعة الإسلامية في الأندلس

أبرز مجالات احتساب التابعين في الأندلس:

فمن مجالات احتسابهم التي برزت، ويمكن الإشارة إليها:

١ - الإرشاد والتوجيه إلى أحكام الإسلام للجيش الفاتح، ذكر ابن الكردبوس^(٤) أن كل ما غنم طارق أخذ منه الخمس لبيت المال وقسم أربعة أخماس على كل من حضر الوقعة من المسلمين^(٥)؛ ولا شك في أن ذلك كان بهدي وإرشاد أولئك التابعين.

(١) انظر ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ١٢٣/١

(٢) انظر: المقرئ نفح الطيب م.س. ٢٧٥/١

(٣) انظر: الحميدي جذوة المقتبس ص/١٦٩

(٤) هو: عبد الملك بن قاسم بن الكردبوس أبو مروان صنف الاكتفاء في أخبار الخلفاء توفي بعد سنة ٥٧٥هـ

انظر الأعلام ١٦١/٤

(٥) ابن الكردبوس تاريخ الأندلس تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧١م ص/٤٨

٢ - الإشراف والشهادة على المعاهدات التي توقع بين المسلمين وأعدائهم، فقد ذكر ابن الفرضي أنه وجد شهادة كل من: علي بن رباح، وحنش بن عبد الله الصنعاني في عهد بنبلونه^(١).

٣ - القيام ببناء المساجد والإشراف عليها والتعليم وهذا من أهم لوازم المحتسب. فلا شك في أن المساجد تعتبر المدارس الإسلامية الأولى، فمنها انبثق تعليم القرآن الكريم، وتدريبه، وتعليم الأحكام الشرعية، وهو الأساس في العملية التعليمية في الإسلام^(٢)، ولذلك حرص قادة الفتح إلى المسارعة في بناء المساجد قبل كل شيء إدراكاً منهم لأهميتها، فما إن تم فتح أول أجزاء الأندلس إلا وسارع القائد موسى بن نصير إلى بناء مسجد الرايات في الجزيرة الخضراء^(٣).

وقد قام حنش الصنعاني بالتعاون مع غيره بتأسيس عدة مساجد في كل من: البيرة^(٤)، وقرطبة^(٥)، وسرقطة وتحديد اتجاه القبلة فيها^(٦).

(١) ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ١/٣١٠ رقم ٩١٥.

(٢) انظر الدكتور محمد عيسى تاريخ التعلم في الأندلس م.س ص ٢٦٦.

(٣) مدينة مشهورة بالأندلس وهي من أشهر المدن وأطيبها أرضاً، وسورها يضرب به ماء البحر، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة بالأندلس لا حائل بها من الماء دونها، يافوت الحموي معجم البلدان ٣/١٣٦، انظر الحميدي الروض المعطار تحقيق إحسان عباس ط ٢ (لبنان، بيروت، مكتبة لبنان) ص ٢٢٤.

(٤) الألف فيه ألف قطع فهو بوزن إخرطة، وإن شئت بوزن كبريتة، وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، وأرضها كثيرة الأنهار، والأشجار يافوت الحموي معجم البلدان ١/٢٤٤، انظر الحميدي الروض المعطار ص ٢٨٠.

(٥) انظر نفح الطيب ١/٥٦٢.

(٦) انظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، م.س ٢/٩٦، وانظر أبو عبد الله محمد الحميدي الروض المعطار في غير الأقطار، تحقيق إحسان عباس ط ٢ (بيروت، مكتبة لبنان) ص ٢٨٠.

ومن هذه المساحد بدأت نواة نشر الدعوة الإسلامية، وتعليم أحكام الشريعة، وبذلك يمكن اعتبار أولئك التابعين أول المحتسبين في الأندلس؛ لأن الغرض من عبورهم إليها نشر هذا الدين، والدعوة إليه.

يقول الدكتور عبد الرحمن الحجي... (بل الجيش الإسلامي كل أفرادهم كانوا دعاة لأنه جيش عقيدة؛ فكلهم يفقه دينه، وأول وآخر أمر يهمه هو خدمة الإسلام، ونشره، وكلهم كانوا يشرحون الإسلام بأقوالهم وأفعالهم^(١)).

من هذه النصوص يظهر جليا أن الحسبة بمفهومها الشامل كانت قديمة النشأة ارتبطت بدخول المسلمين إلى الأندلس أول الفتح.

أول الإشارات إلى لفظ المحتسب في الأندلس:

أما أول الإشارات إلى لفظ المحتسب في الأندلس، فكانت في عصر الولاة، في سنة ١١٦هـ في ولاية عقبة بن الحجاج السلوي في ذكر القاضي المهدي بن مسلم^(٢) حيث جاء في العهد الذي كتب إليه عند توليته... (هذا عهدي إليك، وأمرى إياك، وإسنادي إليك ما أسنده، وتفويضني إليك ما فوضت، فإن تعمل به مؤثرا لرضا الله وطاعته قائما بالحسبة)^(٣).

وعلى هذا يرد احتمال أن المراد قائما بولاية الحسبة مع ما كلف به من القضاء، باعتبار أن القاضي يجمع في عمله بين القضاء والحسبة^(٤).

ويرد احتمال آخر وهو: أن المراد بقوله (قائما بالحسبة) أي: قائما بعملك طالبا الأجر من الله تعالى.

(١) انظر التاريخ الأندلسي ص/١٤٩

(٢) هو مهدي بن مسلم، وهو من أبناء المسألة، من أهل الدين والورع، وهو من أوائل قضاة قرطبة، وهو الذي كتب عهد توليته وعرضه على عقبة. انظر الخشنى قضاة قرطبة ص/٩

(٣) انظر الخشنى قضاة قرطبة ص/١١

(٤) انظر الخشنى قضاة قرطبة ص/١١

في عهد من عرفت ولاية السوق كإدارة مستقلة في الأندلس؟

أما الحسبة كولاية لها نظامها، واختصاصاتها، فقد عني بها أهل الأندلس ودرجوا أن يطلقوا عليها اسم "أحكام السوق" ويطلقون على من ينصب لها "صاحب السوق"^(١). والواقع أن ولاية السوق كإدارة مستقلة لم تكن معروفة في الأندلس قبل عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم^(٢)؛ إذ كان مراقبة الأسواق جزء من مهام صاحب المدينة^(٣)، وكانت هذه المهام هي نفس المهام التي يمارسها المحتسب في الشرق^(٤). مثل:

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢ - إزالة الضر من الطرقات.

٣ - والحكم في المياني المتداعية للسقوط بهدمها.

٤ - بالإضافة إلى النظر في أحكام السوق فيما يتعلق بمكافحة الغش^(٥).

(١) انظر عبد الرحمن الناسي خطة الحسبة ص/١٥

(٢) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام يبيع بالخلافة بعد والده في آخر سنة/٢٠٦هـ، كان حسن السيرة زين الجانب غلب الشركون في دولته على إشبيلية، ثم بنى سور إشبيلية، وزاد في بناء جامع قرطبة، وتوفي سنة/٢٣٨هـ، وكان مولده سنة/١٧٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٨/٢٦١

(٣) وهو القائم على خطة المدينة إحدى الخطط الدينية في الأندلس التي تحول صاحبها حق إصدار الأحكام، انظر للشيخ أبو الحسن بن عبد الله الناهي، تاريخ قضاة الأندلس، (دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة/١٩٨٠م) ص/٥

(٤) انظر ابن حيان المقتبس، تحقيق الدكتور عمود مكى، (دار الكتب العربي بيروت الطبعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م) ص/١٨٦

(٥) انظر ابن حيان المقتبس ص/٢٢٦

ويؤكد ابن خلدون^(١) على أن الحسبة كانت في دولة الأمويين في الأندلس داخلية في عموم ولاية القاضي يولى فيها باختياره.

يقول ابن سعيد: (الأمير عبد الرحمن بن الحكم هو الذي ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردتها وصير لواليتها ثلاثين ديناراً في الشهر)^(٢). وبذا يمكن القول أن الحسبة كولاية مستقلة ظهرت في الأندلس في أواخر القرن الثاني، مما يدل على قدم تلك الولاية هناك.

أول من تولى ولاية السوق في الأندلس؟

وأول من عثرت عليه أنه تولى هذه الولاية هو فطيس بن سليمان الكاتب^(٣) في عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن^(٤) سنة/١٧٧هـ الموافق/٧٨٨م.

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الإشبيلي الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي، ولد بتونس سنة/٧٣٢هـ الموافق/١٣٣٢م، ثم دخل الأندلس وعاد إلى تونس ثم دخل مصر وولي بها قضاء المالكية، ثم توفي فجأة في القاهرة سنة/٨٠٨هـ الموافق/١٤٠٦م. انظر الزركلي الأعلام ٣/٢٣٠.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف الطبعة الثالثة (مصر دار المعارف بدون تاريخ) ٤٦/١.

(٣) دخل الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية الذي ضمه إلى خدمة ابنه هشام فصار أميناً له فلما ولي هشام الإمارة ولاد على السوق، ثم أثبته الحكم بن هشام في منصبه، توفي في آخر إمارة الحكم قبله سنة/٢٠٠هـ. انظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيرة تحقيق حسين مؤنس (مصر القاهرة الشركة العربية للطباعة والنشر) ص/٣٦٥.

(٤) هو الأمير أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المرواني، بويع بالملك عند موت والده سنة/١٧٢هـ، وعمره إذ ذاك ثلاثون سنة، وكان ديناً ورعاً يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويعمل في الرعية، ويكثر الصدقات، ويتعاهد المساكين لما احتضر عهد بالأمر إلى ولده الحكم، مات في صفر سنة/١٨٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٨/٢٥٣.

بقاء ولاية الحسبة في الأندلس حتى بعد رحيل المسلمين عنها:

ومما هو جدير بالذكر أن الحسبة في الأندلس بدأت بازدهار، وانتهت إلى ازدهار، حتى إن المسيحيين أبقوا ولاية الحسبة بعد خروج المسلمين من الأندلس. يقول عبد الرحمن الفاسي: (وتلك ظاهرة تنتصب فرقا واضحا بين سير الحسبة في المشرق على سنة النشوء والارتقاء في حين أنها ابتدأت في الجزيرة الأندلسية بازدهار، وانتهت إلى ازدهار، حتى لكأن قانون النشوء والارتقاء قد تعطل في تلك الجزيرة المسحورة التي تلاحق فيها منذ البداية كل شيء، فلا غرر إذا ما عاين ملوك الأسبان المسيحيين جادى هذا النظام الإسلامي وتمسكوا بالأخذ به، فكانوا كلما استردوا إقليعا من يد المسلمين حرصوا على أن يقرروا المختص في عمله، وأصبح في لسانهم (المتسن)^(١). لا شك أن الحسبة في الأندلس كولاية ظلت قائمة حتى بعد خروج المسلمين، يدل على ذلك مراسيم تلك الخطة في مملكة غرناطة^(٢) آخر معاقل الإسلام في الأندلس^(٣)، ولكن ازدهارها وارتقاءها في جميع العصور، وفي جميع مجالات الاحتساب الرسمية والنطوعية والوقوف على تلك الحفينة، وتحليلتها، والتحقق منها، هو ما دفعني أن أخوض في هذا الموضوع المهم.

أسباب إنشاء ولاية الحسبة في الأندلس:

كان من أسباب إنشاء ولاية السوق في الأندلس، العوامل التالية:

(١) عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة الطبعة الأولى، (المغرب دار البيضاء دار الثقافة الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٧٤

(٢) غرناطة - بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، ومعنى غرناطة: رمانة بلسان عجم الأندلس، سمي البلد بذلك

لحسبه، وهي من أقدم مدن الأندلس، وأعظمها، وأحسنها، يشقها النهر المعروف بـهر قلزم، وكان بها كثير من دور الكبراء. انظر يساقوت الحموي معجم البلدان (لبنان بيروت، دار إحياء التراث العربي

١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ٤/١٩٥

(٣) لسان الدين بن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله الطبعة الأولى (مصر القاهرة، نشر

مكتبة الخانجي) ح ٣، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ٢/١٩٦-١٩٧

تنظيم مدن الأندلس، فقد أنشأ المسلمون المدن الكبرى في الأندلس، كقرطبة، وإشبيلية^(١)، ومالقة^(٢)، على شاكلة المدن المشرقية الرئيسية من الناحية التنظيمية، فنظمت أسواقها الكثيرة واعتنوا بذلك، فتتج عن هذا التنظيم الحاجة إلى من يشرف على شؤون تلك الأسواق ويراقب تصرفات مستعمليها من الصناع والتجار ونحوهم، ويضبط نظام تلك الأسواق، ويعاقب من يحاول الغش والتدليس، فكانت تلك الحاجة عاملا بارزا من أسباب إنشاء ولاية السوق في الأندلس^(٣)

(١) إشبيلية بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة، مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس، وتسمى حمص، وبها قاعدة منك الأندلس، وبها كان بنو عباد، وهي قريبة من البحر يطل عليها قبل الشرق، وبها كثير من أشجار الزيتون وسائر الفواكه. انظر معجم البلدان ١٩٥/١

(٢) مالقة - بفتح اللام والقاف - مدينة بالأندلس من أعمال رية سورها على الشاطئ البحر وأصل وضعها قديم كثر قصد المراكب إليها ينسب إليها جماعة من أهل العلم. انظر معجم البلدان ٤٣/٥

(٣) انظر حسن بكريم الخسبة تطورها قديما وحديثا ص ٩٠/٨٧

الباب الأول

الحسبة في الجانب النظري

الفصل الأول: نظام الاحتساب النظري

الفصل الثاني: مجالات الاحتساب النظري

الفصل الثالث: أبرز المؤلفات في الحسبة

الفصل الرابع: الحسبة في الأندلس مقارنة بغيرها من البلاد

الفصل الأول

نظام الاحتساب النظري، وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: الأصل المذهبي للحسبة في الأندل

المبحث الثاني: شروط المحتسب وواجباته

المبحث الثالث: أعوان المحتسب، وسلطته، ومقر عمله

المبحث الرابع: علاقة الحسبة بالولايات الأخرى في الأندلس

المبحث الخامس: الاحتساب على الأمراء والحكام

المبحث الأول

الأصل المذهبي للحسبة في الأندلس وفيه مطلبان

المطلب الأول: مذهب الأوزاعي

المطلب الثاني: المذهب المالكي

المطلب الأول

مذهب الأوزاعي في الأندلس

مذهب الأوزاعي في الأندلس

آخر الأوزاعيين في الأندلس

لماذا أخذ أهل الأندلس بمذهب الأوزاعي

التقديم:

قبل الشروع في هذا المطلب لا بد من الإشارة إلى الأصل الذي يقوم عليه الاحتساب، فمن المعلوم أن الحسبة تنبثق من الأصلين العظيمين لهذا الدين وهما: القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ولا يقوم بها على الوجه الأكمل إلا من تفقه فيهما؛ ليوافق احتسابه مقاصد الإسلام، وغاياته، فالفقه من لوازم المحتسب المتطوع فضلاً عن تقلد هذه الولاية، والفقه في الأندلس مر بمراحل حتى وصل إلى كماله، حتى غدت الأندلس من البلاد الإسلامية التي أثرت المذهب المالكي وأصلت له بعد أن انتشر، ونما، وفاق غيره من المذاهب الأخرى فيها

وكان من دخل إلى الأندلس من التابعين لهم جهود عظيمة في تعليم الإسلام، ونشره، إلا أن الحاجة ظلت قائمة للرحلة إلى المشرق للاستزادة من العلم ثم نشره في الأندلس، وكانت تلك الرحلات العلمية من أسباب ظهور المذاهب الفقهية في الأندلس، وانتشارها، وقبل ظهور تلك المذاهب كان هناك علماء أجلاء لهم دورهم في نشر الفقه في الأندلس، ويأتي في مقدمة أولئك العلماء من يلي:

١ - يحيى بن زيد التحيبي^(١)

٢ - معاوية بن صالح الحضرمي^(٢).

(١) يحيى بن زيد التحيبي ولاء عمر بن عبد العزيز القضاء بالأندلس، وكان رجلاً صالحاً ورعاً إذا اجتمع الناس

عنده للقضاء بدأ بعضهم ويذكروهم ويخوفهم بالله تعالى، انظر: النباهي قضاء الأندلس ص/٤٣.

(٢) هو معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي خرج إلى الأندلس فوصلها سنة ١٢٣ ولاء الأمير عبد الرحمن بن

معاوية القضاء لقرطبة كان من جلة أهل العلم وكبار رواة الحديث وشارك مالك بن أنس في بعض رجاله.

توفي في قرطبة سنة ١٦٨ هـ، انظر النباهي تاريخ قضاء الأندلس، ص/٤٣ انظر الخشنى قضاء قرطبة ٢٨-٣٨،

القاضي عياض ترتيب المدارك ٣٢٧/٣

ويعتبر معاوية بن صالح من رؤوس فقهاء الأندلس، قال عنه الذهبي: (الإمام الفقيه)^(١)، وكان من طبقة الإمام مالك، وشاركه في رجاله^(٢)، ويكفي في معرفة مكانة معاوية العلمية، وسعة علمه، وتمكنه منه أنه عند ما زار الديار المقدسة للحج وبصحبه صهره شبطون، والتقى بالإمام مالك سأل معاوية الإمام مالك نحو مائتي مسألة أجاب مالك على جميعها، وعند ما أراد زياد شبطون أن يعرف رأي مالك في معاوية قال له مالك: (ما سألتني أحد قط مثل معاوية بن صالح)^(٣)، وفي هذا دلالة كافية على تمكن معاوية من الفقه، وإحاطته بمسائله، ورجل له مثل هذه المنزلة والمكانة العلمية لا بد أن يكون من المحتسبين الأوائل في بث العلم ونشره، والدعوة إلى الإسلام في الأندلس.

(١) الذهبي تذكرة الحفاظ ١/١٧٦

(٢) النباهي قضاة قرطبة ص/١٥، تذكرة الحفاظ ١/١٧٦

(٣) أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني، قضاة قرطبة (مصر، القاهرة مكتبة الخانجي، ١٣٧٢هـ) ص/١٩

المطلب الأول: مذهب الأوزاعي^(١)

ينسب المذهب الأوزاعي للإمام الشامي أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ولد (٨٨ هـ / وتوفي سنة ١٥٧ هـ) الموافق (٧٠٧-٧٧٤ م)، وهو إمام أهل الشام في زمانه بغير منازع^(٢)، كان قوالا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم^(٣)، بدأ بالإفتاء سنة ١١٣ هـ الموافق ٧٣١ م؛ وعمره خمس وعشرون سنة^(٤).

ويذكر أنه أجاب على سبعين ألف مسألة^(٥)، ولعل القصد من هذا الرقم المبالغ فيه هو الدلالة على سعة علمه - رحمه الله تعالى - ثم انتقل من دمشق إلى بيروت وظل بها مرابطا حتى توفي^(٦).

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة العباسي المنصور^(٧) قد أعفى الإمام الأوزاعي من لبس السواد^(٨)، وفي هذا دلالة أكيدة على عظم منزلة هذا الإمام، ورغم مكانته ظل مذهبه على نطاق ضيق في بلاد الشام ثم انتقل إلى الأندلس.

(١) الأوزاعي: نسبة إلى الأوزاع قرية على باب دمشق من جهة باب القرايس، وهو في الأصل اسم قبيلة في اليمن سميت القرية باسمهم، وقيل: الأوزاع بطن من ذي الطلاع من حمير وقيل: من حمدان، ولم يكن الأوزاعي منهم، وإنما نزل فيهم فنسب إليهم، وهو من سبي اليمن، وقيل من سبي السد. انظر معجم البلدان ٢٨٠/١، البداية والنهاية ١١٥/١٠

(٢) الذهبي تذكرة الحفاظ ١٨٠/١، محمد حسين النعالي الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ٣٦٦/١

(٣) انظر في هذا موقفه من معاملة العباسيين للأمويين. سير أعلام النبلاء ١٢٨/٧، البداية والنهاية ١١٨/١

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ١١٦/١٠

(٥) ابن كثير البداية والنهاية ١١٦/١٠، محاسن الساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي، نشر شكيب أرسلان ص ٦٦

(٦) ابن كثير البداية والنهاية ١١٨/١٠، النعالي الفكر السامي ٣٦٦/١

(٧) هو: الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور، ولد سنة ٩٥ هـ ضرب في الأفاق ورأى البلاد، وطلب العلم؛ توفي في ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٨٣/٧-٨٧

(٨) ابن كثير البداية والنهاية ١١/١٠، محاسن المساعي ص ١١٤/١١٩٩

قال ابن كثير: (وقد بقي أهل دمشق، وما حولها من البلاد على مذهب الأوزاعي نحوًا من مائتين وعشرين سنة)^(١).

مذهب الأوزاعي في الأندلس

جاء في ترتيب المدارك^(٢)، ونفع الطب^(٣) أن أهل الأندلس كانوا على مذهب الأوزاعي منذ الفتح.

وإذا كان الإمام الأوزاعي قد ولد سنة ٨٨ هـ الموافق ٧٠٧ م، وفتح الأندلس ثم سنة ٩٢ هـ الموافق ٧١١ م، فإن ذلك القول بجانب الصواب، بل الصحيح أن أهل الأندلس كانوا يسيرون على فقه من وصل إليهم من التابعين - رحمهم الله تعالى.

كذلك تذكر عدة مصادر أن مذهب الأوزاعي دخل الأندلس على يد صعصة بن سلام الدمشقي المتوفى سنة ١٩٢ هـ، الموافق ٨٠٨ هـ^(٤).

وإذا نظرنا أن أسد بن عبد الرحمن السبتي: كان حيا بعد سنة ١٥٠ هـ الموافق ٧٦٧ م، فنجد أنه أخذ عن الإمام الأوزاعي قبل صعصة بن سلام بمدة طويلة، ثم دخل إلى الأندلس، وتولى قضاء "كورة البيرة" في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل^(٥)، وعلى هذا فيمكن اعتباره بأنه الذي أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس.

وهناك آخرون من تلاميذ الأوزاعي كان لهم دور في إدخال مذهبه إلى الأندلس، ونشره هناك من أمثال: أبي محمد المصعب بن عمران بن شقيا الحمداني عربي شامي دخل

(١) ابن كثير البداية والنهاية ١٠/١١٥، الفكر السامي ١/٣٦٧: عند كرد علي خطط الشام ٤/٢٣،

بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص/٢٠٥

(٢) القاصي عياض، ترتيب المدارك ١/٢٦

(٣) المقرئ، نفع الضيب ٣/٢٣٠، الدكتور الجبوري، الإمام الأوزاعي ص/٢٣٩

(٤) هو: صعصة بن سلام أبو عبد الله أندلسي دمشقي، فقيه من أصحاب مالك، كان أول من أدخل الحديث

إلى الأندلس، انظر بغية الملتبس ص/٢٨١

(٥) انظر ابن الفرضي رقم/٢٣٩، جذوة المقتبس رقم/٣٢٠، بغية الملتبس رقم/٥٦٩

الأندلس، وسكن قريبا من قرطبة^(١)، وعرف بالصلاح والنزاهة، تولى القضاء في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وكان عادلا في أحكامه، محمود السيرة^(٢). ورغم أنه أحد تلاميذ الأوزاعي إلا أنه لا يلتزم بمذهبه، إذا رأى الصواب في غيره، ولذلك بعد مجتهدا رحمه الله تعالى^(٣).

وكان له مجلس للشورى يضم عددا من الأوزاعية والمالكية، وقد أعقب فترة القاضي المصعب دخول المذهب المالكي، وشيوعه.

آخر الأوزاعيين في الأندلس

ومن آخر الأوزاعيين الأندلسيين أبو كنانة زهير بن مالك البلوي القرطبي الموفى سنة/٢٥٠ هـ الموافق/٨٦٤ م^(٤) تقريبا، وبالرغم من أنه عاش في الفترة التي انتشر فيها المذهب المالكي إلا أنه كان يفتي بمذهب الأوزاعي^(٥)، وتعرض للانتقاد من علماء المالكية، وأراده عبد الملك بن حبيب على التحول إلى المالكية، فقال له أبو كنانة: (حسدتي إذا انفردت بالأوزاعية دون أهل البلد)^(٦).

وهنا يظهر تضائل المذهب الأوزاعي ليحل محله مذهب إمام دار الهجرة، ورغم ظهور المذهب المالكي، إلا أن المذهب الأوزاعي لم تخل منه الأندلس، ومن الأدلة الظاهرة على ذلك زراعة صحون المساجد في الأندلس بالأشجار^(٧) رغم كراهية ذلك في المذهب المالكي

(١) الختني قضاة قرطبة ص/٢٤

(٢) انظر في ذلك قصته مع العباس بن عبد الملك المرواني قضاة قرطبة ص/٢٥/٢٦

(٣) انظر ابن الفرضي ١٤٣٢، قضاة الأندلس ص/٤٧، المغرب ١٤٤/١

(٤) ابن الفرضي جذوة المقتبس رقم/٤٤٧، بغية الملتبس رقم/٧٦٠

(٥) ابن الفرضي ٤٥٦، جذوة المقتبس ٤٤٧، بغية الملتبس ٧٦٠

(٦) ابن الفرضي ٤٥٦

(٧) قضاة الأندلس ٥١

وهناك سؤال مطروح وهو.

لماذا أخذ أهل الأندلس بمذهب الأوزاعي؟

أخذ أهل الأندلس بمذهب الأوزاعي لعدة أسباب ومنها:

- ١ - أن العرب الذين وفدوا من المشرق إلى الأندلس كانت غالبيتهم من بلاد الشام.
- ٢ - أن الأمير عبد الرحمن كان من الشام فلا بد أن تهفو نفسه إلى ما هو شامي.
- ٣ - أن الأمير عبد الرحمن كان يعهد إلى الشاميين بتولي الوظائف وخاصة الدينية منها، فمثلاً: القاضي معاوية بن صالح^(١)، وقبلة القاضي يحيى بن يزيد النحوي، وهما من تلاميذ الأوزاعي.
- ٤ - وكذلك قرب فقه الأوزاعي من مذاهب أهل الحديث مما سهل أخذ الأندلسيين به، ونشره^(٢).
- ٥ - كما أن الدولة العباسية في المشرق ناصرت المذهب الأوزاعي وأخذت به، والأمير عبد الرحمن يسعى للاستقلال عن الدولة العباسية، وقد تحقق له الاستقلال السياسي، فلا غرو أن يؤيد مذهب الأوزاعي ويسعى إلى نشره في بلاده^(٣).

(١) هو: معاوية بن صالح بن حدير قاضي الأندلس أبو عمرو وأبو عبد الرحمن الحضرمي الحمصي، ولد سنة ٨٠هـ، حج من دهره حجة واحدة، ومراً بالمدينة فلقية من لقيه، قال عنه أبو زرعة ثقة عُدت، توفي سنة ١٨٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٧/١٥٨-١٦٢.

(٢) انظر المذكور محمد علي مكي رواد الثقافة الدينية الأولى بالأندلس ص/٧٢، مجلة البينة العدد السابع.

(٣) انظر المذكور سالم الخلف، العلاقات السياسية والثقافية بين الخلافة العباسية والدولة الأموية في الأندلس، رسالة ما جستير، لم تنشر، ص/٢٦٥/٢٦٦.

المطلب الثاني

المذهب المالكي في الأندلس

- التقديم
- تلاميذ الإمام مالك
- تلاميذ الإمام مالك الذين نقلوا مذهبه إلى الأندلس
- أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس
- رواة الموطأ الذين شاركوا في إدخال المذهب المالكي إلى الأندلس
- قوة المذهب المالكي والتفاف الأندلسيين حوله
- التأصيل والتأليف في المذهب المالكي في الأندلس
- المذاهب الفقهية الأخرى في الأندلس

التقديم:

إن انتشار العلم والثقافة في مجتمع من المجتمعات لا يمكن أن يظهر فجأة، فلا بد لذلك من أن يسبقه تمهيد وأسباب: حتى يظهر ذلك العلم، ويفشو في المجتمع، ويصل إلى الدرجة التي تمكنه من الثبات، والظهور، ومن ذلك دخول المذهب المالكي في الأندلس.

أسباب انتشاره

من أسباب انتشار المذهب المالكي في الأندلس مكان المذهب الأوزاعي بعد تراجعه في الأندلس ما يلي:

أولاً: اتصال الأندلسيين بالحجاز^(١):

هناك جماعات من الحجازيين شاركوا في الفتح، وكانت لهم مكانة هناك^(٢) وكان الشوق للعودة إليه يحركهم، وعند عودتهم سرفقهم بعض الأندلسيين لأداء فريضة الحج، وبالتالي حضور مجالس العلم، في الحرمين، ومن هنا بدأ الاتصال الأندلسي بالشرق، وخاصة الحجاز، فتتابعت الرحلات إلى الحجاز مما كان لذلك دور عظيم في تلقي المذهب المالكي من الإمام مالك في المدينة ونشره هناك^(٣).

ثانياً: الناحية السياسية:

ومن أبرز تلك النواحي ما يلي:

١ - شعور الإمارة الأموية في الأندلس بأنها خارجة عن الخلافة الإسلامية، فهي بحاجة إلى ما يؤكد شرعيتها، وخاصة أمام الأسبان الذين أخذوا يدخلون في الدين

(١) بالكسر: وآخره زاي: جبل تمتد حال بين الغور غور تهامة ونجد، فكانه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر

فهو حاجر بينهما، وللعلماء في ذلك أقوال كثيرة. باقوت الحموي معظم البلدان ٢/٢١٨

(٢) الدكتور السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (مصر، الاسكندرية، شباب

الجامعة) ص ٩٤، الدكتور جمال الدين العلاقات الثقافية ص ١٥٥

(٣) انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، المغرب، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) ٣/١١٨، وما بعدها،

وانظر: د. محمد عبد الحميد عيسى، الطبعة الأولى (القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٨٢م) ص ٨٣

الإسلامي، وهذه الشرعية لا تستطيع الإمارة تحقيقها من خلال مذهب الأوزاعي، فأخذت تنظر بشغف وترقب ما تسفر عنه رحلات أولئك الراحلين إلى المشرق^(١).

- ٢ - إعراض الخليفة العباسي عن مذهب إمام المدينة، وتبنيه للمذهب الحنفي^(٢)
- ٣ - موقف الإمام مالك - رحمه الله - من قضية محمد النفس الزكية، وتعبيره عن تأييده بفتواه في طلاق المكره^(٣).

٤ - الموقف السلبي الذي وقفه من الإمام مالك والي المدينة العباسي بسبب هذه القضية^(٤)، كل هذه الأمور أتت لصالح المذهب المالكي، مما دعا أهل الأندلس إلى نشر المذهب المالكي، والدعاية له، فوجدت الإمارة بغيتها؛ إذ من خلال ذلك تحقق الركن الذي ينقصها.

ثالثاً: العامل البيئي

ويقصد بذلك أن المذهب المالكي مصدره، ومنبعه، المدينة التي لها مكانة عظيمة في قلوب المسلمين؛ لكونها مهبط الوحي، ومهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها انطلق دعوة الإسلام.

رابعاً: العامل الشخصي:

وعند ما أتت وفود المسلمين من الأندلس، انبهرت تلك الوفود بشخصية الإمام مالك، وكان لشخصيته نفوذ كامل في الحجاز^(٥)، فأقبلت الطائفة الأولى على مجالس الإمام مالك رحمه الله بجد ونشاط، وشغف، وعند عودتهم أذاعوا ما شاهدوه، وسمعوه من الإمام مالك، مما كان لذلك أعظم الأثر في محبة ذلك الإمام ومذهبه عند أهل الأندلس.

(١) انظر الدكتور سالم الخلف العلاقات السياسية والثقافية بين الخلافة العباسية والدولة الأموية في الأندلس ص/٢٦٨

(٢) عبد الرحمن بن خلدون المقدمة ٣/٤٣١٠

(٣) الذهبي سير أعلام النبلاء ٨/٩٦

(٤) التميمي كتاب المحن ص/٣١٩/٣٢٤

(٥) انظر الدكتور سالم الخلف، العلاقات السياسية والثقافية ص/٢٧٥

خامسا: العامل التربوي:

الإسلام دين الكمال يدعو ويوجه إلى الترغيب في القدوة الحسنة، ويأتي في مقدمة المربين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك لما للقدوة الحسنة من أثر في سلوك التابعين، والإمام مالك - رحمه الله - مربي عظيم، يترك أعظم الأثر في سلوك من رآه، وجالسه، وأخذ عنه^(١)، مما دفع طلابه، وتلاميذه من الأندلس إلى محبته، والإعجاب به، وبالتالي جعلوا يخدمون مذهبه، ويدعون إليه بإخلاص بعد عودتهم إلى الأندلس^(٢).

سادسا: الإعجاب المتبادل بين الأمير هشام والإمام مالك:

وقبل ذلك هناك قصة يمكن أن يؤخذ منها أنه من أسباب نشر المذهب المالكي، أن الإمام مالكا عند ما صنف الموطأ، ورآه الخليفة المنصور، وأعجب به، وأراد أن يحمل الناس عليه في جميع الأمصار، أشار الإمام مالك عليه أن يعدل عن ذلك بأن الناس رسوخ في قلوبهم ما اعتقدوه، وردهم عن ذلك أمر فيه مشقة^(٣).

ولما سمع بذلك الأمير هشام عظم الإمام في عينه، وأراد أن يسبق الخليفة العباسي بنشر المذهب المالكي في بلاده.

كذلك إعجاب الإمام - رحمه الله - بالأمير هشام عند ما بلغته سيرته مما دعا الإمام مالكا - رحمه الله - إلى أن يدعو له^(٤).

وإمام جليل في العلم، وذائع الصيت لا بد أن يكثر قاصدوه، والإمام مالك - رحمه الله تعالى - يأتي في مقدمة أولئك الأئمة، فقد كثر تلاميذه من شتى أقطار العالم الإسلامي، بل أصبح علما بارزا من أعلام المدينة، فلا يدخلها أحد وخاصة الراغبين في

(١) انظر الدكتور سالم الخلف العلاقات السياسية ص/ ٢٧٥

(٢) المرجع السابق ص/ ٢٧٥

(٣) الذمعي سير أعلام النبلاء ٧٨/٨

(٤) انظر مؤلف مجهول أخبار مجموعة (مدينة بحريط، ريدنير، ١٨٦٧م) ص/ ١٢٠، ابن القوطية فتاح الأندلس

ص/ ٦٢، المقرئ نفح الطيب ٣٣٧/١

العلم إلا قصد حلقة الإمام مالك؛ ولذلك كثر تلاميذه حتى صنف الخطيب البغدادي مؤلفاً خاصاً بالرواية عن الإمام مالك، فعَدَّ منهم تسعمائة وأربعة وتسعين رجلاً^(١).
وأما القاضي عياض فقد عَدَّ منهم ثلاثمائة وألف رجل، وذكر المشهورين منهم وترجم لهم في ترتيب المدارك، ورتبهم على البلدان والطبقات^(٢).
وعَدَّ منهم الذهبي في السير مائة وستة وعشرين رجلاً^(٣).

تلاميذ الإمام مالك الذين نقلوا مذهبه إلى الأندلس:

نجد هناك جيلين من التلاميذ، جيل أخذ من الإمام مالك مباشرة في المدينة، وجيل سمع من تلاميذ الإمام مالك، ومن المدرسة المالكية في مصر، ورووا عنهم، وكل من الجيلين له أثر عظيم في إدخال المذهب إلى الأندلس.

أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس

وأول من أدخل "الموطأ" إلى الأندلس الغازي بن قيس، المتوفى سنة ١٩٩هـ الموافق/٨١٥م^(٤)، حيث كانت رحلته إلى المشرق قديمة حيث رحل قبل سنة/١٥٧هـ الموافق/٧٧٤م، وهي السنة التي توفي فيها إمامه الأوزاعي، فقد كان الغازي أحد تلاميذه^(٥)، وشهد الغازي تأليف مالك لموطئه، وكان ذلك بين سنتي ١٤٨-١٥٩هـ^(٦)، وحظي الغازي بمكانة رفيعة لدى أمراء بني أمية، وكان يحفظ الموطأ عن ظهر قلب^(٧)، إلا

(١) تزيين الممالك بمناب الإمام مالك للسيوطي ص/١٨١

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢٥٤/١

(٣) الذهبي سير أعلام النبلاء ٥٤/٥٢/٨

(٤) مقدمة الدكتور عماد مكي لكتاب ثلاث وثلاثين غاربة الأهواء والبدع في الأندلس ص/٦

(٥) ابن الفريسي تاريخ علماء الأندلس رقم/١٠٥١، الدياج المذهب ص/٢١٩

(٦) انظر الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ٢٥٤، أبو زمرة الإمام مالك ص/١٩٠

(٧) ابن الفريسي رقم/١٠١٥

أنه لم يكثر نشاطه في الفقه بعد عودته إلى الأندلس، بل وجه جُلَّ نشاطه إلى تعليم قراءة نافع التي نقلها من المدينة^(١)، فهو من المحتسبين في ذلك.

رواة الموطأ الذين شاركوا في إدخال المذهب المالكي إلى الأندلس:

من هؤلاء:

١- زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون المتوفى سنة/١٩٣هـ الموافق/٨١٩م^(٢)، فقد أتت رحلته إلى المشرق بعد الغازي، حيث رحل مع معاوية بن صالح والد زوجته سنة/١٦٧هـ الموافق/٧٨٤م^(٣)، وبعد رجوعه إلى الأندلس أراده الأمير هشام على القضاء ولكنه رفض، وهو الذي أشار على تلميذه يحيى بن يحيى الليثي^(٤) بالرحلة إلى المدينة للالتقاء بمالك والأخذ عنه^(٥)، وكان ذا مكانة رفيعة لدى الأمراء الأمويين^(٦)، وقد روى زياد الموطأ مرتين: مرة عن مالك بن أنس مباشرة، ومرة في مصر عن عبد الله بن وهب^(٧)، وكان أكثر اهتماماً بالفقه من المغازي حيث اقترن اسمه بلقب

(١) الجزري غاية النهاية في طبقات انقراء ٢/٢

(٢) هو: الفقيه الإمام مفتي الأندلس، أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي الأندلسي صاحب مالك، توفي سنة/١٩٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٩/٣١١-٣١٢

(٣) الحميدي جذوة المقبض رقم/٧٩٦، الذهبي سير أعلام النبلاء ٧/١٦٠، ترتيب المدارك ٣/١١٧

(٤) هو: يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلام أبو محمد الليثي الأندلسي القرطبي، ولد سنة/١٥٢هـ، سمع من الإمام مالك "الموطأ" سوى أبواب من الاعتكاف، توفي في رجب سنة/٢٢٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥١٩

(٥) انظر القاضي عياض ترتيب المدارك ٣/١١٦، نفح الطيب ٢/٤٦

(٦) انظر القاضي ترتيب المدارك ٣/١١٩/١٢٠

(٧) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد الفهري مولاهم المصري الحافظ، ولد سنة/١٢٥هـ قال الذهبي كان له دنيا وثروة، توفي سنة/١٩٧هـ انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٩/٢٢٣-٢٢٩

(٨) انظر المقرئ نفح الطيب ٢/٤٦

(فقيه أهل الأندلس)^(١)، وقد اعترف الفقهاء له بذلك^(٢)، ولعل هذا الاهتمام هو الذي جعل بعض المصادر تنسب له إدخال المالكية، أو الموطأ إلى الأندلس، وتنسبه بكونه متفقها^(٣) وبأنه أول من أدخل إلى الأندلس مسائل الحلال والحرام، ومما يدل على كفاءته في الفقه بقاء روايته للموطأ في حين أن رواية الغازي بن قيس قد انتهت، وعلى روايته - أي: زياد بن شبطون - اعتمد تلميذه الفقه يحيى بن يحيى الليثي قبل أن يتجه إلى المدينة لسمع من الإمام مالك^(٤).

يحيى بن يحيى الليثي الفقيه العلامة الأندلسي المتوفى سنة/٢٢٤هـ الموافق/٨٤٨م، فقد روى الموطأ قبل رحلته إلى المدينة، وبعد رحيله إلى المدينة، سمع من الإمام مالك، وتمكن من السماع، فروايته للموطأ تغلبت على غيرها من الروايات في الأندلس، وبقي حتى طرد المسلمين منها^(٥)، ومن الملاحظ أن يحيى بن يحيى الليثي قد جمع إلى جانب سماعه من الإمام مالك السماع من أعلام المصريين، منهم: الليث بن سعد^(٦) وعلى تلاميذ مالك من المصريين أمثال عبد الرحمن بن القاسم^(٧) وهناك علماء آخرون من رواة الموطأ أدخلوه إلى الأندلس مثل:

(١) القاضي عياض ترتيب المدارك ١١٧/٣، المقرئ نفح الطيب ٤٥/٢

(٢) انظر القاضي ترتيب المدارك ١١٧/٣

(٣) القاضي عياض ترتيب المدارك ١١٧/٣، ابن فرحون الديباج المذهب ١١٨، مخلوف، شجرة النور الزكية ٦٣

(٤) ابن القرضي رقم/١٥٥٦

(٥) المقرئ نفح الطيب ٩/٢

(٦) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث القهبي، ولد سنة/٩٤هـ، قال عنه الإمام أحمد - رحمه الله -

ليث كثير العلم صحيح الحديث، توفي سنة/١٧٥هـ، سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨ - ١٦١

(٧) هو: عبد الرحمن بن القاسم أبو عبد الله بن خالد، ولد سنة/١٣٢هـ، وقال عنه الدارقطني ابن القاسم

صاحب مالك من كبار المصريين وفقهاءهم، توفي سنة/١٩١هـ، انظر ترتيب المدارك ٢٢٤/٣ - ٢٦٠

(٨) انظر ابن القرضي تاريخ علماء الأندلس رقم/١٥٥٧، القاضي عياض ترتيب المدارك ٣٤٩، الديباج المذهب

٢- شبطون بن عبد الله الطليطلي المتوفى سنة/٢١٢هـ^(١)،^(٢)

٣- وقرعوس بن العباس القرطبي المتوفى سنة/٢٢٠هـ^(٣)

٤- ومحمد بن بشير^(٤) المتوفى سنة/١٩٨هـ الموافق/٨١٣م^(٥).

٥- وأبا موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري، الذي يظهر عظم مكانته في الفقه، ويبدل على ذلك أنه إذا دخل قرطبة امتنع فقهاؤها من الإفتاء حتى يرحل عنها احتراماً له، واعترافاً بفضله، وبرسوخ قدمه في الفقه^(٦).

وبإلى هؤلاء العلماء يرجع الفضل بعد الله تعالى في إدخال المذهب المالكي إلى الأندلس، وبناء المدرسة الفقهية المالكية، وعلى أيديهم بدأ المذهب المالكي يحل محل مذهب الأوزاعي - رحمه الله - الذي كانت الأندلس تسير عليه.

قوة المذهب المالكي في الأندلس والتفاف الأندلسيين حوله:

ثم أخذ المذهب المالكي يعمى وينتشر، وأطبق الأندلسيون على التمسك به والتفاف حوله، ونبت ما سواه، وتشدد الفقهاء في ذلك، ومن الأدلة الظاهرة على ذلك

(١) هو: شبطون بن عبد الله الطليطلي سمع من مالك بن أنس، وكان يسمع منه حتى توفي، ولي قضاء طليطلة، توفي

سنة/٢١٢هـ، انظر تاريخ العلماء لابن الفرضي ٢٣٥/١

(٢) ابن الفرضي رقم/٥٩٨، القاضي عياض ترتيب المدارك ٣/٣٤٢، ابن فرحون الديباج المذهب ٢٢٦

(٣) هو: قرعوس بن العباس بن قرعوس أبو الفضل القرطبي، قال عنه يحيى بن يحيى هو: رجل من أهل العلم كبير

الفقه، لقي مالكا وحمل عنه، انظر ترتيب المدارك ٣/٣٢٥-٣٢٦

(٤) انظر ابن الفرضي رقم/١٠٨٤، ابن فرحون الديباج ٢٢٦، القاضي عياض ترتيب المدارك ٣/٣٢٦-٣٢٥

(٥) هو: محمد بن سعيد بن بشير أبو عبد الله، ذكره ابن القوطية وقال فيه: حبر القضاة بالأندلس وأفضلهم

وأعدهم، توفي سنة/١٩٨هـ، انظر القاضي عياض ترتيب المدارك ٣/٣٢٧-٣٣٩

(٦) انظر الحسني قضاة قرطبة ٢٨/٣٨، القاضي عياض ترتيب المدارك ٣/٣٢٧

(٧) الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ٢٥٣، القاضي عياض ترتيب المدارك ٣/٣٤٣

موقف علماء الأندلس، وثورتهم على بقي بن مخلد^(١) حينما أدخل إلى الأندلس "رسالة الإمام الشافعي" رحمه الله^(٢)، فقد ثار عليه الفقهاء، وكادوا يقتلونه لولا أن عصمه الله منهم، ثم التجأوه إلى الأمير الذي صرفهم عنه^(٣).

التأصيل والتأليف في المذهب المالكي في الأندلس:

وقام فقهاء الأندلس بتأصيل المذهب المالكي والتأليف فيه، وتوسيع مبادئ الدراسات منذ وقت مبكر حتى خرج الإسلام من الأندلس، ولعل أول كتاب فقهي أندلسي هو الذي وضعه عيسى بن دينار الطليطلي المتوفى سنة/٢١٢هـ^(٤)، بعنوان "الهداية"، ثم ظلت الكتب الفقهية المالكية تتوالى في الأندلس وتثري هذا المذهب، وتوصله، ومن الطريف أن آخر هذه الكتب كتاب الفقيه عيسى بن جابر قاضي "شقوبية" الذي كتب باللغة الأسبانية كتابين يشرح فيهما أصول المذهب وقواعده لأولئك المسلمين الذين كانوا يقيمون في مملكة "قشتالة" النصرانية والذين نسوا اللغة العربية ولم يعودوا قادرين على استخدامها، مما أجبأ إلى تأليف كتابيه بأسبانية القرن الخامس عشر^(٥).

لماذا بقي المذهب المالكي في الأندلس حتى النهاية؟

ولعل تمسك الأندلسيين الشديد بالمذهب المالكي راجع إلى موقعهم في القارة الأوروبية البعيدة عن ديار إخوانهم في العقيدة، حيث رأوا وجوب المحافظة على وحدتهم

(١) هو: بقي بن مخلد بن يزيد الإمام شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، ولد سنة/٢٠٠هـ أو قبلها بقليل صاحب "النفسم" و"السند" اللذين لا نظير لهما، توفي سنة/٢٧٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء/١٣/٢٨٥-٢٩٦

(٢) انظر القاضي عيسى بن سهل ثلاث وثائق في محاربة البدع والأهواء في الأندلس ص/٧

(٣) المرجع السابق ص/٦، المقرئ نفح الطيب ٢/٢٦٥

(٤) هو: عيسى بن دينار فقيه الأندلس ومفتيها الإمام أبو محمد الغرناطي، كان ابن وضاح يقول: هو الذي علم أهل الأندلس الفقه، انظر سير أعلام النبلاء ٤٣٩-٤٤٠

(٥) عيسى بن سهل ثلاث وثائق ص/٦

الدينية والمذهبية بكل طاقاتهم، بل اعتبروا هذه الوحدة جزءا من وحدتهم السياسية، ورأوا في كل ما يهدد تماسكهم الديني والمذهبي خطرا يهدد كياناتهم السياسي في الصميم، ولذلك كان البقاء للمذهب المالكي في الأندلس حتى النهاية^(١)

هل للخلاف المذهبي أثر في شؤون الحسبة؟

وعندما نتحدث عن المذهبية في الأندلس، وأن أساسها، ومنطلقها فقه إمام دار الهجرة، واجتماع أهل الأندلس عليه، ودفاعهم عنه، وتطوير هذا المذهب، وخدمته، والتأليف فيه، يعني إشارة إلى أساس ومنطلق المختسبين؛ لأن المختسب فقيه وهو يعالج المنكر الذي يريد إنكاره وإزالته؛ وفق المذهب المالكي، ويلتزم به^(٢)، ولكن ذلك الالتزام لم يمنع الأندلسيين من تطوير نظام الحسبة حتى أصبح نظاما علميا منحررا بنصوص الفقه، وآراء مجتهدي المذهب، وبدا ناضجا متكاملا^(٣)، وبذلك أصبحت وظيفة المختسب متطورة متكاملة، هدفها إقامة هذه الفريضة، وتطهير المجتمع من المنكرات، وهي أهداف سامية توخاها جميع المذاهب الفقهية، وبهذا المعنى لا يظهر أثر للخلاف المذهبي في شؤون الحسبة^(٤)، إلا في قضايا محدودة رأى المختسب الأندلسي مخالفة مذهبه لمصلحة رآها، وترجحت لديه مثل: قضية زرع الشجر في صحن المسجد، وبقاؤها في الأندلس، مع أن ذلك يخالف المذهب المالكي، وينبغي أن لا يغيب عن البال أن مصدر هذا البحث كتب الحسبة في الأندلس، والكتب الفقهية المالكية أمثال: المعيار المغرب للونشريسي، وكتب النوازل مثل: نوازل ابن رشد^(٥)

(١) المرجع السابق ص/٦

(٢) انظر موسى لقيال الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ص/٣٨

(٣) المرجع السابق ص/٣٨

(٤) عبد الرحمن الفاسي خطة الحسبة ٣٠-٣١

(٥) هو: الإمام العلامة شيخ المالكية، قاضي الجماعة بقرطبة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي - الجد —

المكي، له مؤلفات كثيرة مفيدة، منها: "المقدمات" لأوائل كتب المدونة "البيان والتحصيل" لما في المستخرجة

من التوجيه والتعليل، عاش سبعين سنة، وتوفي سنة ١٢٥٠، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٠١-١٠٢

المذاهب الفقهية الأخرى في الأندلس:

كما أن الأندلس عرفت سائر المذاهب الفقهية المعروفة مثل: مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله، ومذهب أهل الظاهر، فضلاً عن عدد قليل اعتنقوا مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - ولكن كل هذه المذاهب لم تمثل قط منافسة حقيقية للمذهب المالكي الذي أجمع عليه كل أهل الأندلس، ودافعوا عنه حتى نهاية الوجود الإسلامي في تلك البلاد^(١).

(١) انظر عيسى ابن سهل، ثلاث وثلاثون...، ص/٦

المبحث الثاني

شروط المحتسب وواجباته

سبق القول أن الحسبة في الأندلس من الخطط الدينية الخمس، بل من أشرف هذه الخطط وأعلاها، وأن من يتولاها ينبغي له أن يكون مؤهلاً، فتحتاج هذه الخطة إلى شروط، وصفات، ينبغي أن تتوفر فيمن يتصدى لأدائها والقيام بها. والحديث عن شروط المحتسب يطول ويتفرع، فهناك شروط صحة ووجوب، وتولية.

فشروط الصحة: الإسلام، والتميز، والعلم بحكم المنكر، فلا تصح حسبة الكافر والصغير، واجتاهل؛ لفقدهم شروط صحة الاحتساب.

أما شروط الوجوب فتزيد على شروط الصحة: بالعقل، والقدرة. وأما شروط التولية فتزيد على ما تقدم من شروط الصحة والوجوب: بالذكورية، والحرية، وأن تكون التولية من السلطان أو نائبه^(١)، وقد أشارت كتب الحسبة في الأندلس إلى هذه الشروط أو بعضها منها.

يقول ابن عبدون^(٢): «مبيناً تلك الشروط: ((ويجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً، خيراً، ورعاً، عالماً، غنياً، نبلاً، عارفاً بالأمور، محنكاً، فطناً، لا يميل ولا يرتشي))^(٣). وهذه الشروط التي أشار ابن عبدون إلى وجوب توفرها في المحتسب نجد أنها تتفق كلها مع ما سبق الإشارة إليه آنفاً من شروط المحتسب فقد أشار إلى وجوب كونه رجلاً فلا يجوز للمرأة تولي الحسبة على الرجال.

لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^(٤). ولأن الحسبة تقتضي الاختلاط والتعرف على المحتسب عليهم، وهذا محظور على المرأة لما فيه من ضرر، يقول - صلى الله عليه وسلم - «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»^(٥)؛ ولأن المرأة مبني على الستر وعملها هذا يدعوها إلى الخروج.

(١) انظر في ذلك أبو يعلى، الأحكام السلطانية ص/٢٦٩، ومعالم القرية ص/٣٥.

(٢) ابن عبدون اليابري أديب شاعر كان في حدود الأربعمائة أو نحوها، انظر حفة المقتبس رقم/٩٦٩.

(٣) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٢٠.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٧٥/١٠ ح/٤٥١٦.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ح/٢٧٤٠، ٢٠٩٧/٤.

يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»^(١).

وأما ما ذكر من أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استعمل امرأة تسمى أم الشفاء الأنصارية على حسبة بعض الأسواق فلم يثبت^(٢)، بل قال ابن العربي^(٣): «إنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث»^(٤).

ولكن بعض العلماء يرى توجيها هذا - إن صح - على أن ولايتها كانت في أمر خاص بشؤون النساء^(٥)، ويظهر لي أنه لا ينبغي الاختلاف في عدم جواز توليتها الحسبة على الرجال لما تقدم من أدلة، وهي مأمورة في حدود طاقتها - بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في المجتمعات النسائية كالرجال في المجتمعات العامة، يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ولهذا فإن تولي المرأة الحسبة على النساء جائز كما في الرقابة والتفتيش في مدارس البنات، والرقابة على المجتمعات النسائية، وأما كونه عقيفا خيرا ورعا: فإن ذلك من الصفات التي ينبغي توفرها في المحتسب، فالتفقه، والورع، من أجل الصفات التي تساعد من تحلى بها على أداء احتسابه على أكمل وجه، وأما كونه عالما: فإن ذلك شرط من شروط التولية، ولا اختلاف بين العلماء في هذا الشرط^(٦)، وأما كونه غنيا، نبیلا، عارفا بالأمور، محنكا، فطنا، لا يميل ولا يرتشي: فإن ذلك يشتمل - أيضا - على شروط وصفات لا بد من

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٩٣/٣ ح/ ١٦٨٦

(٢) انظر الكافي للزائيب الإدارية ٢٨٥/١

(٣) هو العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف ومنها: عارضة الأحوذى، وتفسير آيات الأحكام، وأمهات المسائل، ولد سنة ٤٦٨هـ، وتوفي سنة ٥٤٣هـ، انظر الذمعي سير أعلام النبلاء، ١٩٧/٢٠

(٤) ابن العربي أحكام القرآن، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت، دار الكتب

العلمية)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ٤٨٢/٣

(٥) الكافي للزائيب الإدارية ٢٨٦/١

(٦) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص/ ٦

توفرها فيمن يلي الحسبة؛ ولذلك ذكر ابن عبدون العلة والحكمة من تلك الصفات فقال: (ولا يرتشي فتسقط هيئته ويستخف به، ولا يعأ به، ويتوبخ معه المقدم له، ولا يستعمل في ذلك حساس الناس، ولا من يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل، ولأنه لا يهاب إلا من كان له مال وحسب)^(١)، أما شروط توليته لخطته: فهي شروط تولية القاضي، وكان الأمير الأموي هو الذي يعينه، وربما يكون ذلك بعد مشاورة قاضي الجماعة بقرطبة، وقضاة أقاليم الأندلس الأخرى^(٢).

ويرى ابن عبدون أن تعيينه وعزله من اختصاص القاضي بعد موافقة ولي الأمر؛ ليكون للقاضي الحجة عليه إن أراد عزله أو الإبقاء عليه^(٣).

وهذا يدل على علو شروطه وصفاته عند أهل الأندلس، بحيث جعلوا القاضي هو الذي يعينه أو يوصي بذلك بعد أن يراه أهلاً لهذه الخطة، وأن شروطها وصفاتها قد تحققت فيه، كما تذكر المصادر - أيضاً - أن من الصفات التي ينبغي للمحتسب أن يتصف بها ما يلي:

أن يكون بعيداً عن قبول الرشوة وأخذها، وأن عليه الالتزام بالسنة وآدابها، ويحكم بها، وأن يطبق ما يأمر به غيره في نفسه أولاً، بعيداً عن إتباع الهوى^(٤)، وأن يستعمل اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف^(٥).

ومن المستحبات التي ينبغي له الأخذ بها ما يلي:

أن يكون مواظباً على سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - من قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونظافة الثياب، وتقصيرها، والتعطر بالمسك ونحوه، وجميع سنن الشرع^(٦).

(١) ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ص/٢٠.

(٢) انظر الدكتور محمد خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس ص/٢٨٢.

(٣) ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ص/٢٠، والنباهي ص/٥.

(٤) ابن عبد الرزوف، رسالة في الحسبة ص/٦٩، السفطي، آداب الحسبة ص/٥.

(٥) السفطي، في آداب الحسبة ص/٨.

(٦) عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة ص/٤٨.

فعليه أن يحافظ على ذلك ويلتزم به؛ ليكمل في هيئته، ويكون ذا مهابة، وقدوة حسنة لمن يأمرهم وينهاهم، فيكون أدعى لقبول أمره ونهيه عند الناس.

هذه الشروط والصفات العمل على تحقيقها في محتسب الأندلس هو المتبع، وما وجد من نقص في بعض الصفات في المختسبين فإنه شاذ، وسريعا ما يعزل هذا المحتسب أو يوجه إليه النقد^(١)

واجبات المحتسب

الحسبة غرضها وهدفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا بمفهومها الشامل من دين الإسلام، ويكون هذا الغرض وتحقيقه من أوجب واجبات المحتسب في كافة مجالات الاحساب المختلفة من كل من المحتسب المولى والمتطوع.

أما واجبات المحتسب المولى فتحددها ولايته التي عين من أجلها. والناظر في واجبات المحتسب في الأندلس يجد أنها متعددة شملت جوانب عدة من حياة ذلك المجتمع، وحسبي هنا أن أشير إلى واجبات المحتسب في الأندلس باختصار. ومن أهم واجبات المحتسب في الأندلس الأمور التالية:

١ - الإشراف على الأسواق:

وقد عرفت الحسبة في الأندلس بـ(ولاية السوق) كما يطلق على من يتولاها بـ(صاحب السوق) والسبب في ذلك أن عمله الأساسي ينحصر في السوق وما يدور فيه، وظلت هذه التسمية حتى نهاية القرن الخامس الهجري^(٢)، وكان من واجبات صاحب السوق الإشراف المباشر على الأسواق، ومحاربة منكراتها من الغش التجاري، والتلاعب من جانب الصناع والتجار في السوق، والعمل على كشف غشهم وتدليسهم على الناس، وإحكام الرقابة عليهم، وكان على المحتسب كشف حيل أرباب الصناعات في السوق،

(١) انظر موقف الأمير مع مختسب محمد بن الخارث الحشني عند جهله في الاحساب على الفقيه محمد بن عبد

السلام، يأتي ذكره في صفحات تالية

(٢) أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس ص/٥، عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة ص/١٧

ومعافيتهم وفق ضوابط مرعية في احتسابه، منها: الزجر، والتقريع، والتوبيخ، والتهديد، ثم إتلاف الفاسد، والضرب، والإخراج من السوق، وقد بين ابن عبدون، والسفطي، والقاضي عيسى بن سهل نماذج من قضايا دارت في السوق في الأندلس، وكشف غشها اغتسب، وزاول واجباته في رفع تلك المنكرات^(١).

٢ - الإشراف على تطبيق الإسلام في المجتمع:

ذكر ابن عبدون وغيره ممن كتب عن الحسبة أن على المحتسب مراقبة السلوك الديني في المجتمع بين الصغار والكبار فقال: (يجب أن يؤمر الباعة والصبيان أن يصلوا، فإن لم يفعلوا أدبوا على ذلك)^(٢).

وأورد ابن عبد الرؤوف في رسالته في فصل النظر في الصيام بأنه لا بد من مراعاة المحتسب بدء الصيام ونهايته، وذلك بمراقبة الهلال في أول الشهر وفي آخره، ويأمر الأئمة وأهل الصوامع بتعهد ذلك وإتقانه، ولا يصام ولا يفطر إلا بشهادة عدلين برؤية هلال رمضان وشوال، وفي زكاة الفطر ووجوب إخراجها عن كل من تلزمه نفقته^(٣).

ويتعجب الدكتور "بدروشالميتا"^(٤)، من ذكر ابن عبد الرؤوف باب الصلاة، والزكاة في رسالته عن الحسبة، وأن من واجبات المحتسب أن يأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويعاقب المقصر في ذلك فيقول: (وجود هذا القسم الديني والأخلاقي في رسالة ابن عبد الرؤوف، الذي يظهر لنا أنه غريب، وذلك لعدم تعلقه بولاية السوق، ولندرته - أيضا - حيث لا نجد مثله في مؤلفات حسبة السوق، حتى الماوردي وابن تيمية لم يضعوا في رسالتيهما عن الاحتساب شيئا عن الصوم، والزواج، والزكاة، ولا عن الأحباس)^(٥).

(١) انظر في ذلك ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٣٩، والسفطي، آداب الحسبة ص/٢٦، القاضي

عيسى بن سهل، وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس، تحقيق الدكتور محمد حلاف، ص/٢١

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٥٣

(٣) ابن عبد الرؤوف، رسالة في الحسبة ص/٧٧-٧٨

(٤) بدروشالميتا، مستشرق أسباني له رسالة (صاحب السوق في أسبانيا) طبعت ١٩٧٣م.

(٥) بدروشالميتا، صاحب السوق في أسبانيا ص/٢٧

والجواب عن ذلك أن وجود ذلك ليس غريبا، وليس هناك داعٍ للتعجب عموما أما التعجب الذي براه "شالميتا" فإن ذلك من لوازم المحتسب ومن واجباته، وقد وجد في كتب الحسبة، وهذا ابن عبد الرؤوف ذكره في رسالته عن الحسبة^(١)، ثم الصلاة والزكاة من أركان هذا الدين والأمر بهما من أوجب ما يكون على المسلم فضلا عن المحتسب المولّي، والمحتسب لا بد له من شروط وصفات، ومنها: العدالة، والعلم، والفقه في الدين، فلا يتصور من يتصف بهذه الصفات أن يولّي على سوق ويأمر بالمعروف ويعاقب على فعل المنكرات في معاملات السوق، ثم يرى من أهل السوق من يترك الصلاة ولا يعاقبه أو يزجره عن ذلك.

وما وجد من عدم ذكر ذلك في بعض كتب حسبة السوق إلا لأن ذلك - أعني: الأمر بالصلاة، والزكاة من قبل المحتسب - أصبح لدى أهل الحسبة من بدهيات واجباتهم، ودائما يذكر أهل الحسبة شروط المحتسب وصفاته في أول كتبهم تنبيها على ذلك^(٢)، أما ما ذكر من أن الماوردي، وابن تيمية لم يذكرا ذلك في رسالتهما فإن ذلك لا يصح، فقد ذكر الماوردي أن الحسبة: أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، والأمر بالمعروف ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدهما: ما يتعلق بحقوق الله تعالى، وهو ضربان:

أحدهما: ما يلزم الأمر به في الجماعة دون الانفراد كترك الجمعة^(٣).

وأما ابن تيمية فقد قال: (فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس^(٤)).

فأين "بذرو شالميتا" عن هذه النصوص الصريحة الواضحة الدالة والمثبتة لما يراه غريبا في رسالة ابن عبد الرؤوف، والسبب في تعجبه ذلك إنما هو نتيجة بعده عن روح هذا الدين وجوهره وهو الإيمان، وعدم إدراكه أن صاحب السوق دافعه إلى تلك الرقابة

(١) ابن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/ ٧٠-٧١

(٢) انظر السقطي، آداب الحسبة ص/ ٢٠

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية ص/ ٣٩٤

(٤) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام ص/ ١٦-١٧

الإدارية على السوق وما يدور فيه من معاملات دافعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخاربة المنكرات في السوق وحماية أفراد المجتمع المسلم من خطر الغش وأهله والقيام بتلك الرقابة هو قيام بحقوق الآدميين، والأمر بالصلاة والزكاة هو من حقوق الله فلا يتصور من مسلم فضلا عن محتسب مؤلى أن يحافظ على حقوق الآدميين ولا يعاقب من يضيعها ولا يأمر بحقوق الله ويعاقب من يقصر فيها، وفقد إدراك هذه المعاني والبعد عنها هي السبب في تعجب "بدر وشالمينا".

٣ - التصدي للمذاهب الباطلة

إن من أهم واجب المحتسب التصدي للمذاهب الباطلة ومحوها من المجتمع المسلم، وقد وجد ذلك في حكم عبد الرحمن الناصر، ولا سيما التصدي للمذهب الشيعي؛ الذي كانت تسعى الدولة الفاطمية في الشمال الإفريقي إلى التسلل إلى الأندلس؛ لذلك رأى الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي استحداث خطة تغيير المنكر، وفصلها عن خطة السوق، وجعل على رأس كل خطة مسئولاً يباشر مهمته من خلالها، قال عبد الرحمن الفاسي: (إن هذا ما استقر عليه العمل في التنظيم الإداري للحسبة بالأندلس، حيث نرى أن اختصاص المحتسب وزع بين منصبين: خطة السوق، وخطة تغيير المنكر^(١)، وفي هذا المجال أبدى أهل الأندلس مواقف عظيمة على شتى تفاوت طبقات المجتمع.

٤ - الإشراف على الآداب العامة

يشرف المحتسب على الآداب العامة، ويمنع ما يخالفه، كاختلاط الرجال بالنساء، فيمنع منه المحتسب، ويراقب كذلك التبرج، وإبداء الزينة، وكشف الرأس والشعر، والمحافظة على التقاليد المتبعة في اللباس، والنهي عن اللعب المحرم كالشطرنج، والورد، والأزلام، وكذلك له معاقبة من يبيع الخمر ويشربه^(٢).

(١) عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة ص/٧٠، الدكتور محمد خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس ص/٣٨٨

(٢) انظر ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٤٨

٥ - الإشراف على الطرق

ومن واجبات المحتسب الإشراف على الطرق وحمايتها من الاعتداء، واقتطاع بعض منها؛ لأنها حق عام للمسلمين يجب المحافظة عليه وعدم أخذه أو الانتقاص منه، وقد وجدت قضايا من هذا القبيل كان للمحتسب دور في ردع من أراد ذلك^(١)، وكذلك الاهتمام بالطرق وصيانتها من الأقدار، والطين والماء؛ لمنع الضرر عن المارة^(٢)، وكذلك المحافظة، ومراقبة آداب الطرق، وآداب الجلوس منها، والطرق النهرية وعدم تحميل المراكب والقوارب فوق طاقتها، كل ذلك كان المحتسب يهتم به ويعالجه^(٣)، وهذا ما يدل على أهمية الحسبة، وتعدد مجالاتها، وحيوية دور المحتسب في الأندلس.

٦ - الإشراف على شؤون أهل الذمة

كان من واجبات المحتسب الإشراف على شؤون أهل الذمة في الأندلس، فقد أصبحوا من عناصر المجتمع الأندلسي، ولم يلق هؤلاء تحت الحكم الإسلامي أيَّ إضرار أو إهانة أو ظلم، بل وجدوا الحرية لهم في كافة شؤونهم، فلم ترغمهم الدولة على ترك ديانتهم واعتناق دين الإسلام، بل قبلت الدولة من هداه الله إلى الإسلام طائعا مختارا، وقد وجدت نماذج من تشجيع الأندلسيين المسلمين للنصارى على الدخول في الإسلام، أما الذين آثروا البقاء على عقيدتهم فقد ترك لهم ذلك، بل بسطت الدولة حمايتها عليهم، وعلى كنائسهم، ومعتقداتهم، وأسهم أهل الذمة في بناء دولة الإسلام في الأندلس، وتأثروا بالمسلمين^(٤)، فكان من واجبات المحتسب تجاه أهل الذمة مراقبة المسلمين بأن لا يقوموا بأداء أيَّ عمل وتقديم أيَّ خدمة لأهل الذمة فيها العزة والعلو لهم، وفيها الدنو

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل، وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس ص/١٨١-١٨٣

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٣٧

(٣) انظر رسالة في القضاء والحسبة ص/٥٣، الفارسي، خطة الحسبة ص/٣٤، وثائق في شؤون الحسبة

ص/١٨١-١٨٣

(٤) انظر القاضي عيسى بن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تحقيق الدكتور خلاف ص/٤

والخقارة والخساسة للمسلم، فكان واجب المحتسب أن يؤدب من يخالف ذلك^(١)، كما وجدت في الأندلس في بعض الحقب من تاريخها الإسلامي بعض التجاوزات من بعض النصارى ذوي الأهواء والبدع من الإتيان بأفعال تثير المسلمين من التطاول على مقام النبوة بالسب والشتم، وعلى دين الإسلام فكان موقف الدولة القضاء على مثل هذه التجاوزات بما يناسب حالها، ومعالجتها^(٢).

٧ - الإشراف على المساجد:

كذلك من واجبات المحتسب الإشراف على المساجد، فالمسجد في الإسلام له مكانته العظيمة، وبنائها من فمار حضارة الإسلام، فالمجتمع المسلم يحرص على بناء المساجد؛ لأنها قلب المجتمع المسلم، وحياته، فرعايتها وصيانتها، والدفاع عنها ورفع الضرر عنها هي من صميم عمل المحتسب، وعلى المحتسب أن يمنع من دخولها بالفعال، ومنع الباعة من رحاب المسجد، ويؤدب من لم يستجب إلى ذلك، ومنع البيع والشراء داخلها، ولا يترك في رحابها دابة واقفة^(٣)، وهذا عمل عظيم جليل يؤديه محتسب الأندلس.

٨ - الإشراف على الدور:

كان من واجبات المحتسب المولى في الأندلس التي يجب عليه القيام بها ما يتعلق بالدور والإشراف عليها، فكان ينظر في الدور الآيلة للسقوط ويزيل ضررها، ويشرف ويراقب ما يتعلق بمواد البناء من الخشب التي يستخدم في البناء^(٤).

(١) ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ص/٤٨

(٢) انظر الخشنى قضاة قرطبة م.س. ص/١٠٨-١٠٩

(٣) انظر عيسى بن سهل، وثائق في شؤون العمران في الأندلس، تحقيق الدكتور محمد خلاف ص/٨، انظر ابن

عبد الرزوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/٦٩-٧٦-٨٤

(٤) انظر ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٣٤-٣٥

٩ - الإشراف على الرقيق:

كذلك كان المحتسب في الأندلس له دور في ذلك، فيرى وينظر في ذلك، ويمنع من الظلم والجور في حق الرقيق، ويعمل على كشف عيوب النخاسين وخدعهم للناس، وهناك مسائل في هذا المجال نظر المحتسب فيها وعالجها بما يناسبها^(١).

١٠ - الإشراف على الحيوان:

كذلك مما قام به المحتسب الإشراف على الحيوان، وما يتعلق به، والنظر والفصل في المنازعات المتعلقة بمسؤولية صاحب الحيوان أو حارسه عما يحدثه هذا الحيوان من أذى أو ضرر بالغير، وإيذاء الحيوان الذي يهدد حياة الناس، أو يعرضهم لأمراض خطيرة، وهناك مسائل وقضايا نظر المحتسب فيها تتعلق بهذا الخصوص^(٢).

١١ - الإشراف على حل المشكلات:

كذلك وحد من القضايا التي كان للمحتسب فيها حل المشكلات المتعلقة بالأموال الشخصية، كالذي يتعلق بعقد النكاح فيقوم به المحتسب إذا أسند إليه، ويأمر كتاب وثائق النكاح أن يجعلوا الصداق إلى أجل قريب، ويمنع عقد الأنكحة الفاسدة والممنوعة مثل: المتعة، وإن وجد شيء من ذلك فالعقوبة على الزوجين والولي والشهود^(٣).

(١) السقضي، رسالة في آداب الحسبة ص/٤٨-٥٨

(٢) انظر القاضي ابن سهل، وثائق عن شؤون الحسبة في الأندلس، تحقيق محمد خلاف ص/١٠٠، الدكتور

محمد خلاف تاريخ القضاء في الأندلس ص/٤٣٢

(٣) القاضي عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى، باب النكاح، ورقة ٧٣-٨٥

١٢ - الإشراف على النظافة والصحة:

كذلك كان من واجبات المحتسب في الأندلس المحافظة على صحة الرعية، فيراعي المحتسب النظافة العامة في كل شيء، ويلاحظ السقائين، ويراقب أماكن السقاية، ويمنع الدواب من الاقتراب منها^(١)، كل ذلك حماية للمجتمع ورفع الضرر عنه.

١٣ - الإشراف على الآداب المتعلقة بالجنائز:

كذلك للمحتسب أن يعمل على تكريم الموتى، والإشراف على الآداب المتعلقة بالأموات والجنائز من المشي مع الجنائز، وكيفية القبور وهيئتها، والتوريث، ومسائل تتعلق بذلك^(٢)، وقد تطورت ولاية الحسبة حتى أصبحت ولاية عامة لها اختصاص عام يشابه اختصاص قاضي الجماعة في قرطبة^(٣).

والناظر في هذه الولاية المنوطة بالمحتسب في الأندلس يجد أنها شملت جميع نواحي الحياة المختلفة في العقائد، والنواحي الاجتماعية المختلفة مما يدل على أهمية تلك الخطوة، وثقل مسؤولية من يقوم بأدائها، حيث نجد أن الأعمال التي كان يقوم بها المحتسب وزعت في العصر الحاضر على عدة وزارات مثل: وزارة البلديات، ووزارة الشؤون الإسلامية والدعوة، ووزارة الصحة، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وغيرها، وهذا يدل على مسؤولية المحتسب وأهمية عمله وشموله ومدى حاجة المجتمع إلى دوره، وانعكاس عمل المحتسب على المجتمع قوة وضعفا في الشؤون التي تجب عليه ويؤديها.

(١) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٣٢

(٢) انظر ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ص/٧٧

(٣) القاضي عيسى بن سهل، وثائق من شؤون الحسبة في الأندلس، تحقيق الدكتور محمد خلاف ص/١٣

المبحث الثالث

أعوان المحتسب، وسلطته، ومقر عمله

أعوان المحتسب

نظرا لتعدد واجبات المحتسب، ومشقة عمله، وتنوع مجالاته، فإنه لا يستطيع أن يقوم بجميع تلك الأعمال وحده، فلا بد له من أعوان ومساعدين على تلك الأعمال، ويكون أعمالهم تحت إشرافه، وقد بين السقطي ما ينبغي له اتخاذه من احتياطات حيال أعوانه لمتابعة نشاطهم، فعليه أن يتفقدهم، ولا يعين أحدا منهم لشغل معين كوزن الخبز على الخبازين خوفا من رشوتهم^(١)، وعليه مفاجئتهم في أماكنهم، ولا يبيح المحتسب لأعوانه أن يأخذوا شيئا من أحد إلا إن وجدوه ذا دلسة أو صاحب ريبة في صنعة، وعلى المحتسب أن يياشر بنفسه كسر الخبز الفاسد، وإحراق الشيء الفاسد، ولا يكل ذلك لأعوانه، ووضح السقطي طرق تحايلهم في هذه الأشياء^(٢).

وله كذلك أعوان مهرة من وجوه أرباب الصنائع ليطلعوه على ما خفي من أسرار أصحاب الحرف والتجارة حتى لا يخفى عليه أمور السوق لاالكثير ولا القليل، وهؤلاء المساعدون هم المعروفون أو الذين يعرفون في المغرب، وفي المشرق بالعرفاء والأمناء^(٣). فيستعين محتسب الأندلس ببعض العمال لمساعدته في أداء عمله، ويكونون تحت إشرافه، لكن صلاحياتهم محدودة، فلا يقوم بإنزال العقوبة على المخالف بل يتول ذلك المحسب، وهذا من باب العدل، والبعد عن الشبه.

كما يستعين المحتسب بمن يثق بهم من أرباب الحرف من أهل السوق ليطلعوه على خفايا وأسرار المخالفين التي قد تخفى على المحتسب وأهوانه.

وبهذا التنظيم الإداري يصبح أداء العمل منضبطا وناجحا، ومفيدا للمجتمع، ومن خلال هذا التنظيم لاختيار المساعدين تظهر صورة الحسبة، وما وصلت إليه من التطوير والتنظيم، مما يشير ويدل على الاهتمام بها في الأندلس، حتى وصل الأمر أن تدرس قوانينها وآدابها، وأصبح لها علماء تتلقى منهم تلك القضايا في الاحتساب.

(١) انظر السقطي في آداب الحسبة ص/٩.

(٢) انظر السقطي، آداب الحسبة ص/١٠.

(٣) انظر عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة ص/٣١.

ويقول المقرئ: (ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها، ويتدارسونها كما تدارس أحكام الفقه، لأنها كلها تدخل في جميع المبتعات، وتتفرع إلى ما يطول ذكره)^(١). وهذا مما يؤكد ويدل على أهمية الحسبة في الأندلس، فنظراً لتعدد مجالات الاحتساب في الأندلس كما مرَّ سابقاً، مما يجعل القيام بأداء واجب تلك الخطة شاقاً وصعباً على محتسب منفرد، فلا بد من وجود الأعوان والمساعدين، فتواجههم بجواره بمثابة الأيدي المساعدة له، والأعين الناضرة لتصرفات أهل السوق، والناس عامة، ويكون مع المحتسب أثناء قيامه بجولات التفتيش والرقابة على الأسواق.

يقول المقرئ: (والعادة فيه - أي: المحتسب - أن يمشي بنفسه راكباً على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان؛ لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربح من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبي الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتياه به من السوق مع الحاذق في معرفة الأوزان، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة سعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدد له المحتسب في الورقة، ولا تكاد تخفى خيائته، فإن المحتسب يدس عليه صبياً أو جارية يبتاع أحدهما منه، ثم يختبر الوزن المحتسب، فإن وجد نقصاً قاص على ذلك حاله مع الناس، فلا تسأل عما يلقي، وإن كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب، والتجريس في الأسواق ينفي من البلد)^(٢).

وهذه صورة واضحة أوردتها المقرئ لبيان الحسبة في الأندلس، وأهمية المحتسب فيها، وطريقة كشف المخالف، والعقوبة التي ينزلها به المحتسب.

وللمحتسب الإشراف والمتابعة والرقابة الدقيقة لما يقوم به أولئك الأعوان؛ حتى لا يتمكن من له رغبة في مصلحة ما ليساعد غاشياً أو يتستر على مدلس، أو يأخذ رشوة فبهذا يضمن المحتسب قيامه بأداء عمله على الوجه الأكمل دون أن يكون لأولئك الأعوان أدنى نفوذ يذكر من شأنه إخراج تنفيذ تلك الخطة عن هدفها الأساسي، وقد وجد في الأندلس علماء متخصصون في تدريس تلك القضايا مثل:

(١) نفع الطيب ٢١٩/١

(٢) نفع الطيب ٢١٠-٢٠٩/١

- ١ - علي بن محمد العطار المتوفى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م^(١).
- ٢ - والفقيه محمد بن فضيل بن هذيل الحداد، كان مفتي السوق بقرطبة توفي سنة ٣٢٦هـ/٩٣٩م^(٢).
- ٣ - و يوسف بن سمّال الذهان القرطبي، كان مفتيا في السوق بقرطبة، وتوفي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(٣).
- ٤ - ومحمد بن يحيى بن خليل اللحمي الخباب القرطبي، كان مفتيا في السوق بقرطبة، ويجتمع إليه في المناظرة في الجامع، توفي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٤م، وقيل: سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م^(٤).
- ٥ - وأحمد بن هلال بن زيد العطار القرطبي توفي سنة ٣٦٤هـ/٩٥٧م وكان مفتي السوق بقرطبة^(٥).
- ٦ - والفقيه محمد بن موسى بن مفلس من أهل طليطلة، وكان مفتي أهل السوق بها، وتوفي في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٦)، وكان قاضي الجماعة بقرطبة ينسب أحيانا من يخلفه على السوق في الأمور التي قد يحتاج إليها القاضي، فقد خلف الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب المتوفى سنة ٤٠١هـ/١٠١١م قاضيه منذر بن سعيد^(٧).

(١) انظر ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس رقم الترجمة ٩١٤، الدكتور محمد خلاف تاريخ القضاة في الأندلس ٣٩١

(٢) انظر ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس ٩٤٠/٢، رقم الترجمة ١٢١٧، القاضي عباس، ترتيب المدارك ٤١١/٤

(٣) ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس تحقيق إبراهيم الأبياري ط ١ (لبنان بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ٦٩٩/٢، رقم الترجمة ١٦٢٨، القاضي عباس، ترتيب المدارك ٤٣٩/٤

(٤) ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس ٧٤٣/٢، رقم الترجمة ١٣٨، القاضي عباس، ترتيب المدارك ٤٦٤/٤

(٥) ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس ١١/١، رقم الترجمة ١٤٨، القاضي عباس، ترتيب المدارك ٥٦٠/٤

(٦) ابن بشكوال، كتاب الصلة (مصر، اندار المصرية للناليف والترجمة ١٩٦٦م) ٥٠٨/٢، رقم الترجمة ١١٠٧

(٧) ابن بشكوال، الصلة رقم ٣٩

قال الدكتور محمد خلاف: (وتلك الخطة - أي: خطة الإفتاء - كانت تحت رقابة المحتسب يعين شاغلها، وله رزقه من بيت المال، واختصاصاته تتضح جلية من اسم شاغلها مفتي السوق ويعاون المحتسب في شتى المجالات التي تحتاج إلى حكم الشرع في البيع والشراء، والمنكرات، وكتابة العقود، وغير ذلك من الأمور التي تحدث في الأسواق، وينوب عن صاحب السوق فيها، وخاصة في مجال الإفتاء).

وهذه الخطة ليست وليدة عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر كما ذكر الأستاذ عبد الرحمن الفاسي في دراسته عن خطة الحسبة^(١)، وإنما هي موجودة من قبل ذلك^(٢)، وهذا يدل على اعتناء الأندلسيين بالحسبة ونظامها وأهميتها عند تلك الأمة.

سلطة المحتسب:

اغتسب له سلطة دينية عظيمة، وخطته إحدى الخطط الدينية في الأندلس التي بها يحفظ الملك^(٣)، ولا شك أن للمحتسب سلطة قضائية تنفيذية، وهو يستخدم تلك السلطة المخولة له في كل ما يعرض له من الأمور المتقدمة كذلك.

والحسبة تشترك مع القضاء في وجوه، وتختلف معها في وجوه أخرى، ذكرها أهل الاختصاص^(٤)، فالاحتساب أخو القضاء، والمحتسب لسان القاضي، وحاجبه ووزيره، وخليفته، وإن اعتذر القاضي فالمحتسب يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته^(٥)، وعلى القاضي إنصافه والوقوف بجانبه، وعليه أن يحميه، ويشد من أزره، ويمضي أحكامه، ولا يعكس عليه أمراً، ولا يسلمه ويمنع عليه من جهوده^(٦)، ومن أبرز سلطات المحتسب ما يلي:

١ - التفتيش على الأسواق:

(١) انظر عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة ص/٧١

(٢) الدكتور محمد خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس ص/٣٩٠

(٣) انظر عبد الرحمن بن علدون، المقدمة ص/٢٢

(٤) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية ص/٣٩٢-٣٩٣

(٥) ابن علدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٢٠

(٦) انظر ابن علدون رسالة في القضاء والحسبة ص/٢٠

ومن سلطته المخولة له التفتيش على الغش في الأسواق، وقد قام بها المحتسب في الأندلس في هيئة مهيبة مع أعوانه لكشف منكرات الأسواق، وإذا احتاج الأمر فيفتش ما يظن فيه الغش؛ لكشفه لينال الغاش جزاءه وعقوبته، وليحمل الناس على المصالح العامة^(١). قال المقرئ: (والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكبا على الأسواق، وأعوانه معه)^(٢).

٢ - إنزال العقوبة

ومن سلطاته إنزال العقوبة بالمستحق لها من أهل الغش والتدليس على الناس، ويكون ذلك بالتدرج فأولها الإنكار والإغلاظ في القول، ثم التهديد والزجر، ثم الضرب، والتجريس به، والطواف به في البلد للتشهير به، فإن عاد نفى من البلد.

قال المقرئ: (ثم يختبر الوزن المحتسب فإن وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقي وإن كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب، والتجريس في الأسواق نفى من البلد)^(٣).

٣ - الضرب الكثير

ومن سلطته الضرب الكثير، فقد جاء في ترجمة سعيد بن السليم المتوفى سنة ٣٠٢ هـ/٩١٤ م، أنه قد ظهرت منه صرامة عند ما تولى خطة السوق أنبسته مهابة، وقد رفض تلبية رغبة خصي المطرف ابن الأمير عبد الله في أمر اعتيره صاحب السوق مخالفا مما جعل الخصي يغلظ له القول، بل يسبه، فما كان من صاحب السوق إلا أنه أمر بضربه مائتي سوط وإرساله إلى السجن، وخاطب الأمير بشأنه، فاستحسن الأمير فعله^(٤).

(١) انظر ابن خلدون، المقدمة ص/٢٢٥

(٢) المقرئ، نفع الطيب ٢٠٩/١

(٣) نفع الطيب ٢٠٩/١

(٤) انظر ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر أنطونيا ص/٥

ومن سلطته الشدة العظيمة في العقوبة التي تصل إلى حد القتل، مما يعدُّ خروجاً عن سنن القضاء، فقد جاء أن الفقيه حسين بن عاصم المتوفى سنة/٢٦٣هـ/٨٧٧م، ولي السوق أيام الأمير محمد، وكان شديداً على أهلها مما تسبب في عزله^(١).

وتصرف في خطة السوق - أيضاً - ابنه إبراهيم المتوفى سنة/٢٥٦هـ/٨٧٠م، أيام الأمير محمد، وبلغ في الشدة مبلغاً حاد فيه عن سنن القضاء^(٢)، وقد تصل هذه الشدة إلى القتل والتنفيذ من قبل المحتسب مما يشير إلى الخروج عن سلطته.

يقول الدكتور محمد خلاف معللاً تلك الشدة: (وترجع شدة إبراهيم بن حسين إلى الظروف الاقتصادية التي حدثت في عهد الأمير محمد فقد حدثت في أيامه مجاعة شديدة، كثر فيها التطاول من الفسقة، وكثرت الشكوى إلى الأمير، وكثر عليه من الحكام استطلاع رأيه في الصلب، والقطع، وما أشبهه فوُلِّيَ السوق حينئذ وأمره الأمير بالاجتهاد وعهد إليه بالتحفظ، وأذن له بالتنفيذ في القطع، والصلب، بلا أوامر منه، ولا استئذان، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق، فإذا أتى بالفساد قال لكاتبه اكتب وصيته، ودعاه له بشيوخ فأشهدهم على ما يوصي به ثم صلبه ونحره^(٣)).

ولعل هذا الخروج الشديد الذي هو أقصى ما رأيت من سلطة المحتسب في الأندلس، وقع بتفويض من الأمير للمحتسب لمصلحة عليا رآها، فكان المحتسب يعمل بذلك التفويض لإصلاح ما يراه من فساد في المجتمع في الناحية الاقتصادية، وهذا والله أعلم

(١) انظر ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس ٢٠٦/١: رقم الترجمة ٣٤٩، القاصي عياض، ترتيب المدارك

٢٩/٣

(٢) انظر القاصي عياض، ترتيب المدارك ٢٩/٣-٣٠، وانظر ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس ٢٤/١. رقم الترجمة ٣

(٣) انظر الخشني، قضاة قرطبة ص/١٠٣، الدكتور محمد خلاف، تاريخ القضاء ٣٨٦

مقر عمل المحتسب:

اغتسب المولى أو "صاحب السوق" كما عرف في الأندلس عمله الرئيس في الأسواق، ولذلك يكون محله في وسط السوق، ويجري فيه أحكامه^(١)؛ ليكون قريبا من ميدان عمله، وأحيانا يقوم بجولة ميدانية داخل السوق يراقب فيها عمل أهل السوق وتصرفاتهم، فيضبط الغاش ويعاقبه بما يستحق، فينهض من مجلسه ومعه أعوانه في موكب يسير خوفا الغاشين المدلسين فيعطيه ذلك مهابة، فيخشاه أهل السوق فيتركون المنكر في المعاملات كما ذكر ذلك المقرئ^(٢)، وغالبا يكون ذلك المجلس قريبا من المسجد الجامع حيث تكون الأسواق غالبا قريبة من المسجد الجامع، فالمسجد الجامع غالبا ما يكون في وسط المدينة.

(١) ابن حبان، المقنيس في تاريخ الأندلس، نشر أنطونيا ص/٥

(٢) انظر المقرئ، نفح الطيب ٢/٢١٨-٢١٩

المبحث الرابع

علاقة الحسبة بالولايات الأخرى في الأندلس

- المطلب الأول: علاقة الحسبة بالقضاء
- المطلب الثاني: علاقة الحسبة بالشرطة
- المطلب الثالث: علاقة الحسبة بغيرها من الخطط والولايات الأخرى

توطئة:

الولايات والوظائف في الدولة الإسلامية ليس بينهما فاصل في الأعمال؛ لأنه لا حدود بينها أصلاً في الشرع، ولأن أهدافها ومقاصدها جميعاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن إقامة هذه الشعيرة ليست مسؤولية ولاية دون ولاية أخرى إنما هي مسؤولية مشتركة تتحقق بتعاون الولايات كافة في الدولة الإسلامية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: - رحمه الله - (وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى مثل: نيابة السلطنة، والصغرى: مثل ولاية الشرطة، أو ولاية المال وهي: ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة)^(١).

ومما يشير إلى عدم وجود فاصل بين الولايات هو: أن أعمال الولاية ووظائفها واختصاصاتها يختلف باختلاف العرف والأحوال والألفاظ التي يتلقاها صاحب الولاية من ولي الأمر، وليس لذلك حد في الشرع، كما أن المتبع للولايات يجد أن هناك من جمع بين ولايتين أو أكثر - كالقضاء والحسبة، أو الحسبة والشرطة - في ولاية واحدة، وهذا الجمع بين الولايات أمر قديم يعود إلى القرن الأول الهجري^(٢).

علاقة الحسبة بالقضاء

المتبع للخطط الدينية في الأندلس والحسبة إحداها يجد أن هناك علاقة وثيقة بين تلك الولايات، فكل منها يكمل الخطة الأخرى؛ لأن اهدف واحد كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية سابقاً.

(١) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام ص/١٣

(٢) انظر ابن نوري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط/بدون (مصر المؤسسة المصرية العامة للتأليف) بدون تاريخ ١٦٥/١، وابن خلدون تاريخ ابن خلدون ط/بدون (بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات) ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ١٤٠/٣، والكندي تاريخ ولاية مصر، ص/٥١-٥٢

يقول السقطي: (إنها — أي: الحسبة — وسيلة بين خطة القضاء وخطة النظام تجاذبهما في وجوه وتشاركهما وثمانتهما في أمور وتشابكهما فتجمع بين نظر شرعي وزجر سلطاني موقوفة على هيئة متقلدها، وتنفيذ الحقوق المعترف بها، وكان خلفاء الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم مصلحتها وعظم ثواب الله عليها^(١)).

وقد سبق السقطي الماردي في بيان هذه العلاقة بين القضاء والحسبة، إذ بين أن العلاقة بينهما تتحدد من خلال ثلاثة وجوه، قال: (إن الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام النظام، فأما ما بينهما وبين القضاء فهي: موافقة لأحكام القضاء من وجهين، ومقصورة عنه من وجهين، وزائدة عليه من وجهين...)^(٢).

ومن صور العلاقة بين الحسبة والقضاء في الأندلس ما يلي:

١ — أن الحسبة خادمة لمنصب القضاء، يقول ابن خلدون عن الحسبة: (إنها خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الإسلامية العبيدين بمصر والمغرب، والأمويين في الأندلس داخلة في ولاية القاضي)^(٣).

٢ — أن القاضي يقوم بتولية المحتسب أو يعينه، فقد ولي القاضي منذر بن سعيد البلوطي أحمد بن محمد بن أحمد بن سعد بن حباب الأموي على السوق، وقد توفي سنة ٤٠١ هـ^(٤)، أو يشير بذلك على الأمير، بل يرى ابن عبدون أن تعيينه وعزله من اختصاص القاضي بعد موافقة ولي الأمر^(٥).

٣ — يقوم القاضي مقام المحتسب في مهامه وتكاليفه، وقد وجد في الأندلس من باشر القيام بأعمال المحتسب، إما لعدم وجود المحتسب المولى في البلد، أو قام بذلك تطوعاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل القاضي معاذ بن عثمان الشعباني كان قاضياً

(١) السقطي آداب الحسبة ص/٢

(٢) الماردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (بيروت دار الكتاب العربي) تاريخ بدون ص/٣٩٢-٣٩٣

(٣) ابن خلدون، المقدمة ص/٢٢٦

(٤) ابن بشكوال، الصلة رقم ٣٩

(٥) انظر، ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ص/٢٠، والنبامي، تاريخ قضاة الأندلس ص/٥٠

ط/بدون (بيروت دار الآفاق الجديدة) ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م

بقرطبة سنة/٢٣٢هـ وفي ذلك التاريخ كان على سوق قرطبة إبراهيم ابن حسين بن خالد وفيه فسخ معاذ بن عثمان حكم إبراهيم عن بني قتيبة في الخوانيت التي هدمها عليهم إبراهيم حيث خالف إبراهيم فقهاء زمانه في ذلك^(١).

٤ - قيام المختسب بمهام القاضي، وقد وجد في الأندلس من قام بذلك إما لعدم وجود القاضي أو أن تلك القضايا التي حكم فيها من القضايا التي يكون القضاء فيها للمختسب.

(١) انظر الخشنى قضاة قرطبة ص/٨٦-٨٧، النباهي تاريخ قضاة الأندلس ص/٥٥

المطلب الثاني

علاقة الحسبة بالشرطة

- علاقة الحسبة بالشرطة
- توطئة في تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً
- استحداث خطة الشرطة في الأندلس وتطورها
- اختصاصات صاحب الشرطة في الأندلس
- أوجه الاشتراك بين صاحب الشرطة والمحتسب
- حسنات المزج بين الخطتين
- بعض من جمع بين الخطتين في الأندلس

تعريف الشرطة لغة واصطلاحاً

تعريفها لغة:

الشرطة في اللغة: نسبة إلى العلامة يقال: أشرط فلان نفسه لكذا وكذا أي: أعلمها له وأعدّها، ومنه سمي الشرط؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها^(١).
تعريفها اصطلاحاً:

وعرفت الشرطة في الاصطلاح بأنها: الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين، وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وطمأنينتهم^(٢).
وقيل: هي الهيئة النظامية المكلفة بحفظ الأمن والنظام وتنفيذ أمر الدولة وأنظمتها^(٣)، ونظراً لأهمية هذا الهدف فقد أصبحت الشرطة ولاية من ولايات الدولة الإسلامية.

استحداث خطة الشرطة في الأندلس، وتطورها

نظراً لما بين الحسبة والشرطة من علاقة في الأهداف والمقاصد فإن هاتين الوظيفتين كثيراً ما جمعا لشخص واحد وهذا ما كان في الأندلس، بل إن الأمير عبد الرحمن الأوسط هو الذي استحدث الشرطة واقتطع اختصاصاتها من خطة السوق التي كانت تسمى في عهده أحكام السوق والتي عرفت فيما بعد بالحسبة^(٤).
ثم عظمت الشرطة في الأندلس وتعددت أنواعها، يقول ابن خلدون وهو يتحدث عن خطة الشرطة: (ثم عظمت نباهتها في دولة بني أمية بالأندلس وتنوعت إلى شرطة

(١) انظر ابن منظور لسان العرب مادة (شرط) ٣٢٩/٧

(٢) انظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السيامي والديني والثقافي والاجتماعي، ط/بدون ١٧١/١

(٣) انظر محمود السباني، إدارة الشرطة في الدولة الحديثة ط/بدون ١٠٩/١

(٤) انظر مصطفى الحروس، المدرسة المالكية الأندلسية ط/بدون (المغرب مطبعة فضالة

كبرى، وشرطة صغرى، وجعل حكم الكبرى على الخاصة والاهمياء، وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلمات وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه، وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامه، ونُصِبَ لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ورجال يتبؤون المقاعد بين يديه فلا يمرحون عنها إلا في تصريفه، وكانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة^(١).

كما جعل عمل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامه، وهذه الأعمال التي أنيطت بصاحب الشرطة هي هدف المحتسب ومقصده، ويسعى لتحقيقها دائما.

اختصاصات صاحب الشرطة في الأندلس

كان من اختصاصات صاحب الشرطة النظر في جميع أنواع الجرائم وإقامة الحدود الثابتة في محلها، وبحكم في القود والقصاص وقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة^(٢)، وكان يسمى صاحبها في دولة أهل الأندلس صاحب المدينة، وصاحب الليل.

يقول المقرئ: (وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل، وإذا كان صاحب الشرطة عظيم القدر عند السلطان كان القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان، وذلك قليل، ولا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم، وهو الذي يجد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه، قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي، وكانت خطة القاضي أوفر وأتقى عندهم من ذلك)^(٣). وهذا النص يدل على ما كان يسمى به الشرط في الأندلس، ويدل كذلك على أهمية وعظم قدر صاحب الشرطة وأنه ملزم بمعرفة الأحكام الشرعية لأهميته.

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ٢٦٦/١

(٢) انظر ابن خلدون مقدمة ابن خلدون ١٦٦/١

(٣) انظر المقرئ نفع الطبيب ٢٠٩/١

أوجه الاشتراك بين صاحب الشرطة والمحتسب في الأندلس

يشارك صاحب الشرطة مع المحتسب في وحدة الهدف والمقصد والصفات التي ينبغي أن تتوفر في كل منهما مثل: الفقه والورع وأن يكون القصد هو تحقيق مقاصد الإسلام في المجتمع مستشعرا عند قيامهما بأداء هذه الوظيفة خوف الله تبارك وتعالى والرجوع إليه متذكرا قوله جل وعلا ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(١)، ويدل على هذا المعنى ما جاء في ظهور تعيين صاحب الشرطة في الأندلس^(٢)؛ ولذا كانت الشرطة والحسبة تجمعان في يد رجل واحد نظرا لما بينهما من علاقة.

حسنات المزج بين الخطتين:

من حسنات المزج بين الخطتين أنه يساعد على تنفيذ الأحكام في وقتها وعدم التماطل والتأخير ورد المظالم إلى أصحابها في حينها، وهذا ما اشتهر به الفقهاء المالكية.

بعض من جمع بين الخطتين في الأندلس:

١- أبو عبد الله محمد بن خالد بن مرتيل توفي سنة ٢٢٠هـ من أهل قرطبة فقيه مالكي، وصف بالورع، والعقل، والنباهة، جمع بين الشرطة والسوق^(٣)، قال محمد بن حارث الخشني في ترجمته: (كان قد ولي الصلاة، والشرطة، والسوق، وكان غاية في الصلابة)^(٤)، قال الصديقي: ^(٥) (قيل: إنه كان يخطب عند باب المقصورة من خارج

(١) سورة الانظار الآية/١٩

(٢) انظر لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٥١/٤-٢٥٢-٢٥٣

(٣) انظر محمد بن حارث الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس ١/١٦٦، ابن القرضي، تاريخ علماء

الأندلس ٢/٦٣٢

(٤) انظر الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس ١/١٦٦

(٥) هو: عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد الصديقي أبو المظفر، فاضل من أهل طليطة من كبة "عشرة النساء"، ولد

سنة ٣٢٧هـ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ، انظر الأعلام ٣/٣١٦

وبيده عصا وكان صلبا في أحكامه ورعا فاضلا لا تأخذه في الله لومة لائم فحمدت سيرته ولم يزل على وتيرة إلى أن توفي؛ وكان ينفذ حكمه على أصحاب السلطان^(١).

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن عاصم توفي سنة/٢٥٦هـ، من أهل قرطبة تولى أبوه خطة السوق للأمير محمد، وتولى إبراهيم أحكام الشرطة والسوق للأمير محمد أيضا، قال القاضي عياض: (فقلب على أهل الشر وقتل وصلب كثيرا بلا مشاورة سلطان ولا فقيه، قصد بذلك التشديد على الجماعة لما كثر من تطاول أهل الشر، وكثر عليه من الحكام استطلاع رأيه في الصلب والنقطع وشبهه فولاه السوق وعهد إليه التحفظ وأذن له في العقوبات بلا مؤامرة)^(٢).

٣- أبو عبد الله محمد بن حارث بن أبي سعيد توفي سنة/٢٦٠هـ عده القاضي عياض من أعلام الفقه المالكي بالأندلس تولى خطة الشرطة الصغرى بعد وفاة أبيه فورث عنه العلم وفن الولاية، قال ابن الفرصي: (ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أحكام الشرطة الصغرى التي كانت بيد أبيه وكان شديدا على العصاة، ثم مات عبد الرحمن الحكم، وولي الأمير فأقره على الشرطة وولاه السوق فلم يزل عليها إلى أن مات)^(٣).

٤- عبد الله بن حسين بن عاصم، قال ابن حيان: (تصرف عبد الله بن حسين هذا للأمير محمد في أعمال رفيعة من ولاية الخزائنة والشرطة والحسبة المعروفة عندنا بولاية السوق، وكان عسوقا فيها متمردا على الغاشين من التجار والصناع، له في ذلك أخبار معروفة)^(٤).

(١) القاضي، المدارك ١١٧/٤

(٢) ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس ٣٤/١، أبو عبد الله محمد الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ١٣٨/١، القاضي عياض ترتيب المدارك ٢٥٤/٤

(٣) انظر ابن الفرصي تاريخ علماء الأندلس ٦٣٢/٢

(٤) أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق الدكتور محمد علي مكي ط/بدون (بيروت دار الكتب العربي لبنان) ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م ص ١٨٦

٥- أبو العباس أحمد بن بونس الجذامي المعروف بالحراني ولاء هشام المؤيد خطة الشرطة والسوق^(١).

٦- أبو علي حسن بن محمد بن ذكوان القرطبي شغل أحكام الشرطة والسوق لأبي الوليد بن جهور ثم رقى إلى ولاية القضاء توفي سنة/٤٥١هـ/١٠٥٩م^(٢).

٧- محمد بن محمد بن إبراهيم سعيد القيسي المتوفى سنة/٤٣٢هـ/١٠٤١م، تولى أحكام السوق والشرطة، ولي القضاء "بمدينة سام"^(٣) ثم أحكام الشرطة والسوق بقرطبة، وكان ما أهل الصرامة في أحكامه^(٤).

٨- عبد الرحمن بن مخلد بن عبد الرحمن أبو الوليد بن جهور، ولي على خطتي الشرطة والسوق إلى أن توفي سنة/٤٣٦هـ^(٥).

٩- محمد بن المكّي بن أبي طالب المتوفى سنة/٤٧٤هـ تولى خطة السوق والشرطة مضافا إليهما رعاية شؤون الأحباس^(٦).

١٠- عبد المنعم بن محمد الخزرجي الغرناطي المتوفى سنة/٥٩٠هـ المعروف بابن فرس جمع له النظر في الحسبة والشرطة كما تولى القضاء في عدة مدن^(٧).

١١- محمد بن الليث بن حريش تولى خطتي الشرطة والسوق بقرطبة ذكره ابن سهل، توفي بعد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي^(٨).

(١) الفاسي خطة الحسبة ص/٧٢، ابن بشكوال الصلة ص/١٣٨، ابن الأبار التكملة ص/١٨

(٢) الفاسي خطة الحسبة ص/٧٢، ابن بشكوال الصلة ص/٣٤٨

(٣) مدينة بالأندلس تنصل بأعمال باروشة، وكانت من أعظم المدن وأشرفها وأكثرها أشجارا وماء، وكان طارق لما افتتح

الأندلس أنقاما خرابا، فعمرت في الإسلام، وهي الآن بيد الإفرنج ياقوت الحموي معظم البلدان ١٧٣/٣

(٤) الفاسي، خطة الحسبة ص/٧٢

(٥) الفاسي خطة الحسبة ص/٧٢

(٦) الفاسي خطة الحسبة ص/٧٢، والصلة رقم ١٢١٠

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس ص/١٠٩، ابن الزبير صلة الصلة القسم الأخير ص/١٧

(٨) د/محمد خلاف تاريخ القضاء في الأندلس ص/٣٨٩

١٢- أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن حدير لقب بالوزير صاحب أحكام الشرطة والسوق توفي سنة/٤١٤هـ ذكره ابن حيان^(١).

١٣- يحيى بن عبد الله بن يونس المرادي القرطبي كان واليا على الشرطة والسوق وسكة عبد الرحمن بن محمد الناصر توفي سنة/٣٢٦هـ^(٢).

١٤- أحمد بن نصر بن خالد أبو عمر القرطبي تولى أحكام الشرطة والسوق وقضاء قرى جيان^(٣)، وكان معلما لأمر المؤمنين المؤيد بالله توفي سنة/٣٧٠هـ^(٤).

وقد جمع أحمد بن نصر بين ثلاث خطط وهي: الشرطة، والسوق، والقضاء، وهذا يدل على اهتمام الأندلسيين بخطة الحسبة، وأنها تجمع أحيانا لبعض الولايات الأخرى نظرا لما بينهما من علاقة، ولما في ذلك من فائدة للخطتين إذا وجد الرجل الكفء للقيام بتلك المهمة.

المطلب الثالث: علاقة الحسبة بغيرها من الخطط والولايات الأخرى

تمدنا المصادر وكتب التراجم الأندلسية بأسماء بعض من تولى الحسبة مضافة إلى غيرها من الخطط غير القضاء والشرطة، وكان والي الحسبة قد اشترك مع غيره من الولاة مما يدل على توسع مجاله، وذلك في بعض الفترات نتيجة رأي رآه ولي الأمر أو مصلحة دعت الحاجة إليها لصالح عامة الأمة.

ومن هذه الخطط التي وجدت العلاقة بينها وبين والي الحسبة خطة الشورى^(٥).

(١) انظر الصلة رقم الترجمة/١٠٩٩، محمد خلاف تاريخ القضاء ص/٣٩٠

(٢) ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/٢٧٣٧

(٣) بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تنصل بكورة البيرة، بينهما بين قرطبة سبعة

عشر فرسخا، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة. باقرت الحموي معجم البلدان ٢/١٩٥

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٦٨

(٥) انظر تبصرة الحكام ١/٧٤-٧٥

وقد تولى الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن سيد أبيه من أهل قبيرة
خطة الشورى وأحكام السوق بقرطبة، ثم شغل في الدولة اللمتونية خطة القضاء والصلاة
والخطة بغرناطة، ثم توفي في قرطبة سنة/٤٨٩هـ/١٠٩٦م^(١).

كما أن سليمان بن يحيى بن سليمان بن بدر القيسي الإشبيلي أبو عمر المتوفي
سنة/٦٤٦هـ قد ولى الشورى وخطة السوق مرات عديدة وكان في آخر أيامه يدرس
الفقه^(٢)، وكذلك خطة تغيير المنكر التي كانت داخلة تحت سلطة صاحب السوق إذ هي
نصيقة به، وعمله يهدف إليها، فلما دعت الحاجة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى
تعزيز هذه الخطة لمحاربة منكرات العقيدة وحماية المجتمع الأندلسي من خطر التشيع الذي
ظهر حيث أخذ الفاطميون في مصر يحاولون إدخال عقيدة الشيعة إلى الأندلس ونشرها
فيها؛ لهذا قام الخليفة الناصر إلى إحداث هذه الخطة وفصلها عن صاحب السوق وولى
حسن بن أحمد بن عاصم المتوفي سنة/٣٢٦هـ على تلك الخطة^(٣).

كما أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال الشهير بابن القطان القرطبي
كان فقيهاً وكان ينكر المناكير ويكسر آلات اللهو توفي - رحمه الله - سنة/٤٥٠هـ^(٤)،
وكان صاحب السوق يجمع إلى ولاية السوق النظر في الأحكام في بلده فقد كان واجب
بن عمر بن واجب القيسي أبو محمد البلسي متولياً بخطة السوق والنظر في الأحكام في
بلده وبقي على ذلك إلى أن توفي قبل سنة/٤٩٠هـ^(٥).

كما وجد في الأندلس وظيفة الافتاء في السوق، وهي: وظيفة نشأت داخل ولاية
السوق، وهي خادمة لها ويقوم صاحب السوق بتعيينه ليساعده ويعاونه، ومجلسه يكون
داخل السوق أو في السوق ليكون قريباً من المستفتين، ولا بد أن يكون صاحبها على علم

(١) انظر ابن الأبار، التكملة، ترجمة رقم/١٥٦٥، د/عبد علاف، تاريخ القضاء ص/٣٩٠.

(٢) ابن الأبار التكملة برقم/١٩٩٣.

(٣) انظر القاسي خطة الحسبة ص/٧٠.

(٤) انظر ابن بشكوال الصلة رقم/٩١.

(٥) ابن الأبار، التكملة رقم/٢٧٣١.

وفقه لتكون فتواه محققة لأهداف وظيفته، فوجود هذه الوظيفة يدل على ضبط وتنظيم ولاية السوق ومنتهى الارتقاء بها، وأن لأهل السوق مرجعية شرعية قريبة منهم، ومن تولى هذه الوظيفة:

١ - الفقيه علي بن محمد العطار القرطبي الذي تولى الإفتاء في سوق قرطبة حتى توفي سنة ٣٠٦هـ^(١).

٢ - محمد بن فيصل بن الحداد أبو عبد الله القرطبي الذي تولى الإفتاء لأهل السوق في قرطبة حتى توفي سنة ٣٢٧هـ^(٢).

٣ - أحمد بن محمد بن زكريا بن الوليد القرطبي كان يجمع حوله أهل الحسبة عند ما كان يفتي وتوفي سنة ٣٦٢هـ^(٣).

ويدل هذا على وجود وظيفة الحسبة وأنها معروفة في الأندلس في القرن الرابع بهذا المصطلح، وأن أهلها يجتمعون عند أهل الفتوى طلباً للعلم ورغبة في معرفة مسائل الاحتساب، كما أن الجمع بين ولاية السوق وغيرها قد وجد في الأندلس حتى في آخر عصورها، فهذا أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي تولى حسبة السوق والشرطة والقضاء، وكان صابراً شديداً قوياً متوكلاً على الله، وبقي في هذه المناصب ينظر فيها كلها حتى وفاة السلطان الغالب بالله سنة ٦٧١هـ، وقد توفي أبو بكر سنة ٦٩٧هـ^(٤).

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/٩١٦

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٢١٩

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٦٢

(٤) النباهي، المراقبة العليا ص/١٢٥

الفصل الثاني

مجالات الاحتساب النظري، وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: الاحتساب في مجال العقيدة:

المبحث الثاني: الاحتساب في مجال العبادة:

المبحث الثالث: الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب:

المبحث الرابع: الاحتساب في مجال العلم والتعليم

المبحث الخامس: الاحتساب على الأمراء والحكام

المبحث الأول

الاحتساب في مجال العقيدة:

- التمهيد:
- العقيدة في الأندلس
- البدع والإلحاد في الأندلس
- احتساب العلماء في تقرير عقيدة أهل السنة في أهل البدع
- الاحتفال بعيد السنة
- فتوى الإمام الشاطبي في البدع والإلحاد

التمهيد

إن العقيدة الصحيحة هي الأساس والمرتكز للدين الإسلامي الحنيف، وهي الأصل الذي ينبنى عليه بقية شرائع الدين، فإذا صلحت صلح ما بعدها، وقد أرسل الله جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للدعوة إلى هذا الأصل العظيم وتخليص العقيدة من الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢)، فكل الأنبياء دعوا إلى هذا وأمروا به، وقد اهتم الإسلام بهذا الأصل اهتماما عظيما، ولذا بقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مكة المكرمة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما يدعو إلى عقيدة التوحيد، وينشرها بين الناس، وهو قدوة المحتسبين، ولذلك نجد العلماء والدعاة من سلفنا الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - يولون العقيدة الاهتمام الأكبر ويجتهدون في نشرها وبيان ما يضادها وينافيها أو يعترضها^(٣) ويدفعون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين لتبقى نقية سليمة صافية تصل إلى الأجيال القادمة غضة طرية كما وصلت إليهم - رضوان الله تعالى عليهم - وهذا ديدن العلماء والدعاة والمحتسبين في مشارق الأرض ومغاربها.

وما شرع الجهاد، وأمر به في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، إلا لتحقيق هذا الهدف النبيل، وهو إخراج الناس من ظلمات الشرك والجهل، وإدخالهم إلى نور الإسلام وعدله، فمن أهداف الفتوحات الإسلامية نشر هذه العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل - عليه الصلاة والسلام - ومن تلك الفتوحات العظيمة فتح الأندلس، فالفاتحون الأوائل لتلك الديار هم في الحقيقة محتسبون لنشر عقيدة التوحيد^(٤).

(١) سورة النحل الآية/٣٦

(٢) سورة الأنبياء الآية/٢٥

(٣) الإمام مالك موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ط ٧ (بيروت دار انقائس ١٤٠٤هـ/١٩٨٦م)

ص/٦٤٨ وما بعدها

(٤) انظر د/عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي م.س. ص/٢٣-٤٣-٤٩

وقد تم فتح الأندلس في عهد مبكر، وكان من الفاتحين لها جملة من التابعين قد سبق ذكرهم^(١)، ومما لا شك فيه أنه قد كان لهم دور بارز في نشر العقيدة الإسلامية والدعوة إليها وتعليمها للناس كما تلقوها من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - صافية نقية.

العقيدة في الأندلس

مما لا شك فيه أن لدخول الإسلام المبكر إلى الأندلس، وبجهود من التابعين الذين تتلمذوا على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دورا عظيما في نشر العقيدة الصافية، وكذلك تلاميذ الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى إمام دار الهجرة - الذين نهلوا من مدرسته، قد بذلوا جهودا عظيمة في طلب العلم ونشره، وإدخاله إلى الأندلس، ونشره فيها، فلا شك أن لهم كذلك دورا في نشر العقيدة هناك.

ومن المعلوم الثابت أن هذا الإمام العظيم الذي انتشر مذهبه هناك وتعصب له الأندلسيون، أنه سلفي العقيدة، ويكفي لمعرفة ذلك الوقوف على فتواه وآرائه في العقيدة، وأقوال العلماء في ذلك.

قال سحنون^(٢): (أخبرني بعض أصحاب مالك أنه كان قاعدا عند مالك فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله مسألة، فسكت عنه.

ثم قال له: مسألة، فسكت عنه.

ثم عاد فرفع إليه مالك رأسه كالحيب له فقال له السائل: يا أبا عبد الله: (الرحمن على العرش استوى) كيف كان استواؤه؟

قال: سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، ولا أراك إلا امرأ سوء أخرجوه^(٣).

(١) انظر ص ٨٧ من هذا البحث (انظر الفصل أو المبحث)

(٢) هو: أبو سعيد عبد السلام بن حبيب التروخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المائكي، قاضي القيروان الإمام

العلامة، صاحب المدونة، ويلقب بسحنون، انظر سير أعلام النبلاء ١٢/٦٢-٦٩

(٣) انظر ابن رشد البيان والتحصيل ١٦/٣٦٧-٣٦٨

وقال جعفر بن ميمون^(١): سئل مالك بن أنس عن قوله: (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟

قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب؛ والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالا، وأمر به أن يخرج من مجلسه^(٢).

وهذا القول ثابت ومشهور ومتواتر عن الإمام مالك - رحمه الله - وهو قول يعتبر قاعدة من قواعد السلف في الإيمان بالصفات عموما^(٣)، وهو الإيمان بها وإمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل.

ومثل الإمام مالك - رحمه الله تعالى - عن قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا ثم يأخذون في القوائد، ثم يقومون فيرقصون.

فقال مالك: أصبيان هم؟

قال: لا.

قال: أبجوس هم.

قال: لا، قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء.

فقال مالك: ما سمعت أن من أهل الإسلام من يفعل هذا^(٤).

إن الإمام مالكا - رحمه الله - من العلماء الذين هياهم الله للدعوة ونشر العلم، والدفاع عن هذا الدين بإظهار السنة، وقمع البدعة والرد على أهل الأهواء والضلال، وتحمل في سبيل ذلك المشاق والمصاعب حتى جعل العلماء محنته علامة على إتباع السنة وذم البدعة.

وإذا كانت هذه عقيدة صاحب المذهب الذي انتشر هناك، فلا شك أن تمتد وتكون الأسس والجذور للعقيدة، على مدى وجود الإسلام وبقائه في الأندلس، فقد

(١) انظر ابن حجر تقريب التهذيب ١٢٣/١

(٢) البيان والتحصيل ٣٦٧/١٦-٣٦٨

(٣) انظر د/سعود الدعحان، منهاج الإمام مالك في إثبات العقيدة م.س. ص/٩

(٤) انظر الإمام الشاطبي فتاوى الإمام الشاطبي ص/١٩٥-١٩٦

أصبح الحكام، والولاة، ومن ورائهم العلماء، وعامة المجتمع، حراساً على هذه العقيدة طوال تلك القرون.

يقول ابن الخطيب^(١): (أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقيدة أحوال سنية، والنحل فيهم معروفة فمذهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة^(٢)). ويقول المقرئ^(٣): (وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فإنها تختلف بحسب الأوقات، والنظر إلى السلاطين، ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها...^(٤))

وظل الاحتساب بأمر العقيدة قائماً منذ دخول الإسلام إلى الأندلس حتى خروجه منها وظل أمر العقيدة قائماً، وهاجس بقاء الإسلام فيها حتى في أصعب الظروف، وأشد الأزمات وقت الطرد والإبعاد وظل التفكير في الإسلام وبقاء العقيدة شغل العلماء والمفكرين في اجتماعهم محتسبين في ذلك الأجر والثوبة من الله تعالى^(٥).

وأما ما يدل على أن الأندلس موطن سنة وعقيدة سلفية في أعظم أوقاتها، وأن الظهور لها دون غيرها مَقْتُ أهلها للفلسة ومحاربتهم لها.

يقول: المقرئ: (وأما الفلسفة فإمامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي^(٦))، وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بن عبد المؤمن^(٧) عن هذا العلم، وسجنه بسببها.

(١) انظر ترجمته، المقرئ نفح الطيب ١٨٢/٧، الأعلام للزركلي ٢٣٥/٦

(٢) لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ٤/أجزاء ط ٢/ (مصر، القاهرة:

الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ١٣٤/١

(٣) انظر ترجمته الأعلام للزركلي ٢٣٧/١

(٤) المقرئ نفح الطيب م.س. ٢١٠/١

(٥) انظر، اجل جنتالت، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د/حسين مؤنس ص/٥١٢

(٦) انظر في ترجمته المقرئ نفح الطيب ١٦٣/٤

(٧) المقرئ نفح الطيب ١٦٣/٤

وكذلك ابن حبيب^(١) الذي قتله المأمون بن المنصور^(٢) المذكور على هذا العلم بإشبيلية، وهو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تخصص تصانيفه^(٣).

كما جُبل أهل الأندلس على بغض ومقت أهل الزيغ والفساد والإلحاد في العقيدة^(٤)، وكان اتباع السنة صفة حميدة فيهم يمتاز ويمدح من اتصف بها، فكان الفقهاء والعلماء يحتسبون في ذلك^(٥). فالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما يعول عليه كثيرا عند أهل الأندلس، ويفخرون بذلك، ويرجون بذلك النهج الحل والسعة، والبعد عن العذاب والفوز بالثواب، وهذا النهج يصدر من إمام الرعية وواليها فما بالك بمن دونه. يقول المنصور بن أبي عامر^(٦) في وصية لولده: (وإني أرجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة)^(٧).

كما إن من فضائل أهل الأندلس محبة السلف وعدم ذكرهم إلا بخير. يقول الحميدي: (ومن فضائل الأندلس أنه لم يذكر قط على منابرهما أحد من السلف إلا بخير)^(٨).

وكانت العقيدة والتمسك بها وتحقيقها التحقيق السلفي من أسباب طرد المسلمين من الأندلس، واضطهادهم وتعذيب من بقي منهم على عقيدته متمسكا بها^(٩).

(١) هو ابن حبيب التصري الفيلسوف انظر ترجمته في المغرب (١/٢٩٦)

(٢) انظر المقرئ نفح الطيب ١٦٣/٤

(٣) المقرئ، نفح الطيب، م.س. ١٦٣/٤

(٤) الذهبي، السير ١٦/١٣٢-٤١٧-٤١٨

(٥) ابن الزبير، صلة الصلة م.س. ص/٢-٣

(٦) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن من آل أبي عامر ملوك الدولة العامية بالأندلس، بويغ بالخلافة بعد موت أبيه سنة/٤٥٢، وكان يلقب "بنظام الدولة" توفي سنة/٥٧٨، انظر الأعلام ١٦٠/٤

(٧) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص/٥٢٩

(٨) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، (مصر القاهرة، مكتبة الخنجي) ص/٧

(٩) محمد بن الحبيب مع المسلمين ص/٢٤٦

البدع والإلحاد في الأندلس:

من سنن الله تعالى بين الناس التفرق والاختلاف، وتنكب طريق الخير، وسلوك طريق الغواية والضلال، وهذا وجد في أول الخليقة، قال الله تعالى: ﴿فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله يحسبون أنهم مهتدون﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾^(٢) وهذا التفرق والاختلاف بين الناس ومواقفهم المتباينة من الحق، والرغبة في الشر والضلال من فريق من الناس يجب على الدعاة والمختسين فقه ذلك وفهمه، ومعرفة كيفية التعامل معه وفق منهج الصحيح.

يقول ابن الأثير^(٣) - رحمه الله تعالى - في بيان حال الناس، وانحرافهم في العقيدة: (واعلم أن الناس قد أماتوا ستماء، وأحيوا بدعاً، وتفرقوا شيعاً، وأظلم منهم من أقرهم على أمرهم، ولم يأخذهم بفارغ زجرهم فإن السكوت عن البدعة رضا بمكانها، وترك النهي عنها كالأمر بإتيانها)^(٤)، ثم يبدأ التوجيه إلى أهم الاختصاصات والواجبات. فيقول: (ونحن نأمرك أن تتصفح أحوال الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة ما لهم، وأمر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم، فابداً أولاً في النظر في العقائد، واهد فيها إلى سبيل الفرقة الناجية، الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الذين أئزموا مواطن الحق فأقاموا، وقالوا: ربنا الله ثم استقاموا)^(٥).

(١) سورة الأعراف الآية/ ٣٠

(٢) سورة هود الآية/ ١١٨-١١٩

(٣) هو: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري الشيباني، ولد سنة/ ٥٥٥ هـ ومن مصنفاته "التاريخ

الكبير" وكتاب "معرفة الصحابة" توفي سنة/ ٦٣٠، انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٣-٢٥٦

(٤) ابن الأثير، الملل السالتر ص/ ٣٨٦

(٥) المصدر السابق ص/ ٣٨٦

وهذا هو المنهج الذي ينبغي أن يسلكه المختص في الاحتساب، ولكن رغم سيادة العقيدة الصحيحة في الأندلس، وظهورها على غيرها من العقائد، واتخاذ المذهب المالكي القائم على صفاء العقيدة، وبقاء أهل الأندلس عليه منذ تحولهم عن مذهب الإمام الأوزاعي، وقيام جميع الحكام والعلماء على حراسة العقيدة الصحيحة رغم ذلك كله، فقد وجدت مذاهب أخرى ونحل حادت عن ذلك المنهج حيادا مختلفا في بعض الحقب والقرون الزمنية.

يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (لم يكن بالأندلس من المذاهب الإسلامية غير مذهب مالك إلا قليل من الشافعية، والظاهرية بالإضافة إلى منتحلي الفرق الكلامية وعلى رأسهم ابن مسرة^(١)، والمعتزلة، وأصحاب الأديان الأخرى، كاليهود والنصارى، والمتزندقين على اختلاف مشاربهم. وكل هؤلاء شكلوا الحياة الاعتقادية للأندلس خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، ولم تخل منهم عاصمتهم قرطبة^(٢))، كما وجدت في حقب أخرى مذاهب أخرى من الشيعة والصوفية، والخوارج، وهذه المذاهب الاعتقادية المخالفة للمنهج الصحيح لم تكن تظهر وتبرز إلا ويتصدى لها المختسبون الحارسون للعقيدة على اختلاف طبقاتهم.

وأشير هنا إلى ما وقفت عليه من منكرات في العقيدة، واحتساب أهل الأندلس على ذلك، فقد وجد من شذ عن ذلك المنهج في العقيدة وألحد فيها وأتى بمنكرات شنيعة مثل سب الدين، أو الاستهزاء به أو بشيء منه، أو سب الرسول - صلى الله عليه وسلم^(٣)، وليس بعض البدع والمنكرات، فوقف أهل الأندلس هؤلاء مختسبين، وخاصة الفقهاء منهم، وحسبنا هنا فتاواهم الدالة على عقيدة راسخة^(٤) مبنية على دعائم، وأدلة

(١) هو: محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيع من أهل قرطبة؛ أبو عبد الله، ولد سنة ٢٦٩هـ، ونسب

سنة ٣١٩هـ، انظر تاريخ علماء الأندلس ٢/٦٨٧-٦٨٩

(٢) د/عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي ط/ (القاهرة مطبعة لزهراء للإعلام العربي) ١٩/١٣ ص ٤٢

(٣) انظر أحمد النونشريسي، المعيار المغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف د/عبد حميد، ١٢/جزء (بيروت

دار الغرب) ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٢/٣٢٦-٣٢٦-٣٢٢

(٤) المصدر السابق ٢/٣٢٢، الإمام الشاطبي، فتاوى الإمام الشاطبي ص/١٨٠-١٨١

من الكتاب والسنة محتسبين في تلك الفتاوى مظهرين للحق الذي يعتقدونه بدليله^(١)، ومن أعظم ما يميز به فقهاء الأندلس موقفهم المعادي من كل فكر أو عقيدة تصادم العقيدة الصحيحة^(٢)، كما أنه لم يعرف التسامح في الأندلس مع المذاهب الفقهية الأخرى حتى تلك التي كانت لا تخرج عن السنة القويمة، ومذاهب السلف فضلا عن المذاهب الهدامة الباطنية كل ذلك للحفاظ على وحدتهم الدينية والمذهبية بكل طاقاتهم بل اعتبروا هذه الوحدة جزءا من وحدتهم السياسية، ورأوا في كل ما يهدد تماسكهم الديني والمذهبي خطرا يهدد كياناتهم السياسي في الصميم، ويضعف قواهم في مواجهة النصارى، واليهود^(٣)، فوحدة العقيدة قوة للأمة وانتصار، والتفرق فيها ضعف وانحزام.

احتساب العلماء في تقرير عقيدة أهل السنة في أهل البدع:

ومن احتسابهم في تقرير عقيدة أهل السنة في أهل البدع ما جاء في فتوى إمام المذهب المالكي إمام دار الهجرة - رحمه الله - في الصلاة على الغلام المرتد، في المدونة.

(قلت: أرايت الغلام إذا ارتد من قبل أن يبلغ الحلم، أتؤكل ذبيحته، ويصلى عليه إن مات في قول مالك؟

قال: لا يصلى عليه، ولا تؤكل ذبيحته)^(٤).

كما جاء في المدونة - أيضا - في الصلاة على قتلى الخوارج^(٥)، والقدرية^(٦)، والإباضية^(٧)، (قلت: أرايت قتلى الخوارج يصلى عليهم أم لا؟

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل، ديوان الأحكام الكبرى م.س. ١٣٠٠/٢

(٢) انظر، عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة، م.س. ص/٣٥

(٣) القاضي عيسى ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع، م.س. ص/٢-٤٨-٤٩-١٠٣

(٤) الإمام مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم

ط/١/٥/أجزاء، (لبنان بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ٢٥٦/١

(٥) انظر الشهرستاني المل والنهل ص/١١٤

(٦) انظر الشهرستاني المل والنهل ص/٨٦

(٧) انظر الشهرستاني المل والنهل ص/١٣٤

فقال، قال مالك: في القدرية والإباضية لا يصلى على موتاهم ولا يتبع جنازهم ولا تعاد مرضاهم، فإذا قتلوا فذلك أحرى عندي أن يصلى عليهم^(١).

في هذه الفتاوى من هذا الإمام دليل على سنية العقيدة ونبذ البدع وأهلها، وأن السائد في الأندلس إتباع هذه السنة، فإن وجد من خالفها فهو شاذ ومخالف يجب الاحتساب عليه وبيان الحق له، فإن لم يرجع إليه نظر في ردعه بما يستحق وبدعته.

ثم سار الفقهاء والعلماء من بعد الإمام مالك في نقل هذه العقيدة السنية والاحتساب في شأنها، فمن أولئك العلماء الذين احتسبوا في هذا المجال:

١- الإمام عبد الرحمن بن القاسم تلميذ الإمام مالك، والإمام سحنون الذي حفظ آراء وفتاوى الإمام مالك عن ابن القاسم ودونها في المدونة، ثم انتشرت هذه المدونة العظيمة في المغرب، ثم دخلت الأندلس: فأصبحت متنا من محفوظات أهل العلم وطلابه هناك^(٢).

٢- الشيخ عبد الله بن عتاب عند ما سئل عن طائفتين اختلفتا في أهل الكبائر والبدع فقالت: إحداهما: أهل الكبائر في المشيئة، وأهل البدع في النار، ولم يستثن واحدا منهم.

وقالت الأخرى: أهل البدع أقمن أن يكونوا في المشيئة^(٣).
فجاوب رحمه الله تعالى بقوله: (هذا شيء أكره الخوض والتكلم فيه، فإذا وقع فأقول: - والله أعلم - إن البدع كلها مذمومة، مذموم من اعتقد شيئا منها، وبعضها أعظم من بعض - عصمنا الله منها - ولم يقبض الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - حتى ترك أمته على الواضحة، وأمرهم بالتمسك بالكتاب والسنة)^(٤).

٣- ابن حبيب الأندلسي المالكي أفتى بقوله: (إن من عرف ببعض الأهواء المخالفة للجماعة كالإباضية، والمرجئة، والقدرية، وأشباههم فلا يصلى خلفهم، ولا يصلى

(١) المدونة الكبرى م.س. ٢٥٨/١

(٢) الإمام مالك المدونة الكبرى ١٥٧/١

(٣) انظر القاضي عيسى ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع، م.س. ص/٢٥-٢٦

(٤) القاضي عيسى ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع، م.س. ص/٢٥-٢٦

خلف إمام ضالّ، ومن صلى خلفه فليعد في الوقت وبعده؛ لأن الصلاة رأس الدين وأولى ما احتيط فيه، وهذا في إمام يصلى بالناس بغير ولاية ولا سلطان؛ لأنه في مندوحة من تركه إلى الصلاة خلف غيره، وأما إذا كان إماما تؤدي إليه الطاعة أو قاضيه، أو صاحب شرطته، أو خليفته على الصلاة فلا إعادة على من صلى خلفهم وصلاته جائزة^(١).

٤- محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأصبلي عند ما سئل عن أهل البدع هل يكفرون ويقطع بتخليدهم في النار؛ وأنهم لا تقبل لهم توبة؟ فإن قوما يزعمون ذلك، ويقولون: من لم يكفرهم فهو كافر؟

فأجاب بقوله: (اعلم - أرشدك الله - أن أول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج بحكمهم على الله أنه لا تكون سنة فيمن خالفهم إلا تخليدهم في النار، إذ كانوا قد كفروا من خالفهم، واستحلوا دمه، فسبّتهم الصحابة، وجماعة من المسلمين خوارج - أي: عن سبيل الجماعة وسنة الإسلام، لأنهم لم يقطعوا مواريثهم، ولا أبانوا نساءهم منهم، ولا أفردوا قبورهم من قبور المسلمين ولا أحكامهم عن أحكامهم، ثم احتمل على ذلك بعدهم مالك وأهل بلده، والليث ابن سعد والأوزاعي وابن سلمة^(٢) وغيرهم من أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، فأما من قطع كما ذكرت على الله تعالى بأنه لا يقبل توبة مبتدع فقد خرق إجماع المسلمين، ورد على رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

فأما تكفيرهم فهي طريقة إخوانهم من الخوارج التي ذكرناها والله تعالى يعصمنا وإياك من مضلات الفتن برحمته إن شاء^(٤).

(١) القاضي عيسى بن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع، م.س. ص/٣٠-٣٢

(٢) هو: نصر بن سلمة بن وليد الجكني القيسي من أهل قرطبة يكنى أبا محمد، استفضاه الأمير عبد الله بن محمد

بقرطبة مرتين ثم استوزره بعد ذلك توفي سنة ٣٠٢ هـ تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم ١٤٩٧

(٣) سورة غافر الآية/٢

(٤) الأحكام الكبرى ١٣٤٢/٢

٥- أبو عمر أحمد بن هاشم الإشبيلي عند ما سئل عن هذه المسألة فقال: (والبدع أمر عظيم عند أهل العلم يخاف عليهم، الخلاف فيما يعتقدون، تبغضهم القلوب ويشتم غضب المؤمنين عليهم لا يخرجون من الإسلام بذلك، وقد تكلم الناس في هذا، وهذا الذي وجدنا عليه الفقهاء، وأهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم، وفقنا الله لما يرضاه منا إن شاء الله عز وجل والسلام عليك)^(١).

٦- القاضي أبو الأصبع^(٢) سئل عن المسألة نفسها فأفتى بقوله: (أهل البدع صنفان، والبدع نوعان: واحد منهما: كفر صراح لا خفاء فيه، وضلال لائح لا ستر يخفيه كقول بعض الرافضة - لعنهم الله - إن عليا - رضي الله عنه - إله من دون الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وكقول صنف آخر منهم: إن عليا نبي مبعوث، وإن جبريل - عليه السلام - غلط، بعث إليه فأتى محمدا - صلى الله عليه وسلم - . والقائل بهذا كافر كعابد وثن مفتر على الله عز وجل مخلد في النار لا يريح راحة الجنة أبدا^(٣) والنوع الثاني من البدع: ضلال وزيف عن الحق، وعدول عن السنة والجماعة، لا يطلق عليه كفر، ولا معتقده كافر، كقول بعض الرافضة: إن عليا إمام من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، والأئمة من ولده يقومون مقامه في ذلك، وكقول صنف منهم: يفضل عليا على الناس كلهم، ولا يطعن في أبي بكر وعمر، ويطعن في عثمان - رضي الله عنهم جميعا^(٤) -، وكقول الشيعة منهم: أبو بكر وعمر أفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على التقديم، وعليّ أحب إلينا، فهذه كلها بدع خارجة عن رأي جماعة المسلمين، لا نقول: إنها كفر، ولا أن

(١) المصدر السابق ١٢٤٣/٢

(٢) هو: أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله ولي قضاء طنجة ومكناسة، ثم رحع إلى الأندلس مولى غرناطة،

توفي سنة ٤٨٦هـ، انظر ترتيب المدارك ١٨٢/٨ - ١٨٣

(٣) المصدر السابق ١٢٤٣/٢ - ١٢٤٤

(٤) المصدر السابق ١٣٤٤/٢

معتقدها كافر، ولا يمتري ذو حسّ في خفتها عن التي قبلها، ولا في كونها من غير جنسها^(١).

٧- القاضي ابن سهل أورد في نوازله أنه ورد السؤال على ابن عتاب^(٢) عن رجل أخذ يطعن في النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي: في قضية عشار يطعن في النبي - صلى الله عليه وسلم - وينقصه - ومن ذلك قوله: (إن كنت سألت فقد سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - إن كنت جهلت فقد جهل النبي - صلى الله عليه وسلم - وشهد عليه رجل أنه سمعه يقول لرجل كان قد فتش عليه أذ ما عليك واشتت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم شهد عليه جماعة من المسلمين بذلك فأنكر ما شهدوا به. فأجاب ابن عتاب (قرأت - رحمتنا الله وإياك - خطابك وفهمت ما سألت عنه، وقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٧)، فقد أمر الله عباده أن يهابوا نبيه - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر المصدر السابق ١٣٤٤/٢

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أبو محمد فاضل من أهل قرطبة، له "شفاء الصدور في الزهد والرفاق"،

ولد سنة ٤٣٣هـ، وتوفي سنة ٥٢٠هـ، انظر الأعلام ٣/٢٢٧

(٣) سورة الحجرات الآية/٢

(٤) سورة الفتح الآية/٩

(٥) سورة الأعراف الآية/١٥٧

(٦) سورة الشرح الآية/٤

(٧) سورة النور الآية/٦٣

(٨) سورة الأحزاب الآية/٥٢

عليه وسلم - وأن يعظم وأن يوقر ويعزر وينصر، وفرض ذلك عليهم إجلالا وإكراما وتفضيلا، وأحب ذلك في حياته وبعد مماته إلى قيام الساعة.

وروي عن بعض أصحابه قال: «كان رجل يسب النبي - صلى الله عليه وسلم -

فقال: من يكفيني عدوي؟

فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقتله^(١)

وقال ابن القاسم: (من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - أو عابه أو تنقصه فإن

كان مسلما قتل ولم يستتب وميراثه للمسلمين^(٢)).

وروي ابن وضاح عن أبي مريم^(٣) فيمن عير رجلا بالفقر، فقال: تعيرني بالفقر

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد رعى الغنم فقال مالك: قد عرض بذكر النبي عليه السلام في غير موضعه، أرى أن يؤدب^(٤).

ثم قال ابن عتاب بعد أن ساق الأدلة من الكتاب والسنة: (فالكتاب والسنة

يوجبان أن من قصده - صلى الله عليه وسلم - بأذى أو تنقيص معرضا أو مصرحا، وإن قل، فقتله واجب إذا ثبت ذلك ببينة عادلة، وكذلك القول فيما سألت عنه)^(٥).

فالذي يدل عليه هذا السؤال والجواب، وقوع منكرات في العقيدة، وندرة ذلك،

والتحفي والتستر به بدليل إنكار هذا العشار مقالته الشنيعة في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - كذلك الاحتساب على من فعل ذلك والإنكار عليه، والشهادة عليه، ورفع ذلك

إلى الفقهاء؛ لبيان الواجب في هذا المنكر، وقد بين ابن عتاب الفتوى في هذه القضية -

أي: في قضية العشار الذي يطعن في النبي - صلى الله عليه وسلم - وينتقصه - بالدليل من

الكتاب والسنة، وأقوال السلف، مما يدل على تأصيل ذلك وسلامة منهج الاحتساب فيه.

(١) انظر عيسى بن سهل الأحكام الكبرى ١٣٠٦/٢

(٢) انظر عيسى بن سهل الأحكام الكبرى ١٣٠٦/٢

(٣) انظر عيسى بن سهل الأحكام الكبرى ١٣٠٦/٢

(٤) انظر عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣٠٦/٢

(٥) القاضي ابن سهل، الأحكام الكبرى ١٣٠٦/٢

الاحتفال بعيد السنة الميلادية:

والاحتفال بعيد السنة الميلادية من منكرات العقيدة، فجاءت فتاوى العلماء بتحريمه، وتحريم قبول الهدية فيه^(١)، ومنهم من يخالف احتفال النصارى في عيدهم ذلك، فلا يوقد في دارهم نارا مخالفة للنصارى الذين يحتفلون بالميلاد^(٢).

فتاوى الإمام الشاطبي في البدعة، والإلحاد:

وسئل الإمام الشاطبي^(٣) هل كل بدعة حسنة أو قبيحة ضلالة لعموم الحديث «كل بدعة ضلالة» أم تنقسم على أقسام الشريعة كما قال بعض الناس؟ فجاء جوابه: (إن قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «كل بدعة ضلالة» محمولة عند العلماء على عمومها، لا يستثنى منه شيء ألبته، وليس فيها ما هو حسن أصلا إذ لا حسن إلا ما حسنه الشرع، ولا قبيح إلا ما قبحه الشرع، فالعقل لا يحسن ولا يقبح، وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال^(٤)).

كما عرضت على الإمام الشاطبي - رحمه الله - مسألة في الإلحاد، وسئل ما الحكم في رجل شهد عليه أنه ينتحل الطريقة الفقرية التي اشتهر بها أهل الإباحة وتحليل ما حرم إليهم، وأنه متهم بطريقة أهل الزندقة الذين يظهرون الإسلام ويستترون بالكفر، وثبت ذلك عند الحاكم، كذلك شهد عليه أحدهم بأنه فسر قوله تعالى: ﴿الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٥) بأن

(١) انظر المعيار المعرب ١٥١/٤

(٢) انقاضي عياض، ترتيب المدارك م.س. ٤٢٩/٤

(٣) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد الأفرناطي الشهير بالشاطبي، ويكنى بأبي إسحاق، ومن مؤلفاته الاعتصام،

الفتاوى، الموافقات، توفي - رحمه الله - سنة ٧٩٠هـ، الأعلام للزركلي ٧١/١

(٤) ممن ذهب إلى أن الحسن والقبح لذات الفعل: المعتزلة، والكرامية، والخوارج، انظر، أبو إسحاق إبراهيم بن

موسى الشاطبي، فتاوى الإمام الشاطبي تحقيق محمد أبو الأحضان ط/٢ (تونس نهج لوار النورديّة)

١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ص/١٨٠-١٨١

(٥) سورة البقرة الآية/٢٥٥

الحلي حياة المرأة، يعني: فرج المرأة، وأن القيوم ذكر الرجل، تعالى الله عن أقوال المفترين علوا كبيرا، وشهد عليه بأنه قال: (العبادة ثلاثة أقسام:

مجازية وهي: ما عليه هؤلاء الناس، وأشار برأسه يميناً وشمالاً.

وعبادة حق وحقيقة؟

فأجاب - رحمه الله تعالى - أن الشهود الثلاثة قد اتفقوا على معنى واحد يقتضي

الحكم بقتله من غير استتابة^(١).

والناظر بتأمل في فتاوى الشاطبي - رحمه الله - الذي عاش في القرن الثامن الهجري

آخر قرون الإسلام بالأندلس يدرك عظم منزلة السنة الصحيحة، والتمسك بها في الأندلس، والاحتساب في بيانها وتوضيحها للناس.

كما برز في الأندلس رجال على جانب عظيم من الفقه، والورع، والزهد،

والعبادة، على منهج السلف الصالح، وكانوا منافرين لأهل البدع والأهواء، صادين بالحق مظهرين له لا تأخذهم في الله لومة لائم^(٢) وهؤلاء بلا شك لهم أثر في قمع البدع، وإفشاء

السنن.

والتأمل في هذه الفتاوى في البدع وحكمها، وأهل الكبائر يخرج بالنتائج التالية:

١- عظم مكانة علماء الأندلس في العقيدة ورسوخ قدمهم فيها.

٢- ورعهم وزهدهم وخوفهم من القول بغير علم، وهذا ظاهر في جواب ابن عتاب - رحمه الله تعالى.

(١) الإمام الشاطبي، فتاوى الشاطبي ص/ ١٩٠.

(٢) انظر: ترجمة محمد بن سعيد بن محمد بن عمر الأسوي القرطبي المتوفى سنة/ ٤٢٩ هـ في الصلة لابن

بشكوال/ ٢/ ٤٩٣، وقاسم بن محمد بن سليمان العيسى المتوفى سنة/ ٤٥٨ هـ، الصلة/ ٢/ ٤٤٨-٤٤٩، وإبراهيم

بن محمد بن حسن الأموي من أهل طليطلة المتوفى سنة/ ٤٠١ هـ الصلة/ ١/ ٩٠، وأحمد بن محمد بن عبد الله

المعافري الطلمنكي المتوفى سنة/ ٤٢٩ هـ الصلة/ ١/ ٤٤، ويحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ

المتوفى سنة/ ٦٠٨ هـ الصلة/ ٢/ ٢٠١، وعمر بن الحسن بن علي بن فرج بن علف المتوفى سنة/ ٦٤٠ هـ ابن

الزبير صلة الصلة/ ١٤٠، وعلي بن أحمد بن يوسف الأنصاري من أهل المربة المتوفى سنة/ ٦٧٦، ابن الزبير

صلة الصلة/ ٤٤

- ٣- احترامهم لعلماء السلف السابقين لهم، فهم تابعون لهم ناقلون لأرائهم ومذاهبهم رغم
رسوخ قدمهم في العلم والتمكن منه.
- ٤- عقيدتهم سلفية؛ لاعتمادهم على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -
ودعوتهم إليها.
- ٥- نصحتهم لأمتهم، وعيبتهم لها، ورغبتهم في جمع كلمتها، وعدم الرغبة في إشاعة
البدع، وعدم فرحهم بظهورها، وعدم شتمهم بأهلها، فلا سب، ولا تعالي، بل
وقوف مع الدليل، وبيان الجواب في أوجز عبارة.
- ٦- رغبتهم في التمسك بالمذهب المالكي، وهذا الظاهر من ذكرهم لأقوال وآراء علماء
المذهب، واعتمادهم عليها في فتاويهم.

المبحث الثاني

الاحتساب في مجال العبادة

- الاحتساب في الصلاة
- الاحتساب في دور العبادة
- الاحتساب في الإمامة
- الاحتساب في الصيام
- الاحتساب في الزكاة
- الاحتساب في الأعباس
- الاحتساب على منكرات الجنائز
- الاحتساب في النكاح

التمهيد

العبادة في الإسلام شأنها عظيم سواء كانت قولية أو فعلية، وتشمل جوانب متعددة في حياة المسلم، وتصحيحها على منهج السلف غاية كل مسلم وذلك لقصد وجه الله والدار الآخرة، وقد سعى بعض أهل الأندلس إلى ذلك واحتسبوا على التقصير في العبادات باختلاف أنواعها، ودعوا إلى تصحيحها على منهج السلف الصالح، ونظرا لسعة هذا الجانب فأقصر الحديث على العبادات التالية:

يقول أحمد بن عبد الرؤوف في رسالته في آداب الحسبة والمحتسب في الأندلس: (يجب على الناظر في الحسبة عند ذلك - أي: عند إقامة الصلاة - أن يقيم الناس من الحوائت والذكاكين إلى المسجد)^(١)، ثم يذكر آداب المحتسب في احتسابه في الصلاة، ويتضح من ذلك أنه جار على منهج السلف الصالح يقول: (فإذا أقيمت الصلاة فلا تقام إلا عن إذن الإمام، وهو أحق بإقامتها)^(٢).

ومن صور الحسبة في الصلاة - أيضا - ما ذكره ابن عبد الرؤوف في رسالته السابقة حيث قال: (ويبحث - أي: المحتسب - عن جماعة المسجد، ويعرف من يحافظ على صلاته منهم، ومن يفرط فيها، ويؤدب المضيع منهم، ويعاقب إن عثر عليه، ومن أخر صلاته عن وقتها من غير عذر مبيح لذلك، نهى عن فعله ذلك، وزجر، وعوقب إن اتهم بتهاون في ذلك ما لم يكن جاهلا، وإن كان جاهلا علّم وأعذر إليه)^(٣).

هذا النص يدل على أن واجب المحتسب تجاه جماعة المساجد، معرفة من يحافظ على الصلاة في الجماعة ومن يتهاون في ذلك، وهذا دليل على عظم شأن الصلاة في المجتمع الأندلسي، وحرص المحتسبين على سلوك المنهج السلفي وفق الحكمة، والمصلحة، والصواب.

(١) أحمد بن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٣

(٢) المصدر السابق ص/٧٣

(٣) المصدر السابق ص/٧٣

يقول ابن عبدون: (يجب أن يؤمر الباعة والصبيان أن يصلوا، فإن لم يصلوا أدبوا على ذلك^(١)).

ومن صور احتسابهم في الجمعة أن تاركها من غير عذر أشد حالا من تارك الصلاة؛ لأن تارك الصلاة يقضيها بمثلها والجمعة لا يقضيها بمثلها، قال ومن "الواضحة": قال مالك: ومن ترك الجمعة مرارا بغير عذر ولا علة لم تجز شهادته، ولا إمامته، ولم أرغب في الصلاة عليه إذا مات^(٢)).

قال ابن عبدون: (ولا يجب أن يترك ساع يسعى يوم الجمعة ويتخطى الرقاب، ويفخر عند السعادة بذلك، ويؤدب من يعمل منهم ذلك، ويمنع من ذلك، كما لا يترك ساع يسعى إذا أرقى الإمام على المنبر يخطب، كما لا يترك المحتسب في رحاب الجامع دابة واقفة فرما رثت، أو بالت فتجس الناس، وتخرج خارج الأسواق حتى تتم الصلاة، ويحتج به في ذلك فهو أمر أكيد^(٣)).

ومن احتسابهم في الصلاة، اجتماع أهل قرطبة - وهم يقيمون مدة بدون أمير - على تقديم أيوب بن حبيب ليؤمهم في صلاتهم، وكان رجلا صالحا^(٤).

الاحتساب في دور العبادة:

المساجد في الإسلام لها دور عظيم فهي محل أداء الصلاة فلذا كانت العناية بها عظيمة، وقد أولاهم الأندلس عناية، فمن ذلك تزيينها عما بشينها ويقدح فيها، والمحافظة على نظافتها، فيمنع من أكل ثوما من دخولها، ويمنع من النوم فيها إلا الغريب المضطر إلى ذلك، ويمنع السؤال فيها، ويمنع كذلك من اختلاط النساء مع الرجال عند

(١) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ص/٥٣

(٢) أحمد بن عبد الرزوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٥

(٣) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ص/٢٤

(٤) انظر، التاريخ الأندلسي ص/١٧٥

الصلاة، ويفرق بينهم لقوله - صلى الله عليه وسلم - «باعذوا بين أنفاس الرجال والنساء»^(١).

وهناك آداب لطيفة على المحتسب مراعاتها عند احتسابه في المسجد تدل على اهتمامهم بشأنها ورفع مكانتها في ذلك المجتمع^(٢).

كذلك من أعمال المحتسب إشرافه ومراعاته لشؤون الطهارة، وتأكد الأمر في المساجد، وأفيتها، والطرق المتصلة بها، والأنهار ويأمر بسر العورة حيث يمكن ذلك كالجماعات وشبه ذلك^(٣).

وكذلك من احتسابهم في المساجد الاعتناء بها وبنائها، ويأتي في مقدمة ذلك الأمراء ففي مناقب الأمير محمد بن عبد الرحمن اعتناؤه في أول خلافته بإتمام ما كان بقي من زيادة والده الأمير عبد الرحمن في المسجد الجامع في قرطبة فأتم ذلك وأتقنه، وحدد البناية القديمة التي عمل جدهم الداخل عبد الرحمن بن معاوية^(٤)، ثم زاد المسجد بعد إتمام بنيته، وتفقدته وصلى فيه^(٥).

كذلك تعاهددهم لبناء المسجد بالإصلاح والصيانة، وكذلك دار الوضوء وشأن المؤذنين، ويكون عددهم بعدد أبواب المسجد، وزيادة اثنين واحد بالقرب من الإمام يعلن بصوته للناس عند التكبير والركوع والسجود في كل صلاة، والآخر في آخر المسجد ليسمع من يصلي هناك، ويكون في المسجد الجامع من الأئمة ستة على عدد الأشفاع ليصلي كل واحد منهم^(٦).

(١) انظر المحوي، كشف الخفاء ١٩٥/٢

(٢) انظر أحمد بن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٤

(٣) المصدر السابق ص/٧٣

(٤) هو: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أمير الأندلس وسلطانها أبو المطرف الأموي المرواني المشهور بالداخل، ولد بأرض تدمر سنة/١١٣هـ في خلافة جده، توفي سنة/١٧٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٨/٢٢٤-٢٥٣

(٥) انظر ابن حبان، المقتبس، تحقيق د/عמוד مكي ص/٢٢٠-٢٢٤

(٦) انظر ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب ص/٢١-٢٢

وقد أورد المقرئ عدد المساجد في قرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل حيث بلغت أربعمائة وتسعين مسجداً مما يدل على الاعتناء بها والاحتساب في بنائها^(١).

الاحتساب في الإمامة

أما الاحتساب في الإمامة في الصلاة والخطبة فقد كان من الأعمال الجليلة، والمنقبة العظيمة الحسنة لمن يقوم بها ويتولاها، ففي تراجم علماء الأندلس ذكر قيامهم بذلك، ويسمى الذي يقوم بذلك "صاحب الخطبة والصلاة"^(٢).

ومن البدع في الصلاة: دعاء الإمام للمصلين أدبار الصلوات المفروضة، وقد بين الإمام الشاطبي - رحم الله - أن ذلك مخالف للسنة النبوية المطهرة، وأنه من البدع المستحدثة^(٣).

الاحتساب في الصيام

ومما يلزم المحتسب القيام به في الصوم وأحكامه، ومن ذلك إلزام الصبيان بالصوم إذا أطاقوه، وإن لم يبلغوا قاله ابن الماجشون^(٤) (٥).

كذلك مراقبة استهلال الهلال في أول الشهر وفي آخره، حيث يأمر الأئمة، وأهل الصوامع بتعهده وارتقاؤه، فلا يصام، ولا يفطر إلا بشهادة عدلين برؤية هلال رمضان أو شوال^(٦).

(١) المقرئ نفح الطيب ١/٥٤٠-٥٤١

(٢) ابن القرضي، تاريخ علماء أهل الأندلس ٢/٥٠٢

(٣) انظر فتاوى الإمام الشاطبي ص/١٢٨

(٤) مؤ: عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء، أبو مروان بن الماجشون فقيه مالكي فصيح دارت

عليه الفتنة في زمانه، توفي سنة ٢١٢هـ، انظر الأعلام ٤/١٦٠

(٥) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٧

(٦) المصدر السابق ص/٧٧

قال ابن حبيب: (ومن رأى هلال رمضان وحده فإنه بصوم؛ لأنه لا ينبغي له أن يفطر وهو عالم أن ذلك اليوم من رمضان، فإن وجد مفطرا آخر يوم من رمضان فادعى أنه رأى الهلال فإن كان موثوقا في دينه أمر بالاستتار بفطره لئلا يقتدي به غيره وتتعلق به التهمة، ويكون ذلك ذريعة لأهل البدع، وإن كان غير موثوق عوقب على ما يراه الإمام من الاجتهاد، وإن وجد صائما آخر يوم من شعبان وادعى الرؤية لم يعرض له بمكروه^(١)).
هذه النصوص تدل دلالة واضحة على أهمية دور العبادة في الأندلس والاهتمام بها، والاحتساب في ذلك وفق منهج السلف الصالح لما جاء في كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الاحتساب في الزكاة

كذلك مما يقوم به المحتسب النظر في إخراج زكاة الفطر، وأورد ابن عبد الرؤوف الأصناف التي لا تجزئ إخراج الفطر إلا منها.
وهي: القمح، والشعير، والتمر، والزبيب، والأقط، والعدس، والذرة، والدخن، والأرز، رواه ابن القاسم ومطرف عن مالك.
قال: (ولا يجزئ إخراج الفطر عن شيء سوى هذه الأصناف العشرة، ومن اتهم بإمسائها أو إمساك زكاة ماله طولب بها، وحرّض عليه في إخراجها^(٢)).

الاحتساب في الأحياس

كذلك من أعمال المحتسب الإشراف على الأحياس، وهي الأوقاف فيقوم بمنع تغيير شكلها أو تغيير ما وضعت له لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) فيمنع من أراد أن يدخل منها شيئا من منفعه، أو

(١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/ ٧٧-٧٨

(٢) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/ ٧٩

(٣) سورة البقرة الآية/ ١٨١

يوسع فيها على نفسه... فينفذ ذلك كله ويذر ع لثلا يستأثر بها أحد أو يدخل منها شيئا من منافعه^(١).

الاحتساب على منكرات الجنائز:

كذلك مما ينبغي على المحتسب القيام به إنكار منكرات الجنائز والقبور، وإزالتها، قال أحمد بن عبد الرؤوف: قال ابن حبيب: (وينهى الناس عما أحدثوا من المشي أمام الجنائز بالاستغفار والتكبير)^(٢) وذكر أن ذلك من أمر الجاهلية، والإنكار على من يقول في الجنائز: (استغفروا له غفر الله لكم)، كذلك كراهية الإنذار بالميت في الأسواق، والطرق، وكراهية الضحك في الجنائز والنهي عنها، وينهى عن اتباع الجنائز بالنار، وبالنيابة^(٣)، وقال: لا يجوز النيابة في الإسلام؛ لأنها بقايا عمل الجاهلية، ومن فعل ذلك منع وضرب عليه. وقال - صلى الله عليه وسلم - «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة النيابة والنزير»^(٤)، كذلك الاحتساب بمنع اجتماع النساء للبكاء على الميت، ومنع النساء من الخروج في الجنائز وإن كن غير نوائح^(٥)، وأما إرسال الطعام إلى أهل الميت فلا بأس بذلك؛ لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك^(٦).

كذلك من الاحتساب النظر في القبور وسعتها وطول التواييت، فعلى المحتسب النظر في ذلك، وإزالة ومنع ما فيه من مخالفة للسنة، واحتسابه في الدور التي تقام في القبور والقيام بهدمها.

قال محمد بن عبدون: (يجب أن يزداد في طول تواييت القبور وفي سعتها قليلا فإني رأيت ميتا قد أخرج من قبره ثلاث مرات، ويعالج التابوت في ذلك، ورأيت آخر يدخل

(١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٧

(٢) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٦

(٣) المصدر السابق ص/٧٦

(٤) المصدر السابق ص/٧٧

(٥) المصدر السابق ص/٧٧

(٦) المصدر السابق ص/٧٧

فيه بالضغط، وهدم دور المقبرة أولى الأشياء بالاحتساب، والنظر في ذلك لما قد تقدم لنا من القول فيها^(١).

وكذلك من المنكرات في المقابر البناء فيها والسكن، وعلى المحتسب النظر في ذلك وهدم البناء الذي يقام في المقبرة، وقد غير ذلك كما في مقابر إشبيلية^(٢).

الاحتساب في النكاح

كذلك ينبغي للمحتسب النظر فيما له زوجتان أن يساوي بينهما في اللبس، والطعام، والمبيت، ولا يفضل واحدة منهما على صاحبتها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة، ولينق الله في ذلك؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اتقوا الله في النساء فإنما أخذنكمهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»^(٣).

كذلك الإنكار على من وجد مع امرأة فادعى أنها زوجته فيسأل البينة إلا أن نكون طارئين قد قدما في رفقة فيسأل أهل الرفقة عنهما، فإن لم يقدم في رفقة تركا دون تعرض^(٤).

ويمنع الناس والموثقون من عقد نكاح المتعة، ويعاقب من يفعله عقوبة موجعة، «ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نكاح السر، وقال عمر: - رضي الله عنه - فيه وفي نكاح المتعة لو تقدمت فيها لرجمت»^(٥).

قال ابن حبيب: (وهذا فيه تشديد في الزجر عنه، ولا رجم فيه؛ وفيه العقوبة على الزوجين والولي والشهود)^(٦).

(١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة واغتساب ص/ ٧٨

(٢) المصدر السابق ص/ ٧٨

(٣) المصدر السابق ص/ ٨٣

(٤) المصدر السابق ص/ ٨٣

(٥) المصدر السابق ص/ ٨٣

(٦) المصدر السابق ص/ ٨٣

وكذلك منع نكاح التحليل، فإن فعل عوقب هو والمرأة والبيئة، والذي عقد النكاح إن علموا بذلك^(١).

كذلك على المختصب إنكار منكرات الأعراس، ومنها:

- ١- اللهو فيمنع منه كله إلا ما كان من الدف العربي الذي هو شبه الغربال خاصة.
- ٢- شراء الدوامات وشبهها للصبان، ومن اشترى من آلة اللهو شيئا فسخ بيعه وأدب.
- ٣- إظهار العروسة لغير ذي محرم^(٢)

قال ابن الماحشون: (ويؤمر الناس بتمنع ما أحدثته العامة من جلاء العروسة على غير ذي محرم منها، ويؤدب من حلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث، ويؤدب كذلك من شككت منه امرأته وعليها أثر ضرب مبرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك، إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها فلا يعرض له بمكروه، يقول الله تعالى: ﴿واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ إن الله كان عليا كبيرا^(٣)

(١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمختصب ص/ ٨٢

(٢) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة ص/

(٣) سورة النساء الآية/ ٣٤، المصدر السابق ص/ ٨٣

المبحث الثالث

الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب

- مكانة الأخلاق في الأندلس
- شرب الخمر والغناء والاحتساب عليهما

التمهيد

الأخلاق والآداب، والاحتساب عليهما مطلب مهم وعظيم في الشريعة الإسلامية الغراء؛ لأن الاتصاف بحسن الخلق والتقوى والآداب الحسنة من أكثر ما يدخل الناس الجنة، ويجعلهم من خيار الناس - وأيضاً - فإن حسن الخلق من أفضل ما أعطي المرء في الدنيا، وأن من أكمل المؤمنين إيماناً من كان أحسنهم خلقاً، وأن المرء ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم، وأن الخلق الحسن من أثقل ما يجد المرء في ميزانه يوم القيامة، وأن أحب العباد إلى الله وأقربهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في القيامة من كان أحسن خلقاً، وأن المرء قد ينتفع في داره بحسن خلقه ما لا ينتفع فيها بحسبه، وأن من حسن خلقه في الدنيا كان من أحب الناس إلى الله تعالى، والخلق الحسن، والآدب الرفيع يبيان سمة المجتمع.

وأمة الإسلام في الأندلس قد حظيت بسهم وافر في هذا المجال، فقد عرفت بالآدب والأخلاق حتى أصبحت منارة من منارات الإسلام تقتبس منها الأمم، وتستفيد من حضارتها، ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد قسمت الحديث عنه على المطالب التالية:

مكاتب الأخلاق في الأندلس

بعد دخول الإسلام إلى الأندلس، ودخول الناس في هذا الدين الخفيف، وتطبيقهم وامتثالهم لتعليمه علت أخلاقهم وارتفعت أذواقهم، وحسنت أفعالهم، فأصبحوا من أرقى الأمم، وأحسنها أخلاقاً، وما ذاك إلا بفضل تطبيق الإسلام في واقع حياتهم، وتطبيقهم لآدابه وما يدعو إليه من مكارم الأخلاق.

نصوص الكتاب والسنة تزخر بجواهر نفيسة في هذا المجال، وهي في مجملها تهدف إلى سبر الأخلاق، ورفعته، والقدوة في ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي شهد بعلو خلقه القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وقد أعلی رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكانة حسن الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: - فيما يرويه أبو الدرداء^(٢) - «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الغم والفرج»^(٤).

وعن عبد الله بن المبارك^(٥) أنه وصف حسن الخلق فقال: «هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى»^(٦).

(١) سورة القلم الآية/٤

(٢) هو: الإمام القدوة قاضي دمشق، وصاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق، ومن أقواله "من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده" توفي - رضي الله عنه - سنة/٣٢٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥-٣٥٢

(٣) وقد أخرجه الترمذي - رحمه الله - في جامعه كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق برقم/٢٠٠٣/٤/٣١٩، وأخرجه ابن حبان - رحمه الله - كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق برقم/٤٨١/٢/٢٣٠

(٤) وقد أخرجه الترمذي - رحمه الله - في جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق برقم/٢٠٠٤/٤/٣١٩، وقال: صحيح غريب.

(٥) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التيمي المروزي أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد الناجر، ولد سنة/١١٨هـ، مصنف كتاب الجهاد، وهو أول من صنف فيه، توفي سنة/١٨١هـ، انظر ترتيب المدارك ٣/٣٦-٥١، الأعلام ٤/١١٥

(٦) وقد أخرجه الترمذي - رحمه الله - في جامعه، كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق برقم/٢٠٠٥/٤/٣١٩

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
«كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو^(٢) - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مجلس: «ألا أخبركم بأحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ - ثلاث مرات يقولها - قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحسنكم أخلاقاً»^(٣).

وأمة هذا دستورها، وهذا منطلقها لا شك أنها أمة أخلاق سامية، ومن أمة الإسلام أهل الأندلس إبان دخول الإسلام هناك.

يقول المقرئ: (وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فإنها تختلف بحسب الأوقات؛ والنظر إلى السلاطين، ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة في ذلك، وإنكارهم أن تنهون فيه أصحاب السلطان)^(٤).

وهم أمة تستقيح كل أمر يخل بالمروءة، وكل منهم يستقل بنفسه.
يقول المقرئ: (وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدرورة - طلب الصدقة - التي تكسل عن الكد، وتخرج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى النهاية، وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب سبوه، وأهانوه، فضلاً عن أن يتصدقوا عليه، فلا تكاد تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر)^(٥).

(١) وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق برقم ٢٣٢/٢/٤٨٣

(٢) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل الإمام الخير العابد صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن صاحبه، ويكنى بأبي محمد وقيل بأبي عبد الرحمن، وقيل بأبي النصر القرشي السهمي، توفي سنة ٦٥ هـ

انظر سير أعلام النبلاء ٢/٧٩-٩٤

(٣) وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق برقم ٢٢٧/٢/٤٧٩

(٤) المقرئ نفح الطيب م.س. ٢١٠/١

(٥) المقرئ، نفح الطيب ٢١٠/١-٢١١

ويقول المقرئ - أيضا: - (بغداديون في نظافتهم، وظرفهم، ورقة أخلاقهم... وذكائهم، وحسن نظرهم، وجودة قرائحهم، ولطافة أذهانهم... ونفوذ خواطرهم)^(١).

وأهل الأندلس في غالبهم أهل سنة والسائد في مجتمعهم المذهب السني مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي التيمي - رحمه الله تعالى - وقد أحاطوا الأخلاق بسياج قوي، وما أدل على ذلك من ذكرهم للأخلاق والآداب في كتبهم ومصنفاتهم، وما يذكرونه في تلك المصنفات من الحدود التي تقي بإذن الله تعالى من الوقوع في الرذائل ومنكرات الأخلاق، ولكن رغم سمو أخلاق الأندلسيين، وشدة تمسكهم بالكتاب والسنة مع ذلك كله قد وجد بعض المنكرات التي تخدش الأخلاق، وتقذح فيها مثل شرب الخمر، والغناء، وفيما يلي بيان ذلك، والاحتساب عليه.

شرب الخمر، والغناء، والاحتساب عليهما

شرب الخمر

وقد ظهر من الاستقرار والتبع أنه في فترة من الفترات، وبالأدق في الآونة الأخيرة من تاريخ الإسلام في الأندلس قد كثر ولع الأندلسيين بالشراب وانتشر ذلك في تلك الأمة فلا يكاد يخلو بعض مجالسهم من وجوده على اختلاف طبقات المجتمع، ولعل ذلك من أسباب سقوطها في أيدي النصارى المعتدين.

يقول المقرئ في رسالة يصف نهر إشبيلية (وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لأنه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر إلى شر وعريضة)^(٢).

ويقول: (خرج الوزير أبو بكر بن عمار، والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير بن خلدون من إشبيلية إلى قنطرة لبني العباد وقت الربيع وقد تفتحت الزهور،

(١) المقرئ نفع الطيب ١٣٤/١

(٢) المقرئ نفع الطيب ١١٢/٣

وطاب النسيم، وقد نورا الانفراد للهر والطرب وبعثوا صاحباً لهم ليأتيهم بنبيذ يُذهبون به
السهم^(١).

وقال في وصف مائدة: (وقد نخصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل
بالشراب المالح، وقد قيل لأحد الخلفاء وقد أشرف على الموت أسأل ربك المغفرة فرفع
يده وقال: يا رب أسألك من جميع ما في الجنة خمر مائدة وزبيب إشبيلية)^(٢).

حتى إن بعضهم يقر بأنه ارتكب كبيرة في شربه لها يقول بعضهم شعراً:

شربتها علماً بأنني # # # أتيت في شربها كبيرة

مرتجياً رحمة وعفوا # # # يحسن مالي من السريرة^(٣)

ويصف الرماني المجالس وكيف كانت كدرا الكأس فيها.

وكنْتُ أدير الكأس حتى أراهما # # # يميلان من سكر ويعتدلان

فكانا بما في الجسم من رقة الضنا # # # يكادان عند الضم يلتقيان^(٤)

وجاء أن الوزير هشاماً استدعى الأديب فرج بن سلام البزار لكي يأنس به في
مجلس سمر وشراب، ولما حضر الأديب أمر إحدى قياته بالغناء فغنت بأبيات فهم
الحاضرون منها تعريضاً بفرج ضيف الوزير هشام فتكدر المجلس فتنصل الأمير من تبعة
ذلك، واعتذر لفرج بن سلام^(٥).

(١) المقرئ نفح الطيب ٢٤٣/٣

(٢) المقرئ نفح الطيب ٢١٩/٣

(٣) أبو عبد الله محمد المراكشي، الذيل والتكملة ص/٢١٧

(٤) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٤١/١

(٥) ابن حبان، المقتبس م.س. ١٦٣-٢٦٤

وكان الحاجب أبو عامر المظفر بن المنصور بن أبي عامر له مجالس للشراب،
والسمر، والأنس^(١)، وكذلك المعتمد بن عباد^(٢) وكلفه بالشراب والجواري^(٣).

الغناء

أما الغناء فإنه قرين الشراب، فلا يوجد شراب إلا وقرينه الغناء والضرب، وقد
أغرق أهل الأندلس في ذلك على اختلاف عصورها وحقبها التاريخية إلا من رحمه الله
تعالى، فكان الغناء يتبع الشراب، فإذا دارت الكأس غنت القينة، وطرب المجالسون، وقد
تبارى أهل الأندلس في ذلك حتى من الفقراء، فكان لمسلم بن يحيى مولى بني زهرة جارية
رغم أنه كان يسكن بيتاً طوله اثنا عشر ذراعاً في مثلها^(٤).

حتى الفقهاء والمحدثون قد وجد ذلك من بعضهم، فهذا معاوية بن صالح صاحب
المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة في الفقه، والحديث المتوفى سنة/١٥٨هـ وجدت عنده أداة
الملاهي^(٥).

كما وجدت الشاعرات الأندلسيات، وهن شعر مكشوف مليء بأسباب البذاءة،
والفاظ السوق، وأسماء عورات الجنس على السواء، وكان هذا الشعر ينشر في
المجتمعات، ويحفظ ويذاع، ولعل من أفحش هذا الشعر ما روي لنزهون القلاعية
الغرناطية، ولولادة بنت المستكفي، ولمهجة بنت التبانى القرطبية^(٦).

(١) المقري، نفح الطيب ٢٤٤/٣

(٢) هو: المعتمد بن عباد صاحب الأندلس المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن عبد الملك المعتضد بالله أبي

عمرو عباد بن الظافر اللخمى، ولد سنة/٤٣١هـ، وتوفي سنة/٤٨٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ١٩/٥٨-٦٦

(٣) المقري، نفح الطيب ٢٣٤/٣

(٤) إحسان عباس ص/٤١ عن الذخيرة المخطوطة قسم ٣/٣٤، الأدب الأندلسي ص/٤٥

(٥) ابن الغرضي، تاريخ علماء الأندلس ٨٣٩/٢-٨٤١

(٦) د/ مصطفى، الأدب الأندلسي ص/٤٦-٤٧

وقد أسرف نساء الأندلس في الزينة، والتفنن في ذلك حتى وصل إلى درجة من الغلو جعل المؤرخ الأديب ابن الخطيب يقول: نسأل الله أن يغيض عنهم فيها عين الدهر^(١).

كما أسرف الأندلسيون في الشعر، ووصف الروض والمنتزهات، وأسرفوا كذلك في وصف مجالس القصص والمجون والطرب، ومن ينظر في شعر ابن شهيد^(٢) يعرف ذلك^(٣).

كذلك أنشد أبو بكر محمد بن عبد الملك^(٤) في وصف جمع من السكارى بعد أن أنهكهم الشراب وغلبهم النوم.

وموسدين على الأكف خدوهم # # # قد غاظم نوم الصباح وغالي
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم # # # حتى سكرت وناهم ما نالي
والخمر تعلم كيف تأخذ ثأرها # # # إني أملت إناؤها فأمالني
وكثيرا ما كان شعر الخمر مزاجا من وصف مجلسها، وأثرها في النفوس مع غزل
بالمذكر، وشعراء الأندلس، قد أكثروا القول في الغلمان إكثاراً فاق نظيره في المشرق،
وربما كان للبيئة المختلطة أثر وسبب في ذلك، فإن العرب لم يعرفوا الغزل بالمذكر إبان
صفاء مجتمعهم من العناصر التي امتزجت به حتى ابتداء العصر العباسي، ثم إن أولئك
الشعراء يدركون أن الموضوع الذي يطرقونه كربه على النفس بعيد عن الذوق شاذ عن
طبيعة الإنسان، فراحوا ينمقون القول فيه، ويقدمون تلك المعاني في ثوب مزرکش من
ذلك قول ابن شهيد^(٥):

(١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ١/١٤٥، الأدب الأندلسي ص/٤٧

(٢) هو: أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين بن شهيد الأشعبي القرطبي الشاعر
البليغ حافظ وقته، توفي سنة/٤٢٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٠١-١٠٢هـ.

(٣) نفح الطيب ٢/٦٦-٦٧

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز من أهل إشبيلية سكن قرطبة، أبو بكر، وكان حافل الأدب قديم
الطلب عالما باللغة والعربية ومعاني الشعر توفي سنة/٥٣٦هـ، انظر في الصلة رقم/١٢٨٩

(٥) ديوان ابن شهيد ص/١٢٠، الأدب الأندلسي ص/٥٣

فلما تملأ من سكره # # # ونام ونامت عيون العسس

دنوت إليه على بعده # # # دنو رفيق دري ما التمس

هذا يدل على تخفي المرتكب هذا الفعل القبيح المنكر وخوفه من عيون الرقباء لقبح ما أتى من منكر.

ولقد وجدت طائفة من المختلين الذين تروى حوهم بعض الطرف التي تجمع بين الفكاهة والبذاءة، وكان في مقدمة هؤلاء رجل اسمه الهبدورة رويت حوله بعض النوادر الخادشة للحياء كما وجد في الأندلس - أيضا - طبقة من أصحاب الشذوذ، وكانوا أكثر عددا في قرطبة منها في أي مدينة أخرى، ولقد تجمعوا في حي منها بعينه اسمه درب ابن زيدون^(١)، فكان الناس إذا أرادوا التعريض برجولة إنسان قالوا إنه من درب ابن زيدون^(٢).

كما أن المغني زرياب القادم من المشرق وجد الترحيب وحسن الاستقبال من قبل الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط هو وأسرته، وأجرى له مرتبا كبيرا، ومنحه دورا، وضياعا، وبساتين دخلها أربعون ألف دينار فلما ملك حبه استدعاه وبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع الغناء، ولما استولى حبه على قلبه فتح له بابا خاصا يدخل عليه منه، وكان يركب في أكثر من مائة مملوك، وفي ملكه ثلاثمائة ألف دينار دون الضياع^(٣).

الاحتساب على شرب الخمر والغناء

وتكون معرفة الاحتساب على هذين المنكرين بالاطلاع على حكم ذلك في أمهات كتب المذهب المالكي.

فقد روى الإمام مالك - رحمه الله تعالى - في موطئه عن ثور بن زيد الديلي أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل، فقال له علي بن أبي طالب: «نرى أن

(١) هو: أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد الفخزومي القرشي الأندلسي القرطبي الشاعر حامل لواء الشعر في

عصره، توفي سنة / ٤٦٣، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٠.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ١/ ١٧١-١٧٢، الأدب الأندلسي ص/ ٥٤.

(٣) المقرئ، نفح الطيب ٣/ ١٢٥-١٣٢.

تجلده ثمانين؛ فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري - أو كما قال - فجلدهم عمر في الخمر ثمانين»^(١).

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب^(٢) يقول: «ما من شيء إلا يحب الله أن يعفى عنه ما لم يكن حداً»^(٣).

قال مالك - رحمه الله - «والسنة عندنا أن كل من شرب شراباً مسكراً فسكر أو لم يسكر فقد وجب عليه الحد»^(٤).

قلت: يظهر جلياً من قول هذا الإمام - رحمه الله تعالى - العمدة في الأندلس ثبوت حد شرب الخمر.

ويتحدث ابن حزم عن حد شرب الخمر في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في شروط الحد وهي ثمانية.

الفصل الثاني: في مقدار الحد.

الفصل الثالث: فيما يثبت به الحد^(٥).

كما أن الإمام ابن رشد عقد باباً في كتابه القيم - بداية المجتهد - فبين حكمها، وأدلة كل فريق من العلماء.

فقال: (فأما الموجب فاتفقوا على أنه من شرب الخمر دون إكراه قليلها وكثيرها. وأما الواجب فهو: الحد والتفسيق إلا أن تكون التوبة، والتفسيق في شارب الخمر باتفاق وإن لم يبلغ السكر، وفيمن بلغ حد السكر فيما سوى الخمر^(٦)).

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، في كتاب الأشربة، الحد في الخمر رقم/١٥٣١/ص/٦٠٧.

(٢) هو: سعيد بن المسيب بن حزن الإمام العلم أبو محمد القرشي الخزومي عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد لستين من خلافة عمر - رضي الله عنه - بالمدينة، وتوفي في سنة/٩٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء،

٢٤٦-٢١٧/٤

(٣) رواه مالك في الموطأ في كتاب الأشربة، الحد في الخمر رقم/١٥٣٣.

(٤) مالك في كتاب الأشربة، الحد في الخمر ص/٦٠٨.

(٥) ابن حزم، كتاب القوانين الفقهية ص/٣٠٩-٣١٠.

(٦) ابن رشد بداية المجتهد ١٧٣٧/٤

قال في المدونة: (وأجمعت الأمة على أن الخمر محرمة في كتاب الله تعالى، إلا أنهم اختلفوا إن كانت محرمة في الكتاب بنص أو دليل، والصحيح أنها محرمة فيه بالنص؛ لأن المحرم هو المنهي عنه الذي توعد الله عباده على استباحته، وقد نهى الله عن الخمر في كتابه، وأمر باجتنابها، وتوعد على استباحتها)^(١).

ثم قال: (وأجمعت الأمة على تحريمها، فتحريمها معلوم من دين النبي - صلى الله عليه وسلم - ضرورة، فمن قال: إن الخمر ليست بحرام فهو كافر بإجماع يستتاب المرتد، فإن تاب وإلا قتل)^(٢).

وقال: - أيضا - (وشرب الخمر من أكبر الكبائر، والآثار الواردة في التشديد في شرب الخمر كثيرة، قد أكثر الناس من ذكرها)^(٣).

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كل مسكر خمر وكل خمر حرام»^(٤). (فما أسكر من جميع الأشربة فقليله وكثيره حرام هذا قول مالك - رحمه الله تعالى - وجمهور أهل العلم، وخالف في ذلك أهل العراق)^(٥).

من هذه النصوص وغيرها التي يعتمد عليها المذهب المالكي في إقامة حد شرب الخمر على شاربها، وهذا هو المذهب المعترف في الأندلس، من هذا يتبين جانباً من الاحتساب على مرتكب هذا المنكر العظيم، وفي إقامة حد شرب الخمر ردع وزجر لمن يقع في هذا المنكر، وهو سياج منيع يحفظ الأخلاق ويعلي من شأنها.

وقد جاءت الأسئلة والقيت على أئمة المذهب في مسائل تتعلق بالخمر وشربه، والكشف عن متعاطيه، فأفتى أولئك العلماء بفتاوى تقرر منع هذا الشراب وتردع مرتكبيه.

(١) الإمام سحنون، ملحق المدونة الكبرى ٢٣٧/٥-٢٣٨

(٢) المصدر نفسه ٢٣٨/٥

(٣) الإمام سحنون، ملحق المدونة الكبرى ٢٣٩/٥

(٤) المصدر نفسه ٢٣٩/٥

(٥) المصدر نفسه ١٨٨/٥

جاء في تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون المتوفى سنة/٧٩٩هـ^(١): (وفي مفيد الحكام قال عيسى في الحاكم يرفع إليه بأن في بيت فلان خمرا: إن أخبره بذلك واحد ومن لا تجوز شهادته فليكشف عن ذلك ولا يهتك بهذا ستر مسلم، وإن شهد شهود على البيت كشف عن ذلك فأراقوها وضربه ضربا دون الحد، وإن قالوا للحاكم بلغنا عن ذلك فإن لم يكن مشهورا بالشر، وله حرمة ويعلمه بما قيل عنه، ويحذره أن يبلغه عنه مثل ذلك، وإن كان متهما كشف عنه فإن وجد ذلك كما قيل أدبه، وإن لم يوجد كذلك زجره وتوعده.

قال ابن حبيب: وسمعت مطرفا وأصبع يقولان في السلطان يرفع إليه أن في بيت فلان خمرا: إن كان ماثورا بذلك أو بينا مشهورا بالخمر والسفہ فترى أن للسلطان أن يتعاهده ويتعاهد الكف عنه^(٢).

وعن مالك - رحمه الله - في الشرطي يأتيه رجل يدعو به إلى ناس في بيت على شراب فقال: إن كان بينا لا يعلم ذلك منه فلا يتبعه، وإن كان معلوما بذلك وقد تقدم فيه فليتبعه^(٣).

(١) هو: عبد الله بن محمد بن فرحون البصري المالكي أبو محمد فقيه من العلماء بالحدث ولد سنة/٦٩٣هـ، له

من الصنفات "كشف المغطى في شرح الموطأ، انظر الأعلام ١٢٧/٤

(٢) فتح العلي ١٨٦/٢

(٣) فتح العلي المالك ٢٢٨٧

وقد ذكروا روايات عن ابن عباس وابن مسعود^(١)، وعمار بن ياسر^(٢) - رضي الله عنهم - أنهم ستروا على من اطلعوا على فعل ذلك أملاً في إصلاح حالهم، وإيثارا للستر. وعن مالك في الجار يظهر شرب الخمر وغيره أنه ينهى فإن انتهى وإلا رفع أمره إلى الإمام.

قال ابن وهب: (الستر واجب إلا على الإمام، والولي، وأحد الشهود الأربعة في الزنا)^(٣).

قال ابن حبيب: (وسمعت ابن الماجشون يقول: في اللصوص، وقطاع الطريق أرى أن يطلبوا في مظانهم ويعاون عليهم حتى يقتلوا أو ينفوا من الأرض)^(٤). قال ابن فرحون: وهل للقاضي أن يتعاطى هذا الكشف؟ فظاهر كلامهم أن ذلك تلواني والشرطي دون القاضي. وذكر القرافي^(٥) أن للمحتسب أن يفعل ذلك؛ لأن قاعدة ولايته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٦).

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي المهاجري البصري حليف بني زهرة، صحابي جليل ومن السابقين الأولين؛ توفي في المدينة، ودفن بالبقيع سنة/٣٢هـ، وكان - رضي الله عنه - نجيفا قصيرا شديد الأدمة عاش ثلاث وستين سنة، انظر سير أعلام النبلاء ١/٤٦١-٤٩٩

(٢) هو: عمار بن ياسر بن عامر الإمام الكبير أبو البقطان العنسي المكي أحد السابقين الأولين والأعيان البصريين، عاش ثلاث وتسعين سنة وتوفي - رضي الله عنه - في معركة صفين سنة/٣٧هـ انظر سير أعلام النبلاء ١/٤٠٦-٤٢٨

(٣) المصدر نفسه ١/١٨٧

(٤) فتح العلي المالك ٢/١٨٧

(٥) هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاء؛ له مؤلفات جليلة في الفقه والأصول، منها: شرح تنقيح الفصول، أنوار البروق في أنواع الفروق، والذخيرة في فقه المالكية، توفي سنة/٦٨٤هـ، انظر الأعلام ١/٩٤

(٦) المصدر نفسه ١/١٨٧

المبحث الرابع

الاحتساب في مجال العلم والتعليم وفيه ثالث مطالب

المطلب الأول: العلم وفضله، والرحلة إليه إحتسابا

المطلب الثاني: العلم والتعليم في الأندلس والمبادرة إليه إحتسابا

المطلب الثالث: نظام التعليم في الأندلس

المطلب الأول: فضل العلم، وطلبه، والرحلة إليه إحتساباً

لقد اهتم الدين الإسلامي الخفيف بالعلم اهتماماً عظيماً وأعلى من شأنه ومكانته، والناظر بتأمل وتدبر في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وآثار سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - يجد أنها تزخر بنصوص كثيرة تؤكد حرص الإسلام على العلم والعناية به، ودفع المسلمين وحثهم على تحصيله وسلوك طريق طلبه، وترغيبهم في نشره وتعليم الآخرين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١). وقال عز وجل ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَإِلَهُ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

فبدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بملائكته وثلاث بأهل العلم، وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالة ونبلاً.

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٤). وقال تبارك وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيْنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٧). وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(٨).

(١) سورة المجادلة الآية/ ١٠.

(٢) سورة آل عمران الآية/ ١٧.

(٣) سورة الزمر الآية/ ٩.

(٤) سورة العنكبوت الآية/ ٤٣.

(٥) سورة النحل الآية/ ٤٣.

(٦) سورة العنكبوت الآية/ ٤٩.

(٧) سورة فاطر الآية/ ٢٨.

(٨) سورة البينة الآية/ ٦.

فاقتضت هذه الآيات أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية فينتج أن العلماء هم خير البرية.
 وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من برد الله به خيرا يفقهه في الدين»^(١)، وعنه - صلى الله عليه وسلم - «العلماء ورثة الأنبياء»
 وحسبك هذه الدرجة مجدا وفخرا، وبهذه الرتبة شرفا وذكرافكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة^(٢).
 وقال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»^(٣).

قال سفيان بن عيينة - رحمه الله تعالى - «أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء، وقال - أيضا - : لم يعط أحد في الدنيا شيئا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه...»^(٤).
 وقال الشافعي - رحمه الله تعالى - : «إن لم يكن الفقهاء العاملين أولياء الله فليس لله ولي»^(٥)، وقد جعل الله تبارك وتعالى الأمة الإسلامية أمة هادية مهتدية تحمل لواء العلم وتحملو ظلمات الجهل، وقد قام ورثة الأنبياء فيها من أئمة الدين بإضاءة منار العلم بما بحثوه في حقائقهم العلمية، وما صنفوه من المصادر الجلية التي خلدها التاريخ مفخرة للمسلمين ونبراسا يهتدون به في تحديد ما درس من حضارتهم، وإحياء ما غطى عليه الجهل من معارف كتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم.

(١) وقد أخرجه البخاري - رحمه الله تعالى - عن سعد بن عفير به في كتاب العلم ١/١٦٦، وأخرجه الترمذي - رحمه الله - انظر ما معه، كتاب العلم باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين برقم ٢٦٤٥/٥/٢٨.
 (٢) انظر ابن جماعة الكشاني، تذكرة السامع والتكلم في أدب العلم والمعلم (لبنان بيروت دار الكتب العلمية) ٦/ص ٦١.

(٣) وقد أخرجه مسلم - رحمه الله تعالى - انظر صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاحتجاج على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم ٣٨/٤/٢٠٧٤.

(٤) انظر ابن جماعة، تذكرة السامع والمعلم م. س. ص ١١.

(٥) انظر ابن جماعة، تذكرة السامع والمعلم م. س. ص ١١.

وقد سبق بيان فضل العلم واهتمام الدين الإسلامي به، وكذا فضل طلبه وتحصيله حيث إن له في الإسلام مكانة عظيمة عالية ومثوبة حسنة وأجر جزيل وثواب عظيم؛ ولذلك نجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يهتمون بهذا الجانب اهتماما بالغاً ويعتنون به عناية فائقة فيبذلون كل ما في وسعهم - في سبيل طلب العلم وتحصيله - من جهد ووقت ومال، فتجدهم يراعون آداب طلب العلم فيبدأون بالأخذ عن شيوخ بلدتهم حتى يستوفوا ما عندهم ويستوعبوه ثم يرحلون في طلبه فيحصلون في الرحلة ما ليس عندهم، فبمراعاة تلك الآداب تؤتي الرحلة ثمارها وتحقق أهدافها، ومن تلك الفوائد والثمار:

١ - التمكن من الجوانب التعليمية، وذلك أن الإنسان يتأثر بيئته ومحيطه وقد تعلم فيه المؤلفات التي عاش بينها فإذا رحل إلى بيئة أخرى ألقي مسائل جديدة تبحث، أو آراء جديدة في مسائل سبق له أن درسها فيتسع أفقه واجتهاده بدراسة الجديد من المسائل أو الجديد من الآراء، قال العلامة ابن خلدون: (إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة تزيد كمال في التعلم^(١)).

٢ - نشر العلم الذي حصله العالم وذلك أن العالم كثيراً ما ينبغ في بلد يضيق عن حمل نبوغه لعدم توفر الكفاءات أو لقلة اهتمام البلد بالعلم فيرحل إلى مدينة تكون أوسع مجالاً وأشد حاجة واهتماماً فيكثر الانتفاع به، وهذا الشيخ عز الدين بن عبد السلام مرَّ عند خروجه من الشام بالكرك فلقاه صاحبها وسأله الإقامة، فقال الشيخ: (بلدك صغير على علمي) فتوجه إلى القاهرة^(٢).

٣ - اتساع الثقافة العامة وذلك لكثرة احتكاك الإنسان بالجديد عليه من الناس وما لديهم من عادات وثقافة وحكم وأمثال ونواذر.

٤ - تنمية الفضائل والكمالات في النفس وقد كان هذا غرضاً يرحل إليه الراحلون، يقصدون أهل الفضل للتأسي بأحوالهم وصفاتهم. قال الإمام العالم الحافظ الزاهد أحمد

(١) انظر ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون م.س. ٢٤٢/٢

(٢) انظر الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث تحقيق عتر الطبعة الأولى (لبنان دار الكتب العلمية

بن فرج الإشبيلي في الإمام النووي: (الإمام محي الدين قد صار إلى ثلاث مراتب كل مرتبة لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال: العلم، والزهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)).

٥ - كسب صداقات جديدة خالصة، والصداقة الخالصة من ألد ما يتمتع به الإنسان في الدنيا، وقد ذكر الله تعالى من نعيم أهل الجنة أن متعتهم بمحبة بعضهم لبعض قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا...﴾^(٢).

(١) انظر نور الدين عن دراسة تطبيقية في الحديث النووي (لسان دهر مكتب العلمية ط/١ ١٣٩٥ / ١٩٧٥ م) ص ٣٧٦

(٢) سورة الحجر الآية/٤٧

المطلب الثاني: العلم والتعليم في الأندلس والمبادرة إليه احتساباً

والناظر في التراث الأندلسي والآثار التي تركتها تلك الأمم الأخيار وأولئك الرجال النجباء يجد أن تلك الأمة أمة علم، وفقه، ودراية، وقد امتثلت هذه النصوص العظيمة وطبقتها في واقعها العملي وضربت بحظ وافر في فروع العلم المختلفة، وسبقت غيرها في ذلك، فقد تركت تراثاً عظيماً غزيراً يدل على إدراكها قصب السبق في تلك العلوم، ويدل كذلك على قدم راسخة فيها، وعلى أن ذلك لم يتحقق إلا بتوفيق الله عز وجل ثم ببذل المنهج والأرواح، وكده، وتعب ونصب، وإفناء الأعمار في جمعه وتحصيله، ثم تقديمه للأمة بأسلوب طيب جميل، ويكمن وراء ذلك الاحتساب وابتغاء الأجر والثوبة من الله تعالى من أولئك الرجال الذين كانوا نجوماً مضيئة في سماء أمتهم، وزينة للأرض التي عاشوا عليها فامة الأندلس أمة تميزت بعلو الهمة والجد والاجتهاد، والمثابرة في طلب العلم وتحصيله، يقول المقرئ: (وأما حال أهل الأندلس في فنون العلم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التمييز فالجاهل الذي لم يوفقه الله يجتهد أن يتميز بصنعه ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامية يشار إليه، ويحال عليه وينبه إلى قدره وذكره عند الناس ويكرم في حوار أو ابتياح أو ما أشبه ذلك^(١)).

والمتتبع لتاريخ التعليم في الأندلس منذ دخلها الإسلام حتى خرج منها يطول به المقام في هذا الميدان لعظمه وسعته وعمق غوره، وقد كتبت رسائل علمية في هذا الجانب^(٢)، وقد كان الفاتحون للأندلس وحاملوا الإسلام إليها، معلمين، ومربين، وناشرين لرسالة الإسلام الخالدة فبعد أن انتشر الإسلام في جزيرة الأندلس أدرك المسلمون هناك

(١) انظر المقرئ، فطح الطيب م.س. ٢٠٥/١.

(٢) انظر د/عبد الحميد عيسى تاريخ التعليم في الأندلس الطبعة الأولى (مصر القاهرة دار الفكر العربي

أهمية العلم وفضله وتحصيله، فبدأوا بذلك وتنافسوا فيه، ويظهر هذا الاحتساب في عدة صور ومنها ما يلي:

المبادرة إلى طلب العلم منذ الصغر

قد بدأ ذلك في الأندلس في وقت مبكر منذ الفتح، وكانت السن المعقولة لبدء التعليم هي ما بين الخامسة إلى السابعة^(١)، وكان الكتاب يتولون التأديب، والتعليم للأطفال منذ ذلك السن مقابل أجرة على ذلك ويشرف على عملهم الوالي، وكان ذلك في أول دخول الإسلام إلى الأندلس، فأول ما يبدأ بتعليمه هو القرآن الكريم، فينقل ابن القوطية^(٢) عند حديثه عن الصميل بن حاتم نصا جاء فيه (ومن أخبار الصميل أنه خطر يوما بمؤدب يؤدب الصبيان وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣)، فقال الصميل: نداوها بين العرب، فقال المؤدب بين الناس... فقال الصميل أوهكذا نزلت الآية؟ قال: نعم هكذا نزلت^(٤).

ومن هذا النقاش نستنتج وجود مكان لتأديب الأطفال يمكن المرور عليه ورؤيته وسماع ما يدور فيه، وقد وقع هذا بالتأكيد قبل عام/١٢٨هـ، أي: قبل تولي عبد الرحمن الداخل للإمارة الأندلسية، كما أن الزبيدي نقل نصا آخر عن الغازي بن قيس المتوفى سنة/١٩٩هـ يمكن أن نستنتج منه أنه في أيام دخول عبد الرحمن الداخل حيث كان الغازي يمارس التأديب، بل إن مهنة التأديب كانت شائعة، ويمارسها عدد كبير من الناس، وأن هؤلاء كانوا يشعرون بأنهم يمارسون حرفة معينة يجب أن يتقاضوا في مقابلتها أتعابا ويتجمعون للدفاع عنها يقول النص: (بأن الغازي بن قيس كان ملتزما بالتأديب في قرطبة أيام دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية سنة/١٣٨هـ/١٧٢هـ، وذكر محمد بن عمر بن

(١) انظر محمد عبد الحميد عيسى م.س. ص/٢١٨

(٢) هو: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي القرطبي النحوي علامة أدب، صاحب التصانيف منها:

"تصانيف الأفعال، توفي سنة/٣٦٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٩-٢٢٠

(٣) سورة آل عمران الآية/١٤٠

(٤) ابن القوطية، الفتح الأندلس م.س. ص/٤٠-٤١

لبابة أن رجلا مكر ببعض المؤدبين في الخدمة أي: فيما يجب أن يدفعه مقابلًا للخدمة، فمنعها المؤدب فناظره في ذلك وتعصب له المؤدبون بقرطبة وأشفقوا أن يفتح عليهم باب منع، فأتوا غازي بن قيس فقالوا: يا سيدنا تعريضا بالتأديب، عرض لنا كيت وكيت، وقال: يغرمها صاغرا قمينا وقضى لهم بذلك؛ إذ هما مما جرى عليه الناس^(١).

من هذا النص يظهر ظهور التعليم والتأديب في الأندلس، وكثرة المؤدبين في قرطبة، وأن ذلك بأجرة جرت بها العادة بين الناس.

والمكتب الذي يؤدب فيه الصبيان عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال ويكون في غرفة في منزل، أو حانوت يكثرى، وكانت العادة أن يكون قريبا إلى المسجد حيث يرى السقطي أن معلمي الصبيان يجب أن يكونوا بالشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت^(٢)، أما المساجد فإنها تنزه عن ذلك.

فيقول ابن عبدون الإشبيلي: (المساجد هي بيوت الله وموضع الذكر والعبادة مشهورة بالطهارة، ويجب أن لا يؤدب فيها الصبيان فإنهم لا ينحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولا بد ففي السقائف^(٣)).

المطلب الثالث نظام التعليم في الأندلس

أما العلوم التي يتلقاها الطالب في ذلك الكتاب فهي تربية دينية تقوم على تعليم القرآن الكريم، والآداب الشرعية، ويهدف المعلمون من ذلك تربية النفس والروح، وتهذيب السلوك للطفل؛ لغرس العقيدة الإسلامية في أذهان الناشئة منذ الصغر، ومن هنا كان تعليم القرآن الكريم وتحفيظه هو الهدف السائد في هذه المرحلة في كافة أنحاء البلاد الإسلامية، ويصف ابن خلدون ذلك بقوله: (واعلم أن تعليم الولد للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من

(١) انظر الزبيدي، طبقات النحويين م.س. ص/٢٧٦-٢٧٨

(٢) انظر السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص/٦٨

(٣) ابن عبدون، رسالة في آداب الحسبة م.س. ص/٣١٤

رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات^(١).

أما عند أبي الوليد الباجي^(٢) فهي: حفظ القرآن الكريم، وحفظ الحديث النبوي الشريف، والتعرف على ما كان فيه صحيحا وما كان غير صحيح، ودراسة علم أصول الفقه الذي هو أصل لمعرفة القرآن والحديث، ويجب على الطالب أن يتدرب تدريبا سليما على معرفة طرق النظر، وتصحيح الأدلة، وإقامة البراهين^(٣).

وأما أهل الأندلس يخطون في تعليم الولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، والأخذ بقوانين العربية، وحفظها، وتجويد الخط، والكتابة، فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل، ومدارس العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي^(٤).

فأهل الأندلس يعتنون بتعليم أولادهم منذ الصغر القرآن الكريم، وعلوم الأدلة بكل عناية وتركيز سواء قاموا بذلك بأنفسهم وإلا نذبوا المؤدبين والمعلمين للقيام بذلك خير قيام؛ لأن ذلك أصل من أصول الديانة.

طريقة التعليم في الكتاب

تتلخص طريقة التعليم في الكتاب في أن المعلم يقوم بقراءة آية من آيات القرآن، ثم يقوم الطفل بزيديها حتى يحفظها، ثم ينتقل إلى آية أخرى وهكذا، وهناك بعض المعلمين ممن كانوا يلجأون إلى تعليم الأطفال السور القرآنية القصيرة أولا، وبعضهم كان يبدأ حسب ترتيب المصحف.

(١) ابن عثرون، المقدمة م.س. ١٢٣٩/٣

(٢) هو: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي ولد سنة/٤٠٣ هـ له مصنفات منها: المنتقى في شرح الموطأ، إحكام الفصول: توفي سنة/٤٧٣

(٣) أبو الوليد الباجي: وصية القاضي تحقيق عبد اللطيف محمد الجيلاني ط ١ (الرياض أضواء السلف ١٤١٩ هـ) ص/٢٨

(٤) ابن عثرون، المقدمة م.س. ١٢٣٩/٣ - ١٢٤٢

أما ابن رشد فإنه يؤيد أن المؤدب ينبغي له في تعليمه للصبيان أن يدرّبهم على كتابة الحروف وقراءتها فإذا ألفوا ذلك شرع في تحفيظهم السور القصار من القرآن^(١). وعندما ينتقل الصبي من جزء إلى آخر كان عليه أن يقرأ على معلمه ما قد سبق وأن تعلمه، وهكذا يمضي الصبي من جزء إلى آخر حتى يتم حفظ القرآن^(٢). وكان لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد أن يحفظه، فإذا أتم حفظه وأتقنه محاه ليكتب فيه شيئا جديدا.

تنظيم أوقات الدراسة

وكان الصبيان يدرسون القرآن الكريم من أول النهار في وقت مبكر حتى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر^(٣)، والأندلسيون يهتمون بالجانب التعليمي غاية الاهتمام، وينظمونه تنظيما دقيقا ومناسبا؛ لأنه عندهم صناعة وحرفة. يقول ابن عبدون: (إن التعليم صناعة يحتاج إلى معرفة، ودربة، ولطف، فإنه كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل التعليم)^(٤).

سلطة المعلم في الأندلس

ولقد أعطي المعلم سلطة واسعة، إن لم تكن مطلقة على الأولاد رفعتهم إلى مكانة الوالد بالنسبة لهم، فعلاوة على مسؤولياته التعليمية، فهو — أيضا — مسؤول عن النواحي التربوية، وأهم ما يجب أن يكون موضع اهتمام المعلم تعليم الأولاد الصلاة، وطاعة الوالدين والبعد عن الأخلاق الفاسدة، وله الحق في عقاب الأولاد بالضرب لحملهم على

(١) ابن رشد، نظام الحسبة في الإسلام م.س. ص/١٣٨

(٢) انظر د. محمد عيسى تاريخ التعليم في الأندلس م.س ٢٥٢

(٣) انظر المصدر السابق ٢٥٢

(٤) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء م.س. ص/٢٥

هذه الأخلاق الحميدة، وهنا شروط كثيرة تمنع أن يسرف المعلم في عقاب الأولاد؛ لأن ذلك مضر بالتعلمين.

يقول ابن خلدون في ذلك: (إن إرهاب الحد في العقوبة مضر بالتعليم، سيما في أصاغر الوند؛ لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل: وحمل على الكذب، والتخبط - وهو: التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه - وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه، ومنزله، وصار ميالا على غيره في ذلك بل كسلت النفس عن اكتساب الفضائل واخلى الجميل، فانقبضت عن غاياتها، ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد أسفل السافلين^(١)).

عدد الأسواط المسموح بضرب الصبي لقصد تأديبه

ونقد تحرز المربون المسلمون كثيرا من إعطاء سلطة الضرب الشديد إلى المعلمين، وذلك لأهميتها في نفسية الطفل، فابن سحنون^(٢) يقول: (لا بأس أن يضربهم على منافعهم ولا يجاوز بالأدب ثلاثا إلا أن يأذن الأب أكثر من ذلك إذا آذى أحدا، ويؤديهم على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثا^(٣)).

ويقول ابن رشد: ولا يضرب صبيًا بعصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تؤلم الجسم، بل تكون وسطا، ويتخذ مجلدا عريضا السير، ويعتمد في ضربه على الأفخاذ

(١) ابن خلدون، المقدمة م.س. ١٢٤٤/٣

(٢) هو: محمد بن سحنون وسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي الفقيه المالكي القيرواني له مؤلفات منها: "كتاب

السير"، ولد سنة/٢٠٢هـ، وتوفي سنة/٢٥٦هـ، انظر الواقي بالوفيات ٨٦/٣، الأعلام ٢٠٤/٦

(٣) ابن سحنون آداب المعلمين م.س. ص/٨٩

والإلية، وأسفل الرجلين؛ لأن هذه المواضع لا يخشى من الضرب فيها مرض ولا غائلة^(١)؛ ولقد منع ضرب الصبي على ظهره أو على بطنه، ويضرب فقط أسفل قدميه. ويرى السقطي ألا يضرب الصبي إلا تحت قدميه ثلاثاً أو خمساً^(٢).

وهذه القواعد التربوية من هؤلاء العلماء تدل دلالة واضحة على عناية الأندلسيين بتعليم الأطفال، وتربيتهم، ومراعاتهم نفسياً وجسدياً، ويدل على رقي العلم في تلك الأمة، كما يدل - أيضاً - على رقي الاحتساب؛ إذ كان المحتسب يراقب المعلمين، ويتابعهم في ذلك المجال.

المجالات التي يعاقب فيها الصبي

قد حدد المربون المجالات التي يعاقب فيها الصبي، ومنها: الهرب، وعدم الحفظ، إساءة الأدب، والفحش في الكلام، والقيام بالألعاب المحرمة، كاللعب بالقمار، وبصفة عامة القيام بأفعال شائنة^(٣).

مرعاة حاجات الطفل الأساسية

على المعلم أن يراعي حاجات الطفل الأساسية كأن يسمح له بالانصراف لقضاء حاجته ولا يؤخره فيورثه بعض الآلام، أو بعض الأمراض في جهازه البولي^(٤)، وعليه - أيضاً - أن يراعي وقت غذائهم وراحتهم ولا يسمح له باستخدامهم في حوائجه وأشغاله^(٥).

(١) المغراوي، جامع جوامع الاختصار م.س. ص/٤٠

(٢) السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص/٦٨

(٣) د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس م.س. ص/٤٠

(٤) المغراوي، جامع جوامع الاختصار م.س. ص/٤٠

(٥) ابن رشد، نظام الحسبة في الإسلام م.س. ص/١٣٨

استعمال بعضهم في تعليم البعض

وحيث إن المكتب كان يضم أولادا من سن مختلفة ومتباينة وقد سمح للمعلم باستعمال بعضهم في تعليم البعض الآخر، كان يقوم طفل بأمر طفل آخر ولكنه لا يسمح لتطفل بعقاب طفل آخر حيث لا يجعل لهم عريفا منهم إلا أن يكون الصبي قد حتم القرآن وعرف القرآن^(١)، وعليه أن يعدل بين طلابه في جميع الأمور بدون استثناء^(٢).

وما مضى من ذكر نظام الكتاب عند المسلمين في الأندلس يدل على حسبتهم في طلب العلم؛ فلذلك جرى بسط القول قليلا في جوانب نظامه وسيرته لأهمية ذلك؛ لأن من بلغ منزلة عالية في العلم لا بد أن يكون قد مرّ وتخرج في ذلك النظام، فلاحتمساب على طلب العلم بدأ مبكرا من سن الطفولة وانطلق من المكتب أو الكتاب، وحيث إن في تأسيس تلك الكتاتيب حسبة على طلب العلم، وقد وجد في الأندلس ذلك من كافة طبقات المجتمع ابتداء من أعلى كبار طبقات المجتمع وهم الأمراء، ويذكر هنا ما قام به الحكم المستنصر وإنشائه للكتاب حول المسجد الجامع في قرطبة وجعله لأبناء الفقراء واليتامى والمحتاجين، وأوقف عليه بعض دكاكين السراجين ليستمر قيامه لأداء رسالته.

(١) ابن سحنون، آداب المعلمين م.س. ص ٩٨.

(٢) المغراوي، جامع جوامع الاختصار م.س. ص ٤٦.

المبحث الخامس

الاحتساب على الأمراء والحكام في الأندلس وفيه تمهيد وخمسة مطالب

المطلب الأول: مكانة العلماء عند الولاة في الأندلس.

المطلب الثاني: بيان علماء الأندلس للحسبة على الحكام
وذكر آدابها.

المطلب الثالث: دخول العلماء على الأمراء.

المطلب الرابع: التزام الصدق والجرأة في الاحتساب على
الحكام والأمراء.

المطلب الخامس: الكتابة إلى الأمراء.

التمهيد: في طاعة ولاية الأمور

أولو الأمر هم أصحاب التصرف في شأن الأمة، الذين يملكون زمام الأمور وييدهم قيادة الأمة، وطاعتهم أصل عظيم من أصول الدين، ولأهميتها أدرجها أهل العلم في جملة العقائد الإيمانية^(١)، وقد تضافرت النصوص على ضرورة طاعة ولاية الأمر ولزومها منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)

وقال - صلى الله عليه وسلم - «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»^(٣). وفي حديث ابن عباس أنه - صلى الله عليه وسلم - «قال من رأى من أميري شيئا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شرا فمات إلا مات ميتة جاهلية»^(٤). عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في مشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)^(٥).

والنصوص في هذا كثيرة وكلها تؤكد ضرورة طاعة ولاية الأمر وأهميتها، وسبب ذلك كما يقول النووي: - رحمه الله - اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أخوانهم في دينهم ودنياهم، ويظهر ذلك جليا فيمن خرج عن طاعة السلطان. فالأمر فيه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولعله لا يكاد يعرف طائفة

(١) مسألة الإمامة من مسائل الفقه لكن لما حصل الافتراق في الأمة بسببها ونشأت العقائد على أساسها رأى العلماء إدخالها في مسائل العقيدة لهذا الاعتبار.

(٢) سورة النساء الآية/٥٩

(٣) رواه الإمام البخاري كتاب الجهاد، انظر صحيح البخاري مع الفتح ١١٦/٦، ومسلم كتاب الإمامة حديث رقم/٣٢

(٤) رواه البخاري انظر صحيحه مع الفتح ٥/١٣، ومسلم في كتاب الإمامة حديث رقم/٥٥

(٥) رواه مسلم في كتاب الإمامة باب البيعة على السمع والطاعة... انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٨/١٢

نخرجت على ذي سلطان إلا كان في خروجه من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته^(١).

ضوابط طاعة ولاية الأمور:

وإذا كانت طاعة ولاية الأمور واجبة وجاءت النصوص لتقريبها والتأكيد عليها، فإن هذه الطاعة ليست مطلقة بل مقيدة بقيود، ومشروطة بأمر لا بد منها؛ وذلك أن الطاعة المطلقة ليست لأحد إلا الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٢).

أما غير الله ورسوله فطاعته مقيدة، ولها ضوابط، ومن ضوابط طاعة ولاية الأمور: أولاً: أن يكون ولي الأمر مسلماً؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣). فقوله منكم أي: من جملة منكم أيها المسلمون^(٤). وقد أجمعت الأمة على أن الإمام المطاع هو المسلم ليس إلا، فإذا كان كافراً أصلياً أم عرضياً لا يجب طاعته^(٥).

ثانياً: الاستطاعة، فولي الأمر يطاع بحسب القدرة وقد دلت النصوص على ذلك قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾^(٦).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٥/١٢، منهاج السنة النبوية ٣٩٠/٣

(٢) سورة الأحزاب الآية/٣٦

(٣) سورة النساء الآية/٥٩

(٤) انظر الاستقامة ٢٩٥/٢

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١

(٦) سورة التغابن الآية/١٦

وروى جرير بن عبد الله - رضي الله عنه^(١) - فقال: «بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة، فلقني فيما استطعت، والنصح لكل مسلم»^(٢).
وعن عبد الله بن عمر^(٣) قال: «كنا إذا بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم»^(٤).

ثالثاً: أن تقوم الطاعة على النصح وذلك بأداء العمل على الوجه الصحيح سواء كان ذلك متفقاً مع هوى النفس ورغباتها، أم لا، وسواء أكان سهلاً أم شاقاً، في حالة الشدة والرخاء، فإذا أبي المسلم وامتنع أو قام بالعمل على وجه ناقص فقد غش ولي أمره، وغش المسلمين.

وفي حديث ثميم الداري^(٥) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الدين النصيحة الدين النصيحة: الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٦).

رابعاً: أن تكون الطاعة في المعروف، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً فأوقد ناراً، وقال: أدخلوها فأراد الناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إنما فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال للذين

(١) هو: جرير بن عبد الله البجلي بن جابر الأمير النبيل الجميل أبو عمر المقرئ من أعيان الصحابة كان يبيع

الحسن كامل الجمال توفي سنة ٥١١هـ، انظر السير ٥٣٠/٢-٥٣٦

(٢) أخرجه البخاري، انظر صحيحه مع الفتح ١٣/١٩٣، ومسلم كتاب الإمارة حديث رقم ٩٠.

(٣) بن الخطاب بن نفيل الإمام القدوة، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ثم المدني، استصفر يوم أحد، فأول

غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وتوفي سنة ٧٣هـ، انظر السير ٢٠٣/٣-٢٣٢

(٤) أخرجه البخاري، انظر صحيحه مع الفتح ١٣/١٩٣، ومسلم كتاب الإمارة حديث رقم ٩٠.

(٥) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثميم بن أوس بن عازرة اللخمي الفلسطيني عابداً ثلاثاً، لكتاب الله،

توفي سنة ٤٠هـ انظر السير ٤٤٢/٢-٤٤٨

(٦) رواه مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٩٥

أرادوا أن يدخلوها: (لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة) وقال للآخرين قولاً حسناً، وقال: (لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)^(١). وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة)^(٢).

ثمار طاعة ولاية الأمور

وإذا تحققت طاعة ولي الأمر على وفق مراد الشرع جاءت بآثار مفيدة وثمار جليلة منها:

١- تلاحم الأمة وتماسكها، وازدياد قوة الصلة بين أفرادها، وبهذا تتحقق وحدة الأمة وقوتها.

٢- انتظام أمور الدولة وأحوالها في أمور الدين والدنيا.

٣- إشاعة الأمن والاستقرار في ديار المسلمين.

٤- ظهور الأمة بمظهر الهيبة والقوة.

هذه بعض آثار طاعة ولي الأمر.

وقبل نهاية هذا التمهيد يحسن التأصيل لأمر ما يتعلق بولي الأمر وهو: الإنكار عليه بما يأتي من منكر، والأصل في ذلك الحديث الصحيح «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٣)

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف، انظر صحيح مسلم بشرح النووي م.س. ٢٢٦/١٢

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة انظر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (بيروت دار إحياء التراث العربي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ط/٣) ٢٢٦/١٢

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان حديث رقم/٧٨

فهذه قاعدة عامة والإنكار على ولي الأمر داخل في عموم هذه القاعدة، إلا أن أسلوب الإنكار مقيد بالمصالح، فيستعمل الناصح الأسلوب الذي يراه مناسباً، والذي تكون عاقبته إلى حال أفضل، وإلا كان ضرره أقرب وأكثر من نفعه.

مواقف العلماء مع حكامهم

وهذا الموضوع - أي: الاحتساب على الحكام - من الموضوعات المهمة؛ لأنه يتعلق به مصير الأمة ومستقبلها، وقد سجل التاريخ مواقف للعلماء مع حكامهم، لكن عند استعراض هذه المواقف نجد أنها تختلف، ويرجع اختلافها لأسباب لعل من أهمها:

- ١- اختلاف الفترة الزمنية، حيث إن لكل فترة طابعها الخاص بها.

- ٢- اختلاف طبيعة الحكام ومدى التزامهم بالشرع.

- ٣- اختلاف طرق وأساليب العلماء من حيث الشدة واللين، والحزم، والتساهل^(١).

وعند استعراض التاريخ انعام للأندلس نجد الاختلاف شديداً سواء في الفترة الزمنية، أو طبيعة الحكام، أو في طرق العلماء وأساليبهم من حيث الشدة واللين.

(١) فاروق السمراني، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص/ ٨٠.

المطلب الأول: مكانة العلماء عند الولاة في الأندلس

لا شك أن الحسبة على الولاة تكون - في الغالب - من العلماء؛ لأنهم هم الذين يعرفون أحكام ذلك، وأحواله، وبالتالي يتوخسون الأمر الذي يكون فيه صلاح الراعي والرعية، وكلما كانت مكانتهم عند الولاة عالية مرتفعة كلما تيسر لهم أمر الحسبة. وولاة الأندلس كانوا يحترمون العلماء ويرفعون من مكانتهم فيجعلون منهم المستشارين، والجلساء المقربين، حتى إنه في أيام المرابطين لم يكن يبرم حكم من أحكام الدولة دون استشارتهم^(١).

بل كانوا يدافعون عنهم - أحياناً - كما صنع الأمير محمد مع بقي بن مخلد لما عملاً عليه الفقهاء بقرطبة، حتى أمنه وخلصه من محتته، وتمكن من نشر علمه، وعرف الناس فضله^(٢)، ومما يدل على احترام الأمراء للعلماء استشارتهم لهم حتى في أخص الأمور كما فعل الخاجب المنصور لما أراد أن يتسمى بالخلافة، فاستشار الفقهاء في ذلك إلا أنهم وقفوا ضدّ رغبته، وكان من أشدهم في ذلك الفقيه محمد بن بقي بن زرب^(٣). وإنما حصل لأهل العلم هذه المكانة لأنهم ترفعوا عن كلّ ما من شأنه أن يضعهم أو ينال من مروءتهم، فانصاع لهم الحكام، وخضع لأمرهم الجبابرة من الملوك.

(١) انظر نفح الطيب م.س. ٣٥٤/١

(٢) المقتبس م.س. ص ٢٤٧

(٣) انظر رسائل ابن حزم رسالة نطق الورش ٦٢/٢

المطلب الثاني: بيان علماء الأندلس للحسبة على الحكام، وآدابها

اهتم أهل الأندلس بالحسبة عموماً - ومن ذلك الحسبة على الحكام - وجاء ذلك الاهتمام واضحاً في بيانهم لآداب ذلك وأحكامه.

يقول ابن عبدون في معرض حديثه عن الاحتساب: (يجب أولاً أن ينظر في أحوال الرئيس الذي هو القطب، وهو كمرکز الدائرة التي لا يكون حسناتها وصحة محيطها، وصلاحتها إلا بثبات المركز... وكمنزلة العقل من الإنسان إذا كان فيه صحيحاً فيكون نظره ورأيه حسناً، فبصلاح الرئيس يصلح الأنام، وبفساده يفسد النظام)^(١).

وهذا القول يدل على فهم عميق بمكانة الحاكم، وإدراك مكانته، وأهمية الاحتساب عليه.

ثم ذكر منهج العلماء في نصيح الحكام وإرشادهم، فقال: (فيجب لأهل العلم والدين أن يعرفوا أولاً أخلاقه، ويحتجوا أمره وفعله... فإن كان شكاً غضوباً مقداماً، فيجب أن يتلطف به ويساس أمره بلطف، ويحبب إليه الخير والسعي إليه، والأخذ به، وتذكر عنده المواعظ المحرقة للنفوس على طريق سياق الحكايات والأخبار، وأن أهل العلم رويوا في الكتب عن الأنبياء كذا وكذا مما عسى أن يتعظ به من الأمور المهلكة الغلبة التي جرت في الأمم الخالية كل ذلك بلطف وسياسة، وهذا من كمال النصيحة له؛ لأنه إن لم يفعل معه ذلك أهل العلم والدين هلك وأهلك المسلمين)^(٢).

ثم بين متى تكون النصيحة فيقول: (وأكثر ما يكون ذلك عند مشورته للقاضي، والفقهاء، وأهل الخير من أمر يريد أن يحدثه أو ركوب رأي يريد أن يظهر... ولا يكل ذلك إلى وزيره ولا إلى حاجبه لئلا يدس عليه ويلبس عليه)^(٣).

وفي هذه النصوص بيان؛ لأن في مقدمة المختسبين على الحكام القضاة، والفقهاء، وأهل العلم عموماً؛ بسبب ما لهم من مكانة عند الولاة وعند العامة.

(١) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة م.س. ص/٤

(٢) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة م.س. ص/٤

(٣) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة م.س. ص/٤-٥

وفيها: بيان لمراعاة حال الوالي عند نصحه.
وفيها: حث على اقتناص الفرص في الحسبة على الولاة خاصة عند مشورتهم
للعلماء في فتوى أو حكم.

المطلب الثالث: دخول العلماء على الأمراء

أفضل كلمة يلزمها أهل العلم هي كلمة الخير، وخير مكان يودعونها عند السلطان، والأمراء والولاة في أمس الحاجة إلى من يذكرهم بالله، وبصالحهم بأخطائهم، ويرشدهم إلى الخير، واختلف العلماء في الدخول على الحكام عملياً فكان بعضهم يدخل عليهم لينصح، ويرشد، وينقي، وكان بعضهم يرفض الدخول على الحكام، وغشيان بحالهم، وكل له وجه في ما ذهب إليه، وليس المراد هنا بحث هذه القضية، بل الإشارة إلى أنه كما اختلف علماء المشرق في هذا، اختلف علماء الأندلس فيه، فمنهم: من كان يرى ذلك من التعاون على البر والتقوى، وتقديم النصيح، والتحذير من الظلم. ومنهم: من يرى عدم الدخول عليهم من إكرام العلم، والحروب من الفتن ومواطنها.

فها هو الإمام أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - كان يدخل على الأمراء، ويقبل جوائزهم، فعابه أقوام بذلك فقال:

قل لمن ينكر أكله # # # لطعام الأمراء

أنت في جهلك هذا # # # في محل السفهاء^(١)

لأنه الإقتداء بالصالحين من التابعين وأئمة الفتوى هو ملاك الدين، فكان بعض السلف يقبل هدايا السلطان ويأكل معهم لما يرى من فوائد ذلك للنقد والإرشاد، فرأي ابن عبد البر فيه قدوة.

ولم يكن من يدخل من العلماء على الأمراء - في الغالب - إلا لأجل الاحتساب عليه بما يراه مناسباً؛ لهذا إذا تعارض الحال مع الشرع لم يماشه بل وقف عند الشرع وقدمه.

(١) نفع الطب م.س. ٢٣٥/٣-٢٣٧

وانظر إلى الفقيه زياد بن عبد الرحمن، وكان يمشي مع الحكم في قرطبة يتحدثان، فلما وصلا إلى القنطرة سمع زياد الأذان، فقطع حديثه مع الأمير وقال له: معذرة أيها الأمير فإننا كنا في حديث عارضه هذا المنادي إلى الله وهو أحق بالإجابة^(١).

فانظر أولا للفقيه حال دخوله على السلطان، ومشيه معه كيف قدم إجابة المؤذن - وهي من المستحبات - على كلام الحكم ومحادثته تقديمًا للدين.

ثم انظر ثانياً للحاكم وكيف أنه لم يغضب ولم ير في تصرف العالم ما يسيء إليه؛ لأنه لا يتقدم الدين عندهم شيء.

وفي مقابل هذه الطائفة من العلماء الذين يدخلون على الحكام رجاء نفعهم، نرى طائفة أخرى تتخرج من الدخول عليهم، ومن العمل لديهم وتتورع منه؛ خوفاً على الدين، وحماية له.

فهذا أبو عبد الله الخشني دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب وقال: (أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت السماوات والأرض عن حمل الأمانة إياها إشفاق لا إياية عصيان ونفاق^(٢)).

وهذا الفقيه أبو إبراهيم بن إسحاق كان معظماً لدى عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم، بعث له الناصر بالحضور إليه، وهو في درسه فاعتذر عن الحضور ثم بعد فراغه من درسه ذهب إليه.

فهذا وغيره كثير يدل على أن أهل العلم إنما يدخلون على الولاة للاحتساب لا لطلب شهواتهم؛ لهذا نجدهم يقدمون حضور الدرس على حضور مجلس الحاكم، ويقدمون إجابة المؤذن على محادثة السلطان.

(١) المغرب، م.س. ٣٩/١، الأدب الأندلسي ص/٩٩-١٠٠

(٢) نفع الطيب م.س. ٥٥٦/٣، والمطمح ٥٦-٥٧

المطلب الرابع: الجرأة والصدق في الاحتساب على الحكام والأمراء

تقدم أن الاحتساب على الحكام والأمراء له آداب خاصة منها: الرفق، والتلطف بهم لكن ليس معنى هذا ترك الجرأة إذا دعت إليها الضرورة بل تكون جرأة مقرونة بصدق وسعي للمصالح والخير، وهذا يظهر جليا في سير كثير من علماء الأندلس خاصة ممن كان له خنطة بالسلطان.

فهذا يحيى... لما جمع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره، وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ثم ندم فسأهم عن التوبة والكفارة، فأفناه يحيى بصوم شهرين متتابعين، فلما بادر يحيى بهذه الفتوى سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له: لِمَ لم تفته بمذهب مالك في التخيير؟^(١)

فقال: لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، فحملته على أصعب الأمور؛ لكلا يعود^(٢).

وهذه الفتوى فيها تضيق، فما دام الأمير سأل الفقهاء، فإن أمانة الفقه والعلم تستوجب أن يفتى بما شرع الله.

ومن الجرأة في الحق مع الولاة: رفض موسى بن حدير مولى عبد الرحمن بن معاوية أن يطيع بأمر الإمام الحكم حينما كلفه بضرب رقاب الفقهاء الثائرين^(٣).

ومن هذه الجرأة في الحق: ما فعله أمية بن عيسى لما بلغه أن الوزير هاشم بن عبد العزيز - أثير الأمير محمد - حبس عنده رجلا؛ لأنه لم يجبه إلى بيع داره فلما سمع أمية بهذا دخل بيت الوزارة وقال: بلغني أن بعضهم منعه جار له داره فحبسه عند نفسه، وبالله لئن صح هذا عندي لأركبني إلى الدار ولأغيرن على ما فيها، ولأعذمنها، فأرعد هاشم في فراشه ودعا بوصيفه وقال له: افزع إلى الدار وأطلق المحبوس^(٤).

(١) انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٠،

(٢) للذهبي سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٠

(٣) الحلة السراء م.س. ٢٣٧-٢٣٢/١

(٤) المقتبس، م.س. ١٧٢-١٧١

وفي هذا جرأة في الحق الغرض منها دفع الظلم عن الناس، ورفعهم عنهم.
ومن هذه الجرأة الصادقة: ما فعله المنذر بن سعيد البلوطي مع الناصر لما أغرق في
البنيان وبنى الزمراء - المدينة الباهرة - قام خطيباً - وكان الناصر حاضراً - فذم تشييد
البنيان، وأفاض في طلب الزهد والابتعاد عن الملذات، ونهي النفس عن الهوى... حتى
وجد عليه الناصر فأقسم ألا يصلي خلفه لكنه ما لبث أن كفر ورجع إلى الصلاة معه^(١).
بل إن الجرأة جعلت بعض العلماء يقع في الأمراء ويعلن جورهم كما فعل أبو عبد
الله غريب بن عبد الله الثقفي، مما تسبب له الخروج من قرطبة وسكونه طليطنة، ولم يكن
هذا النوع من الجرأة مشتهراً بين علماء الأندلس؛ لأنه يؤدي إلى أمور لا يحمد عقابها؛
لأن غرض الحسبة هو الإصلاح - صلاح أمر الراعي والرعية - وليس هذا النوع من الجرأة
مما يؤدي إلى الإصلاح بل إن مفاسده أكثر من منافعه يتناقى مع المنهج الصحيح في الحسبة
على الأمراء؛ لهذا ابتعد عنه أهل العلم في الأندلس وتركوه.

(١) النفح م.س. ١٠٦/٢

المطلب الخامس: الكتابة إلى الأمراء والاحتساب في ذلك

لا يفتأ أهل العلم من إيجاد الطرق الموصلة للخير ومن تلك الطرق التي حرصوا عليها: الكتابة للأمراء، والحكام نصحاء، وإرشاداً، وتأييداً للخير، وتحذيراً من الشر. فهذا عبد الملك بن حبيب الفقيه كتب إلى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام يحرضه على بناء سور إشبيلية يقول له: حقن دماء المسلمين - أيذك الله - بابتناء السور أحق وأولى فأخذ برأيه وجمع بينه وبين زيادة جامع قرطبة وابتنى - أيضاً - جامعاً في إشبيلية. وهذا أبو عبد الله بن الفراء يكتب إلى يوسف بن تاشفين لما أفتاه الفقهاء بجواز طلب المعونة من الرعية إقتداءً بعمر - رضي الله عنه - فكتب إليه ليس أمير المؤمنين بصاحب رسول الله وما اقتضاها عمر - رضي الله عنه - حتى دخل مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين لينفقه عليهم^(١).

وموقف أبي عبد الله بن الفراء من تصرف يوسف بن تاشفين، الذي أنه لا معنى له؛ لأن الأمير تصرف بفتوى الفقهاء ومشورتهم، وقول ابن الفراء واعتراضه لا يمثل إلا قولاً خاضعاً للمناقشة؛ إذ سنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية دالة على أنه كان يجهز جيوشه بمعونة المنفقين من صحابته رضوان الله تعالى عليهم.

(١) انظر نفح الطيب، م.س. ٣٨٦/٣

الفصل الثالث

أبرز المؤلفات في الحسبة

التمهيد

في هذا الفصل أتحدث عن المؤلفات الأندلسية في الحسبة، سواء كانت تطبيقية أو نظرية؛ لأن إيرادها في فصل واحد يعطي صورة متكاملة واضحة عن واقع التأليف في الحسبة في الأندلس، كما يبين سمات تلك المؤلفات؛ إذ إن الأندلسيين سبقوا المشاركة في التأليف، وهذا في حد ذاته يدل دلالة واضحة على أهمية الحسبة، وعلو شأنها، والاهتمام بها وأبرز هذه المؤلفات هي:

- كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق
- ديوان الأحكام الكبرى - النوازل والأعلام -
- آداب الحسبة
- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسب

١ - كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق

- التعريف بالمؤلف
- التعريف بالكتاب
- وصف الكتاب من رواية القصري
- محتوى الكتاب
- موضوعات الكتاب
- مقاصد الفتوى المتعلق بولاية السوق
- هل هذا المؤلف من المؤلفات الأندلسية
- فائدة هذا الكتاب وأهميته
- نموذج من الكتاب

التعريف بالمؤلف

هو: يحيى بن عمر الأندلسي الأصل الإفريقي الموطن، أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكتاني الأندلسي، ولد سنة/٢١٣ هـ الموافق/٨٢٨ م، في جيان، وتربى في قرطبة، فأخذ عن عبد الملك بن حبيب، ثم رحل إلى المشرق، وأخذ عن علمائها مثل: ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، ثم استقر في القيروان، والتقى بسحنون وأخذ عنه، ثم أخذ يلقي دروسه في جامع القيروان، وخرج منها بعد أن تولى ابن عبدون القضاء خشية أن يتعرض له بالسجن، وقصد مدينة سوسة، وبعد أن عزل ابن عبدون عن القضاء عرض عليه فرفض، وأشار على الأمير برجل من الزهاد ليوليه القضاء، وجلس في مسجد سوسة ليلقي دروسه، فكثر تلامذته، وكتابه أحكام السوق هذا ألقاه في هذا المسجد، وكانت حياته، فيها الشدة، والرخاء، والخوف، والأمن، والرفاهية، ثم ذهب في آخر عمره، وتوفي سنة/٢٨٩ هـ الموافق/٩٠١ م - رحمه الله تعالى^(١).

التعريب بالكتاب:

وهذا الكتاب لم يؤلفه يحيى ويكتبه بيده بل هو من رواية أحد تلاميذه، وهو أبو جعفر أحمد القصري القيرواني، وقد عرف القصري بثقته وضبطه، فكانت تدويناته مرجعا لعلماء عصره، ينقلون منها السماع الذي يهمهم، فروى هذا الكتاب عن يحيى عند زيارته ليحيى وهو في مدينة سوسة ثم نقله إلى القيروان، وتوفي القصري في سنة/٣٢١ هـ^(٢)، وهناك رواية أخرى للكتاب رواها ابن شبل، وهو محمد بن شبل بن بكر القيسي، توفي في سنة/٣٥٣ هـ^(٣).

(١) انظر يحيى بن عمر الأندلسي، كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، رواية أبي جعفر أحمد

القصري القيرواني ط/بدون، تونس الشركة التونسية لتوزيع تاريخ بدون من المقدمة ص/٩

(٢) انظر يحيى بن عمر أحكام السوق ص/١٤

(٣) المصدر السابق ص/١٨

وصف الكتاب من زاوية القصري

وقد ألقى يحيى كتابه هذا في دروس يدل على ذلك: تعدد الأسئلة من المستمعين له من تلاميذه وغيرهم، كما أن القصري يسند لنفسه الأسئلة الموجهة منه ليحيى - وهي جلُّها - ويعين صاحبها إن كان من غير التلامذة - كـ (صاحب سوق سوسة) - وباقى الأسئلة - وهو الأقل - مستندة بصيغة المجهول، والكتاب مرتب على النوازل - وهو أجوبة مخصوصة على أسئلة فيما ينبغي النظر فيه من الأسواق - ولا يوجد ضمنها أسئلة عن الصوم، ولا عن الصلاة، ولا الزكاة والزواج والفرائض، واستدل "بدر وشالميتا" بهذا على أن تلك الأحكام السابقة ليست من خصائص صاحب السوق^(١).

وهذا غير صحيح، فعدم ذكر تلك الأحكام في كتاب يحيى بن عمر لا ينفي أن تكون من خصائص صاحب السوق، فقد جاء في رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة^(٢)، ورسالة ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب^(٣)، أن تلك الأحكام من واجبات المحتسب، وهو من يقوم بولاية السوق.

(١) انظر رسالة بدر وشالميتا صاحب السوق في أمانيه ص/ أين الجزء ورقم الصفحة

(٢) انظر رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ص/ ٢١

(٣) ابن عبد الرؤوف رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/ ٧٠

محتوى الكتاب:

يكفي لمعرفة محتوى الكتاب مطالعة العناوين التالية الواردة في الكتاب وهي:

القول فيما ينبغي النظر فيه من الأسواق.

المكيال، والميزان، والأمداد، والأقفرة، والأرطال، والأواقى.

الحكم في التسعير.

في حكم الأسواق القريبة من البلدان.

في حكم الخناطين.

في حكم المدهون بالزيت، واللبن المخلوط بالماء.

في حكم الفواكه تباع في السوق قبل أن يطيب حُلُّها.

في حكم الخبز يوجد فيه حجارة.

في حكم الخبز الناقص.

في حكم القمح الطيب يخلط مع القمح الدنيء.

الحكم في صاحب الفرن يطحن في المطحنة بأثر نقشها.

فيمن دلس في مكيال، أو طعام، أو غير ذلك.

في لبن البقر والغنم يخلطان جميعاً.

في خلط العسل الطيب بالردىء.

في خلط الزيت القديم بالجديد.

في حكم خلط الشيء بعضه ببعض، وما يفعل بالجزارين إذا فعلوا ذلك ومثله.

في الجزارين والبقالين وغيرهم يخلون لواحد منهم يبيع اللحم.

في الرطب يغمر، وفي البسر يرطب، ويبيع كل واحد منهما في السوق.

في الثياب تلبس ثم تقصر ثم تباع.

ما جاء في الوليمة، وما يكره من السماع فيها.

مسألة في بكاء أهل الميت على الميت.

في خروج النساء إلى المقابر.

في النهي عن الخف والنعل الصرار.

في إهراق الماء أمام الدور والخوانيت.
 في كنس الطين من الأسواق.
 في طعام اليهود والنصارى.
 في حكم أبواب الدور.
 في أهل الضرر من أهل البلايا (هل ينهى عن بيع المائع)
 ما جاء في المكيال والميزان والقضاء فيه.
 في الجبر ببيع التسعير.
 التطفيف في الكيل.
 في حكم من غش أو نقص من الوزن.
 ما جاء في تسعير الطعام.
 ما جاء في الحكرة وما يجوز فيها.
 في البيع من المسترسل، وخطط اللحم مع القوادات والبطون.
 في بيع أزيار الصير والأحمال القائمة.
 في الرماد الذي يبيض به الغزل حكم الغش فيه.
 الحكم في الصيارفة.
 ما جاء في الطين يشتري أو الفول أو المغالي فيدعي ورقة والمغالي يدعي حب القطن
 وغباره.
 فيما يأخذ صاحب السوق من الباعة.
 في دور الأذى والفجور.
 والناظر بتأمل في الكتاب يجد أنه يحتوي على مائة واثنين وثلاثين مسألة منها:
 ١ - ما يجيب عنه يحيى برأيه، وهي: ثمان وسبعون مسألة.
 ٢ - وما يجيب عنه بقول مالك، وهي: خمس وعشرون مسألة.
 ٣ - وما يجيب عنه بقول ابن حبيب وهي: سبع مسائل.
 ٤ - وابن القاسم وهي: سبع مسائل أيضا.
 ٥ - وأشهب وهي: خمس مسائل.

٦ - وابن الماجشون، وسحنون، ومطرف.

مقاصد الفتاوى المتعلقة بولاية السوق

والتأمل كذلك لمقاصد الفتوى وبيان القضايا المتعلقة بولاية السوق، يدرك أن الغرض منها أمران:

- ١ - حماية الفرد من الغش، والتدليس، من أهل السوق.
 - ٢ - ضرورة موافقة أعمال أهل السوق لأحكام الشريعة الإسلامية السمحة.
- وهذان الأمران لا يمكن تحقيقها إلا في مجتمع تهيم عليه أحكام الإسلام.

هل هذا المؤلف من المؤلفات الأندلسية؟

والمؤلف أصله من الأندلس، ثم هاجر إلى المغرب، وألقى كتابه هذا وهو في مدينة سوسة، والذي جعلني أعتبر هذا المؤلف من المؤلفات الأندلسية أمور منها ما يلي:

- ١ - أن أصل المؤلف أندلسي وتلقى أصوله العلمية في الأندلس وتلمذ على عبد الملك بن حبيب الأندلسي، الذي كان يفتي برأيه في الكتاب أحيانا.
- ٢ - اعتناقه المذهب المالكي الذي هو المذهب المعتمد في الأندلس.
- ٣ - أن بلاد المغرب لا تبعد عن الأندلس كثيرا، فالأندلس والمغرب شيء واحد؛ إذ المذهب المعتمد فيهما هو المالكي، بل دخول الإسلام إلى الأندلس جاء من المغرب، وقد حكمت الأندلس والمغرب في بعض فتراتها من قبل دولة واحدة كما كان في بداية دخول الإسلام إليها، وفي دولة المرابطين، والموحدين، مما يدل على تقارب بل، اتحاد الثقافة الفكرية في كلا البلدين.

فائدة هذا الكتاب وأهميته:

وهذا الكتاب أقدم كتاب يتحدث ويوصل ولاية السوق في المغرب والأندلس، وكل من جاء بعده وتحدث مؤرخا وموصلا لهذه الولاية، كان ليحيى بن عمر فضل عليه، ومن هنا تأتي فائدته، وأهميته بالنسبة لهذا البحث.

نموذج من الكتاب:

"القول فيما ينبغي النظر فيه من الأسواق"

حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن قال: سمعت يحيى بن عمر يقول: ينبغي للوالي الذي يتحرى العدل أن ينظر في أسواق رعيته، ويأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق ويعير على أهله صنجاتهم وموازينهم، ومكاييلهم كلها، فمن وجدده قد غير من ذلك شيئاً عاقبه على قدر ما يرى من حاله؛ واغتياته على ذلك، ثم أخرجه من السوق، حتى تظهر منه التوبة والإنابة إلى الخير، فإذا فعل هذا رجوت أن يخلص من الأثم، وتصلح أمور رعيته إن شاء الله تعالى.

ولا يغفل النظر إن ظهر في سوقهم دراهم مبهرجة أو مخلوطة بالنحاس، وأن يشدد فيها؛ ويبحث عن أحدثها، فإذا ظهر به إن كان واحداً أو جماعة أن ينالهم بشدة النكال والعقوبة، ويأمر أن يطاف بهم في الأسواق، ويشرد بهم من خلفهم؛ لعلهم يتقون عظيم ما نزل بهم من العقوبة، ثم يحبسهم على قدر ما يراه، ويأمر من يشق به أن يتعاهد ذلك من السوق حتى تطيب دراهمهم، ودنانيرهم، وتحوز نقودهم.

فإن هذا أفضل ما يحوط به رعيته ويعمهم نفعه في دينهم، ودنياهم، ويرجى له ذلك زلفى عند ربه، وقربة إليه إن شاء الله.

٢ - ديون الأحكام الكبرى (النوازل والأحكام لابن سهل)

- التعريف بالمؤلف
- التعريف بالكتاب
- محتويات الكتاب
- مسائل الاحتساب
- سمات الكتاب

التعريف بالمؤلف

هو الفقيه القاضي المشاور أبو الأصبع عيسى بن سهل عبد الله الأسدي الجياني، ولد سنة ٤١٣ هـ، كان من جلة الفقهاء، وكبار العلماء حافظا للرأي، ذاكرة للمسائل، عارفا بالنوازل، بصيرا بالأحكام، مقدما في معرفتها، وجمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعونى الأحكام عليه - وهو هذا الكتاب - وتولى الشورى بقرطبة مدة ثم ولى القضاء بالعدوة ثم استقضى بقرطبة، وتوفي مصروفا عن ذلك يوم الجمعة ودفن يوم السبت الخامس من المحرم سنة ٤٨٦ هـ^(١).

ورجل له هذه المكانة العلمية، وتولى تلك المناصب لا شك أن كتابه تكون عن علم وتجربة ودربة في شؤون القضايا التي يتناولها، ولا سيما هذا المؤلف الذي أنا بصدد الحديث عنه، فقد أثنى عليه العلماء قديما، واهتموا به حديثا.

التعريف بالكتاب

ألف القاضي عيسى بن سهل كتابه هذا - ديوان الأحكام الكبرى - في القرن الخامس الهجري، وهي الفترة التي شهدت فيها الأندلس كثيرا من التقلبات والتحولات، ففيها ظهرت الفتنة التي أطاحت بدولة بني أمية في الأندلس، وظهرت الحروب التي قضت على معظم رجال الأندلس ومفكراتها، وفقد الأمن والاستقرار، وتسلبت النصارى على تلك الأمة وساموها سوء العذاب وارتمى كثير من أمراء الأندلس في أحضانهم بحثا عن الأمن والحماية لسلطانهم، وذلك على حساب إخافة وقتل بني جلدتهم من المسلمين في هذا الجو المشحون بالفتن العصبية عاش القاضي عيسى بن سهل الأسدي، وشاهد تلك الأحداث التي عصفت بذلك المجتمع المسلم؛ ولذا جاء كتابه "الأحكام" يحمل أصدق صورة عن ذلك المجتمع في تلك الفترة؛ إذ إن الكتاب نوازل حدثت في تلك الفترة،

(١) أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال الطبعة الأولى ١٢٧ هـ/١٩٥٥ م مكتبة الخانجي، مصر

القاهرة ٤١٥/٢، رقم/٩٤٢

فأجاب عنها المفتون، والمشاورون، والقضاة، وفق الشرع وقواعده المقررة ناظرين إلى المصلحة التي يقتضيها الحال في تلك الفترة.

وقد حقق الكتاب الدكتور المحامي رشيد النعيمي - رحمه الله تعالى - رسالة دكتوراه تقدم بها المحقق لقسم الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة "سنت أندروس" اسكوتلندا المملكة المتحدة، وكان عمل المحقق إخراج النص فقط، وخرج الكتاب في جزأين، وطبع في شركة الصفحات الذهبية بالرياض عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، الطبعة الأولى^(١)

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل ديوان الأحكام الكبرى ١/ المقدمة

محتويات الكتاب

والكتاب يشتمل على ثمانية عشر بابا وهي:

- ١ - باب حول القضاء والأحكام، وما ينفرده به القضاة دون المحاكم، واعتمد فيه على الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال العلماء.
- ٢ - باب في المقالات، والشهادات، والحبازة، والوكالات، وذكر الأعذار والغفلة والآجال، واعتمد فيه أقوال العلماء، وقارن بينها وأعطى رأيه فيما رآه صوابا.
- ٣ - باب في مسائل الشهادات ونقلها والإشهاد عليها.
- ٤ - باب في الاستئمان والخطئة، وكشف القضاة عما يستريونه من الأمور. بمن يرسلونه ممن يثقون به.
- ٥ - باب في اليمين مع حضور الشاهد.
- ٦ - باب في مسائل الحجور.
- ٧ - باب الرصايا بالأيتام والأموال.
- ٨ - باب في النكاح.
- ٩ - باب في الطلاق وأسبابه.
- ١٠ - باب في الحلف بالإيمان اللازمة والحنث فيها.
- ١١ - باب في البيوع.
- ١٢ - باب في الأقضية والشهادات.
- ١٣ - باب الإقرار.
- ١٤ - باب في الشفعة.
- ١٥ - باب فيما ينقسم وما لا ينقسم والاختلاف فيه.
- ١٦ - باب الصدقات والهبات.
- ١٧ - باب في الحبس.
- ١٨ - باب في مسائل الاحتساب.

مسائل الاحتساب

عقد المؤلف الباب الثامن عشر لبيان مسائل الاحتساب ويقع هذا الباب في مائتين وخمس وثلاثين صفحة في آخر الجزء الثاني، وقد ذكر ابن سهل في ذلك الباب اثنتين وثمانين مسألة، بعضها يدخل ويتصل بالأسواق وممارسة العمل فيها، مما يعد الوظيفة الأساسية الأولى للمحتسب، وعددها كالتالي:

● إحدى عشرة مسألة أو وثيقة في الأسواق

● ومسألان تتعلقان بالقنوت.

● ومسألان تتعلقان بالطرق.

● وثلاث مسائل في محاربة الأهواء والبذع.

● وست عشرة مسألة فيما يتعلق بأهل الذمة.

● وتسع مسائل في الطب.

● وأربع وعشرون مسألة تتعلق بالقضاء الجنائي.

وبتأمل هذه الوثائق ندرك أن بعضها جاء في الاحتساب على الأسواق وما يتعلق بها، والبعض الآخر جاء في مجالات أخرى لا تتصل أصلاً بصميم عمل المحتسب المولى، كالاحتساب على ما يتصل بالصدقات والكوالم مما يدل على اتساع اختصاص المحتسب حتى شمل جوانب لا تدخل أصلاً في عمله.

يقول الدكتور محمد خلاف في تعليق ذلك التوسع: (بأن هذا التوسع نتيجة للظروف السياسية التي سادت الأندلس في القرن الخامس الهجري وما ترتب عليها من تغيرات اجتماعية واقتصادية أدت إلى تفويض المحتسب النظر في قضايا لم تدخل أصلاً في حدود اختصاصه^(١)).

ويدل هذا على أمرين:

(١) انظر ابن سهل، وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى، دراسة وتحقيق الدكتور

محمد خلاف، الطبعة الأولى ١٩٨٥م مصر القاهرة المطبعة العربية الحديثة ص/٧

- ١ - أهمية المحتسب ودوره العظيم في المجتمع الأندلسي في تلك الفترة، حيث يتولى تلك المناصب ويأشر التصرف في تلك القضايا المتعددة.
- ٢ - ثقة الوالي في المحتسب حيث فوضه وأسند إليه أن يتصرف في قضايا لا تدخل أصلا في عمله.

معارف الكتاب:

كتاب الأحكام الكبرى جعل مؤلفه مسائل الاحتساب أحد أبوابه، وجاء في مساحة كبيرة: مما يدل على أهمية تلك المسائل لدى القاضي ابن سهل، ويتسم ذلك الباب بما يلي:

- ١ - الاهتمام بوظيفة المحتسب والتطبيق العملي لما يقوم به المحتسب في معالجة مشاكل الأسواق، وتصرفه حيالها.
- ٢ - توسع مجالات المحتسب حيث أورد ابن سهل قضايا ومسائل عالجهما المحتسب لا تدخل أصلا في اختصاصه مثل مسألة الطبيب الذي أصبح في داره مقتولا^(١)
- ٣ - أن تصرف المحتسب في تلك القضايا لا يكون إلا بعد مشاورة الفقهاء وأخذ فتاواهم في علاج المسألة أو النازلة التي يتصرف فيها المحتسب مما يضمن شرعية احتسابه وضبطه.
- ٤ - يدل هذا الباب على تطبيق عملي، ونازلة حدثت فعلا، مما يعطي صورة صادقة عن ذلك المجتمع في تلك الفترة.

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل الأحكام الكبرى ١٢٩٥/٢

٣ - في آداب الحسبة

- التعريف بالمؤلف
- السبب من تأليفه لهذا الكتاب
- وصف الكتاب
- تاريخ التأليف
- محتويات الكتاب
- قيمة الكتاب

التعريف بالمؤلف

وهو: للفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي مارس مهمة الحسبة في مالقة في نهاية القرن الحادي عشر للميلاد، أو بداية القرن الثاني عشر، ولم أعثر على ترجمة وافية له، وقام برحلات كثيرة وزار العديد من البلدان، وقام بتأدية فريضة الحج^(١)

السبب من تأليفه لهذا الكتاب:

ألف كتابه هذا تلبية لطلب بعض أصدقائه الذين طلبوا منه أن يؤلف لهم كتابا يحوي تاريخ الغشاشين بين التجار والصناع في السوق، وعن حيلهم في الوزن والكيل، والوسائل التي يستعملون من أجل إخفاء البضائع، وحيلهم المستخدمة في الصفقات^(٢).

وصف الكتاب

وكتاب السقطي مقسم إلى ثمانية أبواب ومقدمة عامة عن تطبيق أنظمة الحسبة في عصور الإسلام الأولى، وهي: تتعلق بالموازين والمكاييل، والوزانين والكيالين، والطحانين، والخبازين، والقصابين، وأصحاب المطاعم، والعطارين، وتجار العبيد، والتجار، والصناع^(٣)، والكتاب طبع في دار الفكر الحديث في بيروت عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، بتحقيق ومراجعة الدكتور حسن الزين.

تاريخ التأليف

وليس هناك ما يدل على زمن كتابة وتأليف الكتاب إلا ما جاء في نصوص الكتاب عند ذكره لقرطبة التي يقول عنها (التي كانت حينئذ مركز الملك، وعاصمة

(١) انظر أبو عبد الله محمد السقطي في آداب الحسبة، تحقيق الدكتور حسن الزين ص/١٢

(٢) المصدر السابق ص/١٢

(٣) المصدر السابق ص/١٣

العلم^(١)، فالكتاب إذا بعد نهاية الخلافة بقرطبة، ذكر الرؤساء، وجلة الطلبة (تلاميذ المهدي بن توموت) ودرهم فضة إمامية^(٢)، يجعل ذلك في العهد الموحيدي وبعد سنة/٥١٥ هـ التي أمر فيها بسك هذه الدراهم الفضية، وذكره ذهب أحد أصدقائه إلى قرطبة يدل على أنه كان قبل استيلاء الأسبان عليها سنة ٦٣٣ هـ، ثم قلة ذكر غرناطة، وكثرة ذكر المغرب في الكتاب يدل على أنه كان قبل ظهور أماراة النصرية دولة بني نصر بغرناطة.

(١) المصدر السابق ص/٧٢

(٢) المصدر السابق ٦١

محتويات الكتاب

والكتاب كما أسلفت سابقا مقسم إلى ثمانية أبواب:

الباب الأول: في مقدمات الحسبة وشأن المحتسب

وقد ذكر السقطي في هذا الباب مقدمات عن أصل الاحتساب، وأداة ذلك في القرآن الكريم، والسنة، وصوراً من احتساب الرسول صلى الله عليه وسلم على المنكرات في المعاملات، والأخلاق، وصوراً من احتساب الصحابة رضي الله عنهم، ثم ذكر الآداب التي ينبغي للمحتسب أن يكون عليها، والأعوان للمحتسب، وسلطة المحتسب. وما أورد السقطي في هذا الباب يعتبر تأصيلاً لهذه الولاية المهمة، وفي نفس الوقت يعتبر رداً على المستشرق الأسباني "بدروشاليتا" في رسالته صاحب السوق في أسبانيا الذي اعتبر واستنتج من كتاب السقطي أن ولاية الحسبة عرفية تخضع للعرف والتقليد من قبل أهل السوق مما يدل على أنها قديمة، وأنها غير إسلامية، وانتقلت إلى المسلمين من قبل أمم قديمة^(١).

وعاب على ما أورده السقطي في كتابه في الباب الأول في المقدمات التي من نصوص صريحة أن الحسبة تابعة من الأصول العظميين هذا الدين القرآن، والسنة، وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومزاوته عملياً للحسبة في كافة مجالاتها المختلفة^(٢). وقد اختلط عليه الأمر حين ذكر السقطي أن المحتسب له أن يستعين بعرفاء الأسواق في الحرف المختلفة ويقبل قوهم عند الاختلاق في الحيل وكشف الغش والتدليس، وهذا المسلك شرعي إذ له دليله من السنة، ولا يعتبر هذا التنظيم المرتكز على الأصول الشرعية العظيمة لهذا الدين دليلاً على أن هذه الولاية عرفية، وأن المسلمين في تطبيقهم لها مقلدين لغيرهم من الأمم.

(١) بدروشاليتا، صاحب السوق في أسبانيا ص/٢٢٤-٢٢٤

(٢) السقطي، في آداب الحسبة ص/١٧

أما الباب الثاني: ففي الكياليين، والأكيال

فقد عقده المؤلف لبيان الغش والحيل من قبل أهل السوق في الكيل، والأكيال، ثم ذكر شأن المحتسب مع أولئك، وكيف يتصرف ويكشف حيلهم.

أما الباب الثالث: ففي الموازين، والأكيال، والوزانين، والكياليين

فقد عقده المؤلف لما يلي:-

- لذكر الغش في الوزن، والموزون.
 - وحيل أرباب الصناعات في ذلك.
 - وصوراً من ألاعيبهم، واحتياضهم على الناس.
 - وكيفية تصرف المحتسب معهم.
 - وما يعينه على كشف غشهم وحيلهم.
- يدل هذا القول من السقطي على ظهور الغش من أولئك، وجرأتهم عليه، ورأيه فيما يردهم، وهو: إنزال العقاب المؤلم بهم.

الباب الرابع: في عملة الدقيق والخبز وبيعها

فيقول السقطي في شأنهم: (أما هؤلاء فأصناف، ومعلموهم يجمعون بين التجارة، والصناعة، ومفسدوهم أهل جرأة وغش، ولا يرتدعون إلا بمؤلم النكال، وشديد العقاب)^(١)، ثم يبين خدعهم وغشوشهم، ويورد قصصاً واقعية، أخبر عنه من يثق بهم، وأكثر ذلك في مالقة التي زاول مهنة الحسبة منها، ثم يبين عمل المحتسب مع أولئك الغشاشين ليكشف حيلهم، ويبطل كيدهم، ويكف شرهم عن الناس^(٢).

(١) السقطي في آداب الحسبة ص/٣٥

(٢) المصدر السابق ص/٤٦

الباب الخامس: في ذابحي الجزور، وبائعي اللحم، والحوث، وأنواع المطبوعات

وهؤلاء أصناف كما يقول عنهم السقطي فيبين ويستعرض طرق حيلهم، وأنواع غشهم وخدعهم للناس، ويذكر قصصا في ذلك من واقع تجربته أثناء قيامه بالاحتساب، وينقل عن طريق الثقات، ثم يذكر شأن المحتسب معهم في كف شرهم عن الناس.

الباب السادس: في العطارين والصيدالة

يقول السقطي: (هؤلاء قوم شغلهم أوسع الأشغال، وأمورهم مختلفة الأحوال، والكشف عنهم صعب المرام، وغش مفسديهم لا يكاد يحصر ولا يرام)^(١)، ثم يذكر كعادته صور غشهم وكيفية ذلك، وهو يخبر وينقل عن خبرة وعن تجربة مر بها، وشاهدها، ثم يذكر شأن المحتسب معهم، وكيف يحتسب عليهم.^(٢)

الباب السابع: في باعة العبيد والخدم

يقول السقطي: (أما هؤلاء فقوم خطبهم حيل، وأمورهم ليس بالمختصر ولا القليل، وذلك أنهم يتصرفون بين الأنساب، والأموال، ويأتي مفسدهم بما لا يقتضيه الشرع، ولا تقره نفس مؤمن، ولا ترتضيه بحال، ولهم في شأنهم خدع، ومكر، يعاملون الناس بها، ويدخلونهم بحسبها)^(٣)، ثم ساق صورا من غشهم، ومكرهم، ومنكراتهم الشنيعة في ذلك العمل، مما يدل على استخفافهم بالحرمان، واتباعهم لشهواتهم، ثم بعد ذلك يذكر موقف المحتسب من تلك المنكرات، ويذكر الطريق والصفة التي يسلكها المحتسب لإنكار ذلك المنكر وإزالته وقصعه.^(٤)

(١) المصدر السابق ص/٥٦

(٢) المصدر السابق ص/٦١

(٣) السقطي في آداب الحسبة ص/٦٣

(٤) المصدر السابق ص/٧٥

الباب الثامن: في الصناعات وصنائعهم:

يقول السقطي في بداية حديثه في هذا الباب: (وينبغي للمحتسب أن يتفقد أمورهم، وصنائعهم ويمنعهم من مطال الناس في حوائجهم؛ لما في ذلك من تعطيلهم للناس عن أشغالهم، وإضرارهم بهم)^(١)، ثم يذكر صورا من منكراتهم في الغش، والخداع، والتدليس على الناس، وواجب المحتسب معهم في الإنكار، ومحاربة منكراتهم^(٢).

قيمة الكتاب:

الكتاب ذو قيمة علمية عظيمة في موضوعه، فمؤلفه محتسب زاول وظيفة الاحتساب؛ ولذلك عرضه عرضا عمليا رائعا، وبذل فيه نصائح عملية لم يمارسها غيره من ولادة السوق - وهي - ميزة تميز بها - ولذلك فقد برع في كشف الخيل، وأنواع الغش في أنواع التجارة والصناعة، مما يعطي كلامه ورأيه أهمية عظمى في مجال البحث.

(١) المصدر السابق ص/ ٧٨

(٢) المصدر السابق ص/ ٧٨-٨٢

٤- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب

- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة
- رسالة بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب

رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة

- وصف الرسالة
- قيمة الرسالة

وصف الرسالة

تحقيق المستشرق الأستاذ ليفي بروفنسال، من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة عام/١٩٥٥م، وتقع الكتاب في مائة وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط.

ولم أشر على ترجمة لمؤلف هذه الرسالة حسب ما وصلت إليه من بحث وتحري، ولكنه أدرك زمن المعتمد بن عباد، والمرابطين، مما يدل على أنه عاش في عهد المرابطين^(١). وهي: من المؤلفات الأندلسية، وقد كتبت في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر الميلادي.

والرسالة تقع في إحدى وستين صفحة، وهي تتألف من أمرين مختلفين: أحدهما: يتعلق بالقضاء.

والآخر: يتعلق بالحسبة.

ويظهر ذلك جليا من عنوان الرسالة، والرسالة تختلف عن غيرها من رسائل الحسبة، فمن العناوين التي في داخل الرسالة يبدو ذلك، في أول الرسالة مقدمة تشتمل على أهمية الاحتساب، فمن ذلك:

أن أول ما ينبغي النظر فيه حال الرئيس، وكيفية الاحتساب عليه، والتزام الحكمة في ذلك، وصفات من يتصدى لذلك مما يدل على سلوك منهج سليم حكيم في ذلك^(٢)، ثم يذكر أبوابا متفرقة مختلفة ومن ذلك:

● باب الحرث، والخرص، والقباض.

● ثم يذكر فصلا في أمر القاضي، ومعرفة الوجود التي تصلح له.

● ثم يذكر الأعوان، ويقصد أعوان القضاء، وما يكون من صفات حميدة^(٣).

● ثم بيت المال، وأبوابه، والحاكم وأعوانه، والوثائق.

(١) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ص/٢٨.

(٢) المصدر السابق ص/٤٣.

(٣) المصدر السابق ص/٩.

• ثم يذكر فصلا في ذكر وزير السلطان.

• ثم يعقد فصلا في صاحب المدينة، وصاحب المواريث، والقاضي، والحاكم، والمحتسب^(١)، فيتحدث ضمن هذا الفصل عن أعوان صاحب المدينة، والحرس، والعرفاء، والسجن، والمسجد الجامع، ويذكر المقابر، ويورد بعض المنكرات وكيفية الاحتساب عليها.

أما القسم الثاني من الكتاب فهو في المباني، وإصلاح الطرق، والدروب، والمزابل، وإمالة ما فيه ضرر للمسلمين، فهذا القسم عن السوق وما يدور فيها من معاملات والمنكرات في ذلك^(٢)، فالرسالة تجمع بين أشياء متفرقة، فهي تختلف عن باقي رسائل الحسبة، فمن الرسالة يظهر جليا سعة مفهوم الحسبة عند ابن عبدون، فهو لا ينحصر في ولاية السوق خاصة التي تشمل القيام على السوق وما فيه من معاملات، فالرسالة دليل على أن الحسبة معناها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمفهومه الشامل، ومدلوله الواسع، وما يلحظ على الرسالة أنه لم يرد فيها ذكر للتسعير الذي وحد في كل رسائل الحسبة، الذي يعتبر من أهداف ولاية السوق.

قيمة الرسالة:

تعتبر هذه الرسالة من رسائل الحسبة المهمة في الأندلس، وتأتي أهميتها في بيان صورة الحسبة في تلك الفترة التي كتبت وألفت فيها الرسالة، فالحسبة عند ابن عبدون واسعة شاملة لمجالات متعددة في حياة الناس، فتدخل في المكيال والوزن والمباني والطرق، والمسجد، والزراعة، والخراج، والخراص، والأخلاق، كما أنه يمكن أن يستنبط من الرسالة صفات وشروط المحتسب، ومجالات الاحتساب، ومن ذلك:

- أن يكون أندلسيا، وماهرا، وذكيا صالحا ذا عادات طيبة.
- عليه أن يكون شديدا في تطبيق ما يطلب منه ويوكل إليه.
- يولي من قبل القاضي بإذن السلطان.

(١) المصدر السابق ص/١٦

(٢) المصدر السابق ص/٣٤

- يتقاضى راتبا محددا يؤخذ من الأرباح.
- يراقب الصناع والعمال، وأصحاب السفن، والبنائين، وجميع ما في المساجد والأسواق من أنواع الخرف.
- وهو مسؤول عن خطة المدينة.
- كما يراقب على أداء الواجبات الدينية، وينكر ما يتعرض ويخل بتلك الواجبات.
- كما يراقب المنكرات في الأخلاق ويتصدى لمحاربة المنكرات ويشد في ذلك.

٥- رسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب

- التعريف بالمؤلف
- محتويات الرسالة
- أهمية الرسالة وفائدتها

التعريف بالمؤلف

ومؤلفها أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، وهو أندلسي، ولم أعثر فيما وصلت إليه من بحث على ترجمة له، إلا بعض الإشارات التي يمكن أن تستنبط من محتويات الرسالة وما جاء منها مثل: ذكره لابن حبيب والاستشهاد بقوله^(١)، وذلك من سمات أهل قرطبة. أما وقتها: فإنه يقارب القرن التاسع والثاني عشر الميلاديين، فهناك نص ذكره ابن عذارى يقول فيه: (أول يوم من جمادى الأولى من سنة ٣١٩هـ/٩٣١م أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف انتقل من صاحب المدينة إلى وزير، وعيسى بن يونس القيرواني الذي كان صاحب السوق عين والي المدينة)^(٢). وهذا النص وما جاء في محتويات الرسالة يناسب القرن التاسع إلى الثاني عشر الميلادي.

محتويات الرسالة:

فمن محتويات هذه الرسالة ما يلي:

- النظر في الصلاة، وصلاة الجماعة.
- والنظر في الصيام.
- والنظر في الزكاة، وهذا يدل على أهمية الاحتساب في العبادة، ومن أهميتها الأركان المذكورة، ويرد ذكر هذا على من يقول: إن الحسبة مقصورة في السوق وما يدور فيه من معاملات، ولا شأن للمحتسب بشؤون العبادة.
- النظر في النكاح.
- النظر في الأحباس.
- النظر في البيوع.
- النظر في الصناعات.

(١) ابن عبدون رسالة عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٢

(٢) ابن عذارى البيان المغرب ٢/٢٢١

● النظر في العطارين، والكتانيين، والخبازين، والفرانين، والجزارين والطباخين.
وهذا يدل على أن ولاية الحسبة تشمل السوق والإشراف عليه، وتنظيمه، ومحاربة المنكرات، وكشف أهل الغش، وفضحهم والمحتالين، والمدلسين، وهذا القسم - أي: السوق وما يدور فيه - يظهر ويوضح الحياة اليومية، وحركاتها في ذلك الوقت، فذكر ابن عبد الرؤوف لذلك من منطلق مفهوم الحسبة العام من شريعة الإسلام، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو معنى الحسبة الواسع يخاطب به كافة طبقات المجتمع المسلم.

أهمية الرسالة وفائدتها:

هذه الرسالة عن ولاية السوق في الأندلس، وهي ذات فائدة كبيرة، وذات أهمية بالغة، واستفاد الباحث منها فوائد جمة، وقد جاءت الفائدة منها عند الحديث عن شروط الختسب وآدابه، والاحتساب في مجال العبادة، ومجال الأسواق، والمجالات الأخرى التي تمس جوانب البحث.

الفصل الرابع

الحسبة في الأندلس مقارنة بغيرها في البلاد الإسلامية وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: مكانة الحسبة في المشرق

المبحث الثاني: مكانة الحسبة في المغرب ومصر

المبحث الثالث: مكانة الحسبة في الأندلس

المبحث الرابع: عقد المقارنة في الحسبة بين تلك البلاد

المبحث الأول: مكانة الحسبة في المشرق وفيه تمهيد ومطلبان

المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في المشرق

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في المشرق

المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في المشرق

لقد تقرر لدى علماء الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً أن الحسبة داخلة تحت موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله تعالى، ولكتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين، وعامتهم؛ ابتغاء مرضات الله عز وجل؛ ولا شك أن الحسبة لما كانت بهذه المثابة من الأهمية فإنما تتبوأ منزلة عالية، ومكانة عظيمة بين الوظائف، والأعمال المهمة في الشريعة الإسلامية السمحة، وفيما يلي استعراض لأمر الحسبة في المشرق بدأ بعهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ثم بعهد الخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم، ثم بعهد الدولة الأموية، ثم بعهد الدولة العباسية، ومن خلال ذلك الاستعراض، سيجد القارئ نبذة يسيرة تخص الحسبة في المشرق، الحسبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

• في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

كان عليه الصلاة والسلام يقوم بالاحتساب بنفسه، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً للاحتساب والحسبة في سبيل الله عز وجل، يدل ذلك على علو منزلتها ورفعتها وقد كان من أو صاف الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(١)

وكان عليه الصلاة والسلام كما وصفه ربه تبارك وتعالى أمراً بالمعروف إذا رآه متروكاً ناهياً عن المنكر إذا رآه مرتكباً، وكان احتسابه شاملاً لجميع شؤون الحياة، وقد سلك عليه الصلاة والسلام في ذلك عدة مسالك، وعدة أساليب، ومن ذلك ما يلي:

(١) سورة الأعراف الآية/١٥٧

فقد قام عليه الصلاة والسلام بالاحتساب في أعظم الأمور وأرفعها منزلة وأهمها شأنًا ألا وهو الاحتساب في بيان العقيدة الصحيحة وفرضية توحيد الله سبحانه وتعالى في عبادته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وكذلك احتسب عليه الصلاة والسلام في التحذير من الشرك وكل مظاهره وكذلك الوثنية منذ أن بعثه الله تبارك وتعالى وحتى لحق بربه جلّ وعلا، ومن ذلك: ما رواه أبو واقد الليثي - رضي الله عنه - «قال: خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل حنين فمررنا بسدرة، فقلت: يا نبي الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكان الكفار يعلقون بها أسلحتهم ويعكفون حولها فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «الله أكبر!! هذا كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة» والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم...»^(١)

وقال عليه الصلاة والسلام محذرا من إتيان الكاهن وتصديقه وكذلك الإصغاء إليه: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٢)، وفي رواية أخرى «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم»^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام في مرضه الذي توفي فيه: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»^(٤)، ونهى - صلى الله عليه وسلم - عن الحلف بغير الله تعالى فقال - صلى الله عليه وسلم - «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٨/٥، والترمذي في سننه، في كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ٤٧٥/٤

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٥١/٤

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٢٩/٢

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ القبور مساجد، الصحيح مع الفتح ٢٠٠/٣

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ١١٠/٤، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢٩٧/٤، وصححه ووافقه الذهبي

وقام عليه الصلاة والسلام بالاحتساب في مجال العبادة، فنجد العناية الفائقة منه - صلى الله عليه وسلم - بهذا الجانب فقد أخرج مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: «رحمنا مع رسول الله من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء من الطريق أو بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضأوا وهم عجال، فانتبهنا إليهم فأعقابهم تلوح لم يمسه الماء فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء»^(١).

وفي صلاة الجماعة وتسوية صفوفها قال - صلى الله عليه وسلم - «أقيموا صفوفكم - ثلاثا - والله لتقيم صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم»^(٢)، ولما رأى - صلى الله عليه وسلم - من يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة قال له: «اجلس فقد آذيت وأنيت»^(٣).

ووجه - صلى الله عليه وسلم - أئمة الصلاة فقال - صلى الله عليه وسلم - «إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف وذا الحاجة، فإن صلى وحده فليصل كيف شاء»^(٤).

وقد أولى - صلى الله عليه وسلم - مجال الأخلاق والآداب اهتماما بالغاً فنهى - صلى الله عليه وسلم - عن أذية الناس بأي نوع من أنواع الأذى ومن ذلك: نهيه - صلى الله عليه وسلم - لأئمة عن التبرز في طرق الناس أو الأماكن العامة التي يستنفعون بها، وقاس على ذلك كل ما يؤذي الناس من الأشياء كالمدخان ونحوه، وقد أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «اتقوا اللعائين قالوا: يا رسول الله، وما اللعائين؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم»^(٥).

(١) أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه، كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما ٢١٤/١

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف ٤٣١/١-٤٣٢

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة ٦٦٨/١

(٤) أخرجه الإمام البيهقي في صحيحه، كتاب الأذان، باب من شك إماماً إذا طول، الصحيح مع المنع ٢٠٠/٢

(٥) انظر صحيح مسلم، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال ٢٢٦/١

وكان - صلى الله عليه وسلم - يباشر الحسبة في الأسواق ويشرف عليها ويتفقد أحوال التجار جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني»^(١)، وهذا يعد من الحسبة المباشرة.

وهناك من يرى أنه - صلى الله عليه وسلم - قد عين أشخاصا على سوق مكة والمدينة، ولكن الروايات التي وردت في ذلك غير موثقة ولذلك ضربت عنها صفحا، ويكفي الحسبة منزلة ومكانة فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيامه بها مباشرة^(٢).

ولكنه قد ثبت إسناده - صلى الله عليه وسلم - أمر الاحتساب إلى أصحابه في مجالات متنوعة ومن أمثلة ذلك: أنه - صلى الله عليه وسلم - قد أمر علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بكسر الأوثان وتسوية القبور وطمس الصور، فقد روى الإمام أحمد - رحمه الله - عن علي - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جنازة فقال: أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا قبراً إلا سواه ولا صورة إلا طمسها فقال رجل: «أنا يا رسول الله فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع.

فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أنا أنطلق يا رسول الله قال: «فانطلق» فانطلق ثم رجع فقال: يا رسول الله لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته ولا صورة إلا طمسها ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم»^(٣)، وروى أيضاً - الإمام أحمد - رحمه الله - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: أمرني رسول الله أن آتية بمذبة - وهي الشفرة - فأتيته بها فأرسل بها فأهرقت ثم أعطانيها؛

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «من غش فليس منا» ٩٩/١

(٢) انظر ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧/٢، ابن عبد البر الاستيعاب بهامش الإصابة ٨/٢، الكشاني

الترتيب الإدارية ٢٨٦/١

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦٨-٦٩، ح/٦٥٧ وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن

وقال: «اغد على بها» ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق حمر قد جلبت من الشام فأخذ المدينة مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته، ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يعضوا معي وأن يعاونوني، وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق حمر إلا شققته ففعلت، فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته»^(١)

ويتلخص مما سبق أن للحسبة مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة حيث إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قام بها بنفسه ورغب الناس فيها وأسند أمرها إلى بعض أصحابه فقاموا بها خير قيام رضي الله عنهم أجمعين.

الحسبة في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

وأقتصر في هذه النقطة على ما ورد في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - من ذلك لإغناؤه في هذا الجانب، وخشية من الإطالة، والتكرار فأقول:

إن تاريخ المسلمين العطر يزخر بأعلى وأحسن الصفات للخلفاء الراشدين المهديين - رضي الله عنهم - ومن تلك الصفات الطيبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بهما أحسن قيام، فقد كان لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وقفات عظيمة في الإسلام وقف فيها احتساباً لله تبارك وتعالى وتمكيناً لدينه، ومن مواقفه الجليلة وأعماله العظيمة ما يلي:

- ١- ثباته عندما أصيب المسلمون بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعظمت مصيبتهم وقد كان لخبر وفاته وقع في النفوس ولم يكذب بعضهم بصدق نبأ وفاته - صلى الله عليه وسلم^(٢).
- ٢- حسن سياسته في الرعية بإنفاذه جيش أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -
- ٣- قيامه بالاحتساب بنفسه على فتنة الارتداد فخرج - رضي الله عنه - شاهراً سيفه إلى ذي القصة لقتال القبائل المرتدة الذين جاءوا لمهاجمة المدينة النبوية تقول أم المؤمنين

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٢/٩-٢٣- ح/١٦٦٥، وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن

(٢) انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ٢٦٦/٢

عائشة - رضي الله عنها -: خرج أبي شاهرا سيفه راكبا راحلته إلى ذي الغصّة^(١)، ولما طلب منه المسلمون البقاء في المدينة وإرسال من ينوب عنه قال: «لا، والله! لا أفعل ولأواسيكم بنفسي»^(٢)، وأرسل - رضي الله عنه - الجيوش الإسلامية لا منتصال فتنة الارتداد وعقد أحد عشر لواء على أحد عشر جيشا^(٣)، وتم بتوفيق الله عز وجل ثم بعزم الصديق وجهوده وجهود أصحابه - رضي الله عنهم - استتصال هذه الفتنة أما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لقد أثر الكثير من احتساب عمر الخطاب - رضي الله عنه - سواء أكان على عماله أم على عامة المسلمين، فكان رضي الله عنه حازما مهيبا مقتفيا آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخليفته من بعده - رضي الله عنه - جريئا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم يهرب الشيطان منه فما بالك بمن دونه ولقد اهتم بالقيام بالاحتساب واشتهر به حتى ظن بعض الناس خطأ أنه أول من قام بهذا الأمر^(٤).

وقد شمل احتسابه جميع شؤون الحياة في مجال العبادة ومنها على سبيل المثال: احتسابه في مجال العبادات أنه كان يضرب من صلى بعد العصر، فقد روى الإمام مسلم عن المختار بن فلفل قال سألت أنس بن مالك عن التطوع بعد العصر فقال: كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر^(٥)، وقال النووي عن فعل عمر هذا: وفيه الاحتياط من الإمام لرعيته ومنعهم من البدع الشرعية وتعزيزهم عليها^(٦). واحتسابه في مجال السوق، وقد ثبت أنه - رضي الله عنه - كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فكان يطوف في الأسواق حاملا درته معه، يؤدب بها من رآه مستحقا لذلك، فقد روى الإمام ابن سعد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

(١) انظر ابن كثير البداية والنهاية ٦/٣٥٥

(٢) انظر ابن جرير الطبري التاريخ الإسلامي ٣/٢٤٧

(٣) انظر ابن حزم جوامع السيرة ص/٢٤٠

(٤) انظر القلقشندي صبح الأعشى ٥/٤٥٢

(٥) أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل المغرب ١/٥٧٣، ج ٨٣٦

(٦) انظر النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ٦/١٢٠

رأيت على عمر - رضي الله عنه - إزارا فيه أربع عشرة رقعة، إن بعدها لأدم وما عليه قميص ولا رداء، معتم معه الدرة، يطوف في سوق المدينة^(١)، ومن احتسابه على السوق - أيضا - أنه رأى رجلا قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه^(٢).

وإلى جانب احتسابه بنفسه كان يسند أمر الاحتساب إلى غيره كذلك، وعلى سبيل المثال قد أسند الحسبة إلى عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي على سوق المدينة، كما أسندها إلى كل من السائب بن يزيد، وسليمان بن أبي خيثمة^(٣).

وهكذا تتابع الخلفاء والأمراء بعدهم في الاهتمام والاعتناء بأمر الحسبة. وقد اتضح من خلال العرض الموجز عظم مكانة الحسبة وعلو منزلتها حيث قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه الراشدون - رضي الله عنهم - بها في جميع مجالات الحياة أدناها وأعلاها صغيرها وكبيرها، وسلكوا كذلك مسالك متنوعة في ذلك من التعريف والوعظ والإرشاد والنصح والتعنيف والتغيير باليد والتهديد بالضرب، وإيقاع الضرب وشهر السلاح وجمع الجنود، واستمروا في ذلك بكل جد واجتهاد وصبر ومصابرة حتى وهم على فراش الموت، ولم يقتصروا على جهدهم الفردي في هذا المجال بل عينوا له رجالا أكفاء وكفى بذلك دلالة على مكانة الحسبة في الدين الإسلامي الخفيف وعلو منزلتها ورفعة شأنها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

نبذة موجزة عن الحسبة في عهد الدولة الأموية:

لقد اهتم الأمويون بشأن الحسبة، وأسسوا حضارة إسلامية راقية، وعلى الرغم من انشغالهم بمقاومة الخارجين على حكمهم وسلطانهم فقد فتحوا الأقطار ونشروا فيها الدين واللغة العربية وتغلغلت الجيوش الإسلامية في أرض الترك والروم وفتحت

(١) انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ٣/٣٣٠، تاريخ الطبري ٤/٢٠٧، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص/١٣٧.

(٢) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة في الإسلام ص/٦٠.

(٣) انظر ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١٠٠، ٣/٦٢، تهذيب التهذيب ٥/٣١١، ابن عبد البر

الاستيعاب في معرفة الصحابة ٣/١٩٤٥.

الأندلس وجاء فاتحها موسى بن نصير إلى دمشق يضع بين يدي الخليفة أبناء ملوك أوروبا مأسورين مقهورين^(١).

واستمر الاحتساب في هذا العهد من قبل الخلفاء والولاة والعلماء يتابعون الأمور ويطلعون على المعاملات في الأسواق ويتابعون أمر الفساق فقد ولّى زياد بن أبيه الجعد بن قيس التميمي أمر الفساق وكان يتبعهم في البصرة^(٢) كما عرف الوليد بن عبد الملك بعنايته بالأسواق، فكان يمر على البقالين ويسألهم عن الأسعار، ويطلب منهم الزيادة في الوزن والكيل^(٣).

ومن محتسبي الخلفاء في الدولة الأموية: سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، لما ولي سليمان الخلافة قال لعمر بن عبد العزيز: يا أبا حفص إنا ولينا ما قد ترى ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج وأقيمت الصلوات في أوقاتها بعد ما كانت أميتت على وقتها هذا بالإضافة إلى أمور جليلة أخرى كان يسمع من عمر فيها^(٤).

ومن احتساب سليمان بن عبد الملك أنه كان يمنع الناس عن الغناء ويزجر عنه، ثم إنه أراد أن يخصي كل مغن ماجن فراجع عمر بن عبد العزيز في ذلك وقال: يا أمير المؤمنين إنها مثلة ولكن انفهم فنفاهم^(٥).

أما احتساب عمر بن عبد العزيز فقد رفع منزلته حتى عد من الخلفاء الراشدين، وغير المنكر وسن سنن الخير والرشاد وكان حريصا على إقامة العدل موقنا أن الناس لا يصلحهم إلا ذلك^(٦).

(١) انظر انبلاذري فتوح البلدان ص/٢٢٨، ومحمود كرد علي مخطط الشام ١٢٢/١

(٢) وهما بصرتان العظمى بالعراق، وأخرى بالمغرب، والمقصود هنا العظمى التي بالعراق، وقد مصرت في خلافة

عمر الخطاب رضي الله عنه سنة ١٧هـ. ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٣٠/١

(٣) انظر ابن عبد ربه العقد الفرید ١٢٦/٤

(٤) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٢٥/٥، وابن كثير البداية والنهاية ١٨٦/٩

(٥) انظر ابن الجوزي تلبیس إبلیس ص/٢٦٤، وابن كثير البداية والنهاية ١٨٨/٩

(٦) انظر السيوطي تاريخ الخلفاء ص/٢٣٧-٢٣٨

وقد اعتنى الخلفاء والعلماء والولاة في العصر الأموي بالحسبة وكان الطابع لذلك العصر هو تعظيم الدين والمحافظة على أحكامه لقربه من عهد النبوة، وإدراك الكثيرين من التابعين لبعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فتلقوا عنهم العلم والعمل فكان الدين الإسلامي ظاهراً على كل دين، والمسلم عزيزاً وغيره هو الدليل المهيمن. وهذا كله من نعم الله تعالى على هذه الأمة المحمدية ثم بفضل تطبيق أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه والقيام بتعاليم دينه الخفيف ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتساباً لوجه الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده عز وجل، وفي ذلك دلالة واضحة على مكانة الحسبة وعلو مرتبتها.

نبذة موجزة عن الحسبة في عهد الدولة العباسية:

وقد استمر المسلمون في القيام بواجباتهم نحو دينهم وعقيدتهم خلفاء وأمراء وعلماء وحكاما ومحكومين فتطور نظام الحسبة تطوراً ملحوظاً ولموسساً في عهد الدولة العباسية، وأخذت الحسبة مكان الصدارة في وظائف الدولة، واختص لها الرجال الأكفاء الذين كان الخليفة يسند إليهم هذه المهمة لينوبوا عنه في القيام بهذا الواجب. ومن أمثلة حسبة الخلفاء العباسيين ما يلي:

الخليفة المهدي: فقد احتسب على أهل الزندقة فقتل جماعة منهم ومزق كبهم وأمر بإتلافها وصرف همته إلى مطاردتهم وتبعهم، وروى أمر الزندقة عمر الكلوداني^(١). وهارون الرشيد: وكان كثير الغزو والحج حتى قال فيه أبو المعالي الكلابي: فمن يطلب لقاءك أو يردده # # فبالحرمين أو أقصى الثغور وكان معظماً لأمر الدين، ويغض المرء والطعن في نصوص الشرع، وحدثه يوماً أبو معاوية الضرير حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي قال فيه: «احتج آدم وموسى» وعنده رجل من وجوه قريش، فقال له القرشي: فأين لقيه؟ فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف زنديق يطعن في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر الذهبي الدمشقي، العبر ١/١٨٤

قال أبو معاوية: فما زلت أسكنه وأقول: يا أمير المؤمنين كانت منه نادرة حتى سكن ثم أمر بسجنه فشفع فيه الناس وأعلن ندمه واستغفاره فأطلقه. وقيل: كان الرجل القرشي عم الرشيد^(١)، وهكذا وصلت الدولة العباسية في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى حسبة لوجه الله تعالى تبارك وتعالى.

(١) انظر ابن كثير البداية والنهاية ٢٤٤/١، السيوطي تاريخ الخلفاء ص/٢٨٥

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في المشرق

ومن الأمور المؤكدة والمبرزة لمكانة الحسبة ومنزلتها كثرة المصادر المتخصصة في الحسبة وتنوعها فالكتب التي تناولت الحسبة في المشرق الإسلامي كثيرة ومتنوعة جداً، وأذكر من ذلك على سبيل المثال مؤلفات الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشافعي الماوردي المولود ٣٦٤هـ المتوفى سنة ٤٥٠هـ^(١)، ومنها:

١ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية

ويعد ما كتبه الماوردي عن الحسبة في الباب العشرين من هذا الكتاب أساساً لما كتبه من جاء بعده من المؤلفين في هذا الموضوع، وعلى ذلك يعتبر الباب العشرون من أهم المصادر عن الحسبة، ويعد الكتاب من أهم ما كتب في الحسبة النظرية، وقد ظل هذا الكتاب مرجعاً لجميع من كتب في ولاية الحسبة منذ القرن الخامس إلى الوقت الحاضر، ويشابهه في العنوان ويتفق معه في المضمون كتاب الأحكام السلطانية للإمام أبي يعلى الفراء القاضي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، فموضوعات الكتابين واحدة في الترتيب نفسه بل التفريع يكاد يكون واحداً^(٢).

ويرجع سبب التشابه بين الكتابين إلى أن المؤلفين عاشا معا في عصر واحد فالأمر السائد في ذلك العصر تكون مقاربة وتأثر أحدهما بالآخر^(٣).

٢ - "الرتبة في طلب الحسبة"

(١) درس بالبصرة وبغداد واستوطن بها وولي القضاء ببلدان كثيرة وبلغ منزلة عند ملوك بني بويه، وله تصانيف كثيرة منها الخاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي، وأدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية. انظر: الخطيب البغدادي ١٢/١٠٢-١٠٣، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ٧/١٨٩.

(٢) انظر القاضي أبو يعلى وكتابه الأحكام السلطانية ص/٥١٦، أبو يعلى مقدمة الأحكام السلطانية ص/١٨٨، الفتح المبين في طبقات الأصوليين ١/٢٥٣، النظم الإدارية وتطورها ص/٨.

(٣) انظر أبي يعلى الفراء الأحكام السلطانية ص/١١.

وله نسخة خطية في تركيا بمكتبة مسجد الفاتح بإسطنبول تحت الرقم (٣٤٩٥) وهي في مائة وثلاثين ورقة وتسع أوراق، وجعله مؤلفه في أبواب بلغت سبعين بابا كلها في أمور الحسبة، وقد تناول موضوعات عديدة ومهمة في أمور الحسبة. منها: ما يتعلق بالحسبة وأحكامها والمختسب وما يجب عليه معرفته. ومنها: ما يتعلق بالعقائد والأحكام. ومنها: ما يتعلق بالناحية الاجتماعية كالأخلاق والآداب العامة. ومنها: ما يتعلق بأهل الذمة. ومنها: ما يتعلق بأصحاب الولايات كالحسبة على القضاة والشهود. ومنها: ما يتعلق بالمعاملات في البيع والشراء وذكر الصناعات والحرف والمهن ونحو ذلك^(١).

٣- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ)

يعد الإمام الغزالي واحدا من أكبر العقول الإسلامية عبر تاريخ الفكر الإسلامي، ومن القلائل الذين لهم أسبقية البحث في موضوع الحسبة في كتابه "إحياء علوم الدين" الذي قسمه إلى كتب، وكل كتاب ينقسم بدوره إلى فصول، خصص منها للحسبة كتابا طويلا في حوالي ثلاث وأربعين صفحة من القطع الكبير، وحديث الغزالي عن الحسبة له طابع متميز ينفرد به عن غيره من السابقين، فقد رأى أن الحسبة عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولها أركان أربعة، وهي: المختسب، والمختسب عليه، والمختسب فيه، والاحتساب، ولكل واحد من هذه الأربعة شروط، وأركان وهو في هذا التقسيم يختلف عن السابقين له كلية، كما يبدو علاجه كذلك جديدا لركن الاحتساب؛ إذ يجعل له درجات وآدابا أولها التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ، والنصح، ثم السب، والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح، ثم الاستظهار فيه بالأعوان^(٢).

٤- "الحسبة في الإسلام" أو "وظيفة الحكومة الإسلامية":

(١) انظر الرتبة في طلب الحسبة المخطوط ف ٥٣٠/ب وما بعدها

(٢) انظر الغزالي إحياء علوم الدين ص ٢/٢١٢

كتاب الإمام المجتهد العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أبي العباس أحمد بد عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقي الحراني المتوفى سنة/٧٢٨هـ، وهو من أعظم كتب الحسبة.

٥- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية^(١)

كتاب الإمام بن القيم الجوزية المتوفى سنة/٧٥١هـ، وقد لازم شيخ الإسلام وأخذ عنه ولا ريب أن الصلة القوية التي كانت بين التلميذ وأستاذه كانت هي السبب في التشابه الكبير الذي يجده القاري بين كتابيهما، وقد زودنا كلا المؤلفين بمعلومات وفيرة عن الولايات الإسلامية مثل: ولاية الحرب، والقضاء، والمال، وولاية الحسبة، وعن تداخل في بعض الأمور^(٢).

٦- كتاب نهاية الرتبة

لعبد الرحمن بن نصر الشيزري المتوفى سنة/٥٨٩هـ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب المتخصصة في موضوع الحسبة، وأهميته في ذلك لا تنحصر في كونه يشرح مختلف أنواع الغشوش التي يقوم بها أصحاب الحرف والصناعات فحسب، بل إن الكتاب يتميز بالإسهاب في شرح غشوش العقاقير ووصف فروع الطب المختلفة إضافة إلى أنه يحتوي على ذكر بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في فترة متأخرة، ويمثل ذلك فترة استمرار تطور مؤسسة الحسبة، فهو يعكس ما كان يجري في القرن السادس الهجري كاستخدام النساء في تنظيف القطن والكتان على أبواب الحوانيت بالطريق العام.

وتظهر خبرة المؤلف بشؤون الحسبة من خلال مقدمته التي يقول فيها: 'وقد سألتني من استند لمنصب الحسبة، وقد نظرت في مصالح الرعية، وكشف أحوال السوق، وأمور المتعيشين أن أجمع له مختصراً كافياً في سلوك منهج الحسبة على الوجه المشروع؛ ليكون عماداً لسياسته، وقواماً لرياسته فأجبتة إلى ملتصقه ذاهباً إلى الوجازة لا إلى الإطالة... واقتصرت على ذكر الحرف المشهورة دون غيرها لميس الحاجة إليها وجعلته أربعين باباً'^(٣).

(١) انظر ابن تيمية: الحسبة في الإسلام ص ١-٦، وابن القيم الطرق الحكمية ص/٣١٤

(٢) انظر الشيزري نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص/٣

وتظهر أهمية الكتاب كمصدر أساسي من المصادر التي سيطرت الحسبة منفصلة عن المباحث الفقهية من خلال نظرة سريعة على المنهج الذي اتبعه الشيرزي فيه، حيث يوضح المدى الذي وصلت إليه اختصاصات المحتسب تحت إطار مفهوم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١).

٧- كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

لمحمد بن أحمد بن بسام المختسب الذي عاش في فترة ترجع إلى ما قبل عام/٨٤٤هـ.

ونكمن أهميته في أنه أوسع كتب الحسبة في عدد أبوابه إذ إنه احتوى على مائة وثمانية عشر بابا إضافة إلى أن المؤلف كان محتسبا مما أدى إلى ظهور تجاربه في كتابه، وقد استفاد ابن بسام من كتاب الشيرزي، وقد ضمن كتابه هذا إضافات كثيرة من المعلومات التي حصل عليها من خلال تجاربه في عمله كمحتسب، ولا شك أن هذا مما يكسب الكتاب أهمية خاصة على اعتبار أنه يمثل خلاصة تجارب وخبرات عملية وليست بمجرد أفكار وتصورات وبعد هذا مما امتاز به كتاب ابن بسام على كتاب الشيرزي^(٢).

٨- كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة

لمحمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة والمتوفى سنة/٧٢٩هـ وقد اشتمل على مقدمة وسبعين بابا.

وتوضح أهمية الكتاب من خلال منهجه وفي طرق عرضه للمعلومات، فقد بدأ رحمه الله تعالى كتابه بالحديث عن شرائط الحسبة ووظيفة المحتسب، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد ذلك تعرض للحديث عن مختلف الحرف والصناعات في عصره^(٣).

٩- العقد الفريد للملك السعيد

(١) الرتبة في طلب الحسبة ص/١٩

(٢) انظر ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص/١

(٣) انظر ابن الأخوة معالم القربة في أحكام الحسبة تحقيق محمد محمود شعبان، (مصر الهيئة العامة المصرية

للكتاب ١٩٧٦م)

لمؤلفه طلحة القرشي المتوفى سنة/٦٥٢هـ، وهو من الكتب المهمة في الحسبة والاحتساب، وبعد من المصادر التي اهتمت بذكر الحسبة ضمن مباحثها، وقد ضمن المؤلف كتابه هذا أربعة مباحث نفيسة:

١- بحث في مهمات الأخلاق والصفات.

٢- وبحث في السلطنة والولايات.

٣- وبحث في الشريعة والديانات، وفيه أربعة أركان: الفتيا، والقضاء، والحسبة، والأوقاف.

٤- وبحث في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات وفيه جملة من المسائل مثل: مسألة احتساب المحتسب على ذوى الاحترام وأرباب المناصب العظام، ولا يفوته ذكر التعزير كسلطة بيد المحتسب للتأديب^(١).

فهذه المصادر السالفة الذكر تدل دلالة واضحة ملموسة محسوسة على مكانة الحسبة وعلو مرتبتها وعظم منزلتها حيث إن المسلمين وبخاصة علماءهم قد فهموا أهمية هذه الوظيفة وكثرة فوائدها وحسن نتائجها وأنها السر الكامن في خيرية هذه الأمة المحمدية فأولوها عناية فائقة واهتماما بالغاً حساً ومعنى فطبقوها في أنفسهم وفي بيوتهم وأسرها ومحيطهم ومجتمعهم ودونوها في صدورهم وسطروها في كتبهم فما تركوا شاردة ولا واردة فيما يفيد الأمة في هذا الصدد إلا وقيدوها في كتبهم القيمة والمفيدة ليتناقلها الأجيال صافية نقية، فيستفيدون من علمهم ومن تجاربهم فيكملوا ويسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

وهذه العناية البالغة من العلماء والأمراء والحكام بأمر الحسبة والتأليف فيها تعد بمثابة لسان فصيح يشيد بمكانة الحسبة وفضلها ومنزلتها بين الوظائف والخطط والولايات الإسلامية النشطة، ومن المستحسن في نظر الباحث أن يختم هذا الفصل بذكر الآثار الطيبة لنظام الحسبة في الدين الإسلامي تنويراً بمكانتها ومنزلتها، فقد وفر هذا النظام الاحتسابي - بفضل الله وتوفيقه - الحياة السليمة للمجتمع الإسلامي فهي تنظم حياة الفرد الاقتصادية وعيشته المطمئنة حيث كانت هناك إلى جانب العديد من النظم الإسلامية

(١) نظام الحسبة في العراق ص/٢٥

الأخرى ترفع عنه الظلم وتحميه من الغش والتدليس هذا من ناحية المستهلك، وأما من ناحية الصانع والتاجر ففي نظام الحسبة ردع لتردي النفوس وتوجيه سليم لها نحو جادة الصواب بدلا من التعبط في دروب الكسب المحرم، وقد كان في تطبيق نظام الحسبة على الآداب العامة تنقية للنفوس من وساوس ونزعات الشياطين التي تدفع النفس البشرية إلى المعاصي والآثام لتبعدها عن طاعة الله تبارك وتعالى وتسخيرها للأهواء والميول الشاذة. وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامة من دعائم الإسلام، متى طبق في المجتمع التطبيق السليم تمثلت في ذلك المجتمع الحياة الإسلامية الحققة وفي هذا بيان شاف لمكانة الحسبة وشرفها ومنزلتها والله سبحانه وتعالى أعلم.

المبحث الثاني

مكانة الحسبة في المغرب، ومصر، وفيه مطلبان

المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في المغرب ومصر

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في المغرب ومصر

المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في المغرب ومصر

لم تظهر خطة الحسبة في بلاد المغرب الإسلامي فجأة بل مرت بمراحل كغيرها من الولايات الأخرى، فقد دخل الإسلام في تلك الديار على أيدي الفاتحين الأوائل، فقد قاد عقبة بن نافع ومن جاء بعده رسالة الإسلام، ودعوته، وأخذ الإسلام ينتشر ويستقر في تلك الربوع، وأخذ الناس يدخلون في الإسلام، ويزداد رسوخاً بينهم^(١)، وأخذوا يتعلمونه من الفقهاء الذين جلسوا للتعليم والتدريس، فقد أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين ليفقهوا أهل إفريقية أمور دينهم^(٢).

ثم ظهرت في المغرب بعض المذاهب الفقهية ومن ذلك مذهب الأوزاعي المنتشر في الشام، كما أن المذهب الحنفي شاع في إفريقية والمغرب والأندلس^(٣).

ثم انتشر المذهب المالكي بعد ذلك على يد تلاميذ الإمام مالك مثل أسد بن الفرات، ثم جاء سحنون الذي زاد في أيامه نشر المذهب المالكي فشاع في تلك الأقطار^(٤) وازداد رسوخاً وعظمت الحسبة في أيام سحنون حيث تولاهما وقام بدور عظيم في رفع شأنها ومعاربة المخالفين من أهل البدع والمذاهب الباطلة.

لذا يدرك الدارس لتلك المنطقة صراع المذاهب هناك حتى استقر المذهب المالكي فيها وطابت نفوس الناس إليه حيث رأوا فيه التصاق المذهب بإمام دار الهجرة مركز الإسلام وعاصمته الأولى، بالإضافة إلى مميزات المذهب التي رأوا أنها تناسب بيئتهم وحالهم هناك.

كما وجدت في منطقة المغرب الإسلامي صراعات بين المذاهب الكلامية والسياسية التي لا بد وأن تؤثر في سير النظم الإدارية في المنطقة ومن بينها نظام الحسبة، وقد امتدت نتائج الأحداث السياسية والصراعات العسكرية في الشرق الإسلامي إلى

(١) القاضي عياض ترتيب المدارك ٢٥/١

(٢) انظر ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ١٢٢/١

(٣) ابن خلدون تاريخ ابن خلدون ١١٥/٦

(٤) القاضي عياض ترتيب المدارك ٢٥/١

منطقة المغرب الإسلامي، فنجد لجوء الكثير من زعماء المذاهب المتصارعة إلى المغرب فكان أن قدمت فرق من الخوارج إلى شمال إفريقيا فتمكنت من نشر أفكارها حتى أسسوا لهم دولة في المغرب الأوسط في تاهرت^(١) تحت إمارة الأسرة الرستمية استمرت لمدة قرن ونصف^(٢).

كما أن الأمويين أسسوا لهم دولة في الأندلس بعد أن أطاح العباسيون بدولتهم في المشرق واستمرت لمدة قرن وهي دولة أموية الجذور، كما أن إدريس بن عبد الله العلوي بعد أن فرّ من العباسيين إلى المغرب أسس دولة الأدارسة ذات نزعة شيعية^(٣). ولا شك أن لتلك المذاهب أثرا في الحسبة وسيرها في بلاد المغرب.

الحسبة في القيروان

ثم بدأت الحسبة في القيروان "تونس"^(٤) بالنظر في شؤون السوق، ثم أضيف إلى عمل محتسب الفصل في القضايا الجنائية الجسمية كالشتم والضرب، ثم أضيف له الفصل في القضايا التجارية^(٥).

وكان أول من تولاهما في القيروان الفقيه المالكي عبد السلام بن سعيد التبوخي الملقب بسحنون حيث كان قاضيا ثم أضيفت له الحسبة فكان أول محتسب معين، واتخذ سحنون نوابا يساعده ويشرّفون على الأسواق، وتولوا الفصل في القضايا التي تدخل في ولايته فكان لا ينب عنه إلا من كان مالكا متمكنا في القواعد الأساسية من فقه

(١) بفتح الهاء، وسكون الراء فوقها نقطتان اسم لمدينتين متقابلتين بأنصى المغرب يقال لأحدهما تاهرت القديمة وللآخر تاهرت المحدث بينهما حمسة أميال، ياقوت الحموي معجم البلدان ٨/٣

(٢) عبد الرحمن القاسي خطة الحسبة ص/٩٤

(٣) حسن بكريم الحسبة تطورها ص/٨٣

(٤) بالضم ثم السكون، والنون تضم، وتفتح، وتكسر: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها. ياقوت الحموي معجم البلدان ٦٠/٢

(٥) حسن بكريم الحسبة وتطورها ص/٨٢

المعاملات المالكي^(١)؛ ونظرا لقوة شخصية الإمام سحنون أعطى الحسبة قوة بحيث أصبحت مستقلة عن غيرها من الخطط، فكان من المتبع في القيروان أن يولي المحتسب من الأمير نفسه أو من طرف القاضي؛ ولذا عدت المرحلة التي هيمنت فيها مدرسة الإمام سحنون أرقى مراحل ازدهار الحسبة في ربوع إفريقية لتدخل بعدها في مرحلة التدهور؛ حيث صار المحتسبون مجرد أمناء يقومون في الأسواق بمهمة عرفاء لبعض الحرف. من ظواهر ضعف الولاية هذه الانتكاسة: أن المحتسب كان يتقاضى أجرته من تجار الأسواق على نسبة معينة مما خرج بالحسبة عن النزاهة، والفقهاء، وشروطها عند الفقهاء، مما كان له أثر في ضعفها^(٢).

الحسبة في دولة المرابطين في المغرب

أما في دولة المرابطين تلك الدولة التي قامت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو المفهوم العام للحسبة فقد قام الأمراء بمساعدة الفقهاء بالقيام بهذا المبدأ خير قيام، واهتموا بالقضاء اهتماما عظيما فكان كثيرا ما كان القاضي يولي أحد معاونيه خطة الصلاة والخطبة مجتمعتين وأحيانا أحكام السوق أو الحسبة، وكان يستعين بطائفة من الشرطة^(٣)، فكان الحسبة تدرج تحت مهام القاضي، فكان يولي أحد معاونيه للقيام بها فهي خطة قائمة يقوم بها شخص معين وتنحصر في شؤون المعاملات، أما الحسبة على العبادات فهي موكولة إلى شخص آخر^(٤)، كما أن مهام المحتسب ورعت على أكثر من شخص فهناك صاحب الصلاة وصاحب السوق وصاحب الأحكام.

(١) انظر: عبد الرحمن الدباج، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (تونس ١٩٠٢م) ٤٩/٢-٥٣، وابن فرحون،

الدباج، ص/١٧٣-١٧٤

(٢) عبد الرحمن الفاسي خطة الحسبة ص/٦٠

(٣) انظر حسن بكريم الحسبة تطورها ص/٩١

(٤) المصدر السابق ص/٩١

كما أنه في دولة المرابطين كان الاتصال بين المغرب والأندلس وثيقاً، حيث امتد سلطان حكم المرابطين حتى إلى الأندلس، وأصبحت مراكش عاصمة المرابطين عاصمة الدولة في كل من المغرب والأندلس، وكان الاتصال مستمرا ووجدت الرحلة بينهما وبخاصة رحلة الفقهاء مما كان له أعظم الأثر في تبادل الثقافة، وتم نقل بعض المسائل الفقهية في الاحتساب من الأندلس إلى المغرب، وكان الغرض من ذلك الاستفادة من ذلك في واقع الاحتساب مثل مسألة الاحتساب على المؤذن أبي الربيع في أذانه بالأسحار وانتهائه بالدعاء، وذكر أن قائما قام عليه عند الوزير القاضي ابن ذكوان وهو في خطبة أحكام السوق بالحسبة^(١).

وهذا يدل على اهتمام المرابطين بالحسبة كما يدل على تقدم أهل الأندلس في هذا العلم واعتنائهم به ومما يدل على ذلك اعتناء أهل الأندلس بالتأليف في الحسبة بنوعيه النظري والعملي التطبيقي.

الحسبة في دولة الموحدين في المغرب

قد برزت مكانة الحسبة في دولة الموحدين رغم أن هذه الدولة قامت على المناداة والدعوة في الرجوع إلى الأصول، ونبذ كتب الفروع، بل إحراقها كالحال في إحراق الموحدين مدونة الإمام سحنون، والواضحة لابن حبيب، والتهذيب للبرادعي^(٢)^(٣). وعلى الرغم من ذلك فإن الحسبة وجدت في دولة الموحدين؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مرتكزا لدعوة مؤسس الموحدين ابن تومرت، وانطلقت هذه الدولة من هذه الركيزة المهمة؛ إذ الحسبة منطلقة في الحقيقة منه^(٤).

(١) القاضي عيسى بن سهل الأحكام الكبرى ١١٥٨/٢

(٢) انظر المراكشي المعجب ص/٣٥٤، حسن بكريم الحسبة تطورها ص/٩٤

(٣) أبو القاسم خلف بن القاسم الأزدي المعروف بابن البرادعي، كان فقيها عالما ورعا قام باختصار المدونة في ألف

المالكي توفي في القيروان سنة ٤٦٠، انظر المدونة ١/١٠٥

(٤) انظر عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب م.س. ص/٢٤٦

وهذا بخلاف الرأي الذي استنتجه الأستاذ عبد الرحمن الفاسي أن الحسبة لم يكن لها وجود عند ابن توموت حيث حاربت دولته كتب الفروع؛ لأن الحسبة قائمة على كتب الفروع الفقهية.

ومما يدل على وجودها لدى الموحدين أن الموحدين لم يخرجوا عن نطاق المذهب المالكي في الفقه، وإن حادوا عنه توحيدا وعقيدة، وأنهم لم يلجأوا إلى فقهاء المرابطين إلا وسيلة لنسف حكمها وتقويض دعائمه الفقهية القائمة على علم الفروع^(١).

كما أن محاربة الموحدين للفروع الفقهية لم يستمر طول فترة تاريخ حكمهم، إذ إن يعقوب المنصور أمر جماعة من العلماء بجمع أحاديث من المصنفات العشرة.

كذلك من دواعي وجود الحسبة في هذه الدولة النشاط الصناعي والتجاري اللذين وجدوا في هذه الدولة، حيث قامت الصناعة ووجدت الأسواق التجارية والخوانيت في المدن الرئيسية، وهذا النشاط يستدعي وجود المراقبين والمنظمين لهذه الأسواق، والمحاربين للغش، وهذا ما يقوم به أهل الحسبة والقائمين عليها.

كما لا يمكن تراجع الموحدين عن نظام إداري مهم كان قائما في دولة المرابطين التي امتدت قرابة قرن من الزمن ويضمحل ويحارب فلا بد أن يظل قائما ويترك بصماته في دولة الموحدين.

كما أن ملوك الدولة الموحدية قاموا بالحسبة بأنفسهم وما رسوها فإن المهدي بن توموت قام بها أول رجوعه من المشرق هو ومرافقيه^(٢) كما أن الملك يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن كان يشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الأحيان في شرب الخمر، وكان يعاقب على ترك الصلوات، ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها ممن غفل أو اشتغل عنها بمعيشتهم عزره تعزيزا بليغا^(٣).

(١) انظر د. عصمت دندش الأندلس في نهاية المرابطين م.س. ص ١٠٦.

(٢) انظر عبد الواحد المراكشي المعجب م.س. ص ٢٢٦.

(٣) انظر عبد الواحد المراكشي المعجب م.س. ص ٣٠٩.

كما أن الملك الموحيدي يعقوب بن يوسف أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق، وأشياخ الحرف في كل شهر مرتين^(١) مما يدل على اهتمامه بشؤون الأسواق والالتقاء بمراقبيها وهم أهل الحسبة.

كما أن ذلك الملك كان يشدد على مرتكبي المناكير، وهذا مما يؤكد قيام الحسبة في دولة الموحدين واهتمامهم بها.

كما أن دولة الموحدين امتد سلطانها إلى الأندلس مما يدل على اشتراك المغرب والأندلس في تلك الفترة في هذا النظام أعني: الحسبة.

وقد استمرت الحسبة في دولة المرينيين وعلا شأنها، حيث أصبحت إحدى التراتيب الإدارية، وأصبح المحتسب له شأن في تيسير شؤون المدينة، فأصبحت مهمته الإشراف على شؤون السوق، ومراقبة الموازين والمكاييل والتأكد من جودة البضائع خوفا من مضرتها على الصحة العامة، وكان يقوم بدور الحكم في الخصومات التي تنشأ بين أهل الصناعة الواحدة فيما بينهم، وأحيانا في الخلافات بين البائع والمشتري، وهناك مشاهير من المحتسبين تولوا الحسبة وقاموا بها خير قيام^(٢).

فمن العقوبات التي فرضها المحتسب على أرباب الصناعات الرديئة أو أصحاب السلع المغشوشة أنه كان حريصا على إعلام العموم بكل مخالف، ومهملا، وغشاش، فكانت بفاس مثلا مصطبة تعرض عليها المصنوعات الرديئة وعليها أسماء أصحابها من الصناع المهملين.

ولا شك أن لوسيلة التشهير غاية طيبة في اختفاء الغش في المصنوعات حيث يجعل الصناع المهمل مضطرا إلى تحسين صنعه.

كما أن المحتسب يلتجئ إلى إتلاف السلع الفاسدة المعروضة للبيع ويقوم كذلك بالتشهير بالبائع، فمثلا إذا باع الجزار لحما فاسدا فإن المحتسب يأمر بتقطيع اللحم إلى قطع

(١) المصدر السابق ص/٩٧

(٢) حسن بكريم الحسبة تطورها ص/٩٩

صغيرة يصنع منها عقد يوضع في رقبة الجزار الذي عرض هذا اللحم الفاسد ثم يطاف به في المدينة في حراسة أعوان المحتسب^(١).

وهذا يدل على علو مرتبة ومكانة الحسبة في المغرب، ومدى ما وصل إليه المحتسب من سلطة تنفيذية في محاربة الغش والتصدي للغشاشين.

كما أن الحسبة عند الوطاسين كانت في ازدهار وقد اهتمام بها كما يدل على ذلك ما جاء في "وصف إفريقيًا" للحسن بن محمد بن الوزان المعروف "بليون الإفريقي"^(٢).

ومما يدل على أنها كانت قائمة، وإن للمحتسب سلطة كبيرة أن تلك الدولة وضعت تحت تصرفه قوة من الشرطة لممارسة الإكراه البدني والمعنوي على التجار المحترفين للغش^(٣)، إلا أنها بعد ذلك اعتراها بعض الضعف فأُسندت إلى أناس عاديين من الناحية الفقهية لم تتوفر فيهم الشروط اللازمة لتولي الحسبة.

ثم جاء بعد ذلك أما في دولة السعديين فقد قاموا بتنظيم لخطوة الحسبة حيث خصصوا لولاية الحسبة مكاتب خاصة داخل أسواق المدن وجهزوها تجهيزاً معتبراً بكل ما يحتاجه المحتسبون من كتب خاصة بأحكام الحسبة تعينهم على فهم واجباتهم والطريق الأمثل لتأديتها^(٤).

ومما يدل على المكانة العالية التي اكتسبها الحسبة في المغرب عند تلك الدولة ملوكاً ورعية حتى بلغ الاهتمام بتلك الخطوة أن أو قفوا الكتب المخصصة للحسبة وأحكامها لتكون في متناول يد المحتسبين ليأخذوا منها الأحكام ويستفيدوا من تجارب سابقيهم.

كما يدل على تميز وتنظيم الحسبة في ذلك العصر تخصيص مكاتب للمحتسبين موزعة في أسواق المدن، لعلهم يتوخون سرعة الإنجاز في عمل ولاية الحسبة من حيث

(١) انظر حسن بكريم الحسبة تطورها ص/١٠٠

(٢) انظر بكريم الحسبة تطورها ص/١٠١

(٣) المصدر السابق ص/١٠١

(٤) انظر المصدر السابق ص/١٠٢

المراقبة وفض النزاعات، وقد عرف العهد السعودي خطة الحسبة واعتنى بها ووجدت أسماء ممن تولوا تلك الخطة^(١).

الحسبة في مصر

وأما مصر فقد دخل الإسلام إليها في وقت مبكر في زمن النبي^(٢) - صلى الله عليه وسلم - ثم فتحت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم أصبحت مركزاً لانطلاق الدعوة ونشر الإسلام في المغرب والأندلس وغيرها من البلدان، وكانت ولاية الحسبة في العصور الأولى داخلة ضمن ولاية أخرى كولاية القضاء والشرطة.

ومن أكبر وأبرز الدول التي ظهرت فيها ولاية الحسبة في مصر دولة الماليك، فإن ولاية الحسبة كانت بارزة وقوية فيها^(٣).

وقد عرفت الدولة الفاطمية نظام الحسبة في صور متعددة، فقد كانت في البداية داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره^(٤).

جاء في كتاب الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى قاضيه على الديار المصرية (أمره بأن يشار في المساجد والقومة عليها والخطباء بها والمؤذنين وسائر المتصرفين في مصالحها...) (٥)

(١) حسن بكريم الحسبة تطورها ص/ ١٠٣ - ١٠٤، إبراهيم حركات النظام القضائي في العهد السعودي ص/ ٢١٥

(٢) انظر صحيح الإمام مسلم في حديث رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى حام مصر "المقوقس"

(٣) انظر رسالة المذكور حيد الصافي الحسبة في العهد المملوكي - رسالة دكتوراة - قدمت للمعهد العالي للدعوة

الإسلامية بالمدينة

(٤) انظر ابن حنبلون المقدمة ص/ ٢٥٦

(٥) الفلقشندي صبح الأعشى ٣٨٤/١٠

ثم جاءت مرحلة ثانية أسندت مهام الحسبة إلى صاحب الشرطة، وتوسعت اختصاصاته، وركز في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان المحتسب الشيعي يركز على محاربة المذاهب الأخرى، ويعمل على جذب أنصار لمذهب الدولة^(١) ثم انفردت الحسبة بالولاية فتولاها المحتسبة منفردة ومنفصلة عن ولاية القضاء والشرطة فتولاها أمثال المقريري^(٢) الذي تولى حسبة القاهرة، وكان لا يختار لولاية الحسبة إلا من اشتهر بالعدالة، والورع، والعلم. وكان مجلس المحتسب في المسجد، وله نواب في المناطق البعيدة، وله نواب يقومون بأعباء الحسبة^(٣). مما يدل على ازدهار الحسبة في مصر خلال تلك القرون.

(١) الفاسي حطة الحسبة ص/٥٦، والقلقشندي صبح الأعشى ٢١٠/١١، وموسى لقيال الحسبة الذهبية في بلاد

المغرب ص/٤٥

(٢) انظر ترجمته الزركلي الأعلام ١٧٧/١

(٣) حسن بكريم الحسبة نظورها ص/٧٤

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في المغرب ومصر

وإذا نظرنا إلى المصادر للحسبة في المغرب فإنها تدل على مكانة الحسبة وعلو شأنها، وأنه بلغ من اهتمام تلك الأمة بالحسبة أن ألفوا فيها الكتب التي تشير إلى مسائلها وطرقها وآدابها فمن تلك الكتب ما يلي:

١- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر^(١)

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني المتوفى سنة/٨٧١هـ، وهو فقيه شغل في تلمسان منصب قاضي الجماعة لفترة طويلة، وكتابه يقع في ثمانية أبواب أطولها وأهمها وأكثرها تعلقا بالحسبة التطبيقية الباب السابع، وهو المقصود بالذات وكل ما تقدمه من الأبواب كالوسيلة إليه والطلية لما بين يديه لما تكفل من تفصيل ما وقع إجماله^(٢)، واستعرض في هذا الباب ما يقع فيه الاحتساب من منكرات المساجد والعادات ومنكرات الشوارع والطرق ومنكرات الحمامات وبعض منكرات النساء والأطباء وما يقع منهم من الخطأ ومنكرات البيوع والزيادة في الوزن والكيل والتطفيف، ثم ذكر ما يتعلق بأرباب الحرف والمهن والاحتساب عليهم وغير ذلك من الأمور التي يحتسب عليها، وخصص الباب الثامن - وهو الأخير - في الاحتساب على أهل الذمة وفصل فيه تفصيلا طيبا ومفيدا، وفي آخر الباب قال: (وهذا ما استطعنا حفظه ونقله من مسائل هذا الباب، وإذا قد أتينا على تمام الأبواب الثمانية أدخلنا الله من أحد الأبواب الثمانية ثم ذكر في خاتمة الكتاب أصل ولاية الحسبة وشروط المحتسب، والفرق بين الحسبة وغيرها من الولايات^(٣)

٢- رسالة في الحسبة

(١) طبع بتحقيق الأستاذ علي الشوفي بدون ذكر تاريخ ودار نشر

(٢) محمد بن أحمد العقباني التلمساني تحفة الناظر ص/٢٩

(٣) انظر التلمساني تحفة الناظر ص/١٧٦

لعمري بن عبد العزيز الكرسيفي المتوفى سنة/١٢١٤هـ، وهي مطبوعة مع رسالتين لابن عبدون، وابن عبد الرؤوف تحت عنوان "ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب"^(١).

والتحقيق أن الكرسيفي مغربي وليس أندلسيا وأنه منسوب إلى أكرسيف بالجنوب المغربي وهي: مقاطعة كبيرة بالسوس.

والمؤلف فقيه، قاضي، وأفتى، وكانت وفاته بالرباط عام ١٢١٤هـ^(٢). وتحدث الكرسيفي في رسالته تلك عن واجبات المحتسب، وما ينبغي أن يتحلى به من العفاف والثقة ومراعاة آلات الكيل والوزن، والتنبه لأنواع الغش في البيوع وبيع المحرمات، وتحدث فيها عن الآداب العامة والأخلاق، والنظافة العامة، وأهل الذمة، وشؤون الموتى والمخدرات والكهنة، والمجانين، والرفق بالحيوان، والأوقاف، ومسائل في التعزير كالإخراج من السوق والصلب، وأن التعزير موكول إلى حذق الحاكم، كل ذلك ساقه بصورة مختصرة.

٣- كتاب التيسير في أحكام التسعير

لأبي العباس أحمد بن سعيد المجليدي أو المكيدي المتوفى سنة/١٠٩٤هـ، وتولى قضاء فاس الجديدة أزيد من أربعين سنة، وولي قضاء مكناسة واستقل بالتدريس^(٣). والكتاب ظاهره أنه يختص بالتسعير كما يوحي بذلك اسمه وما يتعلق بالتسعير وحكمه، وفي الأشياء التي تسعر والتي لا تسعر، ومن يسعر عليه، ومن لا يسعر عليه، جاء ذكر ذلك في الباب الثاني والثالث والرابع، أم بقية الأبواب فموضوعها في الحسبة وأعمال المحتسب، وإن كان التسعير اختصاصات المحتسب فتحدث في الباب الأول عن فضل من

(١) طبعت بتحقيق ليفي برورفتسال رئيس قسم اللغة والحضارة العربية بالسرهن، ومدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ساريس في وقتها، وطبعت بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٢) انظر ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب م.س.ص/١١٩

(٣) انظر المجليدي التيسير في أحكام التسعير مقدمة الناشر ص/١٩

قام بكتابة الحسبة وشروط المحتسب، وفي الباب الخامس ذكر شيئاً عن الموازين والمكاييل، وفي الثامن ذكر ما يجب من رفع الضرر العام والاهتمام بالأزقة والرحاب، وذكر ما يتعلق بأهل الذمة في الباب التاسع، والكتاب يتألف من عشرة أبواب، وطريقته تميل إلى الناحية التطبيقية، ودافع مؤلفه من تأليفه طلب بعض المحتسبين كما قال: (والحامل لي على تسطير هذه الأوراق وجمع نقول الأئمة بعد الافتراق إخراج بعض من ابتلي بكتابة الحسبة، ورغبته في تليق ذلك أعظم رغبة، فليت نداءه، وأجيب دعاءه رجاء أن يضرب لي بسهم بين المستفيدين، وأن أعد بفضل الله ورحمته من فريق المفيدين، أجاب الله دعاءنا، وحقق رجاءنا إنه سميع بخيب قريب كريم) (١).

٤- الأقوم في مبادئ العلوم

لعبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة/١٠٩٦ هـ وقد عاصر أحمد بن سعيد المكيدي حيث ذكر في كتابه فصلاً عنوانه باسم "علم الحسبة" والكتاب منظومة شعرية في الحسبة التطبيقية ويحتوي هذا الفصل على الأبواب التالية: من يقوم في الأسواق أميناً، الكيل والكيلون للطعام وغيره، والوزن والموازين، عملة الدقيق والخبز وباعتها، الذبائح وبيع اللحم والخوت وما لحق بهما، العطارون والصيادلة، باعة العبيد والحذم، الصناعات والصنائع، والأجراء، الجلاس، والسماصرة (٢)، وهنا ذكر أمثلة.

٥ - شذرات في الحسبة

وهو مخطوط لمؤلف مجهول، تشمل على نحو اثنتين وأربعين ورقة، وهي لا تحمل بداية ولا توجد لها نهاية، وخطها مغربي في غاية الوضوح والجمال، إنما أصابها البلل فطمس بعض كلماتها، ويظهر من وجود باب في ثنائياها يحمل رقم الباب الرابع، وبه تنتهي، العمل أسس على أربعة أبواب وقد تحدث مؤلفها عن الحسبة كأمر يجب رعائته وإقامته؛ لتقوم رسوم الشريعة، وصنف المنكرات إلى منكرات الشوارع، ومنكرات الأسواق، ومنكرات الحمامات؛ أما في الباب الرابع فساق أمثلة من سيرة الخلفاء والأمراء

(١) المجلدي التيسير ص/٣٨

(٢) موسى لفياني الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ص/٥٨

الذين تصدروا لمعالجة الأمراض الاجتماعية، وأشار إلى ضرورة قيام المحتسبين بواجب الحسبة حتى على الملوك والأمراء، ومن غير المستبعد أن يكون هذا العمل قد تم إعداده في القرن العاشر الهجري^(١).

٦- نهاية الرتبة في طلب الحسبة

لمحمد بن أحمد بن بسام المحتسب، وكان محتسبا في مصر، وقام بتحقيق الكتاب حسام الدين السامرائي^(٢)، والكتاب عظيم القدر والفائدة وبدأه مؤلفه بذكر موازين مصر.

٧- قوانين الدواوين

للقاضي الأسعد أبو المكارم بن مماتي المصري (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)^(٣)، عالج في كتابه عدة موضوعات متباينة عن تاريخ مصر وإدارتها وحضارتها في عصر صلاح الدين الأيوبي، والكتاب عشرة أبواب أنفس أبوابه الباب التاسع الذي تحدث فيه عن دار الضرب، ودار العيار واختصاصاتها ومواردها وعلاقتها بأعمال المحتسب.

٨- الرتبة في الحسبة

لابن الرفعة نجم الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الأنصاري ولد بالقسطنطينية (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) وتوفي سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، أحد أئمة مصر الأجلاء علما وفقها ورئاسة، تولى حسبة الديار المصرية وله مؤلفات عدة^(٤)، وقد تنبه ابن الرفعة إلى كتابات الماوردي وأهميتها وقد قرأها عند ما ولي حسبة مصر، مما جعله يتأثر بكتاباته ويشابهه إلا في بعض الفروق الطفيفة مما حمل أن جعل كتاب ابن الرفعة للماوردي وليس كذلك.

(١) انظر موسى لقبال الحسبة المذهبية ص/٥٩

(٢) انظر مقدمة الكتاب ص/ج

(٣) ابن خلكان وفيات الأعيان ٨٤/١، السيوطي حسن الحاضرة ٢٧٠/١

(٤) انظر السيوطي حسن الحاضرة ١٣٠/١

مما سبق تظهر جليا علو الحسبة وشأنها في مصر والمغرب في شتى عصورها المختلفة، واعتناء الدول التي سادت بتلك الديار بالحسبة وتعيين ولايتها، وأمر الناس بها داعة ورعية كما التأليف في الحسبة قديما وتنظيم شأنها.

المبحث الثالث

مكانة الحسبة في الأندلس وفيه مطلبان

المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في الأندلس

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في الأندلس

المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في الأندلس

تعتبر الحسبة في الأندلس من الخطط الدينية؛ إذ هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي خادمة لمنصب القضاء، وداخلية في عموم ولايته^(١). ولا يتولى هذه الخطة إلا أهل العلم، والفهم والعقل، فصاحبها أشبه ما يكون بالقاضي، وكفى بذلك رفعة، ومنزلة لهذه الولاية؛ وليس هناك بعد القضاء خطة أشرف من خطة الحسبة^(٢)؛ وأول الإشارات إلى لفظ المحتسب في الأندلس، كانت في عصر الولاة في سنة ١١٦هـ في ولاية عقبة بن الحجاج السلوي^(٣). وأما الحسبة كولاية لها نظامها، واختصاصاتها فقد عني بها أهل الأندلس ودرجوا أن يطلقوا عليها اسم أحكام السوق ويطلقون على من ينصب لها "صاحب السوق" وهي إحدى الخطط الدينية^(٤)؛ يقول ابن سعيد: (الأمير عبد الرحمن بن الحكم هو الذي ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردها وصير لواليتها ثلاثين ديناراً في الشهر^(٥)). ثم قوت وأصبح لها ولاية يقومون بأداء هذه الولاية خير قيام، وهم فيها قوانين يتدارسونها بينهم كتدارس الفقه؛ ويقول المقرئ: (وهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تدارس أحكام الفقه لأنها عندهم تدخل في جميع المتاعات وتتفرع إلى ما يطول ذكره^(٦)). وهذه القوانين مستمدة من الفقه، ولكنها تنظيمات، وتشريعات غرضها تيسير مصالح المجتمع وخدمته وكف شر أهل الغش والفساد، ودرعهم وفضحهم أمام المجتمع. وقد وقفت على

(١) انظر عبد الرحمن بن خلدون المقدمة ٢٣٨/٢

(٢) انظر الماوردي الأحكام السلطانية م.س.ص/٢٤٠

(٣) انظر الحنفي قضاء قرطبة ص/١١

(٤) انظر البهامي، تاريخ قضاة الأندلس ص/٥

(٥) ابن سعد المغرب في حلى المغرب، تقيق د/شوقي ضيف ط/٢ (مصر دار المعارف ١٩٧٣م) ص/١٨٦

(٦) نفح الطيب ٢٠٤/١

ترجمة أكثر من سبعين عالماً تولوا ولاية السوق في الأندلس مستقلة أو مع غيرها من الولايات كالشرطة^(١).

وهناك مفتون لأهل السوق يتبعون والي السوق يتواجدون في السوق خدمة هذه الولاية، وتبصير الناس فيها بأحكامها.

كما أن من مهام المحتسب في الأندلس التصدي لمحاربة العقائد الباطلة وصد خطرها عن المجتمع^(٢).

وشملت الحسبة مجالات متعددة مثل العقيدة، والدعوة إلى الإسلام، والجهاد، والتعليم، والأخلاق، والآداب^(٣).

وقد بدأت في الأندلس بازدهار وظلت كذلك حتى آخر عصورها، فلما تغلب النصراني على البلاد أبقوا هذه الخطة لما رأوا من عظيم فائدها في ضبط شؤون السوق ومحاربة الغش.

يقول عبد الرحمن الفاسي في معرض حديثه عن سير أحوال الحسبة في المشرق واضطراب حالها بين القوة حيناً والضعف حيناً آخر: (وتلك ظاهرة تنتصب فرقاً واضحة بين سير الحسبة في المشرق على سنة النشوء والارتقاء في حين أنها ابتدأت في الجزيرة الأندلسية بازدهار وانتهت إلى ازدهار حتى لكأن قانون النشوء والارتقاء قد تعطل في تلك الجزيرة المسحورة التي تلاًلأ فيها منذ البداية كل شيء، فلا غرو إذا ما عاين ملوك الأسبان المسيحيون جدوى هذا النظام الإسلامي، ونمسكوا بالأخذ به فكانوا كل ما استردوا إقليماً من أيدي المسلمين حرصوا على أن يقرروا المحتسب في عمله، وأصبح على نسانهم "المحسن"^(٤)).

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث

(٢) انظر الفاسي خطة الحسبة ص/ ٧٠

(٣) انظر الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث

(٤) عبد الرحمن الفاسي خطة الحسبة ص/ ٧٤

هذا يدل على ما كان للحسبة في الأندلس من علو وارتقاء منذ دخولها الإسلام حتى خرج منها، فقد كانت في تطور وارتقاء حتى بقيت لدى النصاري؛ لعظم ما رأوا من فائدها وأثرها الطيب في المجتمع.

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في الأندلس

ومما يدل كذلك على ما للحسبة من مكانة في الأندلس الإطلاع على تراث الأمة هناك في مجال الحسبة ومن ذلك:

١ - كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق

ليحيى بن عمر وهو أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الذي ولد سنة/٢١٣هـ-٨٢٨م، وقد نشأ في قرطبة ودرس على فقهاءها، وتوجه إلى مصر ودرس على أكبر واضعي المذهب المالكي، كما اتصل بالعراق، ورحل إلى الحجاز وعاد إلى المغرب واستقر في تونس، وهنا ألقى كتابه أثناء جلوسه للتدريس، وهو عبارة عن إجابات ألقى على المؤلف عن قضايا تتعلق بأحكام السوق، وموقف المختسب أو صاحب السوق منها، مما يدل على أهمية الحسبة، واهتمام القائلين عليها بمعرفة أحكامها وفقه تلك الأحكام، كما يدل على مدى ما وصل إليه الأندلسيون من فقه ومعرفة بأحكام تلك الولاية؛ إذ إن المؤلف أندلسي المنشأ والفقه والدراسة وإن استقر في المغرب أخيراً، كما يدل على سبق أهل الأندلس في هذا المجال^(١).

٢ - آداب الحسبة

لأبي عبد الله محمد بن أبي أحمد السقطي، وهو أندلسي مارس مهمة المختسب في "مالقة" في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي أو في بداية القرن الثاني عشر^(٢)، وهو رحالة طاف كثيراً من البلاد والأقطار، واتصل بالثقافات وأمناء التجار المتجولين، فعرف كثيراً من أخبار مفسدي الباعة، والصناع بالأسواق، وغشهم في الكيل والميزان، وبخسهم واستعماهم الخدع للناس في معاملاتهم والتلبيس عليهم في مداخلتهم، فألف هذا الكتاب على بينة ودراية بأحوال الباعة والصناع وغيرهم.

(١) انظر يحيى بن عمر كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق ص/٩
(٢) آداب الحسبة مقدمة الناشر ص/١٢

وقد كان محتسبا فأشبع كتابه بقصص من وقائع الحسبة، إلى جانب ما يذكره من توجيه وتاصيل^(١).

٣ - رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة

والمؤلف غير معروف الترجمة إلا أن هناك إشارات في كتابه هذا تدل على زمنه ودولته التي عاش فيها؛ حيث ذكر في كتابه لثام المرابطين مما يدل على أقدميته، وأنه في دولتهم فقال: (يجب أن لا يلثم إلا صنهاجي أو لتوني أو لمطي؛ فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبوابا من الفجور كثيرة بسبب النشام وهما ويكلم في ذلك مع السلطان، فإنهم عتاه، ويمتاز بذلك من عسى أن يكرم أو يوقر أو تقضى له حاجة من المرابطين، لأن العبيد أو الحشم إذا تلثم وغير شكله حسبته رجلا مثيلا فتجري إلى بره وإكرامه، وهو لا يتأهل لذلك)^(٢).

رسالة ابن عبدون تلك تحيل إلى التطبيق، ولذا فهي من الكتب التطبيقية، كما أنه يذكر ما في زمنه ومدينة إشبيلية التي يتكرر ذكرها في الرسالة قال: (يجب للقاضي أن لا يكون معه من الأعوان في مثل إشبيلية إلا عشرة عددا، يكون منهم أربعة سودان بربر لحقوق المرابطين وغيرهم من المثلثين، والباقي أندلسية، فهم أوثق وأخوف)^(٣). ثم ذكر في موضع آخر (ولا يكون له من الأعوان أكثر من سبعة إلى عشرة في مثل حاضرة إشبيلية فإن من الخصام فيها ما ليس في بلد من البلاد لكثرة الخلاف بينهم فيها)^(٤).

٤ - آداب الحسبة والمحتسب

لأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، ومؤلف هذه الرسالة غير معروف، ولم أعثر له على ترجمة^(٥)، إلا أنه من خلال رسالته هذه يمكن الاستدلال على بعض الملامح عنه

(١) آداب الحسبة ص/٢٢-٢٣ ٣٦-٥٠ إلى ٧٠

(٢) ابن عبدون رسالة ابن عبدون ص/٩

(٣) رسالة ابن عبدون ص/٩

(٤) رسالة ابن عبدون ص/١٠

(٥) عاش في دولة المرابطين في آخر القرن الخامس وأوائل السادس، انظر خطة الحسبة ص/٦٨

فهو معاصر لابن عبدون أو قبله كما يفهم من رسالته وطريقة تأليفه، ورسالته تختلف عن رسالة ابن عبدون ورسالة السقطي حيث حصر السقطي وابن عبدون موضوع الحسبة في السوق وشؤونها، في حين أن ابن عبد الرؤوف استوعب في رسالته حتى ما يتعلق بقضية رفع المنكر بالنسبة إلى الشعائر الدينية حيث عني في القسم الأول من كتابه بالنظر في الصلاة، والصيام، والزكاة، والأحباس - الأوقاف - ثم البيوع، وهو في هذه الفصول لا يفصل الأحكام الشرعية وإنما يرشد بطبيعة موضوعه إلى الآداب الإسلامية التي يشرف المحتسب عليها، وفي فصل البيوع ينتقل بعد ذلك إلى مهمة المحتسب في السوق فيسير على نفس طريقة التدوين التطبيقي، وكأنه تمعزل عن أصوله ومصادره الفقهية، وهذا الاختلاف في المنهجين يشير إلى مرحلة في التأليف التطبيقي عند ابن عبد الرؤوف سبقت مرحلة السقطي وابن عبدون، وأنهم يكونون تالون لمراحل متدرجة ابتدأت بابن عبد الرؤوف وانتهت بالسقطي^(١).

وبعد الحديث عن الحسبة ومكانتها في الأندلس مقارنة بغيرها في البلاد الأخرى أنه على الملاحظات التالية:

الأولى: بروز أهمية ولاية الحسبة في الأندلس، واهتمام أهل الأندلس بها (ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما يتدارس أحكام الفقه؛ لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات وتتفرع إلى ما يطول ذكره)^(٢).

الثانية: أن الأندلسيين كانوا أسبق في التأليف في الحسبة لأن كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي المتوفى سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م يعتبر أقدم كتاب ظهر في ولاية السوق على الإطلاق، فالمؤلف أندلسي المولد والنشأة والدراسة، وإن رحل إلى المشرق واستقر في المغرب حيث ألف كتابه المذكور، كما أن ابن عبد الرؤوف أقدم من ابن عبدون، وكل منهما أندلسيان، وله رسالة في موضوع الحسبة سبق الكلام عنها. وبهذا يظهر جليا عظم أهمية الحسبة في الأندلس وسبقهم على غيرهم في هذا الفن.

(١) عبد الرحمن الفاسي خطة الحسبة ص/٦٩-٧٠

(٢) المقرئ نفع الطيب ٢١٠/١

وكثرة إنتاجهم فيها يقول أحد الباحثين^(١)، (ويظهر أن السبب في كثرة كتب الحسبة في الأندلس، وقتلها أو انعدامها في المغرب راجع إلى أن بيئة الأندلس ثقافية على مستوى راق، ومتفتح ومن ثم يجنح الناس إلى الإنتاج للمتعة والتثقيف... وربما دفع إلى الإنتاج في الموضوع انحلال المجتمع الأندلسي وكثرة المفاصد في بيئة..).

المبحث الرابع: عقد المقارنة في الحسبة بين تلك البلاد

وبعد هذا العرض، يمكن عقد المقارنة بإيجاز في محاور ثلاثة:
نشأة الحسبة، مكانتها قوة وضعفاً، والمؤلفات.

المحور الأول: نشأة الحسبة

فإن الحسبة بمفهومها الشامل قديمة قدم هذا الدين، فأول ظهورها كانت في المشرق، ثم وجدت مع المسلمين أينما حلّوا؛ إذ إن ولاية الدولة الإسلامية هي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

أما أول الإشارات إلى لفظ "محتسب" أو "حسبة" فإنها وجدت في الأندلس في عصر الولاة سنة ١١٦هـ في ولاية عقبة بن الحجاج السلولي؛ حيث جاء في العهد الذي كتب له عند توليته (... هذا عهدي إليك وأمرى إياك، وإسنادي إليك ما أسنده، وتفويضى إليك ما فوضت، فإن تعمل به مؤثراً لرضا الله وطاعته قائماً بالحسبة)^(٣).

(١) موسى لقيال في كتابه، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (الجزائر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ص/٥١-٥٢

(٢) ابن تيمية الحسبة في الإسلام م.س. ص/١٢

(٣) الخشني قضاة قرطبة م.س. ص/١١

وربما تكون أول الإشارات الصريحة إلى لفظ محتسب، جاءت في ترجمة عاصم بن سليمان الأحول المتوفى سنة/ ١٤١ هـ، الذي كان محتسب الكوفة^(١) في الدولة العباسية^(٢). أما في الأندلس، فإن أول ظهورها كان في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي أفردها عن ولاية المدينة، وذلك سنة/ ١٧٧ هـ، وأول من تولها هو فطيس ابن سلمان الكاتب المتوفى سنة/ ٢٠٠ هـ^(٣).

المحرو الثاني: مكاتبتها قوة وضعفا

فإن قوة الحسبة وضعفها له أسباب وعوامل في كل زمان ومكان، فإنها تقوى بقوة الوالي ورغبته في تطبيق الشرع، وإحقاق الحق والعدل في رعيته، وتطهير المجتمع من الغش والخيل في الأسواق وغيرها، وإذا تولها الأكفاء والأمناء فإنها تزدهر وتقوى، وتضعف إذا تولها غير الكفاء والأمين، فنجدها قوية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعهد خلفائه الراشدين؛ لقرب تلك العصور من نزول الوحي، ولقيام الخلفاء بتوليها أنفسهم، وقوة الحسبة وضعفها له أثره في المجتمع والأمة^(٤). وهذه الصور وجدت في جميع البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب، ومصر، والأندلس، فقويت في الدولة الأموية، والعباسية في فترات، وضعفت في الأخرى؛ كذلك فقد قويت في مصر في دولة المماليك، وعظم شأنها، وكذلك في المغرب عند ما تولها سحنون، وقام خير قيام^(٥).

(١) بالضم، مصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، سميت بذلك لاستدارتها أخذا من قول العرب رأيت كوفانا، وقبل لاجتماع الناس بها أخذا من قولهم قد تكوفت الرمل، وأما تحصيلها وأونيتها فكانت في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ هـ. يافوت الحموي معجم البلدان ٤/ ٤٩٠

(٢) انظر ابن سعد للطبقات للكبرى ٢٥٦-٣١٩/٧

(٣) انظر ابن سعيد المغرب في حل المغرب ٤٦/١

(٤) ابن سعد المغرب في حل المغرب ٤٦/١

(٥) الخطيب تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٧، النباهي تاريخ قضاة قرطبة ص/ ١١

أما في الأندلس فقد قويت كذلك وأصبحت ولاية لها نظامها، وموظفون يقومون بأدائها، وأصبح لها هدف نبيل، وهو التصدي للمذاهب المخالفة لمذهب السنة^(١). كما أن الحسبة تنحرف أحيانا عن غرضها السامي، ويستخدم للوصول إلى أغراض أخرى سياسية أو دنيوية وغيرها، وهذا يتجلى فيما فعله الحاكم العبيدي الشيعي في مصر من قيامه بإرسال دعااته إلى الأندلس لبحث المذهب الشيعي هناك^(٢). وكذلك ما فعله أهل الزندقة والصوفية في الأندلس، والمحتسبون هم الذين يتولون صدّ هذه المنكرات عن المجتمع، ويكشفونها، ويبينوا حقيقتها^(٣) وكفى بذلك رفعة ومنزلة للحسبة والقائمين بها.

المحور الثالث: المؤلفات

أما المؤلفات في الحسبة فقد كان أول ظهورها في المغرب والأندلس، حيث وجد أن أول كتاب في الحسبة هو: كتاب "النظر والأحكام في جميع أحوال السوق" ليحيى بن عمر الأندلسي المتوفى سنة/٢٨٦هـ، ويحيى ولد في الأندلس وتفقّه على علمائها ثم رحل واستقرّ في المغرب حيث ألف كتابه المذكور. أما في مصر فقد ظهر - في القرن السادس الهجري الموافق الثاني عشر الميلادي - كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام. أما المشرق فقد ظهرت في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري، وفي الأندلس ظهرت الكتب التطبيقية مبكرة مثل رسالة ابن عبدون وابن عبد الرؤوف مما يدل على سبق أهل الأندلس في التأليف في الحسبة والتطبيق العملي.

(١) القاضي عياض ترتيب المدارك ٢٥/١

(٢) انظر ابن حيان المقتبس ص/١٧٦، والفاسي خطة الحسبة ص/٧٠

(٣) انظر موسى لقبال الحسبة المذهبية ص/١٧

الباب الثاني

الحسبة في الجانب العملي

الفصل الأول: الاحتساب وأنواع المحتسبين

الفصل الثاني: مجالات الاحتساب العملي

الفصل الثالث: أبرز المحتسبين في المجال العملي

الفصل الرابع: آثار الاحتساب في المجتمع الأندلسي

الفصل الأول

الاحتساب وأنواع المحتسبين وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الحسبة العملية

المبحث الثاني: المحتسب المولى

المبحث الثالث: المحتسب المتطوع

المبحث الأول: الحسبة العملية

الحسبة العملية هو الجانب الميداني لتطبيق الاحتساب، وهو جانب مهم تتجلى فيه ولاية الحسبة وتبرز صورتها العملية.

يقول عبد الرحمن الفاسي: (إن النظر في ولايات الإدارة الإسلامية ينصب على اتجاهين متوازنين:

الأول: الاتجاه الفقهي الذي يرسم محجة الشريعة.

الثاني: الاتجاه التاريخي الذي يصور واقع سيرها وحركتها في مختلف أطوارها^(١).

والجانب العملي من شأنه أن يبين ما شرعته المسائل الفقهية وتطبيق ذلك عمليا في مجالات الاحتساب.

وعقد هذا الباب [الحسبة في الجانب العملي] القصد منه الحسبة في صورتها العملية التطبيقية فهذا الجانب كما أسلفت سابقا يبين صورة المسائل الفقهية عند تطبيقها عمليا في واقع حياة الأمة، ومن ذلك تتجلى الصورة الاجتماعية للأمة والتزامها بالإسلام في واقع حياتها.

كما أن الاحتساب العملي يفصح من جهة أخرى عما بلغت العناية بهذا النظام عند الأمة سواء كانت مشرقية أو مغربية.

بعض الكتب التي تناولت الجانب العملي من الحسبة

ويذكر هنا كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" لنشيزري وهو الكتاب الأم في الحسبة التطبيقية بالنسبة إلى الديار المشرقية.

أما في الأندلس، والمغرب فهناك كتاب "آداب الحسبة" لمؤلفه الفقيه العالم الرحالة أبي عبد الله محمد السقطي الذي عاش بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر، فكتابه يعتبر أقدم من الشيزري المشرقي السالف الذكر، وهو بهذا أم

(١) عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة ص/٧

الكتب المشرقية والمغربية على السواء بين مؤلفات الحسبة التطبيقية، وقد ألف كتابه "آداب الحسبة" وهو في الولاية فهذه ميزة تعطي الكتاب مكانة طيبة تزيد من قدره، وأهميته في هذا المجال؛ لأن مؤلفه كتبه عن خبرة وتجربة بهذه الولاية. ويلحق بكتاب السقطي المعلمة المنظومة المعروفة باسم "الأقنوم في جميع العلوم" لمؤلفه المغربي أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي من أهل القرن الحادي عشر الهجري ويحتوي على فصل كبير سماه "علم الحسبة".

بعض المحتويات للكتب الثلاثة والمقارنة بينها

فلكل من المؤلفين اثلاثة طريقة تتركز على إرشاد صاحب السوق، ومؤلفاتهم مرتبة على أبواب عدد المهن والصناعات، والأسواق فكل منهم يتناول الحرف المعروفة في أقطارهم مع ذكر أنواع غش أصحابها، وبيان أساليبهم في المعاملات، ووسائل التطفيف في المكاييل، والموازين، والمقاييس، ثم يتبعونها بذكر طريقة كشف الغش، والتدليس، ثم بما يتعين على المحتسب أن يلزم به ويأمر بالعمل على وفقه أصحاب كل مهنة وحرفة^(١)، كما يتفق لثلاثتهم على الإلزام بشروط الحسبة ومستحباتها، وتفصيل أنواع الموازين، والمكاييل، والمقاييس، ومقاديرها لدخولها دحولا أوليا في معاملات السوق^(٢)، ويتجلى في الكتب الثلاثة طابع التعليمات الراجعة إلى مراعاة النظافة، ويكاد لا يخلو منها باب من أبواب هذه المؤلفات^(٣).

وكما أسلفت أن قصد الباحث بيان الحسبة في صورتها التطبيقية في المجالات التي طبقت فيها في الأندلس، وإن كان ميدانها الأعظم ومركزها الرئيسي هو السوق، حيث كان هناك ميدان هذه الولاية أو الخطة؛ إذ كان يطلق عليها "أحكام السوق" ويطلق على متوليها "صاحب السوق"؛ لتعلقها بالسوق وما يدور فيه، كما

(١) عبد الرحمن الفاسي م.س. ص/٤٢

(٢) المنصهر نفسه ص/٤٣

(٣) عبد الرحمن الفاسي خطة الحسبة م.س. ص/٤٣

اتسع نطاقها وطبقت في مجالات أخرى كالدور والأحباس، والمساجد، والطب، والقضاء الجنائي، وأهل الذمة، والتدخل لتغيير المنكر في العقائد، والمعاملات والأخلاق.

ولسائل أن يقول: المقصود من الحسبة في الأندلس هي الإشراف على السوق وما فيه، فلم يدخل المحتسب فيما ليس من اختصاصه؟ ولم عرضت عليه تلك القضايا وخاصة في القرن الخامس كما جاء في نوازل ابن سهل مع أنها لا تدخل في اختصاصه؟

وقد أجاب الدكتور محمد خلاف على ذلك عند استخراج له لوثائق في شؤون الحسبة من الأحكام الكبرى لابن سهل بقوله: (إن الظروف السياسية التي سادت الأندلس في القرن الخامس الهجري، وما ترتب عليها من تغيرات اجتماعية واقتصادية هي التي أدت إلى تفويض المحتسب للنظر في قضايا لم تدخل أصلاً في حدود اختصاصه^(١)).

قلت: وهذا يزيد من عظم مكانة المحتسب الاجتماعية، فعندما اشتدت الظروف، وجاءت الفتن، برز ذلك المحتسب، وتعددت اختصاصاته، وفوض إليه في القيام بأمور لم تكن تدخل في اختصاصاته أصلاً فقام بذلك غير قيام.

وعقد هذا الباب لبيان تلك الحسبة العملية في المجالات التي طبقت فيها الحسبة العملية، وقد بينت المجالات التي احتسب فيها المحتسب المولى حسبة عملية، ووقفت عليها في الأندلس خلال تلك الفترة، كما أشير هنا إلى ضوابط الحسبة التي أعنيها هنا وأرخ لها فأعني بها الاحتساب على السوق وما فيه من منكرات عن طريق القيام بجولات تفتيشية لكشف الغش والتدليس، وإنزال العقوبة بمن يستحقها. والاحتساب العملي التطبيقي في مجالات غير السوق تدخل فيها المحتسب المولى، وتصدى لمنكراتها كالإلحاد في العقيدة، والتطاول على مقام النبوة.

(١) عيسى بن سهل وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس ص/٧

المبحث الثاني: المحتسب المولى

هو ذلك الموظف الذي تولى ولاية الحسبة وتقلدها من الإمام أو نائبه، ولهذا المحتسب شروط وصفات وآداب سبق بيانها فيما سبق.

وولاية الحسبة تدخل أحيانا مع ولايات أخرى بمعنى أن صاحبها يقوم بأعمال مختلفة وتناط به مسؤوليات أخرى غير القيام بالحسبة التي تولاهم وتقلدها.

يقول عبد الرحمن الفاسي في هذا: (إن وظيفته لا تتجاذبها ولاية المظالم، وولاية القضاء فقط، ولكن اختصاصاته متداخلة - أيضا - مع اختصاص ولاية الشرطة، ولها - أيضا - إشراف بالأصالة على الشعائر الدينية، والشؤون الثقافية، والصحية، وعلى مصالح الأوقاف، والحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية بوجه عام فمنصبه أشبه بمحكمة استعجالية للشؤون العامة التي إذا لم يعجل البت فيها ضاعت الحقوق الخاصة وفاتت المصلحة العامة)^(١).

ولذا جاء في كتب الحسبة شروط والي الحسبة والفرق بينه وبين والي المظالم، ولم يقصر عنه، أو يزيد عليه مما ينبغي تذكره هنا بين يدي هذا الباب.

يقول الماوردي: (واعلم أن الحسبة واسطة بين أحكام القضاء، وأحكام المظالم، فأما ما بينهما وبين القضاء فهي موافقة لأحكام القضاء من وجهين، ومقصورة عنه من وجهين، وزائدة عليه من وجهين) وذكر تلك الوجوه.

ثم قال - أيضا -: (وأما ما بين الحسبة والمظالم فيبينهما شبه مؤتلف، وفرق مختلف)^(٢) ثم ذكر وجوه الائتلاف والاختلاف بينهما.

والقصد من هذا أن ولاية الحسبة تتداخل مع غيرها من الولايات الأخرى كولاية القضاء، وولاية المظالم لما بينهما من اختلاف واتفاق، ونقص وزيادة، ولعل هذا يظهر جليا أثناء الحديث عن مجالات الاحتساب العملي في الأندلس، ويتبين مدى موافقة الاحتساب العملي للأصول المذكورة ومن عدمه.

(١) عبد الرحمن الفاسي بحطة الحسبة ص/٤٦

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص/٣٩٢-٣٩٣

وإيضاح صورة الحسبة العملية هو مقصد الباحث هنا، وينصب عمله في الدرجة الأولى على ذلك.

وأنبه هنا على أمر مهم، هو ضابط الحسبة العملية الذي اعتبرته، وهو التغيير للمنكر، وإزالته، وانتفishing عن المنكرات لردعها، وإزالتها، والتصدي لمن عرف منه الفسوق والمعاصي، بالزجر والردع، وبيان خطئه، وفضح منكراته، فهذه الاعتبارات هي التي أخذت بها أثناء تناول مجالات الاحتساب العملي.

أما المحتسب المتطوع فأذكر حسبه العملية معتبرا بتلك الضوابط المذكورة إذا كان احتسابه ظاهراً جلياً في المجال الذي احتسب فيه، وأقدم أولاً ذكر حسبة المولى إن وجد، ثم المتطوع.

المبحث الثالث: المحتسب المتطوع

المحتسب في الاصطلاح: هو الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله^(١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب خيرية هذه الأمة وفلاحها، وعلى هذا فكل مسلم مطالب بفعل هذا الخير، وسبب الفلاح على حسب قدرته وعمله، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وقال - صلى الله عليه وسلم - «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك من أضعف الإيمان»^(٣).

فمن هذه النصوص العظيمة وغيرها يظهر جلياً أن كل مسلم مطالب بأداء هذا الواجب أعني: الحسبة التطوعية.

وهي: شعيرة من شعائر الإسلام لا يمكن إهمالها وتركها إذ يترتب على تركها والتخلي عنها أمور وصفات لا يرتضيها المسلم لنفسه قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهِ لِبَشِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٤) وقوله - صلى الله عليه وسلم - «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»^(٥).

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية ص/ ٣٩١

(٢) سورة آل عمران الآية/ ١٠٤

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٥٠/١ ح/ ٣٠٦

(٤) سورة المائدة ٧٨/٧٩

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥٣٩/١ ح/ ٣٠٤

من هذا يظهر مشروعية الحسبة التطوعية، ومكانتها في الإسلام وأن أداؤها والقيام بها يشمل المولى والمتطوع، بل جاء الندب إليها من كافة طبقات المجتمع المسلم.

وهي: من الشرع حيث يوجد التكليف توجد الولاية على القيام بما كلف به، إلا أنه في حالة قيام ولي الأمر بتنظيم أمور الحسبة وتعيين الأكفاء لها فإن المعين يملك من الولاية أكثر مما يملكه غير المعين^(١) وهو: المتطوع.

والحسبة في الشريعة ذات معنى ومدلول واسع جداً؛ إذ إنها تشمل كل ما يفعل ويراد به ابتغاء وجه الله تعالى، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدقة، والسلام، والأذان، والصلاة، والحج، والعمرة، وكل أعمال البر^(٢).

وتعد ولاية الحسبة من أشمل الولايات؛ إذ إنها تشمل أمر الناس بالطاعات وحثهم عليها ونهيهم عما قصدوا به منها^(٣).

وهذا لا يمكن نلباحث أن يغفل عن حسبة المتطوع أو الحسبة التطوعية، ولا يتصور منه ذلك؛ إذ إنها تنطلق من نصوص ثابتة في الأصلين العظيمين لهذا الدين، وقد فعلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحث على ذلك وفعلها وقام بها أصحابه من بعده، ولا زال المسلمون يقومون بها يتغنون بذلك فضل الله وثوابه، فهي مستمدة من روح هذا الدين العظيم.

ولذا لم أغفل الحسبة التطوعية، ودرو المحتسب المتطوع في الأندلس، بل رصدت صورته وتتبعها في جميع المجالات ولكن بشرط أن تكون حسبه ظاهرة جلية، أو ينص عليها في مصدر من المصادر أو المراجع، أو تكون من الأعمال الاحتسابية الواضحة الظاهرة؛ ولهذا نبهت على هذه المصطلحات وضوابطها قبل شروعي في مجالات الاحتساب العملي لأهمية ذلك.

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص/١٦٩

(٢) نصاب الاحتساب ص/٨١-٨٤

(٣) خالد عثمان، الأمر بالمعروف ص/٣٠

الفصل الثاني

مجالات الاحتساب العملي، وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: الاحتساب في مجالي العقيدة والعبادة
المبحث الثاني: الاحتساب في الدعوة إلى الإسلام والجهاد في
سبيل الله

المبحث الثالث: الاحتساب في مجال الأسواق والمعاملات
المبحث الرابع: الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب
المبحث الخامس: الاحتساب على الأمراء، والحكام
المبحث السادس: الاحتساب في مجال العلم والتعليم
المبحث السابع: الاحتساب على أهل الذمة

المبحث الأول

الاحتساب في مجالي العقيدة، والعبادة وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: في المنكرات في العقيدة

المطلب الثاني: في الخوارج

المطلب الثالث: في التشيع في الأندلس والاحتساب عليه

المطلب الرابع: في احتساب العلماء والأمرء على الشيعة في الأندلس

المطلب الخامس: في المنكرات في العقيدة التي وجدت في الأندلس

المطلب السادس: علماء الأندلس في الاحتساب في الذب عن

عقيدة السلف في مؤلفاتهم

المطلب السابع: التصوف في الأندلس والاحتساب عليه

المطلب الأول: في المنكرات في العقيدة

التمهيد:

الاحتساب في هذا المجال يبرز جليا في الأندلس، وله أهداف وأغراض، وتكون له آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، فمن أهدافه:

١- المحافظة على عقيدة السلف الصالح، والذب عنها، والدفاع عنها، وتطبيق ذلك عمليا.

٢- المحافظة على وحدة المذهب المألوف الذي يقوم على العقيدة الصحيحة: والنظر إلى الالتفاف حول ذلك المذهب، على أنه رمز للوحدة الاجتماعية التي يجب الدفاع عنها، والمحافظة عليها.

٣- المحافظة على الوحدة السياسية للبلاد أمام الخطر الذي يمكن أن يهدد وحدتها السياسية، من أي فكر أو عقيدة ضالة^(١).

وهذا الاحتساب أظهر ما يكون من الأمراء والحكام؛ لأنهم هم الذين يملكون حق التنفيذ بحكم ولايتهم، ومن بعدهم العلماء، والفقهاء الذين يتصدون للبيان والتوضيح بالدليل الشرعي، ويحكمون كالقضاة، وولاة الشرطة، ويطلبون من الولي الإذن بالتنفيذ والأمر به، وكذلك والي الحسبة، ثم المتطوع في حدوده الشرعية. ومن المنكرات في العقيدة التي احتسب عليها الأمراء عمليا ما يلي:

(١) انظر د/محمد خلاف، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبذع م.س. ص/٥٢-٥٣

قضية الزنديق أبي الخير^(١)

لم أقف على حقيقة اسمه، بل المصادر أشارت إليه بهذه الكنية التي تكنى بها لإخفاء شخصيته.

وحاصل قضيته أنه شهد لدى قاسم بن محمد^(٢) صاحب أحكام الشرطة بقرطبة، وقاضي كورة "استجة" و"قبرة"^(٣) خمسة وأربعون شخصا بشهادات قدين أبا الخير، وبأنه زنديق ملحد يسب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويظعن في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، راميا عائشة^(٤) بالكذب، ومادحا الخمر شاربا لها، زانيا لا نطا أكلا للحم الخنزير، هازلا بكتاب الله، طاعنا في السنن وأهلها، محتجا على أهل السنة بالبدع، مؤولا لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - على غير معتقده، تاركا الصلوات الخمس، وحضور الجمعة؛ مدعيا بأحقية علي بالنبوة، وأن محاربة بني أمية أحق من محاربة الشرك، وكان يدعو لدعوة أبي تميم معد الملقب بالمعز

(١) قال بعض الباحثين: لم نستطع الكشف عن حقيقة اسم صاحب الشخصية المكنى بأبي الخير، إلا أننا نؤكد أنه أندلسي وليس مشرقيا لمعرفته بلطية الأندلس، وتحدثه بها، هذا إلى جانب معرفته الشخصيات الكثرة التي تعرفت عليه من أصحاب البيوتات الأندلسية، وكان قد جادلها بمحججه المختلفة، وحاول إقناعها وضمها إلى مذهبه. د/محمد خلاف، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ص/٤٨.

(٢) هو قاسم بن محمد بن قاسم بن يسار مولى الربيد بن عبد الملك أو محمد قرطبي، نه كتاب سماه "انرد على المقلدة"، وآخر في بحر الواحد، توفي سنة ٢٧٦هـ، ترتيب المدارك ٤/٤٤٦-٤٤٨.

(٣) انظر تعريفها في معجم البلدان ٤/٢٤٦ رقم ٩٣١٤.

(٤) بنت الإمام الصادق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن قحافة عثمان بن عامر، أم المؤمنين أفضه نساء الأمة على الإطلاق، توفيت - رضي الله عنها - سنة ٥٧هـ عن ثلاث وستين سنة، انظر سير أعلام النبلاء ٢/١٣٥-٢٠١.

لدين الله الفاطمي^(١)، ويرى الخروج على الخليفة الحكم المستنصر بالله بالسلاح،
وطعن على أئمة المسلمين، وخلفائهم، وفقهائهم، وينكر الشفاعة، ويدعي تخليد
المذنبين من الموحدين في النار^(٢).

فقد شهد جم غفير من الأندلسيين على هذا الملحد بما سمعوا منه، وما وقفوا
عليه من حاله، ومنكراته الشنيئة، حسبة لله تعالى، ثم لكف شره، وخطره عن
المجتمع الأندلسي.

ولقد استصفى صاحب الشرطة شهادة ثمانية عشر شاهدا من هؤلاء، وذلك
كاف في إدانته بجريمته^(٣).

وفيما يلي ذكر بعض النماذج من عبارات أولئك الشهود.
شهد عند قاسم بن محمد صاحب أحكام الشرطة بقرطبة، وقاضي "كورة"
استجه^(٤) وقبرة^(٥) محمد بن عبد الله التحيبي^(٦) أنه سمع من يكنى بأبي الخير يسب

(١) أبو نعيم معد بن المنصور إسماعيل بن القاسم العبيدي المهدوي المغربي ولي سنة ٣٤١هـ، وتوفي
سنة ٣٦٥هـ بالقاهرة، وكان مولده بالمهدية التي بناها جدهم، وعاش ست وأربعين سنة ودامت دولته
أربع وعشرون سنة، انظر السير ١٥٩/١٥-١٦٦.

(٢) انظر هذه المنكرات الشنيئة وغيرها كما جاءت في شهادة الشهود عليه في كتاب القاضي عيسى بن
سهل: الأحكام الكبرى، ج.س. ١٣١٥/٢.

(٣) القاضي ابن سهل، الأحكام الكبرى ١٣١٥/٢.

(٤) بالكسر ثم الكون: وكسر اثناء فوقها نفطنان، وجيم وهاء: اسم كورة بالأندلس متصلة بأعمال ربة
بين القبلة من الغرب من قرطبة، وهي كورة قديمة، ياقوت الحموي معجم البلدان ١٧٤/١.

(٥) يلفظ نأيت النقر، وهي كورة من أعمال الأندلس تتصل بأعمال قرطبة، وهي أرض زكية تشتمل على
نواح كثيرة ووصفت بكثرة الزيتون، ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٠٥/٤.

(٦) هو: محمد بن عبد الله بن أبي زمين أبو عبد الله التحيبي فقيه مالكي متقدم وزاهد متبتل له تواليف
متداولة في الوعظ والزهد توفي في حدود ٤٠٠هـ انظر جذوة القبس رقم ٥٧.

أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر، وعمر، وغيرهما - رضي الله عنهم أجمعين^(١)، وسمعه - أيضا - يقول: إن علي بن أبي طالب^(٢)

- رضي الله - كان أحق بالنبوة من محمد - صلى الله عليه وسلم - ويرى الخروج على الأئمة - رضي الله عنهم - وسمعه - أيضا - يقول: إن الخمر حلال، وأنه أتاه إلى السوق، فقال له محمد بن عبد الله: إن السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم.

وقال أبو الخير: ما كان أمني من الدنيا إلا خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء وأقتل من بها، وأقوم فيها بدعوة أبي عقيم وكذلك يكون.

فقال له محمد بن عبد الله: ليس أنت من الإسلام في شيء؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - «يقول من حمل السلاح فليس منا»^(٣) ودفعه عن نفسه^(٤).

بـ وشهد محمد بن أيوب بن سليمان بن ربيع أنه سمع أبا الخير يقول: إنما الناس كالعشب رطب ويابس ثم لا حساب عليهم، ولا عقاب.

فقال له محمد بن أيوب: أين قول الله عز وجل ﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾^(٦).

(١) انظر ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس م.س. ص ٥٧-٥٨

(٢) بن عبد المطلب، أول من أسلم من الرجال في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فرى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد كلها إلا نبوك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بسبب تأخيره له بالمدينة: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، وزوجه بنته فاطمة، وكان النواء بيده في أكثر المشاهد، واستشهد في رمضان سنة أربعين هجرية ومدة خلافته خمس سنوات إلا ثلاثة أشهر ونصف انظر الإصابة ٢٧١/٢

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٤٨/١٠ ح ٤٥٨٨

(٤) انظر ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس م.س. ص ٥٧-٦٠

(٥) سورة يس الآية/٥١

(٦) سورة الشورى الآية/٤٢

فقال له أبو الخير: بعض القرآن خرافة، وبعضه لا شيء، وإنما السيف يضم الناس إلى الإقرار بهذا.

وسمعه - أيضا - يطعن في أبي بكر، وعمر، وعثمان، - رضي الله عنهم - ويطعن في خلافة أمير المؤمنين الحكم، ويقول: لو كانت تسعة أسياف لكفت العاشر، وعدّ عليه شرب الخمر.

فقال أبو الخير: هو أحلّ من الماء للشرب والطهور^(١).

ج- وشهد سعيد بن سعيد اللخمي أنه سمع أبا الخير يقول: أما القرآن النصف الأول فلا بأس به، وأما النصف الثاني فخرافات، لو شئت لقلت قرآنا خيرا منه، إذ قال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(٢)، هلا قال: والسابحات سبحا!! تعالى الله عما يقول علوا كبيرا، وسمعه قبل ذلك يقول: إنه روي عن بعض الصالحين أنه قال: لا تعبد الله رجاء ما عنده فتكون كالأجير الذي يخدم ليأخذ، ولا تعبده خوف عقابه فتكون كالعبد السوء الذي لا يخدم إلا عند الخوف من مولاه، ولكن اعبده لما هو أهله مستهزئا به عن ذكره تعالى^(٣).

فلما تمت تلك الشهادات عليه، وجرى قبولها، قال الفقهاء قاضي الجماعة منذر بن سعيد^(٤)، وإسحاق بن إبراهيم^(٥)، وصاحب صلاة الجماعة أحمد بن

(١) انظر ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس م.س. ص/٦٠-٦١

(٢) سورة العاديات الآية/١

(٣) القاضي بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣١٦/٢

(٤) هو منذر بن سعيد القاضي أبو الحكم يعرف بالبلوطي ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالما فقيها، وأديبا بليغا، وخطيبا على المنابر وفي المحافل، انظر جلدوة المقتبس

رقم/٨١١

(٥) انظر ترجمته في ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس رقم/٢٣٥

مطرف^(١)، وغيرهم: نرى - والله الموفق للصواب - أنه ملحد كافر، وقد وجب قتله من غير أن يعذر إليه، بعد أن ينتهي ذلك إلى أمير المؤمنين أعزه الله^(٢).

ورأى بعض من حضر من أهل العلم بأن يعذر إليه في ذلك.

ورأى محمد بن قاسم، وأخذ برأى من قال بقتله بغير إعذار إليه، ورفع ذلك إلى أمير المؤمنين، فأخذ بذلك، وكتب إلى الوزير عيسى بن فطيس بأمره بموافقته على رأي القاضي، ويدعو لهم بالخير وحسن الثواب عن الدين والذب عن السنة، وأمره أن يتقدم إلى القاضي والحكام بالأخذ على أيدي الناس في هذا ممن خالف مذهب مالك بالفتوى أو غيره، أنزل به النكال وما يستحق من العقوبة، وشرّد به من خلفه لينرجر ويرتدع.

ثم قال: وقد اخترت فيما رأيت في الكتب أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب، ولم أر في أصحابه ولا فيمن تقلد مذهبه غير السنة والجماعة، فليتمسك بهذا فقيه النجاة إن شاء الله^(٣).

فنفذ أمر أمير المؤمنين وصلب هذا الزنديق غضبا لله ولكتابه ورسوله، وفرح الأندلسيون فرحا عظيما عند سماعهم بقتل هذا الداعي إلى السوء، وكان يوم قتله عيداً احتفل به الأندلسيون كيوم تولية الخليفة الحكم المستنصر حكم البلاد^(٤).

وبعد سياق أحداث هذه القضية هناك وقفات:

١- فقد جمع هذا الزنديق عدة منكرات عظيمة منها: الإلحاد، ونبذ أحكام الإسلام، واستحلال حرمانه، والخروج على الأئمة، والرغبة في سفك الدماء، وكفى بها

(١) هو أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن يعرف بابن المشاط كان رجلا صالحا فاضلا معظما عند ولاة الأمر بالأندلس يشاورونه فيمن يصلح للأمر ويرجعون إليه في ذلك، وكان صاحب الصلاة روى عن كثيرين

توفي سنة ٣٥٣هـ، انظر بغية الملتبس ص/ ١٧٦ رقم/ ٤٦٧

(٢) القاضي عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣٢٦/٢ - ١٣٢٧

(٣) القاضي عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣٢٧/٢

(٤) المصدر السابق ١٣٢٨/٢

فتنة، والتشيع والدعوة إليه في الأندلس، والعمل على إقامة دولة شيعية تابعة للمعز الفاطمي.

٢- تسرّه بالدين، وإخفاؤه هذه المعتقدات الفاسدة؛ يدل على شدة المذهب السني في الأندلس، وعدم رضاه بأي فكر أو عقيدة تخالف منهج السلف الصالح.

٣- يظهر أن القائمين بالاحتساب على هذا الزنديق فئات متعددة منها: عامة الناس حيث اطلعوا على حالة ما خفي منه وأحاطوا بمنكراته وما تنطوي عليه من خطر فشهدوا بذلك أمام القضاء لإدانتهم، وكذلك القضاة الذين رصدوا قضيتهم وشهودهم، ثم التشاور مع الفقهاء، وإصدار حكم شرعي يليق بجرمه، وكيف شره عن الأمة، ورفعته إلى ولي الأمر لإنفاذه، وكذلك ولي الأمر لم يتردد في الأمر في تنفيذ حكم القضاء الشرعي فيه، واتخاذ الرأي الذي رآه صواباً، وفرح الشعب بإنفاذ القتل في هذا الملحد، يدل على التلاحم والترابط والتعاون بين فئات الشعب ضد هذه المنكرات، والرغبة في قمعها بشدة لتسلم العقيدة صافية، وتستقر الأمن في المجتمع.

قضية عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي:

كانت أحداث هذه القضية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، أي: في عهد ملوك الطوائف، ذلك العهد الذي تميز بالاضطراب، والفتن، والثورات، وسفك الدماء، وعدم الاستقرار، والأمن، ولكن رغم ذلك وتلك الظروف الصعبة وجد محسوبون في العقيدة قامعون لمنكراتها كما يتضح من هذه القضية، وكان ابن حاتم الطليطلي هذا مقبول الشهادة عند قاضي طليطلة أبي زيد عبد الرحمن بن عيسى^(١)، وكان يزكي الشهود لديه ثم أُلحِد في عقيدته، واستخف بحق النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة، وأُخذ يطعن فيهم، ويسخر، ويتهمهم، ويهزأ بهم.

(١) هو قاضي طليطلة من أهل قرطبة، تولى قضاء داتية، وبها توفي سنة ٤٣٣هـ، ابن بشكوال الصلة رقم/٧٧٨

وشهد عليه بهذه المنكرات نحو ستين شاهدا لدى قاضي طليطلة، ولما طلب منه الجواب عن تلك المنكرات تغيب وفرّ إلى بطليوس^(١)، ثم تولّى متابعة قضيته والاحتساب عليه محمد بن لييد المرابطي^(٢)، واستمرّ يتابعه من مدينة لأخرى قرابة سبع سنين^(٣)، رغم تلك الفتن، وكان يأخذ أجوبة الفقهاء بما يلزم ابن حاتم، ولما تمت الشهادات لدى قاضي طليطلة، شاور الفقهاء، فأجمعوا على وجوب قتله بعد الإعذار إليه، أي: بعد أن يمكن من الدفاع عن نفسه، ويجب عن شهادات الشهود الموجهة ضده، وهل له ردها؟ وسجل ذلك لدى قاضي طليطلة، وقضى به وحكم، وسجل أجوبة الفقهاء المشاورين جوابا جوابا، وكذلك نص شهادات الشهود، وجعل السجل نسخا كثيرة^(٤)، أخذ ابن لييد نسخا وخرج إلى واثبة^(٥)، ومرشية^(٦)، والمرية^(٧)، وفي كل منها يأخذ أجوبة الفقهاء بما يلزم ابن حاتم، فكل فقيه يجب ويكتب جوابه، ويكون مع ابن لييد، وورد قرطبة، فأخذ جواب ابن عتاب، وكان يومئذ بقرطبة، وكان الأسئلة التي يطلب منهم الجواب عليها هي: هل كان يجب الإعذار إليه؟

أو يقدح في شهادة من شهد عليه تركهم القيام بها مدّة؟

ومن يرث ماله؟

وهل يجب ضمه إلى بيت مال المسلمين قبل أن يقتل لفراره؟

(١) بفتحين، وسكون اللام، وباء مضمومة، وسين مهملة: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال مارة على نهر

آلة غربي غرناطة، ولها عمل واسع ينسب إليها خلق كثير. ياقوت الحموي ٤٤٧/١

(٢) انظر عيسى بن سهل ولائق في محاربة الأهواء والبدع ص/١١٢، انظر الحميري الروض المعطار ص/٤٦

(٣) انظر المصدر السابق ص/١٠٧

(٤) انظر عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣٠٨/٢

(٥) انظر الحميري الروض المعطار ص/٧٦

(٦) انظر الحميري الروض المعطار ص/١٨١-١٨٤

(٧) انظر الحميري الروض المعطار ص/١٨٣-١٨٤

وهل يجوز لأحد أن يؤويه؟^(١)

فأجاب ابن عتاب على ظهر نسخة من التسجيل فقال: تصفحت - رحمنا الله وإياك - السجل المذكور المتعقد في أمر الملحد عبد الله، وأجوبة إخواننا الفقهاء - حفظهم الله - فرأيت أجوبة حسنة مجتمعة في الحكم متفقة المعنى... ثم ذكر بقضية أبي الخير السابقة التي وقعت في زمن الحكم المستنصر، وما صدر فيها من حكم بعد مشاورة الفقهاء، وأن الحكم أخذ بما أفتى به القاضي ومن وافقه بقتله بلا إعدار. ثم قال: وبهذا أقول في هذه القضية^(٢).

ثم قال: وأما من أجاره وستره ومنع منه بعد المعرفة بذلك، والوقوف على صحة الشهادات عليه، فهو في حرج شديد، ولا يحل له ذلك؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٣)، فمن أجاره أو منع منه بعد المعرفة بذلك فقد حاد الله وشاقه، ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤).

وفي الحديث الثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «المدينة حرام، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»^(٥)، وهذا عام في المدينة وغيرها، ويجب على من آوى هذا الملحد التبري منه؛ لإقامة الحد عليه^(٦).

ثم أخذ ذلك الجواب ابن لبيد، ومضى، وأجاب الفقهاء في المدن الأخرى، ورد بعضهم على ابن عتاب في مسألة عدم الإعدار إليه ورأى أن يعذر إليه.

(١) عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣٠٩/٢

(٢) عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣١٠/٢

(٣) سورة المجادلة الآية/٢٢

(٤) سورة الأنفال الآية/١٣

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٢/٩ ح/٣٧١٧

(٦) عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ١٣١٠/٢

وكان قاضي طليطلة أرسل نسخة من قضائه إلى محمد بن أحمد بن بقي^(١)، الناظر في الأحكام بقرطبة، وثبت ذلك عنده، وقيد ذلك على ظهر النسخة، وبعد أن أخذ ابن لبيد أجوبة فقهاء قرطبة وثبوت إدانة ابن حاتم الطليطلي طلب منهم أن يخاطب له بذلك قاضي "بطليوس" بثبوت السجل، فخاطبه ابن بقي بذلك، وتحمل الخطاب ثقتان نهضا مع ابن لبيد، وكان ابن حاتم قد استقر في بطليوس، وتقرب من رئيسها المظفر أبي بكر^(٢)، وأصبح يقرأ الكتب عليه، فلما وصلها ابن لبيد وثبت التسجيل عند قاضيها، تراء المظفر من ابن حاتم، فخاف أن يظفر به ابن لبيد فاستخفى، ثم خرج إلى سرقطة^(٣)، فاضطره القضاء إلى موضع منيته قرطبة، ووردها في عقب ربيع الآخر سنة أربع وستين وأربعمائة، فلما سمعت المختصة بوروده قصدوا محله، وموضع نزوله، وألبوه، وسفعوه، وساقوه إلى القاضي "شرسوق" حافيا، مقرر الرأس، فأمر بسجنه حتى ثبت عند تسجيل أبي زيد عليه، ورأى القاضي والفقهاء أن لا يعذر إليه، ويعجل بقتله.

فقال لهم القاضي عيسى بن سهل لا يسعكم ذلك، وقد أخذ أبو زيد^(٤) بالإعذار إليه؛ وقضوا بذلك ورأوا صواب ذلك، والأخذ به، فأعذروه وأجلوه شهرين، وصرف إلى السجن، فلما تم الأجل، أحضر عند المعتمد على الله^(٥) أمير قرطبة في كبله، وسئل هل أمكنه شيء مما أخر له؟ فقال: لم يمكنني من يسعى لي في ذلك.

(١) انظر ابن بشكوال الصلة رقم/١٢٠٣

(٢) انظر ابن الأبار الحلة السراء ٩٦-٩٧/٢

(٣) انظر المقرئ نفع الطيب ١٩٤/٤

(٤) هو: عبد الرحمن بن عيسى المعروف بابن الحشا القاضي، وكان بارع العلم رجحا عفيفا حاضر المشاهد

والخاطر حلوا الشماثل توفي سنة/٤٨٠هـ، انظر ترتيب المدارك ١٣٤/٨

(٥) انظر المغرب في حلى المغرب ٤٧٣/٢

فعزم الأمير المعتمد على الله على قتله، وخرج إلى رأس القنطرة^(١)، و صلب أبو حاتم هناك بمحضر الأمير، والقاضي، والفقهاء، نصف نهار الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة ٤٦٤ هـ، حيث طعن بالرمح، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاه، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، وصلى الله على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم^(٢).

وبعد سياق هذه القصة أقف عدة وقفات:

١- ظهور شدة الالتفاف حول السنة وأهلها، وإظهارها، ونبذ ما يعارضها، وهذا ظاهر من كثرة الشهود الذين شهدوا على هذا الملحد ومنكراته الشنيعة، حيث يكفي لإدائته شهادة عدلين، فلما وصل هذا العدد إلى ستين شاهداً كما ذكر القاضي ابن سهل، والذي يظهر لي أن قبول ذلك العدد إنما هو حسبة من أولئك الشهود، وحتى ينقطع حجة، ويستفيض جرمه، ومنكراته في المجتمع، وتدل على كره المجتمع للإلحاد، والخروج عن السنة.

٢- شدة القضاء في هذه القضايا بحيث صدر الحكم بعد مشاورة الفقهاء بقتله مع الإعذار إليه، ووجد من القضاة والفقهاء من نازع في ذلك، ورأى عدم تمكنه من الإعذار والتعجيل بقتله.

٣- تعاون القضاة في هذه القضية، ومخاطبة بعضهم لبعض في شأنها من مدينة لأخرى يدل على التعاون في محاربة بدع العقيدة.

٤- أن المحتسبين هم الذين يتولون متابعة هذه القضايا لدى القضاة، وتحريك الدعوى فيها، وحثهم على بيان الحكم فيها لمتابعة تنفيذه، كما أنهم يتولون القبض على أولئك المنحرفين في العقيدة، وسوقهم لدى القاضي، مما يدل على سلطتهم في ذلك.

٥- رغبة الأمراء، وحرصهم على محاربة منكرات العقيدة كما حصل من حاكم سرقطة الذي تخلى عن أبي حاتم الملحد وأخرجه، وكذلك المعتمد على الله

(١) هي قنطرة سمرقند: قرية بسمرقند ينسب إليها فنطري خرج منها جماعة، باقوت الحموي معجم البلدان ٤/ ١٠٦.

(٢) انظر القاضي عيسى بن سهل، الأحكام الكبرى ٢/ ١٣١٣-١٣١٤.

أمير قرطبة الذي أمر بإنفاذ حكم القضاء فيه، وحضر وأشرف بنفسه على قتل هذا الزنديق مما يدل على فرحهم بذلك، ورغبتهم فيه.

٦- أمر العقيدة في الأندلس أمر عظيم، والاهتمام بشأنها شغل العامة، والقضاة، والفقهاء، والمحتسبين، ومن ورائهم الأمراء، وهذه القضية حدثت في زمن الفتن، في دول الطوائف مما يدل على الاهتمام بشأن العقيدة حتى في أهلك الظروف وأصعبها، وقد استمرت أحداث هذه القضية سبع سنوات، ومع ذلك تابعها القضاء بتحريك المحتسبين حتى ثبت ذلك ونفذ الحكم، وقطع دابر هذا المنكر^(١).

قضية ابن مسرة ومدرسته والاحتساب عليه:

محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج، المعروف "بابن مسرة" الذي عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري، حيث توفي في سنة ٣١٩هـ، وقد كان ممن اتهم بالزندقة، وممن نشروا العقائد الباطنية في الأندلس، فلما اتهم بالزندقة خرج فارا إلى المشرق، والتقى بأهل الجدل، والاعتزال، وقضى فترة من حياته في القيروان في الوقت الذي بلغ نشاط الدولة الفاطمية أوجه من الناحية السياسية والدعائية، مما يدل على تأثيره بتلك الدعوة.

ومن أقواله: اكتساب النبوة، وأن تدبير العالم مرده إلى العرش.

ويرد العلماء ذلك إلى اعتناقه تعاليم الباطنية والإيمان بها^(٢).

ثم رجع إلى الأندلس، وأظهر نسكا، وورعا، وزهدا، فاغتر الناس بظاهره، وتأثروا به، وجمعوا إليه، ولما ظهر للناس سوء معتقده، وقبح مذهبه، انقبض من كان له إدراك، وعلم، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل، وذاقوا لنحلته^(٣).

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل، ثلاث وثلاثون في محاربة الأهواء والبدع م.س. ص/١٠٧

(٢) انظر، د/محمود مكي، صحيفة المعهد المصري (مدرسة إسبانيا) المجلد الثاني العدد ١-٢،

١٣٧٢هـ/١٩٥٤م ص/١٠٩

(٣) انظر، ابن القضي، تاريخ علماء الأندلس م.س. ٦٨٧-٦٨٨

ومن آرائه: القول بخلق القرآن، وآراؤه كذلك لا تخلو من التأثير بعقيدة الإسماعلية، مما كان له أثر في أتباعه من بعده، فقد استمرّ تلاميذه بهذه الآراء المنحرفة، ثم أصبحت هذه الآراء واضحة فيمن جاء بعده ودان بنحلته من مفكري الأندلس، ومتصوفتها.

ونظرا لانحراف عقيدة ابن مسرة عن منهج السلف، وخطورة الآراء التي يثبها، ويدعو إليها بين أتباعه — حيث إن دعوته تعتبر عاملا من عوامل التفكك المذهبي في الأندلس، وهذا ما لا يرضاه حكامها وأهلها الذين يعتبرون مذهب الإمام مالك - رحمه الله - مذهباً يلتفون حوله، ويدعون إليه، ويدافعون كل دعوة وفكر يعارضه، كما أن دعوة ابن مسرة تعتبر طريقا غير مباشر دعوة للسياسة الفاطمية التي تطمع في الدخول إلى الأندلس، وتحطيم الدولة فيها — فقد وقف حكام الأندلس، وعلمائها، وفقهاؤها محاربين لابن مسرة ودعوته، مفندين وداحضين لمنكراته، كاشفين له، ومتبعين لمدرسته، وتلاميذه، فقد هجره من اطلع على سوء معتقده، وقبح مذهب، وتركوا أخذ العلم عنه، وبينوا عقيدته الفاسدة للناس، ومن ردّ على ابن مسرة أبو بكر بن الحسن الأندلسي الإشبيلي الزبيدي^{(١)(٢)}.

كما وقف الحكام موقفا صلبا من هذا الداعي وتبعوا أتباعه بالتضييق عليهم وقطع دابرهم، ومن قام بذلك واهتم به وكتب الكتب إلى نواحي الأندلس وأمر ولاته بتتبع ابن مسرة وزمرته: الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد كتب الكتب إلى نواحي مملكته حسبة في محاربة انحراف العقيدة^(٣).

(١) انظر ترجمته الذهبي سير أعلام النبلاء ١٦/١٧٧

(٢) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٦/١١٨

(٣) ابن حبان، المقتبس م.س. ص/٢٥ وما بعدها

قضية الشاعر أبو عبد الله محمد بن مسعود الفسائي:

قد احتسب عليه المنصور بن أبي عامر في العقيدة حينما قدم عليه الشاعر وهو متهم في رهق في دينه سجنه لذلك، مما يدل على اهتمامه بشأن العقيدة ودفاعه عنها^(١).

قضية ادعاء بعض المعلمين النبوة:

مما جاء في احتساب الأمراء ما حدث سنة/٢٣٧هـ في شرق الأندلس في أيام ولاية عبيد الله بن يحيى^(٢) من قيام أحد المعلمين بادعاء النبوة والإلحاد في القرآن العظيم وتأويله، وقام معه خلق كثير، وتأثروا بدعوته وكان من تعاليمه النهي عن قص الشارب والأظفار، وكان يؤول على قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾^(٣) فلما أرسل في طلبه الوالي، ودخل عليه وكاشفه كان أول ما ابتداء به أن دعاه إلى اتباعه فاستشار فيه أهل العلم، فأشاروا عليه باستتابته ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل، ولكنه لم يتب عند ذلك أمضى الوالي الفتوى، وقتل صلباً، فجعل يقول عند قتله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٤)

من هذا يظهر احتساب الأمراء والولاة في العقيدة، وحمائهم لجانيها، وأن احتسابهم لا يصدر إلا عن رأي العلماء وفتواهم، مما يقيد عملهم واحتسابهم بأحكام الشريعة، وأن الاحتساب في هذا يصل إلى حد القتل مما يجعل له أعظم الأثر، وأبلغه في ردع منكرات العقيدة، واختفائها من المجتمع.

(١) انظر: المقرئ نفح العليب ٣/٣٨٨-٣٨٩، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٣/٧٩-٨٣،

الحميدى، الجفوة ٨٦

(٢) انظر ترجمته المقرئ نفح العليب ٤/١٢ وما بعدها

(٣) سورة الروم الآية/٣٠

(٤) سورة غافر الآية/٢٨، انظر، ابن حبان، المقتبس ص/١٦

منع مطالعة الكتب التي فيها منكرات في العقيدة:

وكان أهل الأندلس يحاربون العقائد الباطلة، وينهون ويزجرون عن مطالعة الكتب التي فيها منكرات في العقيدة مثل كتب المعتزلة.
وكان الإمام سحنون وهو إمام من أئمة المذهب المالكي قام بعد أن تولى القضاء بتفريق أهل البدع من الجامع، وكانوا فيه خلقا كثيرا من الصفرية^(١)، والإباضية^(٢) والمعتزلة^(٣)، وأدب جماعة منهم لمخالفتهم أمره، وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقتهم^(٤).

فإذا كان هذا حصل من إمام من أئمة المذهب المالكي الذي ساد وانتشر في الأندلس؛ فإن الاهتمام بالعقيدة والاحتساب فيها ومحاربة منكراتها هو المنهج القديم والمسلوك السديد في الأندلس، وهو الأصل عند أئمة العلم والفقهاء، والانحراف عن هذا المنهج يعتبر شاذًا ومخالفا للمذهب المالكي.

(١) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ص/١٣٤

(٢) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ص/٤٣

(٣) وسيأتي تعريفهم في فقرة مستقلة من هذا البحث في ص/

(٤) انظر المدونة ١٠٢/١

المطلب الثاني: في الخوارج

تعريف الخوارج، ونبذة مختصرة عن نشأتهم

الخوارج: جمع خارجي، اسم مشتق من الخروج، وهم: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة في كل زمان^(١). وقد ظهرت هذه الفرقة بعد وقعة صفين^(٢)، ثم أخذوا ينشرون عقائدهم الضالة في بلاد الإسلام، وتكونت أول دولة للخوارج في المغرب الأوسط باسم الرستمانيين سنة ١٦٠هـ، بعد حروب خاضوها، وبعد طواف طويل بالصحراء الواسعة، وجاء تواجدهم في منطقة "تاهرت" الجبلية، وكان رئيسهم عبد الرحمن رستم^(٣).

كما أن الإباضية - وهي: فرقة من الخوارج - انتشرت في المغرب وغلبت على الخوارج في الأندلس.

ولما دخلوا الأندلس بثورات عديدة ضدّ ولاية الأمر مثل: الثورة التي حدثت في الجزيرة الخضراء في أيام الحكم، وقد كتب الشاعر عباس بن ناجح الثقفي^(٤) قاضي الجزيرة الخضراء إلى الحكم يستحثه إلى إخماد هذه الثورة، وفعلًا عجل الحكم بذلك، وحمل السيف على أكثر أهلها.

(١) أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ط/ (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ص/ ١١٤

(٢) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ص/ ١١٤

(٣) انظر عماد حبيبة مع المسلمين في الأندلس م.س. ص/ ٦٤

(٤) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ص/ ١١٤

ثم ظهر نحارجي آخر بين بربر مورو ولكن الحكم بادر - أيضا - بالقضاء على هذه الثورة^(١).

موقف ولاية الأمور والفقهاء من الخوارج في الأندلس:

وقد وقف ولاية الأمر، والفقهاء، والعلماء الأندلسيون، موقفا واحدا ضد هؤلاء المنحرفين - حسبة الله عز وجل - وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة في ذلك.

١- أن عيسى بن دينار الطليطلي المتوفي سنة/٢١٢هـ كان يفتي بأن الذي يعتنق الإباضية حكمه حكم المرتد يستتاب من مقالته فإن تاب وإلا قتل^(٢).

٢- وأن عبد الملك بن حبيب المتوفي سنة/٢١٢هـ كان يفتي - أيضا - بأن حكم الإباضي كحكم الكافر أنه يقتل بغير استتابة^(٣).

٣- وكان ولاية الأمور الأمويون بالأندلس لم يتسامحوا مع البدع الخارجية في حدود بلادهم؛ ولذلك ضعف أمر الخوارج في الأندلس واضطروا أن يخرجوا إلى خارجها^(٤).

٤- أن ابن حزم - رحمه الله - قد نص على أنه قد ناقش بعض الإباضية - وهم الغالبون على خوارج الأندلس - فسأهم عن إيمانهم في عملهم، ومذهبهم فلم يدلوا إليه بخبر كاف عن ذلك^(٥).

٥- أن العقيدة السنية السلفية الصحيحة قد سيطرت على الأندلسيين، فلم تكن تدع محالا لمثل هذه البدع الخارجية لأن تأخذ سبيلها إلى التسرب في عقيدة الأندلسيين؛ فلذلك كانت آثار الخوارج ضئيلة جدا في بلاد الأندلس، بل وصل

(١) انظر مجلة تطوان، العدد الأول عام ١٩٥٦م الصادرة في المغرب، بحث الخوارج في الأندلس للدكتور

محمود مكي ص/١٧١ وما بعدها

(٢) انظر القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣٧٢/٢

(٣) انظر القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣٧٢/٢

(٤) مجلة تطوان ص/١٧١

(٥) انظر مجلة تطوان ص/١٧٥

الأمر إلى أن الأخذ بالمبادئ الخارجية بقي تهمة يتعرض المتبس بها لأقسى العقوبات.

ومن أمثلة ذلك:

أن الفقيه المشهور أبا عمر الظلمنكي المتوفي سنة ٤٢٩هـ، اتهم بأنه خارجي سافك للدماء يرى وضع السيف في صالحي المؤمنين، على أن هذه التهمة لم توجه إليه لاعتناقه عقيدة خارجية، بل لشدة وصرامته في الحكم على فقهاء عصره المالكين؛ لتحجرهم وجمودهم، ومع ذلك فقد حوكم بتهمة الخارجية في سرقة، وشهد عليه بها خمسة عشر فقيها من أكبر فقهاء عصره على أنه بريء من ذلك^(١). وفي هذا دليل على اهتمام الأندلسيين بالعقيدة والعمل على صفائها من العقائد المنحرفة التي تؤثر فيها، ومن كل فكر يصاد، منهج السلف الصالح ويخالفه.

(١) انظر، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس الترجمة رقم/٩٠، ومجلة تطوان ص/١٧٥

المطلب الثالث: في التشيع في الأندلس والاحتساب عليه:

التمهيد: في تعريف الشيعة:

الشيعة اسم لكل من فضل عليا على الخلفاء الراشدين قبله - - رضي الله عنهم جميعا - ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة^(١).

تاريخ نشأة الحزب الشيعي:

ويرجع تاريخ نشأة الحزب الشيعي إلى وقت مبكر في تاريخ الإسلام، فقد بدأت طلائعه بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - واستمرت تظهر شيئا فشيئا، وتعمل بكل ما تملك من وسائل وإمكانات لنشر عقيدته بين أوساط المسلمين، وقد تميز الفكر العقدي الشيعي بالخروج على ولاة أمور المسلمين^(٢).

فرق الشيعة:

الشيعة فرق متعددة، فمن فرقهم: الإسماعيلية^(٣) ويلقبون بالباطنية؛ حيث يؤمنون أن لكل ظاهر باطنيا ولكل تنزيل تأويلا^(٤)، وهذه الفرقة هي الغالبة على شيعة أهل الأندلس.

تاريخ الحزب الشيعي في الأندلس:

والناظر إلى تاريخ الحزب الشيعي في الأندلس يدرك أن ذلك له علاقة بتاريخهم في المشرق، ويدرك أن لتوالي ضربات الخوارج والشيعة على الدولة الأموية في المشرق سببا في سقوط تلك الدولة، ولما خاب ظن الشيعة في تولي منصب الحكم بعد

(١) انظر د/غالب العواجي، فرق معاصرة ١/١٣٢

(٢) انظر دا محمد مكي، التشيع في الأندلس ص/٩٣

(٣) انظر الشهرستاني الملل والنحل ص/١٦٧

(٤) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ص/١٩٢-١٩٢

سقوط الدولة الأموية حيث قبض على الحكم بنو العباس، وجعلوا الخلافة فيهم، فعاد الشيعة إلى نشاطهم كحزب معارض، ونكل العباسيون بمن قبضوا عليه من بني أمية مما اضطرهم إلى التخفي والهجرة، ومن تخفى واستطاع أن يهرب من بطش العباسيين، ثم هرب عبد الرحمن بن معاوية ودخل إلى الأندلس وأسس أمارته في قرطبة وعرف بعد الرحمن الداخل، ثم هاجر إلى الأندلس كثير من الأمويين، وتولوا أرقى المناصب في تلك الدولة، وكان كثير من الموالى فيها؛ ولذا فإن الأندلس كانت أموية النزعة منذ فتحها؛ ولذا بدأ التشيع فيها ضعيفا؛ حيث عمد عبد الرحمن الداخل أن يضرب بيد من حديد ضد أي دعوة هاشمية عباسية أو علوية شيعية^(١). ولكن رغم ذلك وجد في الأندلس مركزان علويان للتشيع:

المركز الأول: بيد القبائل العربية؛ حيث دخلت الأندلس ويدين بنصرة آل علي، وقاموا ببعض الثورات التي لها صلة بتلك النزعة، ومن تلك الثورات: ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، وكان أشد أصحاب علي - رضي الله عنه - ولكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح.

وثورة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الخزرجي^(٢)، حيث ثار بسرقة سنة/١٦٥هـ، وكان جده من شيعة علي.

ويقول ابن حزم: من سلالة هذه الأسرة الشاعر أبو بكر عبادة بن ماء السعدي^(٣) شاعر الحموديين، والناطق بلسان الشيعة أيام ملوك الطوائف.

أما المركز الثاني: وهو الأهم فقد كان بيد صفوف أو القبائل البربرية، فقد اتخذ التشيع منذ نشأته الأولى صبغة مضادة للعرب وللعصبية العربية، كما أن التشيع في المشرق قام عليه الموالى من الفرس، وكذلك قام عليه الموالى من البربر في المغرب؛ لذا فإن شمال إفريقية تربة خصبة للدعوات الشيعية.

(١) انظر د/ محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ص/٩٥

(٢) انظر المرجع السابق ص/٩٥

(٣) انظر المرجع السابق ص/٩٦

الثورات الشيعية في الأندلس:

وتردد التشيع لأول مرة في الأندلس بين صفوف البربر؛ لأن العرب استأثروا بمغانم الانتصار وثمراته^(١)، فقد استوطن العرب السهول الخصبة، بينما استوطن البربر المناطق الجبلية والهضاب المرتفعة (الجوف)^(٢) وكانت المناطق البربرية ميدانا لجميع الثورات الشيعية التي عرفتها الأندلس، حيث قامت عدة ثورات بربرية شيعية منها:

ثورة شقيا بن عبد الواحد:

فكانت ثورته أول الثورات البربرية وأخطرها وأطولها حيث استمرت من سنة/١٥١هـ إلى سنة/١٦٠هـ وكان معلم صبيان وادعى أنه فاطمي، وكان قويا فقد هزم عدة جيوش سيرها له عبد الرحمن الداخل ولم يتمكن منه إلا بمؤامرة دبرها له بعض أصحابه سنة/١٦٠هـ، وكانت ثورته أول محاولة لإقامة دولة شيعية في الغرب الإسلامي، حيث سبقت تكوين دولة الأدارسة بعشرين سنة، وثورته لها طابع روحي مذهبي قوي التأثير فيمن يتصل به^(٣).

ثورة شرق الأندلس:

وهذه الثورة يرى بعض الباحثين أنها قامت نتيجة لتأثير دولة الأدارسة التي قامت في المغرب الذي أسسها إدريس بن عبد الله الحسن، حيث وجد البربر أنفسهم في الأندلس أنهم بحاجة إلى زعيم ديني روحي وتمثل هذا في شخصية معلم قام في شرق الأندلس، وادعى النبوة، وكان يتأول القرآن على غير تأويله، وكان من تعاليمه، وشرائعه النهي عن قص الشارب وتقليم الأظافر وكان يقول ﴿لا تبديل

(١) محمود مكي، التشيع في الأندلس ص/٩٧

(٢) لرض مطمئة، أو عارحة في البحر غربي الأندلس مشرفة على البحر المحيط ياقوت الحموي معجم البلدان ٢/١٨٨

(٣) انظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص/٧٨، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص/١١١

لخلق الله ذلك الدين القيم^(١) وقبض عليه وحوكم بتهمة الزندقة، وعرضت عليه التوبة، ولكنه أبى فقتل صلباً^(٢)، وجعل يقول عند ذلك: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٣) كما أن الشيعة حاولوا الاستفادة من الثورات لتمكين مذهبهم ونشره في الأندلس.

ثورة عمر بن حفصون

ذلك الثائر الخارجي الذي امتدت ثورته سنين طويلة استقرت إمارة عبد الله ابن محمد سنة/٢٧٥هـ إلى سنة/٣٠٠هـ وجزءاً من إمارة الأمير عبد الرحمن الناصر، واستغلت الدعوات العلوية في شمال إفريقية.

ويذكر ابن حزم أنه خطب للقاسم بن إبراهيم الإدريسي^(٤). أما ابن الخطيب فيذكر أنه خاطب الفاطميين فأرسلوا له من يحثه على التمسك بطاعة الفاطميين^(٥).

أما دكتور مكّي فيقول: (لكن ابن حفصون على أية حال لم يكن مخلصاً للدعوة العلوية، وإنما كان يتخذها مطية لأغراضه، يكايد بها الأمويين في قرطبة متى شاء^(٦)).

ثورة أحمد بن معاوية القط

أما هذه الثورة فقد تأثرت بالدعوة تأثراً عميقاً سنة/٢٨٨هـ/٩٠١م، فقد وجدت دعوته آذاناً صاغية بين قبائل البربر في منطقة الجوف، ثم وجهت هذه الثورة

(١) سورة الزمر الآية/٣٠

(٢) انظر ابن عذاري، البيان المغرب في حلى المغرب ٢/١٣٤، ابن حبان، المقتبس ص/١٦

(٣) سورة الغافر الآية/٢٨، انظر، ابن حبان، المقتبس ص/١٦

(٤) انظر ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص/٤٤

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص/٣٦، د/ مكّي، التشيع في الأندلس ص/١٠١

(٦) انظر د/ مكّي، التشيع في الأندلس ص/١٠١

بعد ذلك للجهاد ضد المسيحيين، ورغم أنه أحد أفراد البيت الأموي إلا أن اللون الفاطمي كان واضحاً فيه كل الوضوح، ومما يدل على ذلك تسميه بالمهدي^(١)، وكان يتمتع باحترام بين أنصاره الذين كانوا يقدسونه، وكان شديد التأثير على أتباعه بما بدعى من الكرامات، ويصطنع من الحيل والشعوذة^(٢).

ويمكن اعتبار هذه الثورة التي سبقت الإشارة إليها هي آخر المحاولات المسلحة لإقامة دولة على أسس شيعية في الأندلس، وقد انقطعت هذه الثورات بطبيعة تغير الموقف السياسي الداخلي بعد ذلك، وهو عودة الخلافة الأموية إلى السيطرة القوية على الأندلس منذ أيام عبد الرحمن الناصر، فلم يكن هناك مجال يتسع لثورات من هذا القبيل إلى انتهاء دولة بني مروان وانقراضها، فظهرت على مسرح السياسة من جديد الدعوة العلوية الحمودية، وأقامت دولة لها كيان على أن هذا لم يمنع تسرب بعض الثقافة الشيعية إلى الأندلس في أيام الخلافة عن طريق احتكاكها المتواصل بالشيعية^(٣).

طرق نقل الثقافات الشيعية إلى الأندلس

ولما أسس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الداخل الإمارة الأموية المستقلة في قرطبة، واستتب له الأمر فيها بدأ التشيع يحاول الدخول فيها، فاستطاعوا أن يدخلوا في الأندلس عن طريقين:

الطريق الأول

الأندلسيون الذين رحلوا إلى المشرق وأخذوا بقليل أو كثير من الثقافات الشيعية لا سيما في العراق، ومصر، والمغرب، ويبدو أن أول من نقل شيئاً من الثقافات الشيعية إلى الأندلس هو محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى، المتوفى

(١) انظر ابن حبان، المقتبس م.س. ص/١٢٣

(٢) انظر ابن عذارى، البيان المغرب في حلى المغرب ٢٢١/١

(٣) انظر د/ محمود مكي، التشيع في الأندلس ص/١٠٣

سنة/٢٢١هـ، وقد رحل في سنة/١٧٩هـ فذهب إلى العراق لطلب العلم وكان نتيجة دراسته فيها أن نقل إلى الأندلس فكرة التشيع وقام بنشرها^(١).

ثم دلاه عباس بن ناصح الثقفي الشاعر، فرحل - أيضا - إلى العراق وعاد بشيء من التشيع، وانتشر هذا التشيع بصورة أكبر في الأندلس في القرن الثالث الهجري، حيث إن بعض علماء الأندلس اعتنق هذا المذهب اهدام أمثال محمد بن حيوان الحجازي المتوفى سنة/٣٠٥هـ^(٢).

الطريق الثاني

بعض المشاركة الذين باشرنا نشاطا دعويا في الأندلس ، أو قاموا بدور التحسيس لمصلحة مواهم الشيعة، والمشاركة الذين كانوا يقدمون إلى الأندلس بقصد الدعاية الشيعية، فإنهم كانوا يسترون أهدافهم الحقيقية بستر من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم، أو السياحة الصوفية، وكانت أول دولة الشيعة في المغرب هو دولة الأدارسة التي أسست عام/١٧٠هـ، وكانت الفاطميون في المغرب يحسون النبض ويتربصون للهجوم إما شرقا نحو مصر، أو شمالا نحو الأندلس، ولهذا دخل كثير من عيونهم وجواسيسهم إلى الأندلس ليعملوا على استطلاع أحوالها وتعرف مداخلها، ومواطن الضعف فيها، ودراسة نظمها السياسية والاقتصادية والدينية، ثم بث دعائهم بقدر ما وسعهم، ويبدو أن من جواسيس المشاركة في الأندلس الشاعر المغامر أبو اليسر الريحي، فقد استطاع أن ينقل إلى هذه البلاد بعض الثقافة الأدبية

(١) وكان الغالب عليه رواية الحديث والآثار، وكان يذهب في الأشربة مذهب أهل العراق، وكان رجلا عاقلا ثريا جوادا، وكان فيه دعاية وأخباره في ذلك مشهورة، انظر تاريخ علماء الأندلس ترجمة

رقم/١١٠٠

(٢) انظر الصحيفة المعهد المصري ص/٣١

الشيعة، فقد أدخل في الأندلس شعر أبي تمام^(١)، وكذلك شعر دعبل الخزاعي^(٢) الذي كان من أهم السنة الشيعية في المشرق، وأذاع فيها - أيضا - بعض مؤلفاته مثل مؤلف في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه، ولا يستبعد أن يكون قد اتجه فيه اتجاها يلائم الدعوة التي كان ينتسب إليها^(٣).

ثم تلاه ابن هارون البغدادي وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، وذكر ابن الفرضي أنه تردد بالأندلس أعواما، ونقل - أيضا - عن سليمان بن أيوب^(٤) صراحة أن دخول ابن هارون كان بقصد التحسس ويظهر أنه قد وفق فيما لم يوفق فيه الرياحي من قبله؛ إذ إن عريب بن سعد يقول: إن عبيد الله المهدي استكتبه بعد أبي اليسر واستعان به على أمر دعوته فكان له في ذلك رأي جميل ونفع عظيم؛ ويبدو أنه لخبرته بأمور الجاسوسية ودربته عليها ولله عبيد الله المهدي فضلا عن الكتابة ديوان البريد الذي كان له أهمية كبرى في الدولة الفاطمية فلم يزل يتولى هذا المنصب حتى مات.

ولكن رغم هذا كل تلك الجهود التي بذلها الشيعة لنشر مذهبها في الأندلس إذا نظرنا إلى واقع الأندلسيين نجد أنهم لم يتأثروا بتلك الأفكار الخبيثة الهدامة إلا بشيء ضئيل ومحدود جدا^(٥).

(١) هو: أبو تمام شاعر العصر حبيب بن أوس بن الخثعم بن حوارة من قرية جاسم أسلم وكان نصرانيا؛ مدح الخلفاء والكبراء، وكان أسمر طويلا فصيحاً عذب العبارة، مع غنمة قليلة، ولد في أيام الرشيد، وديونه كبير، توفي سنة ٢٢٨هـ، وعاش نبيا وأربعين سنة انظر السمر ٦٧-٦٣/١١

(٢) هو: دعبل بن علي شاعر زمانه أبو علي الخزاعي له ديوان مشهور، وكتاب طبقات الشعراء، وكان من غلاة الشيعة، وكان بحيث اللسان والنفس حتى إنه هجا قبيلة خزاعة توفي سنة ٢٤٦هـ، انظر السمر ٥١٩/١١

(٣) صحيفة المعهد المصري ص/١١-٢٢

(٤) أبو أيوب روى عنه أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي، جذوة المقتبس رقم/٤٥١

(٥) انظر صحيفة المعهد المصري ص/١٣

المطلب الرابع: في احتساب العلماء والأمرء على الشيعة في الأندلس

إن ولاية أمور المسلمين في الأندلس، والعلماء، والفقهاء فيها كلهم قد وقفوا موقفا واحدا ضد هؤلاء الشيعة احتسابا لله عز وجل.

وفيما يلي ذكر لبعض الأمثلة في ذلك:

١- دور أبي عمر أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة/٣٢٨هـ^(١) فإنه - رحمه الله تعالى - قد أفرد من كتابه المسمى بالعقد الفريد فصلا لأهل الأمراء والبدع تكلم فيه ببعض التفصيل عن الشيعة وفرقهم، فهو يتناول بعض العقائد الغريبة التي دانت لها فرق شيعية متطرفة كالسبئية، والمغيرية، والمنصورية، ويأتي ببعض نصوص شعرية لكثير عزة، والسيد الحميري وغيرهما في تأييد مذاهبهم، ثم يأتي بكثير من أقوال العلماء في ذم الشيعة، والتبرؤ من عقائدهم، والمقارنة بينها وبين العقائد اليهودية، يعتمد في ذلك على كتب ابن أبي شيبة وابن قتيبة رحمهما الله تعالى^(٢).

٢- أن ولاية الأمر والأمرء - وفقهم الله - وقفوا منذ اللحظة الأولى موقفا عدائيا صارما ضد الدعوات الشيعية التي ظلت تلح على الأندلس إباحا شديدا، وواصلوا في الأندلس السياسة التي رسمها لهم أسلافهم في المشرق من المحافظة على المذهب السني، والقضاء على كل نزعة تمّت إلى التشيع بصلة^(٣).

٣- أن ولاية الأمر قاموا بطرد الشاعر الإلبيري الذي قضى فترة شبابه في الأندلس حين عرف منه الاتجاه الشيعي^(٤).

(١) مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أبو عمر من أهل العلم والأدب والشعر، ولد سنة/٢٤٦هـ، وكان

لأبي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة، انظر جذوة المقتبس رقم/١٧٢

(٢) انظر صحيفة المعهد المصري ص/١٣-١٤

(٣) المصدر نفسه ص/٢٤

(٤) المصدر نفسه ص/٢٣

٤- أن الأندلسيين إذا عثروا على شيعة فربما قتلوه كل ذلك حماية للعقيدة الصحيحة السلفية، وإحمادا للبدع، والخرافات طلبا لمرضات الله عز وجل^(١).

٥- أن الفقهاء الأندلسيين -- رحمهم الله تعالى -- كانوا يحملون لواء المعارضة للشيعنة دائما حسبة لله عز وجل، ومن أول هؤلاء الفقهاء الفقيه القرطبي يحيى بن عمر المتوفى سنة ٣٨٩هـ فإنه كان سنياً شديدا الحملة على البدع والخرافات^(٢).

٦- أن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى الطلمنكي أبو عمر كان سيفاً مسلولا على الخارجين عن الدين الصحيح، والمنحرفين كان يؤدهم، وكان يغار على الشريعة، وكان شديدا في القيام بحق الله، عاش في قرطبة يعلم الناس محتسبا، وتوفي سنة ٣٢٩هـ^(٣).

٧- أن محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن سعيد الأموي أبو عبد الله القرطبي كان محتسبا مطلقا للسننة يهرب منه المنحرفين والفساق، وكان عليهم كالسيف المسلول، ولد سنة ٣٣٥هـ وتوفي سنة ٤٢٩هـ^(٤).

٨- أن يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ أبو زكريا كان شديدا على الفساق، وأهل البدع، توفي بغرناطة سنة ٦٠٨هـ^(٥).

٩- أن بيايس بن محمد بن علي بن بيايس العبدري أبو بكر كان قاضيا وكان يعتني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله في ذلك قصص مشهورة توفي سنة ٥٨٢هـ^(٦).

أن أهل قرطبة كانوا يفتحون أبوابهم لكل لاجئ يهرب إليهم من اضطهاد الشيعة سواء من شمال إفريقيا أو من مصر، فمن القادمين من مصر:

(١) المصدر نفسه ص/٢٧

(٢) المصدر نفسه ص/٣١

(٣) انظر في ترجمته انظر ابن بشكوال الصلة رقم/٩١

(٤) انظر ابن بشكوال الصلة رقم/١١٣٦

(٥) ابن الزبير صلة الصلة رقم/٣٩٢

(٦) انظر ابن بشكوال الصلة رقم/٦١٠

ابن الأزرق الأموي.

وإسماعيل بن عبد الرحمن القرشي^(١)

ومن الوافدين على الأندلس:

ابن الخراز المليلي الذي كان قاضيا بملييلة^(٢) ثم هرب إلى قرطبة سنة/٣٢٥هـ
خشية من جنود الشيعة، فسجله الناصر على قضاء بلده وكان فقيها شاعرا
وكذلك حكم بن محمد القيرواني القرشي الذي الذي تردد بين قرطبة
والقيروان وأكرمه الحكم المستنصر - أيضا - وقد شارك في النشاط الدعوي ضد
الشيعة^(٣).

أن المذهب السني قد تأصل في الأندلسيين فكان على الشيعة أن يجاروا هذا
الجو، فلم يستطيعوا إلا أن يكونوا مساييرين للمذهب لذلك قلّ تأثرهم والله
الحمد^(٤).

(١) وكان من أهل الدين والعناية بالعلم ثقة مأمون حدث عنه أبو عمر بن عبد السر وأثنى عليه الخولاني،

وقال: قرأت بخطه أنه ولد سنة/٣٣٣هـ، وتوفي سنة بإشبيلية سنة/٤٢١هـ، انظر في الصلة رقم/٤٢٦

(٢) بالفتح ثم الكسر، وباء تحنها نقطتان، ولام أخرى: مدينة بالمغرب قرية من سبتة على ساحل البحر،

ياقوت الحموي معجم البلدان ١٩٧/٥

(٣) صحيفة المعهد المصري ص/٣٢-٣٣

(٤) المصدر نفسه ص/٤٣

المطلب الخامس: في المنكرات في العقيدة التي وجدت في الأندلس:

السحر:

حيث وجد ذلك من الفزاري^(١) الساحر الذي كان في مالقة^(٢)، ويتقرب إلى أميرها بالسحر، وقام بالاحتساب عليه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي^(٣) العاصمي ولكنه أودى، ثم تحول إلى غرناطة، ثم اتفق أن الفزاري الساحر قد قدم غرناطة رسولا من أمير مالقة، فاجتمع أبو جعفر بصاحب غرناطة، ووصف له حال الفزاري، وما هو عليه من منكرات في العقيدة، واستأذنه في الاحتساب عليه، فأذن له إذا انصرف يجواب رسالته أن يخرج ببعض أهل البلد ويطلبه من باب الشرع ففعل، فثبت عليه الحد، وحكم بقتله، فضرب بالسيف فلم يجمل فيه، فقال: أبو جعفر جردوه، فجردوه فوجدوا مكتوبا فغسل، ثم وجد تحت لسانه حجرا لطيفا، فتزعه فجال عليه السيف حينئذ وقتل^(٤).

ويدل هذا على وجود من يتعاطى السحر، ولكنه يقمع بشدة من المحتسبين الذين نذروا أنفسهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدل ذلك على تعاون الأمراء مع العلماء في ردع منكرات العقيدة وقمعها.

(١) انظر ابن الزبير صلة الصلة المقدمة ص/د وما بعدها

(٢) انظر ياقوت الحموي معجم البلدان ١١٧/٤

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن الثقفي العاصمي، ولد سنة ٦٢٧هـ، نزل غرناطة، وتصدر لإقراء كتاب الله، وإسماع الحديث، فتأثر على إفاة العلم، كان ثقة، قائما بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قائما لأهل البدع، وله مع ملوك عصره وقائع، وكان معظما عند الخاصة والعامة، توفي سنة ٧٠٨هـ وصلى عليه بغرناطة، انظر، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ٧٢/١، ابن فرحون، الدياج المذهب ص/٥٧، ابن القاضي، درة المجال رقم/٨، الذهبي تذكرة الحفاظ ٢٧٥/٤

(٤) ابن الزبير، صلة الصلة ص/د وما بعدها

كما وجد في الأندلس جم غفير من العلماء، والوعاظ، على خير، وسنة، ودعوا إليهما، ومنافرة لأهل البدع والأهواء^(١). ومنهم:

١- من كان يتصدى لتغيير المنكر في ذلك ويخاطر بنفسه، في تغيير وجه المنكر وتغييره^(٢).

٢- ومن كان يجلس لتدريس العلم ونشره، وترسيخ العقيدة الإيمانية الخالصة، ويؤلف الكتب في الرد على منكرات العقيدة، كما حدث من يحيى بن أحمد بن خليل السكوني^(٣)، الذي شرح كتاب المستصفي، وألف كتاباً سماه "الحسنات والسيئات على تفسير الزمخشري"^(٤) وأبدي فيه ما تضمنه من الاعتزال^(٥).

الأعياد غير المشروعة

كالتزام المجتمع الأندلسي بعطلة الأحد تأثراً بالنصارى، إلا أن الفقهاء احتسبوا على ذلك، وطالب بإلغائه، كل من محمد بن وضاح القرطبي، وأبو بكر الطرطوشي^(٦).

(١) انظر، أبو جعفر أحمد بن الزبير، صلة الصلة ص/١٥١-١٦٢-١٤٤-١٩٤-١٧٢-١٨٦

(٢) المصدر السابق ص/١٦٢-١٦٣

(٣) هو: يحيى بن أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك السكوني، من أهل ليلة، كان خطيباً، وكان

يتكلم عند السلاطين في المسائل الجمهورية توفي سنة/٦٢٦هـ، انظر ابن الزبير، صلة الصلة ص/١٩٤

(٤) الزمخشري هو كبير المعترنة أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي النحوي صاحب الكشف، والمفصل

رحل وسمع ببغداد من نصر بن يعطر وغيره، وحج وجاور، وتخرج به أئمة ولد سنة/٤٦٧هـ، وكان رأساً

في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جديد، توفي ليلة عرفة سنة/٥٣٨هـ، انظر السير ١٥٥-١٥١/٢٠

(٥) المصدر السابق ص/١٩٤

(٦) انظر في ترجمته ابن بشكول الصلة ١/١١٤٣

كما وجدت أعياد أخرى، كان المجتمع الأندلسي يقيمها ويحتفل بها^(١). ولا شك أن هذه الأعياد من البدع التي استحدثت في الأندلس، ومن أشار إلى ذلك واحتسب عليه:

١- أبو بكر الطرطوسي إذ يقول: (ومن البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتاع الحلوى ليلة سبع وعشرين رمضان، وكذلك على إقامة يناير بابتاع الفواكة كالعجم، وإقامة العتصرة، وخميس إبريل، بشراء المجنات، والإسفنج، وهي: من الأطعمة المبتدعة^(٢))

٢- الأمير أبو القاسم القرني كان ينتقد هذه الأعياد بشدة ويعطل انتشارها بين المسلمين في الأندلس بمحاورة النصاري ومغالطتهم، وفي المغرب بالاتباع والقدوة، وذكر أنها من أشنع وأضل البدع التي جاءت من الأندلس، وحاول صرف بلده عنها بالاحتفال بالمولد النبوي، ولكنه لم يفلح في ذلك^(٣).

(١) هذه الأعياد التي كانت يحتفل بها المجتمع الأندلسي هي: عيد الفطر، والأضحى، وهما مشروعات في الإسلام، وهناك عيد عاشوراء وهو: عيد الفاكهة والحلوى، وهناك الاحتفال بشهر شعبان حيث تقام فيه المآدب التي تسمى الشعانية، وكذلك الاحتفال ليلة سبع وعشرين رمضان، حيث تشتري الحلوى، والفواكه، وهناك عيد يناير الذي هو أشبه بعيد النيروز، حيث كانوا يحتفلون به احتفالا كبيرا، وفي الشوارع، والمنازل، وتقدم ثفاف الحلوى والفواكه، وهناك عيد العتصرة أو المهرجان، وهو يوم مشهور ببلاد الأندلس، وهو موسم للنصاري كالميلاد ونحوه، وهو الرابع والعشرين من حزيران، فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام، وهناك عيد العصير الذي يستغرق الاحتفال به عدة أيام في الخريف، انظر ديوان ابن قزمان ٧٢-٨٢، والزحاني ١/٢٢٨، د/عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ص/٣٢٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان ٧/٢٢٧

(٢) أبو بكر الطرطوسي، الخواص والبدع ص/١٤١

(٣) انظر، الزحاني، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة (فاس ١٩٧٥م) ص/٢٤١، د/عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ص/٣٢٩

ولكن الاحتفال بالمولد النبوي هو بدعة أخرى في العقيدة، وهذه الأعياد والاحتفال بها يصحبه شيء عظيم من المنكرات في العقيدة، والأخلاق، وكان النهي عن تلك المنكرات من اختصاص وواجبات المحتسب^(١).

قيام بعض الجماعات بسب الإسلام:

قد قام بعض الجماعات في الأندلس بسب الإسلام، والطعن في الرسول - صلى الله عليه وسلم - علنا أمام الناس، وأمام الحكام، رغم معاملة المسلمين هم بالحسنى، واللين، وعدم التضييق عليهم، فلما فعلوا ذلك، وجاهروا تلك المنكرات الشنيعة، عوقب بعضهم بالقتل، قيل: قد قتل منهم أربعون شخصا، وقيل: أحد عشر شخصا في صيف عام/٢٣٧هـ^(٢).

الانتساب إلى المعتزلة، والقول بالقدر، وبخلق القرآن:

إن الأمير الحكم المنتصر أمر بإخراج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشافعي البغدادي القادم من المشرق سنة/٣٧٢هـ، لما رفع إليه أنه ينتسب إلى المعتزلة. كما أن الفقيه بقي بن مخلد قام محتسبا على خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الفضلة لما وقف على سوء معتقده من القول بالقدر، والقول بخلق القرآن، فأقسم بقي - رحمه الله - لو لا ما رأى من حاله لأشار بسفك دمه، وهذا يدل على سوء معتقده وشناعته، ثم طرده قائلا: (ولكن قم فلا أراك في مجلسي بعد هذا الوقت، فلما مات خليل هذا أحرقت كتبه إلا ما كان من كتب المسائل، أي: الفقه^(٣)).

(١) انظر، رسالة ابن عابدين م.س. ص/٥٠، ابن حبان المقتبس ص/٥١٩

(٢) انظر د/علي حبيبة، مع المسلمين في الأندلس ص/١٩٧

(٣) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ٢٥٣/١

التبرك بالأوراق التي فيها ذكر الله:

قد وجد من كان يوصي بأن توضع في كفنه إذا مات هذه الأوراق والبطاقات التي فيها ذكر الله من البسملة، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - رجاء نفعها^(١)، وقد احتسب على ذلك ابن الأبار بقوله: (هذا القصد وإن كان ظاهره جميلا فإنه يقبح من قبل التعرض بهذه البطائق المشتملة على ذكر الله لما يتحلل إليه جسد ابن آدم الميت من الصديد والتغيرات وهذه الأشياء مما ينزه تلك الأذكار المباركة أن تختلط بها^(٢)).

كما نجد - أيضا - أنهم ناصحون وموصون بوصايا سلفية فيها الصدق، وإخلاص العقيدة جاء ذلك في وصية محمد بن وضاح القرطبي المتوفى في المحرم سنة ٢٨٧هـ عند ما دخل عليه أحمد بن خلف المتوفى سنة ٣٧٧هـ، وطلب منه الوصية فأوصاه قائلا: (أوصيك بتقوى الله عز وجل، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفرّ من الناس فإن الحسد بين اثنين، والنميمة بين اثنين والواحد من هذا سليم^(٣)).

وكانت الدولة الأموية في الأندلس منذ نشأتها ترعى عقيدة المسلمين، وتحرسها، وكانت تجد سلامتها في حماية العقيدة فقربت الفقهاء^(٤).

علو شأن العقيدة في الأندلس:

ومما يدل على علو شأن العقيدة في الأندلس ما يلي:

أولا: أنه إذا أراد أحد النيل من خصمه، والنكاية به، وإيقاع الضرر به رماه في عقيدته، وأخذ يقدح فيها ويطعن، فلا تسأل عما يلقي من إهانة، وسقوط مكانة،

(١) ابن الأبار، النكمة لكتاب الصلة ٢٣٨/١

(٢) ابن الأبار، النكمة لكتاب الصلة ٢٣٨/١

(٣) ابن بشكوال، كتاب الصلة م.س. ٦/١-٧

(٤) د/علي بن حبيبة، مع المسلمين في الأندلس ص/٢٩٨

وربما يصل إلى القتل، وهذا يحدث بين العلماء، ففي أواخر القرن الثامن الهجري قام الكاتب والشاعر الكبير أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف "بابن زمرك"، وقاضي الجماعة بقرطبة أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي باتهام ابن الخطيب بالإلحاد والخروج على أحكام الدين، والشرعية اعتمادا على بعض ما ورد في كتبه، وبلغت الأمور ذروتها أوائل سنة ٧٧٣هـ، وانتهى الأمر بإذلاله وقتله^(١)، حيث مات مقتولا في سجنه في ربيع الأول سنة ٧٧٦هـ^(٢).

ثانيا: التحذير من مطالعة الكتب التي فيها مساس بالعقيدة ككتب الجاحظ^(٣)، ومن الاحتساب في ذلك احتساب القاضي عياض - رحمه الله تعالى - على ما جاء في كتب الغزالي - رحمه الله تعالى - فكان القاضي عياض يرى أن الغزالي لو اقتصر الإحياء، واقتصر فيه على العلم الخالص لكان كتابا مفيدا، ومراد القاضي عياض بغير الخالص هو: علم المكاشفة^(٤).

وحكى ابن العماد^(٥)، والشعراني أن عياضا كان يرى أن كتاب الإحياء يجب أن يحرق، فليس غريبا ما حكياه عنه فقد حكم عياض في كتاب الشفا^(٦) على أبي حامد الغزالي حكما في غاية القسوة^(٧).

(١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٣/١

(٢) ابن خنثون، المعر ٣٤١/٧

(٣) هو: عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف أخذ عن النظام، قال الذهبي:

كان ما حقا قليل الدين له نوادر، وتصانيفه كثيرة جدا منها: الرد على أصحاب الإلهام، والرد على

النصارى، والجمعة والنبوة، توفي سنة ٢٥٠هـ، انظر السير ٥٢٦/١١ - ٥٣٠

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/١٠

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب ١٣٩/٤

(٦) طبقات الشعراني ١٥/١

(٧) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١/١٠ - ١١

وكان أحد الأندلسيين يحتسب على المقصر في شيء من السنة كإفشاء السلام ورده بأسلوب طيب جميل تألفه النفوس وترتاح إليه^(١).
وكان من عقيدتهم الالتزام بالدين، والمصارعة إلى التفقه فيه، ومحبة أهل العلم، وإجلالهم، واحترامهم، واحترام الفقهاء، وتعظيمهم، وإقامة الحدود الشرعية على مرتكب الجرائم، وإنكار التهاون فيها أو تعطيلها^(٢).
وربما احتسبوا على القضاة، والولاة إذا بدر منهم الخيف، ولم يراعوا الأمانة في إدارة أمورهم^(٣).

المحتسب المولى حريص على صيانة عقيدة السلف:

يسمى المحتسب المولى وإلى السوق في الأندلس؛ لأن جلّ نظره يتعلق بالسوق وما يدور فيه، إلا أنه من واقع الاستقراء وجد من عمله حراسة العقيدة، وصيانتها، والاهتمام والحث على العبادات، فهناك رسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف لم أقف له على ترجمة، إلا أنه من خلال رسالته تلك ظهر لي أنه عاش في عهد المرابطين^(٤) وقد أشار في رسالته إلى رفع المنكر من المحتسب في الشعائر الدينية، وأن على المحتسب النظر في الصلاة، والحث على أدائها وعدم التقصير فيها، والتأخر عن الجماعة، وكذلك الصيام، والزكاة، والأحباس، وهذه العبادات العظيمة من صميم عقيدة المسلم^(٥).

(١) انظر الخشن، أخبار الفقهاء والمحدثين ص/ ٢٢٦

(٢) انظر المقرئ، نفع الطيب ٢٠٧/١، الأدب الأندلسي ص/ ٧١-٧٣

(٣) المقرئ نفع الطيب ٢٧٥/٣، الأدب الأندلسي ص/ ٧٤

(٤) انظر عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة /س. ص/ ٩٦

(٥) اعتبار الصلاة، والصيام، والزكاة، عقيدة؛ لأن هذه العبادات لا يحافظ عليها، ويؤديها على الصفة الشرعية السلفية، إلا صاحب عقيدة صافية خالصة، ولا يقصر في شيء منها أو يحل بأركانها إلا من عنده دهن في عقيدته، ولاشتمال هذه العبادات على مضمون العقيدة.

كما وجد من مهام المحتسب المولى محاربة العقائد المنحرفة عن منهج السلف مثل: التشيع الذي حاول أدعيائه العبيديون في مصر إدخاله إلى الأندلس، فتنبه لذلك الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر، وأحدث خطة تغيير المنكر المتفرعة عن خطة السوق، وقدم عليها حسين بن أحمد بن عاصم^(١).

كما نجد صاحب السوق وهو: المحتسب في الأندلس يتصدى لما يعتقد أنه مخالف لعقيدة السلف مما يدل على دوره في هذا، وأن واجبه مراقبة انحراف الناس في العقيدة.

ومن ذلك أنه لما أدخل أبو عبد الله الخشني كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد إلى الأندلس من روايته ولم يكن دخلها قبل ذلك أنكر عليه ذلك الفقهاء وكثروا عليه، وأنهبوا شأنه إلى محمد بن حارث صاحب السوق، فأرسل فيه وجيء به فنهروه.

وقال له: (أنت تزعم أن في الحديث ناسخا ومنسوخا؟)

فقال له: هو في القرآن فضلا عن الحديث.

قال وأين هو؟

قال: في قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾^(٢) فنسخه قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(٣) وهل كان أحد يقدر أن يتقي الله حق تقاته، ومصادق ذلك قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(٤) فلم يصغ إليه، ولا فهم عنه، وعجل عليه فأمر بسجنه^(٥).

(١) انظر الفاسي خطة الحمسة ص/ ٧٠.

(٢) سورة آل عمران الآية/ ١٠٢.

(٣) سورة التغابن الآية/ ١٦.

(٤) سورة البقرة الآية/ ١٠٦.

(٥) ابن حبان، المقتبس م.س. ص/ ٢٥٤.

وكان معروفا بالجهل، فلما علم الأمير محمد^(١) بذلك ضحك وأمر بإطلاق
الفقيه محمد بن عبد السلام أبو عبد الله الخشني، واعتذر إليه وأذن له بنشر علمه
فكان لذلك الموقف أثر عظيم على الفقيه محمد بن عبد السلام الخشني، حيث كان
بعد ذلك إذا جلس للإسماع ابتداء القارئ عليه بالدعاء للأمير محمد، وإذا فرغ ختم
به، وفعل ذلك طوال حياته^(٢).

كما أن موقف أصحاب الولايات الأخرى، وعلى رأسهم الأمراء،
والحكام^(٣)، ومن بعضهم القضاة، والفقهاء، والعلماء^(٤) وأصحاب الشرطة^(٥) يقفون
بحزم، وقوة أمام انحراف العقيدة عن منهج السلف الصالح، ويعاقبون عن ذلك
الانحراف بعقوبات صارمة تصل إلى القتل، والصلب، بذلك هموا جانب العقيدة على
المستوى الرسمي من الانحراف.

(١) المقتبس م.س. ص/٢٥٤

(٢) انظر ابن حيان م.س. ص/٢٥٠-٢٥٤

(٣) انظر موقف الخليفة الناصر من الملحد ابن مسرة وزمرته المتقدم من هذا البحث في ص/

(٤) انظر د/عيسى عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس ص/١١٨

(٥) انظر موقف صاحب الشرطة قاسم بن محمد من ابن مسرة المتقدم من هذا البحث ص/

المطلب السادس: علماء الأندلس في الاحتساب في الذب

عن عقيدة السلف في مؤلفاتهم

ومن أمثلة ذلك: ما قام به العلامة ابن حزم القرطبي - رحمه الله تعالى - فكان من أظهر شخصيات عصره في هذا الميدان، فله التصانيف الكثيرة ومنها: كتابه الفصل الذي يعدّ من أشهر ما ألف في التاريخ النقدي للأديان والفرق والمذاهب^(١)، وقد ناقش في كتابه هذا موضوع الإلحاد والزندقة في العقيدة، وبين عوار الملحدّين والزنادقة، وفند شبهاتهم، وردّ أباطيلهم، فبعدّ من أبرز محتسبي وقته في هذا المجال، وفيما يلي ذكر أمثلة من احتسابه في محاربة الإلحاد والزندقة، ونصرة العقيدة الصحيحة السلفية، وإظهارها للناس:

قال ابن حزم - رحمه الله - أثناء كلامه عن الفرق الضالة، الخوارج، والشيعة، وبيان زيغهم: كان أحمد بن حنبل أحد شيوخ المعتزلة - لعنه الله - يقول: إن للشواب دارين:

إحدهما: لا أكل فيها ولا شرب، وهي: أرفع قدرا من الثانية:

الثانية: فيها أكل، وشرب، وهي: أنقص قدرا.

فعلق عليه بقوله: هذا كله كفر محض، وكان لهذا الكافر أحمد بن حنبل تلميذ على مذهبه، يقال له: أحمد بن سابوس، كان يقول بقول معلمه في التناسخ، ثم ادعى النبوة، وقال: إنه المراد بقول الله عز وجل: ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾^(٢).

وكان محمد بن عبد الله بن مرة بن نجيح الأندلسي يوافق المعتزلة في القدر، وكان يقول: إن علم الله وقدرته صنفان محدثان مخلوقتان... إلخ.

(١) انظر حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي (مكتبة الثقافة الدينية الظاهر ط/بدون، التاريخ بدون)

ص/٢٢١

(٢) سورة الصف الآية/٦

قال أبو محمد: وهذا ليس كما ظن بل على ظاهره أنه يعلم ما تفعلون وإن أخفيتم، ويعلم ما غاب عنكم مما كان، أو يكون أو هو كائن.

إنما حمّله على هذا القول طرده لأصول المعتزلة حقا، فإن من قال منهم: إن الله تعالى لم يزل يعلم أن فلانا لا يؤمن أبدا، وأن فلانا لا يكفر أبدا، ثم جعل الناس قادرين في تكذيب كلام ربهم، وعلى إبطال ما لم يزل، وهذا تناقض فاحش لا خفاء به، ونعوذ بالله من الخذلان.

وكان من أصحابه جماعة يكفرون من قال: إن الله عز وجل لم يزل يعلم كل ما يكون قبل أن يكون.

وكان من أصحاب مذهبه رجل يقال له إسماعيل بن عبد الله الرعيني، متأخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد، وأدركته إلا أنني لم ألقه، ثم أحدث أقوالا سيئة فبرئ منه سائر المريّة، وكفروه إلا من اتبعه منهم.

ويواصل ابن حزم - رحمه الله تعالى - حديثه عن فساد عقيدة المعتزلة، والتحذير منها إلى أن قال - رحمه الله -: فاعجبوا لتلاعب إبليس بهذه الفرقة الملعونة، وسلوا الله العافية من أن يكلّكم إلى أنفسكم، فحق لمن دينه أن ربه لا يقدر على أن يهديه، ولا على أن يضلّه أن يتمكن الشيطان منه هذا التمكن، ولعمري إن هذا السؤال لقد لزم أصل المعتزلة المضلّ لهم، ولمن التزمه، والمورد لجميعهم نار جهنم، نسأل الله العافية والسلامة^(١).

قال أبو محمد بن حزم: - رحمه الله تعالى - في صدر بيانه لخطر وفساد العقائد المخالفة لعقيدة السلف - رضوان الله عليهم -: وكان أبو هاشم - أيضا - يقول: إنه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز أن يعمل من الحسنات والخير أكثر مما عمل النبي - صلى الله عليه وسلم -

فعلق عليه ابن حزم - رحمه الله تعالى - بقوله: لا والله ولا كرامة، ولو عمّر أحدنا الدهر كله في طاعة متصلة ما وازى عمل امرئ صحب النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (دار المعرفة بيروت، لبنان ط/بدون،

وسلم - من غير المنافقين والكافرين المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله - صلى الله عليه وسلم - «إنه لو كان لأحدنا مثل أحد ذهباً فأنفقه ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصفه» فمَنى يطمع ذو عقل أن يدرك أحداً من الصحابة مع البون الممتنع إدراكه قطعاً!!!^(١)

وكان أبو محمد بن حزم - رحمه الله تعالى - في احتسابه لبيان العقيدة السلفية، والدفاع عنها ودحض الشبهات عنها وتفنيدها قد سلك الطريق الأمثل والأعدل فتكلم رحمه الله تعالى - بصدق وبحق، وحكم بعدل، وذلك ظاهر وبين في مناقشاته للفرق المخالفة لمنهج السلف - رضوان الله عليهم - وقد بين هو نفسه عن هذا - رحمه الله تعالى - حيث قال: (قد كتبنا في ديواننا هذا من فضائح الملل المخالفة لدين الإسلام الذي في كتبهم من اليهود، والنصارى، والنجوس، ما لا بقية لهم بعدها، ولا يحترى أحد وقف عليها أنهم في ضلال وباطل، ونكسب إن شاء الله تعالى على هذه الفرق الأربع من فواحش أقوالهم ما لا يخفى على أحد قرأه أنهم في ضلال وباطل؛ ليكون ذلك زاجراً لمن أراد الله توفيقه عن مخالفتهم، أو التماذي فيهم؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لا نستحل ما يستحلّه من لا خير فيه من تقويل أحد ما لم يقله نصاً وإن آل قوله إليه؛ إذ قد لا يلزم ما ينتجه قوله فيتناقض، فاعلموا أن تقويل القائل كافراً كان أو مبتدعاً، أو غلطاً ما لا يقوله نصاً كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد، لكن ربما دلوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ليسهلوه على أهل الجهل، ويحسن النظر بهم من أتباعهم، وليبعد فهم تلك العظيمة على العامة من مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة: لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال، ولا على الظلم، ولا على الكذب، ولا على غير ما علم أنه يكون، فأخفوا أعظم الكفر في هذه القضية لما ذكرنا من تأنيس الأغمار من أتباعهم، وتسكين الدهماء من مخالفتهم فراراً عن كشف معتقدتهم صراحاً الذي هو أنه تعالى لا يقدر على الظلم، ولا له قوة على الكذب، ولا به طاقة على المحال، ولا بد لنا من إيضاح ما موهوه هكذا، وإيراده بأظهر عباراته كشفاً

(١) ابن حزم، الفصل م.س. ٢٠١/٤

لتمويههم، وتقرباً إلى الله تعالى بهتك أسرارهم، وكشف أسرارهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

كما أن المحافظ أبا بكر بن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ، قد قام - أيضاً - بجهود عظيمة، ومثمرة في الاحتساب في مجال العقيدة ويظهر ذلك جلياً في دروسه، وفتاويه، ومناظراته، وتواليقه، ومن أبرز تواليقه في هذا المجال: كتابه "العظيم العواصم من القواصم" فقد تصدى في هذا الكتاب لمناقشة الفرق الضالة المخالفة لمنهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - فبدأ بالفلاسفة الملاحدة، فكشف أسرارهم، وبتن زيغهم، وضلالهم، وزيف كلامهم، وردّ على ما تمسكوا به من الشبهات، ثم أعقبها بفرقة الخوارج ثم الرافضة، وناقش كل واحدة منهما فيما تشبث به من الشبهات وردّ عليها كلها، كما أنه قد ناقش الظاهرية في أمور كثيرة، فبين الصواب فيها، ومن أمثلة مناقشته لتلك الفرق احتساباً لله عز وجل ما يلي:

قال رحمه الله تعالى - في أثناء مناقشته للملاحدة: هذه طائفة كادت الدين، وبهرجت على المسلمين، وأرادت التلقيق بين الفلسفة والحمة، وحاولت الجمع بين الشرع المنقول وقضيات العقول القاصرة عن غاية الدليل بذواتها، وحزمت القول بأنه لم يأت رسول إلا بها، ولا دار إلا حولها... ولما تمكنت هذه الطائفة كما قلنا، لم يبق فنّ من الحكم النبوية، والأغراض الفلسفية، والأدلة الجلية، والخفية، والإشارات بعبارات غلاة الصوفية، إلا وقد رصدت عليه أبنية ودست فيه بلاباً، فإذا قرأها من ليس من أهلها هلاك فيها، وإذا قرأها عالم جردها عن فاسدها، وأقامها من مائدها وعدّها عن حائدها، وردّها إلى مالكةا وواحدتها.

فعلق عليه - رحمه الله - بقوله: (إن الله تعالى وله الحمد أنزل كتابه على نبيه نورا محكما هدى تبياناً لم يكن رموزاً، ولا كناية عما لا يتوصل به إليه سامعه، ولا يعلمه مخاطبه، وأقام عشرة أعوام أو ثلاثة عشر عاماً أو خمسة عشر عاماً يجادل بالحجة جميع الكفرة بألف من أي القرآن حسبما بيناه في "أنوار الفجر" فما بقي نوع من الأدلة، ولا وجه من وجوه الحجج إلا وجاء بها على أوضح منهج، وتناولت كل

(١) انظر ابن حزم، الفصل م.س. ١٧٨/٤

حجة طائفة من الملحدة، وأصحاب الطبائع، والصابئة بقدرها، واليهود، والنصارى، والزائغين بقسطها، على نحو ما قالت كل طائفة من الشرك، ولو شاء ربنا لكفهم عن هذه المقالات، وإذا أطلقها على ألسنتهم فقد نص كيف تنقض أقوالهم حسبما تقرر من الأدلة ومن كيفية استعمالها... فواصل - رحمه الله - في بيان ضلالهم وتفنيد حججهم، وإحقاق الحق بدليله^(١).

وقال - رحمه الله تعالى - أثناء رده على الرافضة: ثم قتل عليّ، قالت الرافضة: فعهد إلى الحسن فسلمها الحسن إلى معاوية، ف قيل له: مسود وجوه المؤمنين، وفسقتهم جماعة من الرافضة، وكفرته طائفة لأجل ذلك.

قال القاضي أبو بكر: أما قول الرافضة إنه عهد إلى الحسن فباطل، ما عهد إلى أحد، ولكن البيعة للحسن منعقدة وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره، وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد إلى الحق، والدخول في الطاعة، قالت الوساطة إلى أن تخلّى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة، وتصديقا لوعد نبي الملحمة حيث قال علي المنبر: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فنفذ الميعاد، وصحت البيعة لمعاوية، وذلك لتحقيق رجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فمعاوية خليفة وليس بملك^(٢).

ثم قال - رحمه الله تعالى - بعد ذكره لأقوال الفرق الضالة، الخوارج، والشيعة، وغيرها وشبههم: إنما ذكرت لكم هذال من الخلق، وخاصة المفسرين والمؤرخين وأهل الأدب، فإنهم أهل جهالة بجرمات الدين، أو على بدعة مصرين، فلا تبالوا بما رويوا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا للمؤرخ كلاما إلا الإمام الطبري؛ وغير ذلك هو الموت الأحمر، والداء الأكبر، فإنهم ينشئون أحاديث فيها احتقار الصحابة، والسلف، والاستخفاف بهم...^(٣).

(١) انظر ابن العربي، العواصم من القواصم (مكتبة دار التراث، القاهرة ط/ ١/ ١٤١٧هـ) تحقيق د/عمار

طالبي ص/ ١٠٩-١١٢

(٢) انظر ابن العربي، العواصم من القواصم م، ص. ص/ ٣٢٤

(٣) انظر ابن العربي، العواصم من القواصم م، ص. ص/ ٣٥٢-٣٥٣

كما أن الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - كان أحد أولئك الأعلام الأفاضل الذين كانت لهم جهود مميزة في محاربة البدع وأهلها، ودعوة الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وقد قال رحمه الله - حكاية عن نفسه: (فتردد النظر بين أن أتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتاد الناس، وبين أن أتبعهم على شرط مخالفة السنة، والسلف الصالح، فأدخل تحت ترجمة الضلال عائذا بالله من ذلك، فرأيت أن أتباع السنة هو النجاة، وأن الناس لن يغنوا عني من الله شيئاً، فأخذت في ذلك على حكم التدرج في بعض الأمور... إلى أن قال: (فرجوت بالنظر في هذا الموضوع الانتظام في سلك من أحيا سنة وأمات بدعة)^(١).

فكان - رحمه الله تعالى - ممن برز في مجال مقاومة البدع، وتميزت جهوده بمميزات بارزة في هذا الجانب، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قوله - رحمه الله تعالى - أثناء مناقشته للفرق الضالة: كالفلاسفة، والملاحدة، الذين يقدمون عقولهم المجردة على النقل: (لا يجعل العاقل العقل حاكماً بإطلاق، وقد سبق عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم وهو الشرع، ويؤخر ما حقه التأخير، وهو نظر العقل؛ لأنه لا يصلح تقديم الناقص حكماً على الكامل؛ لأنه خلاف المعقول والمنقول؛ إذا وجد في الشرع أخبار تقتضي ظاهراً خرق العادة الجارية المعتادة فلا ينبغي للعقل أن يقدم بين يديه... إلى أن قال - رحمه الله تعالى - فالخلاصة من هذه القضية أنه لا ينبغي للعقل أن يقدم من بين يدي الشرع، فإنه من التقدم بين يدي الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم^(٢)، وهو مسلك أهل الأهواء^(٣).

(١) انظر أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام (دار ابن عفان، اختير الملكة العربية السعودية ط/٤ سنة

١٤١٦هـ) تحقيق سليم افلاحي ٢٧/١-٣١، عبد الرحمن آدم علي، الإمام الشاطبي وعقيدته (مكتبة

الرشيد الرياض المملكة العربية السعودية ط/١ سنة ١٤١٨هـ) ص/٨-٩.

(٢) انظر أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام م.س. ٣٢٦/١.

(٣) انظر عبد الرحمن آدم، الإمام الشاطبي وعقيدته م.س. ص/٢٨٧.

المطلب السابع: التصوف في الأندلس والاحتساب عليه

التمهيد:

نظرا لعمق التصوف باعتبار أنه فكر عقدي جاء بعد القرون المفضلة، وإن كان بذوره نبتت مبكرة في عهد الخلفاء الراشدين، ثم اتسع وانتشر في ديار المسلمين، فلا يمكن التفصيل والإحاطة به في الأندلس بشكل استقرائي؛ نظرا لطول الفترة الزمنية لذا سأقتصر الحديث على ما أراه ظاهرا جليا من هذا الفكر، وصور الاحتساب فيه.

معنى التصوف:

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقيب اتساع الفتوحات، وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم "الصوفية"؛ إذ كانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد أو الاستدلال لكنهم جنحوا في المسار بعد ذلك حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية، وفارسية، ويونانية مختلفة^(١).

أفكار الصوفية:

ومن أفكارهم ومعتقداتهم: أن الدين شريعة، وحقيقة.
الشريعة: هي الظاهر من الدين، وأنها الباب الذي يخل منه الجميع.
الحقيقة: هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفين الأخيار^(٢).

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان، والفرق، والمذاهب المعاصرة ط/٢

(الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص/٣٣٩

(٢) المصدر السابق ص/٣٤٤

طرق ومدارس الصوفية:

وللصوفية طرق ومدارس فمن مدارسهم: مدرسة الزهد، ومدرسة الكشف والمعرفة، ومدرسة وحدة الوجود، وزعيم هذه المدرسة محي الدين بن عربي، وهو من الأندلس، وهي: تقوم على أن الله في كل شيء، وهو كل شيء، وليس من شيء في الكون على هذا إلا ويستحق التقديس، والإجلال^(١).

ولا شك أن هذه العقيدة، والإيمان بها واعتناقها من أقبح الكفر، وأعظم المنكرات حيث جعلوا المخلوق عين الخالق، وأن الله اتحد مع المخلوق - تعالى الله علوا كبيرا عما يقولون، فمدرسة وحدة الوجود التي يزعمها ابن عربي الصوفي التي صدرها بعد ذلك إلى المشرق، وأصبح لها أتباع ومعتنقون هي من أعظم المنكرات في عقيدة الإسلام^(٢).

ظهور التصوف في الأندلس:

فالتصوف في الأندلس بدأ أو ظهر متأخرا في القرن السادس الهجري، حيث انتشرت الفرق الصوفية وامتدت من شرق الأندلس إلى غربها، حيث ظهر في الشرق عدة فرق صوفية، من أشهرها: "المرية"^(٣) التي ترأسها الصوفي أبو العباس بن

(١) الموسوعة الميسرة م.س. ص/٣٤٧

(٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى ٣٧ جزء، ١٤٥/٣٥ - ١٦٠

(٣) انظر الحميدي الروض المعطار ص/١٨٣ - ١٨٤

العريف^(١)، ثم امتدت مراكز الصوفية فشملت مرسية، وبلنسية^(٢)، وجزيرة شقر، ومالقة، وغرناطة، وقرطبة^(٣)، وقام بنشر هذه الفرق الضالة رجال من الصوفية أمثال:
١- يحيى الدين محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائفي المعروف بابن عربي، صاحب مدرسة وحدة الوجود.^(٤)

٢- وأبو القاسم عبد الجبار البجائي الأستاذ العدوي^(٥).

٣- وأبو بكر بن غاره^(٦).

٤- وابن الإقليس^(٧)، وغرهم^(٨).

والقول بتأخر ظهور الفرق الصوفية في الأندلس حتى القرن السادس لا يعني خلوها من العباد والزهاد منذ فجر الإسلام، فقد وجد فيها كثير من أولئك؛ حتى إن ابن بشكوال فيما يروي ابن الأبار قد صنف كتابا بعنوان "زهاد الأندلس، وأئمتها"^(٩).

(١) انظر ترجمته ابن الأبار، المعجم رقم ١٤/ ص ١٨، ابن فرحون الديباج ص ٥٨.

(٢) السين مهملة مكسورة، وباء خفيفة: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس وهي برية بحرية ذات أشجار، وأنهار، وتعرف بمدينة الزاب باقوت الحموي معجم البلدان ١/ ٤٩٠.

(٣) انظر، د/ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ومستهل الموحدين ط ١ (لبنان، بيروت، دار الغرب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص ٥٠-٥٢.

(٤) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء م.س. ٤٧/ ٢٣، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ص ٢٠٢.

(٥) انظر ابن الزبير صلة الصلة رقم ٥٤ ص ٦٠.

(٦) سبقت ترجمته

(٧) سبقت ترجمته

(٨) انظر، د/ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ومستهل الموحدين م.س. ص ٥١.

(٩) انظر التكملة م.س. ص ٧١٨، الأدب الأندلسي ص ٥٧.

أسباب ظهور التصوف في الأندلس

الزهد هو: طريق من طرق التصوف أو هو أول درجاته، وكما هو معروف فإن الزهد والورع من أسباب رد فعل معاكس لحياة الترف والإشراف، والمتعة، وقد وجد هذا في الأندلس لطبيعة ما حباها الله من أنهار جارية، وجنات وحدائق، وهواء عليل، وخيرات وفيرة، مما جعل الناس يتوسعون في ذلك، ويبالغون في المتعة، ويسرفون، حتى وجد الزهد الشديد من أبناء الأمراء، فهذا الأمير عبد الله بن عبد الرحمن أثار ما كان عليه أبوه من السرف، والترف في البناء، أثار في نفسه الزهد الشديد مما جعله يتآمر على أبيه، ولكن محاولته باءت بالفشل فألقي القبض عليه، وقتله أبوه في يوم عيد الأضحى سنة/٣٣٩هـ^(١)، ثم كثرت التصوف في الأندلس حتى أصبحت لهم مقابر تعرف بمقابر الصوفية^(٢).

ومن الملفت للانتباه وجود التصوف في الأندلس مع كراهية الأندلسيين للتواكل والخمول.

يقول المقرئ فيما ينقله عن مؤرخي الأندلس المتقدمين: (وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تكسل عن الكد، وتخرج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى النهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب مسبوه، وأهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه فلا تجدد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر)^(٣).

ورغم ذلك وجد التصوف، ولكن ربما يكون أسباب إقبال الناس على التصوف، هو: الترف، والانغماس في الشهوات، وزاد من ذلك سقوط المعازل

(١) انظر الأدب الأندلسي ص/٥٧

(٢) انظر ترجمة عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي المولد في سنة/٥١٦هـ، الموفى في سنة/٦١٦هـ حيث

حاجت في ترجمته (ودفن في مقابر الصوفية) المقرئ نفح الطيب ١٥/٢

(٣) المقرئ نفح الطيب م.س. ص/٥٧

الأندلسية الشهيرة في أيدي النصارى، حتى جاء نهاية القرن السابع الثامن، فإذا بالصوفية تحتل مكانا خاصا في المجتمع الأندلسي.

ثورة الصوفية على المرابطين:

وكما أسلفت كثرت الفرق الصوفية في القرن السادس الهجري في دولة المرابطين، ومن المعلوم أنها دولة سنية سائرة النهج السلفي، وقربت الفقهاء، واعتنت بالعلم ونشره، وخاصة علم الفروع، وقربت أهله.

يقول المراكشي: (و لم يكن يقرب من أمير المؤمنين، ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع - أعني: فروع مذهب الإمام مالك - فنفتت في ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله، وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء، ودان أهل ذلك الزمان بتكفير من ظهر منه اخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكرهية السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد في اشتباه هذه الأقوال حتى استحکم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ اخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي - رحمه الله - المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها، وتقدم بالوعيد الشديد من سفك الدم، واستئصال المال، إلى من عنده شيء منها، واشتد الأمر في ذلك^(١).

من هذا يتضح شدة موقف المرابطين على كتب الغزالي، والتحذير منها، والوعيد الشديد لمن وجدت بحوزته، حتى صدرت فتوى - أجمع عليها فقهاء قرطبة وعلى رأسهم قاضي قضائتها أبو عبد الله بن حمدين - بحرق كتاب الإحياء^(٢).

فما كان من الأمير أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين إلا أن أمر بإنفاذ هذه الفتوى، فكان لهذا الموقف الاحتسابي نتيجة عكسية فأعلن المتصوفة "المريدين"

(١) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب م.س. ص/٢٤٦-٢٢٧

(٢) انظر د/ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين م.س. ص/٣٨

الثورة على المرابطين، حيث أنكروا ذلك وقرروا الثورة عليهم، حتى استطاعوا زعزعة أمن الدولة، وساعدهم في ذلك الموحدون الذين كانوا يعدون العدة للإطاحة بدولة المرابطين، وقد استغل ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين حرق كتاب الإحياء للغزالي لصالح أهدافه وأغراضه^(١)، وكان ثورة "المريدين" من أسباب سقوط دولة المرابطين^(٢).

أول من أعلن الثورة على المرابطين:

فقد كان أول من أعلن الثورة على المرابطين في الأندلس أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي^(٣) المتصوف، متزعمًا لطائفة من المتصوفة "المريدين" فاستولوا على قلعة "ميرتلة" إحدى القلاع المنيعة بغرب الأندلس أوائل سنة ٥٣٩هـ، وكان في شرق الأندلس صاحب مدرسة "المريّة" الصوفي الكبير أبو العباس ابن العريف، وصديقه أبو الحسن بن غالب^(٤)، أما أبو الحكم بن برجان^(٥) فيبدو أنه شيخ الصوفية في الأندلس ومقره مدينة إشبيلية.

طوائف الصوفية في الأندلس:

وكانت الصوفية طوائف وأجنحة فمنهم:

١- من كان معتدلاً وملتزماً بالكتاب والسنة، وعلى رأس هؤلاء ابن العريف، وابن الحسن بن غالب.

(١) الأندلس في نهاية المرابطين م.س. ص/٣٨

(٢) الأندلس في نهاية المرابطين م.س. ص/٤٩ وما بعدها

(٣) انظر ترجمته ابن الأبار الحلة السراء ١٩٧/٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص/٢٤٨

(٤) انظر في ترجمته ابن الزبير صلة الصلة رقم/٢٠١، ص/٩٩-١٠٠

(٥) انظر في ترجمته ابن الزبير صلة الصلة رقم/٤٥ ص/٢٢-٢٣

- ٢- وجناح يميل إلى المذهب الظاهري، وزعيمهم أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي^(١)، وأبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالسيوقي^(٢).
- ٣- وجناح متطرف في الغرب، ويتزعمه ابن قيسي، ويميل إلى المذهب الباطني، ويعلن الحرب، والثورة المسلحة على المرابطين.

طائفة "المريدين" تقوم بحوادث تزعزع أمن الدولة:

ثم إن المتصوفة "المريدين" كثروا وعظم أتباعهم وكثر سوادهم، وجرت حوادث نسبت إلى المريدين زعزعت الأمن، وأقلقت السلطة الحاكمة، وبسببها قامت السلطة بمراقبة ومتابعة تحركات "المريدين"^(٣) ومن هذه الحوادث:

- ١- اغتيال القاضي أبي عبد الله محمد بن الحاج^(٤) قاضي الجماعة بقرطبة، حيث طعن وهو في السجدة الأولى في صلاة الجمعة^(٥).
- ٢- قيام عامة أهالي قرطبة باقتحام الحي الذي يقطنه اليهود، حيث اقتحموا منازلهم، وانهبوا أموالهم، وقتلوا عددا منهم^(٦).
- ٣- الاعتداء على القاضي أبي بكر العربي قاضي الجماعة باشبيلية، إذ هاجمه البعض واعتدوا عليه؛ وذلك لشدة في معاقبة الجناة ومحاربة الفساد، وقد عرف عن ابن العربي ميله إلى المرابطين؛ لذا نفر منه الصوفية حتى إن الزاهد أبا عبد الله بن

(١) انظر في ترجمته ابن عبد الملك الذيل والتكملة صفر/٦ رقم/٤٥٢ ص/١٦٩

(٢) انظر في ترجمته ابن عبد الملك الذيل والتكملة صفر/٦ رقم/٢٦٠ ص/١٧

(٣) انظر رسالة ابن العريف إلى صديقه ابن غالب (رقم/٢٠-٢٧) والأندلس في نهاية المرابطين ص/٦٥

(٤) قال عنه ابن بشكوال: (كان من حلة الفقهاء، وكبار العلماء، معدودا في المحدثين والأذكياء، بصيرا بالفتيا راسخا في الشورى، وكان له مجلسا بالجامع بقرطبة يسمع الناس فيه؛ وكان في ذاته نينا صابرا، ظاهرا، حلما متواضعا لم يحفظ له جور في قضية، ولا ميل بهوادة، ولا أصفى إلى عناية) ابن بشكوال م.س. رقم/١٢٧٨ ص/٥٥٠، النباهي م.س. ص/١٠٢

(٥) انظر ابن عذارى م.س. ص/٩٣

(٦) ابن عذارى ص/٩٢

المجاهد الإشبيلي شيخ الصوفية بها انقطع عن دروسه فلما سئل عن ذلك قال:
(كان يدرس ويقتله عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان)^(١).

واتهام المريدين بهذه الحوادث يدل على أنهم من الجناح المتصوف، وأنهم بدءوا مرحلة الثورة والتنفيذ؛ لذا تنبّهت السلطة إلى خطرهم فشددت المراقبة عليهم، وأخذت تتبع حركاتهم، واتصالاتهم، وهذا من احتساب السلطة الحاكمة على ذلك المنكر، وحصل بعد ذلك تضيق؛ ولذا حدث خلاف بين أجنحتهم المختلفة، وأنكر بعضهم على بعض تصرفاتهم التي جرّت عليهم الشدة، والتضيق من قبل السلطة.

ابن العريف ينكر على فرق الصوفية، ويدعوهم إلى الاعتدال:

ومن أعظم المنكرين على تصرفاتهم - كاللجوء إلى العنف، والقوة بشأن تغيير الحكم، واستعمال القوة من أجل ذلك - ابن العريف^(٢)؛ ولذا هاجموه ومن نحا طريقه من شيوخ المريدين، وكادت تحدث فتنة تقضي على الجماعة كلها، مما جعل ابن العريف يرسل عدة رسائل إلى جماعة قرطبة منها التعقل، والوعظ برفق والابتعاد عن العنف، كما أكد علي ابن المنذر بالأنا يساق وراء الدعاوى المضللة، وعدم الإنكار عن السلطان، وكان ابن العريف يرى أن التفكير في تغيير الحكم وتبديله بدعوى أن يأتي حكم آخر أصلح من سابقه هو تفكير خاطئ.

ويظهر ابن العريف بهذه الآراء - كالدعوة إلى الالتزام بالعقل، والبعد عن العنف، ومهاجمة السلطة، والتفكير في التغيير بالقوة، ومناصحته في رسائله لرجال من

(١) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة م.س. رقم/١٢٦١/ص/٦٦٦

(٢) استنكر ابن العريف الإنكار على السلطان؛ (لأنه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر على شيء من قوله أو عمله إلا بشروط منها: السر، والرفق، والعلم الكامل، وارتفاع النية، وسلامة النية، وأن لا يراء بذلك إلا وجه الله وحده، يشهد بذلك الأحوال من الناصح، والسلطان، والوقت) وأسل إلى جماعة قرطبة يعرفها بحقوق الحكم والفقهاء، ومن في مستواهم فيقول: (وأؤكد ذلك حقوق الحكم، ثم حقوق الفقهاء، ثم حقوق النسويين إلى السر والصيانة، ومن رأى منكراً ظاهراً بينا فعليه بخاصة نفسه) من رسائله إلى جماعة قرطبة (٧٣)، الأندلس في نهاية المرابطين ص/٦٥-٦٦

الصوفية - أنه أحد المحتسبين على الصوفية المتطرفين الداعين إلى القوة والفتنة، وهو بهذا النهج يمثل الجناح المعتدل في الفكر الصوفي، والملتزم بالكتاب والسنة؛ لذا قام المريدين بمهاجمته، ومن سلك نهجه المعتدل^(١).

ثم وقع الخلاف بين فرق المريدين بين مؤيد لآراء ابن العريف، ومعارض لها، ويتدخل ابن يرجان ويطلب لقاء ابن العريف في إشبيلية، ولكن ابن العريف يعتذر عن ذلك لمرضه^(٢)، ثم ارتفعت الأصوات التي تحذر السلطان منهم.

يقول ابن الخطيب: (كثر جمعهم ووقع الحديث بهم، وحذروا صاحب الدولة فتفرقوا)^(٣)، فنشطت سلطات الأمن في تتبع المريدين، وتضاعفت المراقبة خاصة في

(١) انظر د/ عصمت دندش الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين م.س. ص ٦٦/

(٢) ثم أرسل ابن العريف إلى ابن المنذر مسفهاً لآراء المهاجمين وأنصار استعمال القوة قائلاً: (من الناس -

أكرمك الله - ضعيف الحلم، قليل العلم لا يعرف أصول الدين، ولا يميز حقائق اليقين، ولا يفهم بحاري

أحكام الله - سبحانه وتعالى - في خلقته؛ لإعجابه بحاله وطريقته يهجم على أهل الفضل والورع،

ويسالم أهل الأهواء والبدع) من رسالته إلى ابن المنذر (و/٩٩)

١- كتب ابن العريف (لا تكونوا ممن إذا وعظ عنف، وإذا وعظ أنف، وتزينوا بالرفق، ولا تشيخوا

أعمالكم بالعنف، من رسالته إلى جماعة قرطبة (و/٧٩).

٢- كتب إلى ابن المنذر فلا يكونن شيء أحب إليك من تعلم المسألة، من رسالته (و/٩٨)، وفي رسالة

أخرى لابن المنذر (فكن كما أنت في إكرام الكبراء، وإنعاش الفقراء، ولا تبالي لمن عاداك ظالماً لك)

(و/١٠٠)

يقول ابن العريف: (بكى الناس في ملك بني أمية، وتكلموا فيه حتى تكلموا في المهدي فانقضى ملك بني

أمية وظهر المهدي فإذا هو ملك بني العباس، وحين ظهر وقع الناس في الندم وبكوا على ملك بني أمية

بالدمع، والدم، ورأوا من سفك الدماء، وانتهاك الحرم بخلاف ما ظنوا، ولا يقدر قدره إلا الله تعالى)

من رسالته إلى ابن المنذر (و/٩٩)، انظر رسائل ابن العريف (٢٨)

(٣) ابن الخطيب م.س. ص ٢٤٩

منطقة الغرب، وتمكن ابن قسي من الفرار واختفى في قرية الجوزة من قطر مرتله^(١)، وقبض على طائفة من أصحابه منهم أبو الوليد بن المنذر^(٢).

ويدرك ابن العريف الأخطار التي جرّها عليهم تهور هؤلاء المتطرفين من المريدين وأصبحت الفتنة متوقعة لا محالة فيقول: (سال سيل الفتنة، ونحن طريقه، وعشى ليل المحنة وفينا فريقه، وانخسعت الأرض، فيها المسيء والبريء، فعمهم الله بالعدل فيما جاء، ويخص خاصتهم فيما يجيء^(٣)).

آراء ابن العريف بشأن غضب الفقهاء والقضاة:

وقد أثار آراء ابن العريف طبقة الفقهاء والقضاة الذين سماهم (علماء أهل السوء، وكبراء أهل الدنيا المغرورين)^(٤) وخاصة في شرق الأندلس وعلى الأخص في المرية، وتزعم الحملة ضده قاضي قضاة الشرق أبو محمد بن أسود^(٥)، وقد دفعه إلى ذلك حسده على منزلة ابن العريف بين الناس، وحبهم له واشتعار أمره بينهم، فاتفق مع فقهاء المرية على إنكار مذاهبه، وسعوا به إلى أمير المؤمنين وحذروه من جانبه^(٦).

(١) المصدر السابق ص/٢٥٠

(٢) ابن الأبار، الحلة م.س. ص/٢٠٣

(٣) من رسالة ابن العريف إلى سيد الملقى (و/٨٠)

(٤) استطاع ابن العريف من خلال وظيفته كمحتسب أن يكون على مقربة من الحكام، والولاة، والقضاة، والفقهاء، الذين يكتزون الذهب والفضة، وقد وصف هؤلاء الفقهاء بقوله: (كان الكبر، والفخر، والسرور يجمع الدنيا في وجوههم باديا وناموا واتكوا بجنوبهم على الذين من الملبوس إشارا لراحة النفوس عملا متماديا، واعتمدوا بظهورهم على صدور المجانس زعوا على الخواطر المجانس ظاهرا باديا وأي ظهور لم تنفل بأعباء الدين، ولا نشطت للقيام بأمور المساكين بل خفت واستراحت بطرحها لأثقال الأمانة وقامت بشرائع أمثالها أهل العجز والغيانة...) انظر الجزء الخاص بتولي ابن العريف الحجة ولما ذا قبلها؟ ولما ذا تخلى عنها، المعجم (و/٢١-٢٧)

(٥) ابن الأبار م.س. رقم/١١٦/ص/١٢٦

(٦) ابن الأبار م.س. رقم/٣٤/ص/١٨

مع أن سلوك ابن العريف وآرائه كما تبين من رسائله تدل على التزامه بالكتاب والسنة، والإلحاح على مريديه باتباع هذا السبيل.

العلماء يحرضون الولاة على قبض ابن العريف:

وقد نجح القاضي ابن أسود في مقابلة أمير المسلمين علي بن يوسف وأوغر صدره بنجاح ابن العريف، وحرضه على سجنه، وخوفه منه غاية التخويف^(١)، ولكن ابن أسود لم ينتظر أمير الأمير واستطاع إقناع عامل المربة بغضب الأمير علي بن يوسف وحرضه على القبض على ابن العريف فألقي القبض عليه، وكبل، وأرسل على متن سفينة إلى مراكش، فلما علم الأمير بذلك غضب على تسرعهم، وأمر بإطلاق سراح ابن العريف، وأمر بتكريمه فقد كان يقدر فضله وصلاحه^(٢).

كما أن الصوفي أبا الحكم بن يرجان أرسل على نفس السفينة من إشبيلية، وكذلك رفيقهم الثالث أبو بكر الميورقي الذي أرسل من غرناطة، ولكن معاملة الأمير لابن يرجان والميورقي اختلفت عن ابن العريف، حيث أمر أمير المسلمين بجلد أبي بكر الميورقي ووضعه في السجن^(٣).

بينما كان غضب علي بن يوسف على أبي الحكم بن يرجان كبيرا مما يدل على أنه كانت توجد ضده أدلة واضحة على تورطه في أحداث المرينيين خاصة بعد مبايعته بالإمامة في عدد كبير من مدن الأندلس؛ لذا لم يكن الأمير مطمئنا إليه، فلم يصفح عنه حتى إنه عند ما توفي - بعدها بشهور قليلة من نفس العام الذي توفي فيه

(١) النادلي، التشوف رقم ١٨/ص ١١٦

(٢) انظر ابن الأبار م.س. رقم ١٤/ص ١٩

(٣) عفى الأمير علي بن يوسف عن الميورقي، وأمر بتصريحه، فعاد إلى الأندلس، وأقام بها قليلا ثم غادرها

إلى الجزائر وتوفي ببجاية سنة ٥٣٨هـ، انظر ابن عبد الملك الذيل والتكملة رقم ٤٥٢/ص ١٦٩

ابن العريف^(١) - أمر أن تطرح جثته على المزبلة ولا يصلى عليه، كما أنه لم يمنع أو يعاقب من تجمع للصلاة عليه^(٢).

ويبدو أن التصرف المتسامح للأمير شجع الأطراف المتطرفة على استغلال هذا التسامح^(٣).

ابن قيسي وشيعته يخططون للوصول إلى الحكم

وبعد وفاة هؤلاء الثلاثة المتقدم ذكرهم تخلص المرابطون من أكبر زعماء المريدين، ولكن الميدان أصبح خاليا أمام مدعي التصوف والترهد، بل أمام الفئة المتطرفة من المريدين وعلى رأسهم أبو القاسم أحمد بن قيسي، وأصبح شيخ الصوفية في الأندلس بغير منازع، واستطاع بما أوتي من مواهب نادرة أن يجمع حوله كثيرا من المريدين الذين انخدعوا بآرائه ومظهره، فكانوا في الظاهر طائفة دينية أو فرقة صوفية، وفي الحقيقة أداة سياسة استخدمها ابن قيسي في تحقيق مطامعه للوصول إلى الحكم.

وهذه الدعوى المبطنة من أخطر ما ابتلي به المسلمون، وأصبحت من أشد العوائق في طريق الدعوة والحسبة.

ثم ادعى ابن قيسي أنه على مذهب الإمام الغزالي الذي أمر المرابطون بإحراق كتبه، ثم قوي شأنه وأخذ يعقد الاجتماعات مع مريديه، وتسمى بالمهدي والإمام، فتتابع الناس إليه بالرحيل، وكثر أتباعه والمعجبين به^(٤).

(١) ذكر ابن الخطيب أن وفاة ابن العريف وابن برحان في سنة ٥٣٧هـ بينما ذكر ابن الأبار والنادي وابن خلكان في سنة ٥٣٦هـ.

(٢) انظر، النادي م.س. رقم ٥١/ص ١٧٠.

(٣) انظر الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين م.س. ص ٧٠.

(٤) يقول ابن الأبار: (وكثرت مخاريقه، واشتهر عنه أنه حج ليلته، ويناجي بما شاء، ويتفق من الكون) ابن الأبار م.س. ص ١٩٧، وانظر ابن الخطيب م.س. ص ٢٤٩.

ثم بدأ مرحلة الهجوم والثورة فأوعز إلى أحد طائفته بمهاجمة حصن فتيقوط^(١)، ولكن المحاولة باءت بالفشل^(٢).

وبعد ذلك الفشل كرس جهوده، وأخذ يعد العدة للمعركة الحاسمة، وأخذ يجمع حوله الجمع، ويتزايد مريديه وأتباعه، واتخذوا التهليل والتكبير شعاراً لهم^(٣). ثم اختص رجالاً آثرهم بدعوته السرية واعتمد عليهم في نشر دعوته لما رأى منهم من صرامة، ودهاء، وشجاعة، وبلاغة^(٤).

ثم أخذت جموع ابن قيسي تتزايد بانضمام الناس إليه سواء مؤمنين بإمامته أو طمعاً فيما يذله من مال ووعود بركة.

يقول ابن الخطيب: (فأجزل العطاء من غير عمل، ولا خراج، وكان إذا أعطى يكثر بيده من غير عدد، وكان أصحابه يقولون للناس إن المال يتكون عنده من فراغ)^(٥).

ثم إن ابن قيسي رأى أن الوقت قد حان فخلع القناع الديني وظهر بصورة الزعيم الشعبي الذي يدعو إلى تحرير البلاد من نير المغتصبين، وزحف إلى حصن ميرتله واقتحمه، واستطاع الاستعلاء عليه، وكان شعارهم التهليل والتكبير، وتسمى بالإمام وندب الناس إلى الثورة على المرابطين، ثم أعلنت بعض الثغور الدخول في

(١) هو حصن منت أقوط من نواحي باجة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان سفر ٢ تحقيق عبد الله نيهان ص/٣٨٥

(٢) انظر ابن الخطيب، م.س. ص/٢٥٠

(٣) انظر ابن الأثير م.س. ص/١٩٨

(٤) انظر د/ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين م.س. ص/٧٢-٧٣

(٥) انظر ابن الخطيب م.س. ص/١٥٠-٢٥١

دعوته وانضمت إليه، ثم استولى على حصن مرجيق^(١) من أعمال شلب^(٢) وقتلوا المرابطين الموحدين به، ثم دخلوا باجية، ثم مدينة ولية، ثم استولت قوات المريدين على لبلة^(٣).

ثم انظر كيف انتهى أمر هذا الصوفي الخارجي، فأوله عبادة، وذكر، وتهليل، وتكبير، ثم اجتماعات سرية، وتخطيط للثورة على ولي الأمر، وطمع في مناصب سياسية، ثم ثورة، وقتال، وسفك للدماء، وتفريق للجماعة، وخروج على الإمامة، وفتن عظيمة في البلاد، استطاعت أن توهم قوة المسلمين، وأن تساعد النصارى المتربصين بالمسلمين، واستطاع هؤلاء المريدين أن يكونوا من أسباب سقوط دولة الموحدين، وما صاحب ذلك من فتن وحروب^(٤).

ومنذ ذلك الحين وبمساعدة الموحدين ظهر الاتجاه الصوفي في الأندلس بارزا، حتى صدرت الأندلس للمشرق بعض زعماء التصوف من أشهرهم ابن عربي^(٥) القائل بوحدة الوجود الذي تزعم تلك المدرسة الصوفية الكفرية الذي كان لها آثار سيئة على الفكر العقدي في العالم الإسلامي^(٦).

(١) بالضم ثم السكون، وكسر الجيم، وباء نحتها نقطتان ساكنة، وقاف حصن من أعمال أكشونية

بالأندلس، ياقوت الحموي معجم البلدان ١٠٣/٥

(٢) بكسر أوله، وسكون ثانيه، وأخره باء موحدة، وقيل بفتح الشين، وهي مدينة بغربي الأندلس، ويكثر

من أهلها قول الشعر، ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٥٧/٣

(٣) انظر ابن الأبار م.س. ص ١٩٨-٢٠٣-٢٠٤، ولينة: بفتح أوله ثم السكون، ولام أخرى قصة كورة

بالأندلس كبيرة، وهي برية بحرية غزيرة الفصائل والشجر والزرع، والشجر، ياقوت الحموي معجم

البلدان ١٠/٥

(٤) انظر ابن الخطيب، م.س. ص ٢٥٠

(٥) انظر ترجمته ابن كثير، البداية والنهاية ٥٦/١٣، الذهبي، ميزان الاعتدال ١٠٨/٣، الزركلي، الأعلام ٢٨١/٦

(٦) انظر ما كتبه الإمام الشيخ تقي الدين الفاسي - رحمه الله - عن عقيدة ابن عربي، وحياته، وما قاله

المؤرخون، والعلماء فيه، ضبط وتعليق علي حسن علي عبد الحميد ط/٢ (الملكة العربية السعودية

الدمام، دار ابن الجوزي) ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

ثم نما التصوف وازداد إقبال الناس على الصوفية خاصة بعد سقوط المعادل الأندلسية الشهيرة، وكان الترف والانغماس في الشهوات من أسباب ذلك حتى جاء نهاية القرن السابع الهجري وبداية القرن الثامن، فإذا بالصوفية تحتل مكانا خاصا في المجتمع الأندلسي^(١).

الاحتساب على الصوفية:

أما الاحتساب على الصوفية والمتصوفين، فقد مرّ سابقا موقف أمراء المرابطين، ومخاربتهم للصوفية، وكيف وقفوا منهم ذلك الموقف العظيم الذي يسجل لهم، فكان منهم الإنكار، والتهديد والوعيد، ثم القبض عليهم، والنفي للمغرب، والتشديد، والتضييق، ومتابعتهم حتى إن ابن قيسي لم يكن له الإفلات من أيديهم لو لا تخفيه عن أعينهم، وكتمان أمره، ولم يستطع المريدون الخروج إلا بعد ضعف المرابطين في الأندلس، وسقوط بعض المعادل الإسلامية في أيدي النصارى، وظهور قوة الموحدين وساعدوهم في تقويض قوة المرابطين ومن ثم سقوطهم.

كما وجد الاتجاه السلفي الذي يحث على التزام مذهب السلف عقيدة وسلوكا، ويحذر من البدع، ومحدثات الأمور، وقد كان ابن عبد البر، وابن العربي، وغالب علماء الحديث في الأندلس من أنصار هذا الاتجاه، ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الأموي الأشبيلي المشهور بابن الرومية (٥٦١-٦٣٧هـ)^(٢) فقد كان محتسبا على البدع وأهلها، ومنكرا لها، وهذا أبو جعفر بن الزبير كان خاتمة المحدثين، وصدر العلماء المقرئين في عصره له تأليف اسمه "ردع الجاهل عن اغتياب الجاهل" في الرد على الشودية وهي فرقة من فرق الصوفية معروفة في المغرب حتى الآن، كما يفهم من تعليق عنان على الإحاطة^(٣)، ومنهم أبو عبد الله بن رشيد واسمه محمد بن

(١) انظر، علي محمد الزيري، ابن جزري ومنهجه في التفسير ط/١ (دمشق دار القلم) ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص/٨٠-٨١

(٢) انظر، علي محمد الزيري، ابن جزري ومنهجه في التفسير ٨٠/١

(٣) انظر، ابن الخطيب م.س. ١٩٠/١

محمد بن عمر الفهري يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن رشيد ولد في سبتة سنة/٦٥٧هـ، وتوفي سنة/٧٢١هـ^(١).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: أخبرني ابن المرباط قال: كان شيخنا ابن رشيد على مذهب أهل الحديث في الصفات يمرها ولا يتأول، وكان يسكت لدعاء الاستفتاح، ويسر البسملة فأنكروا عليه وكتبوا عليه محضرا بأنه ليس مالكيًا، فاتفق أن القاضي الذي شرع في المحضر مات فجأة وبطل المحضر^(٢).

وقد تأثر بابن رشيد علماء في هذا النهج السلفي كتلميذه ابن جزري؛ ولذا قلّ اهتمام واعتناء المالكية بكتب ابن جزري ككتاب القوانين الفقهية، وتفسير ابن جزري^(٣).

(١) انظر، ترجمته في الإحاطة ١٣٥/٣-١٤٣، وفي الدرر الكامنة ٢٢٩/٢-٢٣١، وفي أزهار الرياض

٢٤٧/٢-٣٥٢، وابن جزري ١٧٨/١

(٢) انظر، ابن حجر، الدرر الكامنة ٢٣٠/٤-٢٣١

(٣) انظر محمد علي الزبيري، ابن جزري ومنهجه في التفسير م.س. ١٨٠/١-١٨١

لمبحث الثاني

الاحتساب على الدعوة إلى الإسلام والجهاد في

سبيل الله

توطئة:

مما لا شك فيه فرضية الجهاد على المسلمين، وترغيبهم فيه، وحثهم عليه، ووعدهم عليه بالأجر الجزيل؛ إذ به تظهر قوة الإسلام، ويأمن المسلم على دمه، وعرضه وماله، ويعبد الله سبحانه وتعالى، ويكون الدين لله، وهذا هدف سام وغاية عظمى من غايات الجهاد، في الإسلام، فهو وسيلة لنشر هذا الدين، والدعوة إليه فقد دعا القرآن الكريم إلى الجهاد ورغب فيه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾^(١)

بعض الآيات الدالة على مشروعية الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾^(٢)

قال أبو العالية: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقاتل من قاتله، ويكف عن كفا عنه حتى نزلت براءة^(٣). قول تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾^(٤) وقال الله عز وجل: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٥) قال الحافظ ابن كثير: - رحمه الله تعالى - هذه الآية الكريمة أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا واستقامت جزيرة العرب، أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بقتال

(١) سورة الحج آية ٣٩

(٢) سورة البقرة الآية/ ١٩٠

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم م.س. ٢٣٢/١

(٤) سورة التوبة الآية/ ٣٦

(٥) سورة التوبة ٢٩

أهل الكتاب اليهود والنصارى، وكان ذلك في سنة تسع؛ ولهذا تجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك وأظهره لهم وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم للجهاد معه، واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفاً^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُمْ أُمُوتُوا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢) قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾^(٣).

فهذه الآيات الكريمات فيها الأمر بالجهاد وقتال المشركين، وأهل الكتاب، والمجوس، والوثنيين؛ ليبقى الدين الإسلامي الحنيف قويا ساميا شامخا ظاهرا خالصا لله وحده لا شريك له، وفي ذلك دلالة واضحة وبينية على فضل الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، وشرفه، وعظم منزلته.

بعض الأحاديث الدالة على فضل الجهاد في سبيل الله

١- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي، وتصديقا برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر، أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك، والذي نفس محمد بيده لو لا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لو ددت أني أغزوا في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»^(٤).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم م.س. ٢/٣٦٠-٣٦١

(٢) سورة آل عمران ١٦٩

(٣) سورة التوبة الآية/٣٦

(٤) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله

برقم/١٠٣، ١٤٩٥/٣

٢- وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا، ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة»^(١).

٣- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - «ما يعدل الجهاد قال: لا تستطيعوه. قال فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، وقال في الثالثة: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»^(٢).

٤- وسئل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(٣) قال: أما إنا قد سألتنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»^(٤).

(١) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم/١٠٨، ١٤٩٨/٣

(٢) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، برقم/١١٠، ١٤٩٨/٣

(٣) سورة آل عمران الآية/١٦٩

(٤) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمامة، باب بيان أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون برقم/١٢١، ١٥٠٢/٣

٥- وعن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال هذه في سبيل الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لنك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»^(١).

٦- وعن أبي موسى الأشعري^(٢) - رضي الله عنه - أن رجلا أعرابيا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا - أعلى - فهو في سبيل الله»^(٣).

٧- وعن سهل بن حنيف^(٤) - رضي الله عنه - قال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منزل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٥).

٨- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق» قال عبد الله

(١) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعفها برقم/١٣٢، ١٥٠٥/٣

(٢) هو عبد الله بن قيس بن سليم الإمام الكبير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المحدث، وأول مشاهده خير، وتوفي - رضي الله عنه - سنة/٤٢هـ انظر ابن حجر الإصابة/٤/١١٩

(٣) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله برقم/١٤٩، ١٥١٢/٣

(٤) أبو ثابت الأنصاري الأوسي العوفي، والد أبي أمامة بن سهل شهد بدرًا، والمشاهد، توفي بالكوفة سنة/٣٨هـ، وحديثه في الكتب الستة، انظر السير ٣٢٥/٢

(٥) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى برقم/١٥٦، ١٥١٧/٣

بن المبارك: فترى أن ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

٩- وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه^(٢) - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا وإن القوة الرمي، ألا وإن القوة الرمي، ألا وإن القوة الرمي»^(٣).

فهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة قد بينت فضل الجهاد ومنزله، وما ينبغي للمجاهد أن يكون عليه من الصفات والأخلاق الكريمة، والاستعداد التام بالوسائل التقوية في هذا المجال؛ ليتمكن من مواجهة أعدائه وأعداء الله عز وجل لغرض إعلاء كملته، وبقاء دينه صافيا نقيًا فيفوز بسعادة الدارين.

المطلب الثاني: الجهاد والدعوة إلى الإسلام في الأندلس

نبذة موجزة عن الجهاد في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية

لما أمن المسلمون الأوائل بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من نصوص عظيمة تدعو إلى الجهاد، وترغب فيه أخذت نفوسهم تتشوف إليه وترغب فيه، فخرجوا من الجزيرة شرقًا وغربًا مجاهدين في سبيل الله حيث رأوا فيه وسيلة عظيمة لنشر هذا الدين والدعوة إليه، فدخل الإسلام إلى إفريقية مبكرًا، فكان الجهاد والدعوة إلى الإسلام متلازمين لا يتفصلان، فإذا وجد الجهاد وجدت الدعوة إلى

(١) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه

بالغزو، برقم/١٥٨، ٣/١٥١٧

(٢) هو: عقبة عامر الجهني الإمام المقرئ، ي أو عيسى المصري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وكان عانا مقرنا فصبها فرضيا شاعرا كبير الشأن توفي سنة/٥٨ هـ انظر السير ٢/٤٦٧-٤٦٨

(٣) أخرجه مسلم - رحمه الله - انظر صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه

ثم نسيه برقم/١٦٧، ٣/١٥٢٢

الإسلام وانتشرت؛ إذ مهمة الجيش الإسلامي في الحقيقة الدعوة إلى الإسلام فهو جيش عقيدة يدعو إليها ويحارب من أجل تحقيقها^(١).

وقد دخل الإسلام إلى الأندلس على يد المجاهد طارق بن زياد بأمر من والي الشمال الإفريقي موسى بن نصير^(٢)، ثم أخذ الجند في الدعوة إلى الإسلام ونشره بين أهل البلاد الجديدة، وكانوا داعين إليه بأعماضهم قبل أقوالهم، مما جعل أهل البلاد يقبلون على اعتناق هذا الدين ثم حمله والدعوة إليه والانضمام إلى الفاتحين.

ثم تتابع الولاة على الأندلس، فأولوا الجهاد في سبيل الله عناية كبيرة وأخذوا في نشر الدين والجهاد في سبيله حتى قتل كثير من أولئك الولاة في ميدان القتال^(٣).

ومن أولئك عقبة بن الحجاج السلولي، وكان هذا الرجل فعلاً صاحب جهاد ورباط، وذا نجدة، وبأس، ورغبة في نكابة المشركين، فلما خبر بين ولاية إقرقية والأندلس اختار الأندلس، وقال إني أحب الجهاد وهي موضع جهاد، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه حينئذ، ويبصره بالإسلام وفضله، ويرغبه فيه، فيذكر أنه أسلم على يديه بذلك الفعل ألف رجل^(٤).

وهذا حسبة من ذلك الأمير، ورغبة منه في الخير للناس، وأن هذا الجهاد ليس تسلطاً على رقاب الناس وأموالهم، وإكراههم على الإسلام بل الانصاف والعدل والحرية، ودعوة الناس إلى هذا الدين.

ويذكر هنا توسع المسلمين في الأندلس في الجهاد وتوغلهم في أرض النصارى حتى وصلت جيوش المسلمين إلى فرنسا، وهناك اجتمعت النصارى وقرروا القضاء على المسلمين، وحشدوا لذلك الجيوش الكبيرة، وقابلهم المسلمون بقيادة عبد الرحمن الغافقي في مكان يسمى "بواتية" بالقرب من فرنسا في أول شعبان ١١٤ هـ، ورغم ما

(١) انظر المحمدي التاريخ الأندلسي ص/١٥٦

(٢) انظر ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص/٩

(٣) انظر أخبار مجموعة لمؤلف مجهول ص/٢٣

(٤) انظر الحشني، قضية قرطبة م.س. ص/٩، ابن عذارى البيان المغرب ٢/٢٩، نفح الطيب م.س. ١٧/٣

بذلك المسلمون من صبر وتجلد على القتال إلا أن المعركة كانت لصالح النصارى، فتأخر بذلك دخول الإسلام إلى قلب أوروبا^(١)، واستشهد في تلك المعركة المعروفة بـ(بلاط الشهداء) خلق كثير^(٢)، ثم أخذت الدولة الأموية في الأندلس تهتم بالشغور وتحصينها، والرباط فيها، وبناء القوة البحرية لرد غارات النصارى^(٣).

وقوي الجهاد والاحتساب فيه، والدعوة إلى الإسلام، ومن أبرز خلفاء تلك الدولة وأقواهم عبد الرحمن الناصر الذي أخذ يخدم الفتن الداخلية، ويعد الجيش للجهاد في الشغور، وتحصين البلاد، فعظمت الدولة وقوي الإسلام والمسلمون في ذلك العهد، وخضع النصارى وجاءوا مذعنين للمسلمين طالبن رضاهم، فقد غزا بلاد الروم اثني عشرة غزوة، ووضع عليهم الخراج، ودانت له ملوكها، فكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف رجل يصنعون في بناء الزهراء التي أقامها لسكناء على فرسخ من قرطبة^(٤).

ومما يدل على عظم الجهاد في عهده، وظهوره على النصارى أن إحدى كرائمه أخرجت مالا في فداء أسارى في أيامه فلم يوجد ببلاد الأندلس أسير يفدى^(٥).

وكان هم ذلك الأمير إظهار قوة الإسلام على غمره وإرهاب أعدائه من النصارى الذين كانوا يتربصون الدوائر على الإسلام وأهله. ثم تبعت الدولة الأموية دولة المنصور بن أبي عامر الملقب "بالحاجب المنصور"؛ لأنه كان حاجبا للخليفة الأموي الصغير هشام، وأخلص في العمل له، وكان هذا الحاجب مجدا فأدار أمور الدولة بأوامر تخرج من القصر الأموي.

(١) محمد عبد الله عثمان دولة الإسلام في الأندلس ١٠٠/١

(٢) ابن عسار البيان المغرب ٣٩/٢، وان الأثير الكامل في التاريخ ١٧٤/٥

(٣) محمد عبد الله عثمان: دولة الإسلام في الأندلس ٧٤/٢

(٤) انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٨

(٥) المصدر السابق ٢٦٨/٨

ومن أعظم صفحات "الحاجب المنصور" صفحة الجهاد فقد كان من أشد وأعظم أمراء الأندلس حبا للجهاد ودعوة إليه، وقياماً به فواصل غزو بلاد الروم مجاهداً في سبيل الله محتسباً في ذلك، فقد كان مرابطاً على الثغور، ومن صور اهتمامه بالجهاد أنه يخرج إليه من مصلى العيد فلا يرجع إلى قصره بل بعد انصرافه من المصلى تتبعه عساكره، فقد غزا نيفاً وخمسين غزوة^(١)، وملاً الأندلس غنائم وسبياً من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وكان ينادي على أبيه عظيم من عظماء الروم بقرطبة، وكانت ذات جمال رائع فلم تساوي أكثر من عشرين ديناراً عامرية، وكان يغزو مرتين في السنة، وكانت وفاته في أقصى الثغور في سنة ٣٩٣هـ، ودامت إمارته سبعاً وعشرين سنة^(٢).

الجهاد في دول الطوائف

ثم دخلت الأندلس في فتن وحروب وتفرقت الأمة هناك إلى شيع وأحزاب، وأصبح في كل مدينة من مدن الأندلس أمير للمؤمنين، ومنير وعرفت الأندلس ما أطلق عليه المؤرخون دول الطوائف^(٣).

يقول الشاعر في وصف هذا الحال:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كاهن يحكي انتفاخاً صورة الأسد^(٤).

(١) القري نفع الطيب ١٢٦/٢

(٢) عبد الواحد المراكشي المعجب ص/٨٤

(٣) انظر عماد عبد الله عنان: دول الطوائف ط ١ (مصر القاهرة لجنة التعليم

والترجمة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) ص/٢١

(٤) انظر المصدر السابق ص/١٥، وابن الخطيب أعمال الأعلام ص/١٤٤، وقال هذين البيتين هو أبو الحسن

بن رشيق القيرواني، انظر المصدر السابق ١٤٤

ومن منكرات تلك الدولة الطائفية انحراف الجهاد عن هدفه، وغرضه الشرعي، وتوجيه القوة إلى بعضهم البعض مما أطمع فيهم النصارى فوجدوا الفرصة التي ينتظرونها من هزيمة المسلمين والاستعلاء على دولتهم وأخذ أمراء تلك الدول يستعينون بالنصارى، ويدفعون الجزية لهم مثال ذلك ملك قشتالة فرناندوا الأول الذي أخذ يفترس ملوك الطوائف فغزا مملكة طليطلة وضربها حتى اضطر ملكها المأمون بن ذي النون أن يطلب الصلح، ويدفع الجزية لملك قشتالة، وفي العام التالي غزا أراضى بطليوس واشبيلية واضطر المعتضد أن يدفع الجزية لملك قشتالة حيث سار بنفسه إليه وعقد الصلح معه وقدم إليه العهود والجزية^(١).

ورغم هذا المنكر العظيم من أولئك الأمراء إلا أنه وجدت صفحات مشرقة ومواقف مشرفة في الجهاد ضد النصارى، ومن ذلك ندم المعتضد على فعله ذلك ونبذه لدفع الجزية وإصراره على ذلك رغم تهديد النصارى له، فلما عظم عليه الكرب استعان بإخوانه المسلمين في الحرب حيث كتب إلى عاهل المرابطين يوسف با تاشفين وطلب منه العون والمساعدة ضد النصارى.

كذلك رفض المتوكل حاكم بطليوس تسليم بعض الحصون والقلاع لملك قشتالة الذي طلب منه ذلك وهدده فرد عليه المتوكل بالرفض وكتب إليه رسالة قوية حازمة تفيض شجاعة وإباء ونبلا^(٢). ثم ندب المتوكل قاضيه أبا الوليد الباجي ليطوف بحواضر الأندلس ويتصل بأمرائها ويدعوهم إلى الوحدة ونبذ الفرقة، ومدافعة العدو فقام ذلك القاضي بالمهمة ولم يدخر وسعا في نصيحهم ووعظهم، ولكن لم يجد أذنا راعية، فحل بالأمة المقدور^(٣).

وفي دل الطوائف صور من مواقف الاحتساب رائعة تحكي قوة الاحتساب، وظهوره في مواطن الفتن ودافع ذلك قوة الإيمان وطلب ما عند الله من الأجر والثوبة، ومن ذلك موقف المتوكل سالف الذكر حاكم بطليوس، وموقف القاضي

(١) انظر محمد عنان دول الطوائف م.س. ص ٤٨/

(٢) انظر المصدر السابق ص ٩٠/

(٣) انظر ابن الأبار الحلة السواء ٩٨/٢، وان عذارى لبيان المغرب ٨١/٢

أبي جحاف^(١) الذي وقف في بلده بلنسية ودعا إلى الجهاد ضد النصارى، وقاد المجاهدين، وصمد رغم كثرة العدو، ولما دخل النصارى مدينته قبض عليه وأحرق بالنار في الساحة العامة في المدينة وهو صابر محتسب^(٢).

مما كان له أعظم الأثر في أرجاء الأندلس والدعوة إلى الجهاد واسترداد بلنسية كذلك من الدعاة المجاهدين المحتسبين في الدعوة إلى وحدة الصف، وجهاد العدو النصراني أبو الوليد الباجي السالف الذكر بذل جهدا كبيرا في ذلك وأبي الحزم جهور بن جهور الذي دعا إلى الوحدة مدة فلاح فأعلن إلغاء الخلافة في قرطبة سنة ٤٢٢هـ^(٣)، والفقيه ابن حزم المتوفى ٤٥٦هـ الذي وجه النقد للوك الطوائف على تفرقهم^(٤)، والأديب المحدث أبو حفص عمر بن حسن الهوزني من أهل أشبيلية المولود سنة ٣٩٢هـ، والمتوفى ٤٦٠هـ^(٥)، الذي كتب رسالة إلى المعتضد يحثه فيها على الجهاد^(٦)، ومنهم من كان يطوف بالبلاد يعظ الناس ويذكرهم داعيا إلى الجهاد، هو أبو المعالي إدريس بن يحيى بن يوسف الواعظ من أهل إشبيلية^(٧).

(١) هو القاضي أبو أحمد جعفر بن جحاف من أهل بلنسية وقاضيا ورئيسها في الفتنة وامتحن بالفيطور النصراني المتغلب على بلنسية آن ذاك فاستصفى ماله ثم أحرقه بالنار في ساحة بلنسية في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة انظر ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ١٠٨-١٠٩، وابن عذارى البيان المغرب ٤/٦٠، وابن الأبار التكملة ١/٢٢ رقم ٢١٩٨، وابن الأبار التكملة ١/٢٣٩-٢٤٠ رقم ٦٣٣

(٢) محمد عنان دول الطوائف م.س. ص ٩١

(٣) انظر الحميدي حذوة المقتبس ٢٧، والبيان المغرب ٣/١٨٥

(٤) انظر ابن حزم الرد على ابن التفريلة اليهودي ورسائل أخرى ص ١٧٣-١٧٧

(٥) انظر البيان المغرب ١/٢٣٩، وابن الأبار الصلة ٢/٤٠٢ رقم ٨٦٥

(٦) انظر ابن الأبار الحلة السراء ٢/٤١

(٧) انظر ابن الأبار التكملة ١/١٩٥ رقم ٥١٩

نبذة موجزة عن الجهاد في الأندلس في دولة المرابطين والموحدين

قامت دولة المرابطين في البلاد المغربية على أسس إسلامية، والحكم بما أنزل الله وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أبرز أمراء هذه الدولة. ولما آل أمر أهل الأندلس إلى التفرق، والهزيمة أمام النصارى، وسقطت طليطلة في أيدي النصارى سنة ٤٧٨ هـ، اتجه أهل الأندلس إلى المغرب وطلبوا منهم النجدة ضد النصارى فاستجاب أمير المرابطين في المغرب يوسف بن تاشفين فغير إلى الأندلس مجاهدا في سبيل الله فكانت معركة الزلاقة الشهيرة في رجب سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م التي نصر الله فيها عباده المؤمنين^(١)، وأعاد لهم العزة والقوة على أعدائهم من النصارى ثم التقى يوسف بملوك الطوائف ونصحهم وحثهم على التعاون فيما بينهم وأمرهم بالاتفاق، ونهاهم عن التفرق والاختلاف وعاد إلى المغرب، ولكن رجع ملوك الطوائف إلى الاختلاف، فساءت الأحوال، وأغار عليهم النصارى بقيادة ألفونس السادس واستولوا على بعض المدن مثل طليطلة وابتنى بعض الحصون للإغارة على مناطق أخرى، ثم استغاث المسلمون في الأندلس بالمرابطين مرة أخرى فغير يوسف مرة ثانية سنة ٤٨١ هـ^(٢)، وحاصر بعض الحصون النصرانية ثم ترك حامية في الأندلس ورجع إلى المغرب، ثم أساءت أحوال المسلمين، ووردت الكتب والفتاوى من بعض الفقهاء^(٣)، لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين لإنقاذ المسلمين في الأندلس فغير إليها المرة الثالثة سنة ٤٨٣ هـ، وحاصر بعض المدن وبدأ يخضع ملوك الطوائف فاسترد بعض المدن التي سقطت في أيدي النصارى مثل إشبيلية وبلنسية^(٤).

(١) انظر ابن عذاري البيان المغرب ١٢٣/٤، وابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٣٤/٣

(٢) انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٤٩/٣

(٣) مثل الفقيه أبي بكر الطرطوشي انظر محمد عنان المرابطين والموحدين ٤٤-٤١/١

(٤) انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٥٠/٣، وما بعدها

ثم بعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ خلفه ابنه علي بن يوسف الذي كان على منهج أبيه من النباهة، والحزم، والتقوى فواصل جهاده في الأندلس^(١). وواصل المسلمون جهادهم في الأندلس ضد النصارى فكانت وقعة أڤليش الشهيرة في ١٦ شوال سنة ٥٠١ التي انتصر فيها المسلمون انتصارا ساحقا وأعادت هذه المعركة ذكريات الزلاقة^(٢)، واستشهد في هذه المعركة كثير من العلماء والأعيان^(٣).

كذلك من جهاد المرابطين في الأندلس ضد النصارى وقعة قُتندة يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ٥١٤ هـ بقيادة أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين^(٤)، وكانت هذه المعركة شديدة على المسلمين استشهد فيها الآلاف بينهم العديد من الفقهاء والعلماء منهم:

القاضي الشهير أبو علي الصدي المولود عام ٤٥٢، وهو حسين بن محمد بن ميرة بن حيون - يعرف بـ (ابن سُكرة الصدي) من أهل سرقة وسكن مرسية^(٥)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا قاضي المرية المعروف بابن الفراء قرين الصدي في الفضل حيث حضر يوم قُتندة المشهور، وكان فيمن فقد في ذلك اليوم رحمه الله^(٦). ومن حضر تلك الوقعة القاضي الإشبيلي أبو بكر بن العربي^(٧). وحضور أولئك العلماء الكبار تلك المعركة يدل دلالة واضحة على احتسابهم في كل الميادين، فهم مجاهدون في سبيل الله في ميدان القتال، ومجاهدون في

(١) انظر ابن عذاري البيان المغرب ٤/٤٤

(٢) انظر ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ص/١١٤، وابن القطان نظم الجمان ص/٦٣ وما بعدها.

(٣) مثل الإمام الجزولي وكان رجل صدق انظر نظم الجمان المصدر السابق ص/٦٦

(٤) انظر ابن الأبار المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي ص/٥٤-٥٥ رقم ٤٠

(٥) انظر ابن بشكوال الصلة ص/١٤٤ رقم ٣٣٠

(٦) انظر ابن الأبار المعجم م.س. ٤٠ رقم ٣

(٧) انظر المقرئ نفع الطيب ٤/٤٦١، وأزهار الرياض في أعيان القاضي عياض ٣/١٥٤

سبيل الدعوة إلى الله ونشر الفقه والعلم بين الناس فهم موجودون في معترك الحياة، كانوا يسبرون لمثل هذه المعارك يقفون في المقدمة ليكونوا أول المتقدمين.

ولما توجه الصديقي إلى معركة قننذة رتب أموره كمن لا يعود وأوصى إلى صهره - والد زوجته - أبي عمران موسى بن سعادة، وكان أحد الأفاضل الصالحاء أن يوم الناس في صلاة الفريضة، وأن يقوم بما يحتاج إليه من دقيق الأشياء وجليلها.

وقد ذهب أبو علي الصديقي إلى معركة قننذة من مرسية ومرّاً بعدة مدن منها شاطبة وألقى فيها وفي مدينة المعركة قننذة عدة دروس^(١).

وتلقى عليه العديد من العلماء وسمع منه الناس فهو في جهاد وتدريس متصل، وهذا يدل على احتساب أولئك العلماء في الجهاد والدعوة إلى الله فهو سائر للحرب مستعداً لها تطوعاً مودعاً كمن لا يعود أعد نفسه للشهادة ووطنها على المقاتلة فرزقه الله الشهادة، والذكر الحسن في الدنيا فهؤلاء هم العلماء الصادقون الذين يقتدى بهم وهم أبلغ الأثر في الأمة.

ومما يذكر للمرابطين سيرهم على السنة والدين القويم يقول ابن الخطيب: "كانت دولتهم دولة خير، وجهاد، وعافية، وأكثر الدول جرياً على السنة، رحمة الله عليهم^(٢)."

(١) انظر ابن الأبار المعجم ١١٦ رقم ٩٩ وص/١٧٦ رقم ١٥٣

(٢) أعمال الأعمال ٢٦٥/٣

أما جهاد الموحدين في الأندلس فقد بدأ في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي^(١) خليفة المهدي بن تومرت^(٢) بعد أن جاءت وفود أهل الأندلس وفي مقدمتهم القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله الإشبيلي، فاستجاب الموحدين

(١) هو من الرجال المعندين عند ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين حيث التقى به بتواحي تلمسان في الجزائر وأصبح من أحضر تلاميذ ابن تومرت، وعهد ابن تومرت بالأمر إليه من بعده، وتولى دولة الموحدين أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي سنة ٥٥٨هـ، يقول عنه الذهبي: "كان ملكاً عادلاً سائساً عظيم الفية، على أمة كثير المحاسن، قليل المثل كان يقرأ كل يوم شعباً، ويحتمل ليس أخيراً، ويصوم الاثنين والخميس، ويهتم بالجهاد، والنظر في الأمور كأنما خلق للملك" انظر الذهبي العبر ١٦٥/٤

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب بالمهدي، ولد في مقلطة السوس جنوب المغرب سنة ٤٨٥هـ، ثم أخذ في طلب العلم فدخل الأندلس فذلك ثم رحل إلى المشرق والتقى جملة كبيرة من العلماء، فجمع علماً غزيراً، والتقى بأبي حامد الغزالي وتأثر به ثم رجع إلى المغرب، وأخذ بالصدع بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبأشهر ذلك بنفسه، وتبعه خلق كثير من المغرب، وكان على جانب كبير من الزهد، والعبادة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره هذا الرجل - ابن تومرت - له عقيدة أسماعها "المروضة" لم يذكر فيها الاعتقاد الذي يذكره أئمة العلم والدين من أهل السنة والجماعة، فذكر منها ما نقوله نفاة الصفات، ولم يذكر فيها صفة واحدة لله تعالى ثبوتية، ولقد لقب هذا الرجل أصحابه بالموحدين أتباعاً لنفاة الجهمية من المعتزلة وغيرهم من الذين سموا نقي الصفات توحيداً، وأخذوا في التوحيد الذي أنزل الله به القرآن الكريم، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر، فصدقه كثير من الناس، والتفوا حوله، وادعى علم الغيب، ثم ألف كتاباً سماه "أعز ما يطلب" ضمنه عقيدته التي يسمى تزيينها، ثم استطاع أن يهزم المرابطين ويؤسس دولته "الموحدين" وقد توفي سنة ٥٢٤هـ بعد أن أوصى بالأمر من بعده لعبد المؤمن. انظر ابن تيمية مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٤٧٦، وابن القطان المراكشي نظم الجمان ص/٦١، والذهبي العبر ٥٧/٤

لنداء الأندلس فأرسلوا جيشاً إلى الأندلس سنة ٥٤١هـ^(١)، ولما استقر الأمر للموحد ينفي المغرب اهتموا كثيراً بالأندلس فعبر عبد المؤمن إليها وتفقد أحوالها، وجهز الجيوش لردع عدوان النصاري على الأندلس، وأخذت الجيوش النصرانية تقوى وتتقدم لإسقاط المدن الأندلسية، فاستطاع الفونسو انزيكيت الاستعلاء على مدينة لشبونة بعد حصار طويل قدم أهلها كثيراً من الشهداء سنة ٥٤٢هـ^(٢)، ثم أصيب الخليفة الموحي أبو يعقوب في معركة سنة ٥٨٠هـ وتوفي بعدها بقليل، ثم بويع ولي عهده أكبر أبنائه أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور الذي أخذ بعد الجيوش لملاقاة النصاري في الأندلس، ومن المعارك الفاصلة في عهده معركة العقاب التي وقعت عند حصن العقاب سنة ٦٠٦هـ بقيادة الفونس الثامن^(٣)، الذي كان معه جيوش صليبية من عدد من دول أوروبا، وانتهى اللقاء بهزيمة الجيش الموحي بقيادة الناصر الذي توفي بعد سنة ٦١٠، كمداً من نتيجة العقاب التي بعدها المورخون نذيراً بانحلال الدولة الموحدية وانتهائها^(٤)، كذلك فقد المسلمون بعض القواعد منها قصر الفتح "قصر أبي دانس" سنة ٦١٤هـ التي فقد فيها آلاف من المسلمين، وممن استشهد من العلماء فيها أبو بكر محمد بن عبدالنور كان من أهل العناية بالرواية من أهل الفضل، والصلاح كان كثيراً ما يحضر الغزوات ويولي فيها البلاء الحسن^(٥)، وبعد أن سقطت بلنسية في صفر سنة ٦٣٦هـ^(٦)، نال المسلمين اضطهاداً شديداً من النصاري، واستشهد في تلك الواقعة كثير من العلماء منهم: كبير علماء الأندلس ومحدثيها أبو الربيع سليمان سالم الكلاعي (٥٦٥هـ/٦٣٦هـ) حيث خاض عدداً من المعارك وكان

(١) انظر ابن الأبار الحلة السراء ١٩٩/٢

(٢) انظر المصدر السابق ٢٧٢/٢

(٣) انظر محمد عثان عصر المرابطين والموحدين ٢٨٨/٢

(٤) انظر الحجي التاريخ الأندلسي ٤٦٤

(٥) انظر ابن الأبار التكملة ٥٩٦/٢ رقم ١٥٧٧

(٦) انظر ابن الأبار الحلة السراء ٣٠٣/٢

رحمه الله في المقدمة من أولي الحزم، والجرأة، والبسالة، والإقدام، والجزالة، وثبات الجأش، وكان يثبت المسلمين ويحرضهم على القتال، وكان أمام الصفوف والراية بيده ينادي المنهزمين أعن الجنة تفرون؟ حتى قتل صابرا محتسبا، واستشهد في هذه المعركة جماعة من علماء بلنسية، وفضلانها، وصلاحائها، وفقد نحو سبعين من أهل الصف الأول بجامعها الأعظم^(١).

وهذه حقيقة تبرز ظاهرة في تاريخ الأندلس، وهي: احتساب العلماء في الجهاد، والحث عليه والترغيب فيه، والتقدم إلى ميدانه حتى الشهادة، وهي منزلة عالية لا يوفق لها إلا السعداء.

ويذكر للموحددين منقبة حميدة في احتسابهم في الجهاد، وهي: جهادهم في معركة "الأرك"^(٢) التي حدثت سنة ٥٩١ هـ بين الجيش الإسلامي من الموحددين والأندلسيين بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور وبين جيش قشتالة النصراني بقيادة "الفونس الثامن" وقد استعد الفريقان لتلك المعركة حيث عبر المنصور إلى الأندلس بمن معه من المجاهدين من المغرب وانضم إليه عدد كبير من الأندلسيين، وجاء النصاري دافعهم الرغبة في القضاء على المسلمين وحشدوا قواتهم لذلك، ثم استعد الجيش الإسلامي وأحكم الخطط، وأشرف الخليفة عليها وكان عدد النصاري عظيمًا أذهل المسلمين وساءت ظنونهم لما رأوا كثرة عدوهم، والتجأ الخليفة الموحدي إلى الدعاء والاستعانة بكل من يظن عنده خيرا من الصالحين^(٣)، ومما يذكر أنه كان مع الجيش النصراني جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لشراء أسرى المسلمين وأسلابهم وأعدوا أموالا فخيب ظنهم ونصر الله جنده.

(١) انظر ابن الأبار الحلة للسيرة ١٠٢/٢، وابن فرحون الدياج ص/١٢٢، والذهبي تذكرة الحفاظ ٤/١٤١٧

(٢) نسبة إلى حصن الأراك إلى الغرب من قلعة رباح على أحد فروع نهر وادي آنة وهو شرق السهل الذي

حوت فيه الزلافة، انظر التاريخ الأندلسي ٤٧٩-٤٨٤

(٣) ابن عميرة الصبحي بغية المنتصر ٤٥-٤٦، والحميدي الروض المعطار ١٢-١٣، وعبد الواحد المراكشي

ولما أكمل المسلمون استعداداتهم أبلغهم القائد العام بقول الخليفة المنصور:
"يقول لكم أمير المؤمنين اغفروا له - فإن هذا موضع غفران - وتغافروا فيما بينكم،
وطيبوا نفوسكم وأخلصوا لله نياتكم" فبكى الناس وأعظموا ما سمعوه من سلطانهم
وما جرى إليه من حسن معاملتهم^(١).

ثم التحم الجيشان واستمرت المعركة يوما واحدا فأنزل الله نصره على
عباده، وغنم المسلمون مغنم كثيرة، وافتتحوا حصن "الأرك" وخذل الله النصاري،
ونجحت الأندلس منهم ولكن إلى حين.

وهذه المعركة تبين صدق الموحدين واحتسابهم في الجهاد في أرض الأندلس،
ورغبتهم في إعلاء كلمة الإسلام وشأنه هناك.

كذلك يذكر في جهاد الموحدين موقعة العقاب التي كانت بين الجيش
الإسلامي بقيادة الخليفة الموحي محمد الناصر وبين الجيش النصراني بقيادة ألفونس
الثامن الذي استعان بعدد من ملوك أوروبا، وبالبابا الذي ألهم الحماس في رعاياه
النصرانية، ووعد من لبى الدعوة بالغفران التام^(٢).

والتقى الجمعان في الرابع عشر من شهر صفر سنة ٦٠٩هـ في سهل يقع
جنوب غرب حصن العقاب، وبعد قتال شديد من الطرفين انتهت بهزيمة
المسلمين^(٣)، فكانت هذه النتيجة المؤلمة الأثر الشبي، والتعجيل بنهاية الأندلس
الإسلامية.

(١) انظر الضبي بغية الشمس ص/٤٦

(٢) انظر عبد الله عنان عصر المرابطين والموحدين ٢/٢٨٩

(٣) انظر المراكشي المعجب ٤٠١

وقد استشهد في هذه المعركة عدد كبير من العلماء^(١) مما يدل على احتسابهم في هذا الميدان العظيم من ميادين الاحتساب.

(١) منهم أبو عمر أحمد بن هارون بن عات النفري (٥٤٢-٦٠٩هـ) كان حافظاً للحديث، والشون زاهداً

ورعاً على منهج السلف؛ واستشهد في وقعة العقاب، انظر التكملة ١/١٠١ رقم ٢٦٢

والقاضي الفقيه أبو إبراهيم إسحاق يعمر المجابري تولى قضاء سبنة ثم بلنسية فقد في وقعة العقاب،

انظر المصدر السابق ١/٩٤ رقم ٥١٧

وأبو الصير أيوب بن عبد الله النهدي من أهل سبنة كان معروفاً بالزهد، واستشهد في معركة العقاب،

المصدر السابق ١/٢٠٢ رقم ٥٣٦؛

وأبو محمد تاشفين بن محمد أهل فاس، كان زاهداً عابداً كان معلماً بالقرآن دخل الأندلس غازياً،

واستشهد في وقعة العقاب، المصدر السابق ١/٢٣٥ رقم ٦٢٣،

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي ولي قضاء موضعه من أعمال قرطبة، وكان صاحب الصلاة،

والخطبة بجامعه، واستشهد في وقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ، المصدر السابق ٢/٥٨٥ رقم ١٥٥٩

المطلب الثالث: جهاد المسلمين في مملكة غرناطة

مملكة غرناطة هي آخر معاقل المسلمين في الأندلس، فقد تحصن المسلمون فيها وبقي حكامها يجاهدون النصارى صابرين محتسبين رغم الشدائد، والمحن التي تعرضوا لها على أيدي أعدائهم النصارى.

فبعد ضعف دولة الموحدين في الأندلس أخذت القواعد الأندلسية تسقط في أيدي النصارى. فبرز في الميدان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، فاستطاع أن يكون قوة احتفظت ببعض المناطق في جنوب الأندلس، وتأسس مملكة غرناطة "الأندلس الصغرى"^(١) عمرت ما يزيد على قرنين ونصف وتوالت على حكمها ما يزيد على عشرين حاكماً^(٢).

ولعل من أسباب بقائها تلك المدة الطويلة هو بعدها عن الممالك النصرانية، ومناعة موقعها، وقربها من المغرب الذي طالما أمدّها بالعون والمساعدة في ثباتها أمام عدوها فقد كانت دولة بني مرين لا تتأخر في تلبية نداء المسلمين في الأندلس في غرناطة ورأوا في ذلك واجبا دينيا يحتمه عليهم الإسلام الذي ربط بينهم، وهناك سبب رئيسي في بقاء تلك الدولة وهو التزام الإسلام والاتفاق حوله والجهاد في سبيله مما جعل مسلمي الأندلس ممن سقطت مدنهم وتغلب النصارى عليهم يهاجرون إلى غرناطة التي رأوا فيها الملاذ الوحيد للإسلام فاستماتوا في الدفاع عنه في ظل تلك الدولة المجاهدة الصابرة المحتسبة^(٣).

ومن المعارك الفاصلة التي خاضها المسلمون في مملكة غرناطة بالتعاون مع إخوانهم المسلمين في المغرب - دولة بني مرين - المعركة التي وقعت سنة ٦٧٤هـ عند مدينة استجة بين جيوش قشتالة النصرانية وبين المسلمين حيث غير السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور إلى الأندلس بعد استغاثة ملك

(١) انظر ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/٥٩٩

(٢) انظر المحي التاريخ الأندلسي ٥١٥

(٣) انظر د. المحي التاريخ الأندلسي ٥١٩-٥٢٢

غرناطة به، فكان الجيش القشتالي ضخما في العدد، والعدد مقبلا على الحرب بقوة وأمل، وبقيادة ماهرة^(١).

وباشر أمير المسلمين المريني القتال بنفسه وكان معه ابنه يوسف، وكانت بدايتها شبيهة بما جرى في معركة "الأرك".

فبعد أن رتب جيشه ترجل عن جواده، فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين، ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء، والمسلمون يؤمنون على دعائه، وكان من دعائه "اللهم انصر هذه العصابة وأيدها، وأعنها على جهاد عدوك وعدوها". فلما فرغ من دعائه استوى على جواده واستعد للقتال وعقد لولده على مقدمة الجيش ونادى على المسلمين فقال: "يا معشر المسلمين، وعصابة المجاهدين أنتم أنصار الدين، الذابون عن حماه، والمقاتلون عداه، وهذا يوم عظيم، ومشهد جسيم، له ما بعده، ألا وإن الجنة قد فتحت أبوابها وزينت حورها وأقربها فبادروا إليها، وحدوا في طلبها، وابدلوا النفوس في أثمانها، ألا وإن الجنة تحت ظلال السيوف ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾"^(٢) وألقى إليهم كلاما فصيحاً بليغاً أعلى به همهم، وثبت به أفتدتهم فلما سمعوا منه ذلك شاقوا أنفسهم للشهادة، وعانق بعضهم بعضاً للوداع، والدموع تنسكب والقلوب لها وجيب وانصداع وكلهم قد طابت نفسه بالموت وباعها من ربه بالجنة قبل الفوت، وارتفعت أصواتهم بالشهادة والتكبير^(٣).

ثم التحم الفريقان فأنزل الله نصره ومنح المؤمنين رقاب أعدائهم الكافرين فحازوا نصراً حاسماً أعاد ذكريات المعارك الفاصلة الزلاقة، والأرك.

(١) انظر ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة م.س ٥٦٥/١، وعلي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة المسنية

في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢) ١٤٨

(٢) سورة التوبة آية ١١١

(٣) أبو زرع الفاسي الذخيرة المسنية م.س ١٤٩-١٥٠

مما سبق يظهر جليا احتساب أولئك المؤمنين رحمهم الله تعالى في ميدان
الجهاد لإعلاء كلمة الله وذبا عن دينه وإخلاصا لنياتهم لله، وهذا الاحتساب
والصبر فيه مما امتاز به المسلم عن غيره.

كذلك من المعارك الفاصلة في مملكة غرناطة وقعة طريف التي كانت بين
المسلمين بقيادة سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف، وسلطان المرينيين أبي الحسن بن
عثمان بن أبي يعقوب وبين النصاري بقيادة ملك قشتالة الفونس الحادي عشر،
وكانت في سابع جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ، وقد خسر المسلمون هذه المعركة،
فارتكب القشتاليون المناكر العظيمة في المسلمين، فكانت هذه الواقعة شبيهة بـواقعة
العقاب" (١). وقد استشهد في هذه المعركة عدد من العلماء الأكابر منهم:

أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني والد الوزير والأديب لسان الدين ابن
الخطيب، وأخوه الأكبر (٢).

القاضي أبو عبد الله محمد بن بكر الأشعري المالقي أحد أشياخ ابن الخطيب،
وصاحب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، كان حسن الخلق عطوفا على
الطلبة، محبا للعلم، والعلماء (٣).

أبو القاسم محمد بن جزى المولود سنة ٦٩٣ أحد أشياخ ابن الخطيب، كان
فقيها حافظا مشاركاً في فنون من عربية وفقه، وأصول، وقراءات، وأدب وحديث،
وتفسير، وكان خطيباً في مسجد بلده وفقد في وقعة طريف، وهو يحرض الناس،
ويشجذ بصائرهم، ويشبثهم (٤).

ومما لا شك فيه عظم دور أولئك العلماء وأثرهم، ودعوتهم إلى الخير.

(١) عن هذه الواقعة انظر الذهبي العبر ٣٧٤/٤-٣٧٥، والمقري نفح الطيب ٤٥٢/١، ابن الخطيب أعمال

الأعلام ٣٠٤/٢-٣٠٦، الإحاطة ٥٤١/١

(٢) انظر المقري نفح الطيب ١٧/٥، ١٢/٥

(٣) انظر لسان ابن الخطيب، الإحاطة ١٧٦/٢-١٧٧

(٤) انظر المقري نفح الطيب ١٦/٥-٥٢٦، وأزهار الرياض ٨٧/٢

ثم جرت أحداث عصبية على غرناطة كان أسوأ الأثر في مصيرها، فقد سقط جبل طارق بيد القشتاليين سنة ٨٦٧ هـ، فكان ضربة عنيفة لمسلمي غرناطة مما حال دون وصول امدادات المغرب إلى الأندلس، ثم انتهت الدولة المرينية سنة ٨٦٩ هـ بعد أن عاشت قرنين من الزمن كانوا فيها سندا لمسلمي غرناطة، ثم ورثتهم دولة بني وطاس التي كانت في مستوى أقل من بني مرين^(١).

ثم تولى حكم غرناطة أواخر سنة ٨٨٧ هـ محمد - الحادي عشر - بن علي أبو عبد الله الصغير، خاض عدة معارك مع جيوش قشتالة انتصر المسلمون فيها، ثم أسير أبو عبد الله محمد الصغير^(٢)، وتولى أمر غرناطة عمه محمد بن سعيد، ثم أطلق سراح أبو عبد الله، وحدثت خلافات وحروب بين العم وابن أخيه انتهت بتقسيم غرناطة، ثم أخذ النصارى يشددون الحصار على المسلمين، وبعد حصار شديد سقطت غرناطة، واضطر الأمير أبو عبد الله محمد الصغير إلى عقد الصلح مع القشتاليين على تسليم غرناطة، والخروج منها وبهذا سقط آخر حصن إسلامي في شبه الجزيرة الأندلسية^(٣).

وكانت المعاهدة التي تم بموجبها التسليم في المحرم من عام سبعة وتسعين وثمانمائة، وكانت شروط تلك المعاهدة تضمن للمسلمين حياتهم وعقيدتهم، وحرية مساجدهم وأموالهم، ولكن النصارى لم يوفوا بتلك العهود والمواثيق بل نقضوها بمجرد دخول البلد والاستعلاء عليه^(٤).

إن آخر أيام للمسلمين في الأندلس قبل وبعد تسليم غرناطة للنصارى كانت عصبية شديدة قاسى المسلمون خلالها أشد أنواع العذاب والتنكيل، فكانت أيامهم تلك مليئة بالدماء فليس هناك إلا الدموع، والحسرات، وتفريق الشمل، والمآسي صر المسلمون واحتسبوا أجرهم عند ربهم دفاعا عن عقيدتهم وتمسكا بها.

(١) انظر محمد عبد الله عنان بهاية الأندلس ص/ ١٩٥-٢٠١

(٢) المصدر السابق ص/ ٢٠٢

(٣) انظر المقرئ نفع الطيب ٤/ ٥٢٥، وأزهار الرياض ١/ ٦٦، ومحمد عنان نهاية الأندلس ٢٤٤-٢٥٠

(٤) انظر المقرئ نفع الطيب ٤/ ٥٠٧-٥٢٩، وأزهار الرياض ١/ ٦٨-٧٢، ومحمد عنان، نهاية الأندلس ٢٥٧

إن مأساة المسلمين في الأندلس بعد خروج سلطان المسلمين منها وتسلط النصارى تبدو كالحجة سواء في تاريخ الكنيسة النصرانية التي قادت كبر هذا الجرم العظيم ورقفت وراءه وشجعت وأمرت بها حتى أنشئ ما عرف "بمحاكم التفتيش" مهمتها تتبع المسلمين وإنزال العذاب بهم والتفنن في ذلك، وطمس ومحو ما يمت إلى الإسلام بصلة، فأصبح جواسيس تلك المحاكم يتعقبون كل من يرسمشارة من شارات المسلمين في الشعائر الدينية أو الملابس، أو حتى الاغتسال واعتبروا ذلك دليل على عقيدته وإسلامه فحل بالمسلمين هناك بلاء وكرب عظيم لم ينحو منه إلا من قتل بعد عذاب أو فر وهم قلة^(١).

إن صبر المسلمين على تلك الفتنة من أعظم أنواع الاحتساب، وأصعبه وهو أرجى عند الله مثوبة وأجراً.

الطلب الرابع: الدعوة إلى الإسلام في الأندلس

مضى القول آنفاً أن غرض الجهاد وهدفه في الإسلام نشر هذا الدين، وبيان الدعوة إليه، وإخراج الناس من ظلمات الشرك وإدخالهم إلى نور الإسلام وعدله ليعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئاً قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ﴾^(٢).

وبهذا التوحيد يعرف الناس الخداف والغرض من خلقهم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) وهذا الهدف الشريف أسمى أهداف الجهاد في الإسلام، ولذا فإن الجهاد في الأندلس هو في حقيقته دعوة إلى الإسلام ونشره في

(١) انظر محمد عنان نهاية الأندلس ٢٥٤، انظر في مأساة المسلمين في الأندلس ابن الخطيب الإحاطة في

أخبار غرناطة. /و/ وأحمد رائف وتذكروا من الأندلس الإبادة، (القاهرة، الزهراء للإعلام

العربي) ص/ ٢٦٩

(٢) سورة البقرة آية ١٩٣

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦

تلك الأرض البعيدة عن مهبط الوحي، ولهذا تنافس المجاهدون الأوائل من التابعين^(١) وغيرهم الداخلين إلى الأندلس في هذا الميدان، وقد قتل في ميدان الجهاد كثير من الولاة^(٢)، وكان أولئك الدعاة حريصون على هداية الناس، وإدخالهم في الإسلام فهذا عقبة بن الحجاج السلوي يختار الأندلس لأنها موضع جهاد ورباط، وإذا أسر الأسير يعرض عليه الإسلام ويرغبه فيه فأسلم على يديه أكثر من ألف رجل^(٣)، فالجهاد ميدان ومجال خصب لنشر الإسلام، قد انتشر إلى قلب أوروبا؛ ولهذا عد العلماء الجهاد، والرباط من مميزات الأندلس، وخصائصها يقول المقرئ: "واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً"^(٤). فقد كان أهل الأندلس يحبون الجهاد ويتشوقون إليه، ويسألون الله الشهادة في سبيله، جاء في ترجمة سليمان بن هشام بن وليد المقرئ أنه لما حج شرب ماء زمزم بنية الدعاء ثم دعا الله بدعوات ثلاث إحداها طلب الشهادة في سبيل الله فبلغه الله مناه واستجاب دعاءه حيث أصيب في شوال سنة ٤٠٠هـ^(٥).

وكان فقهاء الأندلس المفتون يخرجون إلى الأقاليم للرباط في سبيل^(٦) الله حسبة منهم في ذلك وطلباً للأجر، والثوبة، ولا يخفى ما لهؤلاء الفقهاء من أثر في الدعوة إلى الله تعالى، فقد كان العامل عبد الله السنتحالي المتوفى سنة ٤٣٦هـ - رحمه

(١) انظر ابن عذاري البيان المغرب ٤/٢

(٢) منهم عبد الرحمن الغافقي الذي استشهد في معركة بلاط الشهداء ١١٤هـ، والسمع بن مالك انظر الحميدي جنوة المقتبس، ص/٢٧٤، ومؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص/٣٤

(٣) انظر الخشن قضية قرطبة م.س ص/٩

(٤) نفح الطيب ١٨٢/١

(٥) ابن بشكوال الصلة ١٩٥/١

(٦) انظر أحمد النشري، المعيار المغرب ٣٨٢/١٠

الله - كان راغبا في الجهاد فلم يزل مثابرا عليه في الثغور مرابطا مدافعا عن الإسلام طيلة حياته والناس يستفيدون منه ويأخذون عنه خلال ذلك^(١).

وكان الدعاة والفقهاء يخرجون للجهاد بجانب الجيش الإسلامي يشرحون الإسلام ويبينونه للناس وكان ذلك مألوفا حتى للجيش المسلم ذاته وقد ضمت حملة طارق بن زياد عددا من الفقهاء التابعين لهم مهمة تفقيه الجند بجانب الواجب العسكري، فكان أول عمل يقوم به الفاتحون هو إقامة المسجد الذي منه تنطلق الدعوة الإسلامية فهو مركز المسلمين ومنطلقهم الدعوي^(٢)، ولقد فقه الدعاة الأوائل في الأندلس مسؤولية الداعية وضرورة أن يكون قدوة للناس لأهمية أثر ذلك في الدعوة فكانوا في مقدمة الجيش يعلمون ويرشدون ويدعون ويعقدون حلق العلم، فإذا نشب القتال كانوا في المقدمة داعين إلى الثبات، وإلى الصبر عاملين بما يدعون الناس إليه^(٣).

ومن أولئك الأخيار أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي صاحب الرواية في الحديث، وحفظ المتن الذي كان يعقد دروسه بجانب الجيش داعية إلى الإسلام وقد استشهد في معركة أنيشة سنة ٦٣٤هـ، وكان في المقدمة أمام الصفوف، والراية بيده يحرض على الثبات، والصبر، ويدعو إلى الشهادة في سبيل الله تعالى ويقول: "أعن اللجنة تفرون"^(٤) حتى استشهد صابرا محتسبا، وقد استشهد في تلك المعركة ثلة من العلماء الفضلاء من بلنسية^(٥).

كذلك من مجالات الدعوة إلى الإسلام في الأندلس الخطابة والوعظ، وقد تنافس الدعاة في ذلك، وتطالعنا التراجم الأندلسية بعلماء لهم أثر عظيم في الوعظ

(١) انظر ابن فرحون الديباج المذهب م.س ٢٢٨

(٢) انظر انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٢، والمقري نفح الطيب ١/٢٦٤

(٣) انظر ابن الأبار المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدي ١١٦-١٧٦، رقم ٩٩-١٥٣

(٤) انظر ابن الخطيب أعمال الأعلام ٣/٢٦٥

(٥) انظر المقري نفح الطيب ٤/٤٦١

والخطابة، فاتخذوا هذا المنهج في الدعوة إلى الله فهذا عبد الصمد بن عبد الرحيم البلوي المتوفى بقرطبة سنة ٦٢٣هـ، كان يعظ الناس ويقرأ القرآن الكريم^(١).
وعني بن أحمد بن محمد الأنصاري من أهل المرية كان خطيبا بجامعها،
ويقرأ القرآن والفقه وكان على خير وفضل منافرا لأهل الأهواء توفي
سنة ٦٧٠هـ^(٢).

وأحمد بن عفيف بن عبد الله الأموي من أهل قرطبة كان معتبرا بالفقه،
وعقد الوثائق والشروط وكان يعظ الناس بمسجده ويعلم القرآن، ويفصده أهل
الصلاح فيعظهم ويذكرهم ويخوفهم العقاب ويدلهم على الخير خرج من قرطبة زمن
الفتنة وقصد المرية فأكرمه صاحبها خيران الصقلي وعرف قدره؛ فتقلد الصلاة
والخطبة بجامعها حتى توفي سنة ٤٢٠هـ^(٣).

ويوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي من أهل مالقة كان مشهورا
بالزهد والورع، والقيام بأعمال البر والخير، والأعمال الصالحة موقفا فيها معانا عليها
بني ببلد مالقة خمسة وعشرين مسجدا من صميم ماله وخدم فيها وعمل بيده وحفر
ببلده - أيضا - آبارا عدة تنيف على خمسين بئرا توفي - رحمه الله - سنة ٦٠٤هـ^(٤).
ولا شك أن هذه الأعمال يتعدى نفعها ويعم المسلمين فهي من الوسائل لنشر
دعوة الإسلام والترغيب فيه ومنهم من كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويغيره؛
يتكلم عند السلاطين ويحثهم على مصالح المسلمين العامة^(٥).

ويحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ، كان شديدا على أهل
البدع، والأهواء محبا لأهل السنة لا تأخذه في الله لومة لائم اشتغل بالوعظ فنفع الله

(١) انظر ابن الزبير صلة الصلة ١٥

(٢) انظر ابن الزبير صلة الصلة ١٤٤

(٣) ابن بشكوال الصلة ٣٨/٢-٣٩

(٤) انظر ابن الزبير صلة الصلة ٢١٧-٢٢٠

(٥) انظر المصدر السابق ١٧٢-١٧٣-١٨٦-١٩٤

به المسلمين وتاب على يديه جملة كبيرة من المسرفين المذنبين ورجعوا إلى الله وكان وعظه يأخذ بمجامع القلوب توفي - رحمه الله - في شوال سنة ٦٠٨ هـ^(١).

وعبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعد من أهل طليطلة كان خيرا فاضلا متواضعا ورعا سنيا عالما عاملا وقد التزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتولى ذلك بنفسه لا تأخذه في الله لومة لائم وألف في هذا المعنى ديوانا وهو كتاب الأمر والنهي وكان بهيا مطاعا محبوبا من جميع الناس توفي - رحمه الله - سنة ٤٢٤ هـ^(٢).

وإذا كان الداعية على هذه الصفات الحميدة لا شك أن تكون دعوته مقبولة وأثره محمود، ومن يطلع على كتاب الصلة لابن بشكوال وكتاب صلة الصلة لابن الزبير يقف على عدد كبير من دعاة الأندلس في الوعظ والتدريس وإلقاء الدروس في مساجدهم التي يتولون الصلاة فيها، وهو مجال عظيم في الدعوة إلى الله^(٣).

(١) انظر ابن الزبير صلة الصلة ٢٠١-٢٠٢.

(٢) انظر المصدر السابق ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) انظر المصدر السابق ٢٠٨-٢٠٧، وابن بشكوال الصلة ٣٣٠/١، ٣٣٤/١.

المبحث الثالث

الاحتساب في مجال الأسواق، والمعاملات وفيه تمهيد وثمانية مطالب

المطلب الأول: الاحتساب على المواد الغذائية

المطلب الثاني: الاحتساب على العطارين

المطلب الثالث: الاحتساب على باعة العبيد والخدم

المطلب الرابع: الاحتساب على أهل الحرف والصنائع

المطلب الخامس: الاحتساب على الجزارين وبايعي الحوت

المطلب السادس: الاحتساب على الطباخين

المطلب السابع: الاحتساب على البقالين والبياعين

التمهيد

في أهمية السوق في الإسلام

السوق هو الموضع الحقيقي والواقعي للتعامل بين الناس، وفيه يتم البيع والشراء والمعاوضات المالية، والعمليات التجارية، وتلك المبادلات تمثل ركيزة أساسية لدى المجتمعات البشرية، فإذا سارت على أسس سليمة من النظم والإحكام والآداب والقواعد فإنه يصبح ذا مكانة عالية، وأهمية بالغة، ورسالة سامية.

وصف الأسواق الأندلسية

وقد صورت لنا كتب الحسبة الأسواق المنتشرة بالمدن الأندلسية والتي لا تختلف كثيرا عن الأسواق المنتشرة في معظم المدن الإسلامية خاصة المغربية منها، وكانت هذه الأسواق قريبة في الغالب من المسجد الجامع وتتضمن المتاجر التي تكون حارات ضيقة لا نهاية لها هنا وهناك، وفي الغالب يكون بهذه الأسواق طابق أو أكثر معدا كفندق أو خان لإقامة المسافرين والتجار الغرباء، وفي الأدوار العليا مخازن للبضائع، وغرف تؤجر لأولئك التجار العابرين القادمين من البوادي.

ويكون لكل نوع من أنواع التجارة أو الحرف زقاق أو قيسارية خاصة به فقيسارية خاصة بالمنسوجات الحريرية، والكتانية والقطنية وغيرها من أنواع المنسوجات، وبجوارها أماكن للخياطين، وقيسارية للحللي الذهبية والفضية وأنواع الأحجار الكريمة، وقيسارية للأحذية بأنواعها وأماكن خاصة لبيع الفواكه والخضروات، وأماكن لبيع اللحوم بأنواعها وأماكن خاصة لبيع الطيور والأرانب،

ومطاعم في أماكن أخرى خاصة بها كذلك، وأماكن أخرى لبيع الحبوب بأنواعها،
وأماكن لبيع الأدوية بأنواعها كذلك، وهلم جرا^(١).

من أفضل كسب الإتقان البيع المبرور

والإسلام برسائلته الخالدة، ونظمه الشاملة والسامية، وأحكامه الجامعة، قد
أولى السوق عناية فائقة واهتماما بالغاً تمثل في حثه ابتداء على السعي في الأرض
وارتياد الأسواق للتجارة والكسب، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا﴾^(٢)

ولما سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أفضل الكسب قال - صلى الله
عليه وسلم - «بيع مبرور وعمل الرجل بيده»^(٣).

وقرن الله - سبحانه وتعالى - الضارين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيله
وقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يقاتلون
فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤)، وقد امتدح الله سبحانه وتعالى رواد المساجد المسبحين بالغدو
والأصال بقوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة﴾^(٥)

فنظرة الإسلام إلى المؤمن نظرة عمل وجد وكدح في الأرض طلباً لفضل الله
تعالى، ومن ميزة المؤمنين أن أعمالهم الدنيوية لا تشغلهم عن أمور آخرتهم؛ بل

(١) انظر ابن عبدون، رسالة في الحسبة م.س. ص/٤٥، وابن عبد الرؤف في آداب الحسبة والمختسب

م.س. ص/٦٠، ود/ عصمت عبد اللطيف الأندلس في نهاية المراتبين م.س. ص/١٩٨-٢١٧، ود/

محمد علاف، قرطبة الإسلامية م.س. ص/١٢٧

(٢) سورة البقرة الآية/٢٧٥

(٣) أخرجه الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - في مسنده ٤٦٦/٦

(٤) سورة المزمل الآية/٢٠

(٥) سورة النور الآية/٣٧

الوسطية في ذلك دأبهم، وديدنهم، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ
الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١)

وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرتاد الأسواق كسبا للرزق،
وطلبا للمعاش، حتى عاب المشركون ذلك بقولهم: كما حكى ذلك القرآن
﴿وَقَالُوا مَالٌ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٢)، وقد
امتدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - التاجر الصدوق الأمين بأن جعله في منزلة
الجهاد والشهيد في سبيل الله، قال - صلى الله عليه وسلم - «التاجر الصدوق الأمين
مع النبيين والصديقين والشهداء»^(٣).

السوق وأهميته في المجتمع

فالسوق شأنه عظيم في المجتمع، فهو محل البيع والشراء، ففيه تدور المعاملات
المالية، وهو عصب الحياة، فلا غرابة أن يهتم به الإسلام ويوليّه عناية عظيمة، فنجد
الرسول - صلى الله عليه وسلم - يهتم بالسوق تنظيمًا ومراقبة، فيزور السوق
ويتفقد أحواله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٤)، ومن بعده الخلفاء الراشدون،
والدول الإسلامية بعد ذلك.

أما في الأندلس فنجد أن نشاط المحتسب المولى يتركز أساسًا في السوق بمعناه
الواسع حيث الأسواق المختلفة باختلاف مقتضيات المعاش والمطالب في التجارة
والصناعة، وجميع ما تستوعبه الحياة الاقتصادية، ويتركز نشاط المحتسب في السوق

(١) سورة القصص الآية/٧٧

(٢) سورة الفرقان الآية/٧

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التغليب في الكذب والنزور ونحوه،

٣٤١/٢-٣٤٢

(٤) انظر أحمد يوسف الدريوش، أحكام السوق في الإسلام وأثرها في الاقتصاد الإسلامي ص/٣٣-٣٩

على قطع دابر أنواع التحايل في المعاملات وعلى تأمين سلامة المعروضات من مأكّل، ومشارب، وملابس، وآنية، ومتاع^(١).

وكان المحتسب هو الموظف المستول عن السوق، وكان له مركزه المرموق بين الموظفين المدنيين، وكان يطلق عليه في الأندلس بـ"صاحب السوق"^(٢)، وكذلك صاحب الحسبة^(٣).

ويقول الجرسيفي: (إن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين، وليس يعد خطة القضاء أشرف من خطة الحسبة)^(٤).

ويذكر ابن سهل: ^(٥) (أن صاحب السوق كان يعرف بصاحب الحسبة؛ لأن أكثر نظره فيما يجري في الأسواق من غش، وخديعة، وتفقد مكيال، وميزان وشبهه)^(٦).

وصاحب السوق في الأندلس، صاحب خطة عظيمة، ووظيفة مهمة، وهي من الخطط الدينية عندهم^(٧)، ونظر صاحب السوق يشمل جميع ما في السوق، فشانه مراقبة السوق، ووقوفه على المنكرات، ومنع تلك المنكرات، وكشفها للناس، وكشف شر أهل الغش والفساد، فميدانه عظيم وواسع، والحديث عن استقصاء عمله في ذلك بطول؛ ولا سيما أن فترة البحث طويلة تتخللها حقبة من التوارب المختلفة، إضافة إلى أن صاحب السوق عمله مناط بالأسواق، وهو العمل الرسمي للمحتسب في الأندلس وقد أفاضت كتب الاحتساب بعمله ذلك أيما إفاضة^(٨).

(١) انظر عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة م.س. ص/٢٩.

(٢) يحيى بن عمر، أحكام السوق ص/١٠٨.

(٣) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس ص/٥.

(٤) الجرسيفي، ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب ص/١١٦.

(٥) ابن سهل، الأحكام الكبرى ورقة ص/٢.

(٦) د/ محمد خلاف، قرطبة الإسلامية ص/١٣٥.

(٧) ابن خلدون، المقدمة ٢/٢٣١.

(٨) ثلاث رسائل في آداب الحسبة م.س. ص/٣٩، وما بعدها.

المطلب الأول: الاحتساب على المواد الغذائية:

يدخل تحت هذا الموضوع مما في السوق من أشياء كثيرة، وأنواع متعددة من ذلك: الكيل، والوزن، فقد ذكرت كتب الحسبة الأندلسية أن لأولئك طرقا وسيرا في معاملاتهم من الحيل في الغش والتدليس من ذلك: النقص في الكيل والوزن^(١)، وشأن المحتسب معهم وفق ما يلي: ضبط المكاييل والموازين.

يشرف المحتسب على الكيل والوزن، فمن ذلك إشرافه وضبطه لآلة الوزن حيث تكون كفات الميزان من الحديد أو النحاس وإلا من العود ويفضلونها عن الحجارة؛ لئلا تلتصق فيها الأشياء في حال الوزن فتثقل^(٢)، أما صنوج الميزان فمن حديد، ويمنع من زوائد الرصاص عليها فرما تزال فيمكن التدليس في ذلك^(٣). وأوزانهم الرطل، والأوقية، فالرطل ست عشرة أوقية والأوقية عشرون درهما وينبغي أن تكون موازين الباعة أمامهم على بعد من الطعام الذي بين أيديهم^(٤).

المكاييل:

هي عندهم معلومة وفق نظام يحدده المحتسب لهم يكون أجنابه مرتفعة أزيد من شبر وتمد حديدة على وسط فم القدح مستمرة من الجانبين في وسطها طابع العدل^(٥)، وعليها طابع المحتسب واسم صاحبها يحاسب المحتسب على ذلك^(٦).

(١) انظر السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص/٢٧، ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب م.س. ص/٣٩

(٢) ثلاث رسائل أندلسية ص/١٠٧

(٣) المصدر نفسه ص/١٠٦-١٠٧

(٤) المصدر نفسه ص/١٠٨

(٥) انظر رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ص/٣٩

(٦) ابن عبد الرزوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/١٠٧

والكيل بالمدّ وربيع المدّ لكل منهما قدح يعرف به، ويقتدي أهل الأندلس بالمشرق في ذلك^(١).

شأن المحتسب مع أولئك:

الإشراف على أولئك الكياليين، والوزانين وفق ما يلي:
مطابقة أدوات الكيل والوزن لما هو مضروب، ومعتمد عند المحتسب، يقول ابن عبد الرؤوف: (فمتى عثر على كيل غير مضروب أو غير مطبوع أو مطبوع ليس في زمانه عوقب صاحبه)^(٢).

القيام بجولة تفتيشية من قبل المحتسب ومعه أعوانه يحملون الموازين المعتمدة لتطبيق ذلك على ما يزن به البائع للمشتري في السوق، فإن عثر المحتسب على كيل أو وزن ناقص تعرض صاحبه للعقوبة^(٣).

أن يختبر عليهم الكيل والوزن بمكيال من أهل الثقة يستعمله مقدما عليهم قد علم منه النصيح والتنبيه على المكاييد والخدع على المسلمين، فإن وجد نقصا يكون مثالا له ومعلوما عنده ويقيس عليه حاله مع سائر الناس، ويتفقد أدوات الكيل والوزن وبعدها عن النقص^(٤).

ولأهل الأندلس طرق ومكاييد وحيل في الغش في الكيل والوزن^(٥)، تدل تلك الخدع والطرق على ما وصلوا إليه في ذلك من التفنن والابتكار في طرق الغش والتدليس مما يدل على صعوبة ومشقة عمل من يتصدى لمنع ذلك وكشفه، ومحاربتة، ومعاقبة من يرتكبه، وما يلقي من أذى ومكيدة من أهل السوق، بل قد يصل الأمر

(١) المصدر نفسه ص/١٠٧

(٢) انظر رسالة ابن عبد الرؤوف م.س. ص/١٠٧-١٠٨

(٣) انظر المقرئ، نفع الطيب ٢٠٩/١

(٤) انظر السقطي، في آداب الحمية والمحتسب ص/٢٨

(٥) انظر المصدر نفسه ص/٣٠

إلى تأليب أهل السوق على المحتسب، ورفع أمره للسلطان ليعاقبه لاستحقاقه العقوبة^(١).

كما تدل تلك الطرق على أنها أمة تعرضت للعقوبة لإنقاصها الكيل والوزن، ونسيت الوعيد الشديد الوارد في ذلك^(٢).

الدقيق والخبر وباعتها

هذا مما يشمله عمل المحتسب، وعليه مراقبة ذلك والاحتساب عليه، وكذلك من يقوم بطحن الحبوب، فتذكر كتب الحسبة أنواعا من غشوش أهل الأندلس في ذلك، من ذلك:

خلط الطيب بالردىء وبيع الجميع بسعر الطيب الذي قد رسمه المحتسب^(٣)، أو جعل الطيب ظاهرا ليراه المشتري ثم يغرفه من الوسط ويعطيه، وهو من في غفلة، أو خلط الدقيق بالنخالة، أو الخلف الكاذب بأنه باعه بسعر ما اشتراه^(٤).

كذلك الطاحون، فإذا جاء صاحب الحب يريد طحنه لديهم يعملون جامدين على غشه، ومحاولة أخذ شيء من طحينه وفق حيل وطرق يسلكونها، ويدرب بعضهم بعضا عليها قل أن يسلم منها من تعرض لها^(٥).

من ذلك: ما يذكره السقطي أيام نظره في الحسبة أن صاحب رحى أعده للطحن ثم خرج وترك له صبيا قد دربه على شغله فجاء صاحب قمح يريد طحنه في ذلك الرحى، وأخذ في العمل، ثم خرج السقطي لتحديد الوضع وترك بعض أعوانه ليراقب صاحب الرحى ولكنه خرج - أيضا - لاحتقاره الصبي الذي في الرحى أن ينقص شيئا أو يخدع، فلما وزن الدقيق نقص نصف صاع فوجه المحتسب إلى المعلم

(١) انظر القاضي عيسى بن سهل ولائق في شؤون الحسبة في الأندلس م.س. ص ٥١/

(٢) من ذلك الحديث... «ما نقص قوم الكيال إلا أعذوا بالسنين، وجور السلطان»

(٣) انظر السقطي، في آداب الحسبة والمحتسب ص ٣٦/

(٤) انظر المصدر نفسه ص ٣٩/

(٥) المصدر نفسه ص ٣٩/

صاحب الرحى اللوم، فادعى عدم حضوره، فلما اشتد عليه المحتسب [السقطي] وعلى الصبي وتيقن العزم بإيقاع العقوبة قال للصبي: (هذا أمر لا ينجيني منه إلا أن ترد ما أخذت) فقام الصبي وكشف عن حفرتين مملوءتين فأخذ وأوزن فكان نصف الربع الذي نقص^(١).

ومن ذلك - أيضا - أن صاحب رحي ترك صبياً له في الرحى، وقد دربه على حاذق عمله فجاء إليه رجل، وطحن لديه، وكان الرجل دربا في حيل أهل الرحى متنبها لمكرهم فما استطاع الصبي أن يخال عليه أو يأخذ شيئا من دقيقه، فلما جاء صاحب الرحى طلب من الصبي أن يريه ما أخذه من صاحب الدقيق فاعتذر إليه لعدم استطاعته ذلك؛ لاحتياط الرجل ونباهته، فلامه، ثم لحق بالرجل بعد أن قطع مسافة من الطريق، وطلب منه الوقوف، وأعلمه بأنه عرف مناقش الرحى في جملة دقيقه حيث لم يشعر به وطلب منه أن يتمكن من النظر في الدقيق لبحث فيه عن المناقش فجعل يدخل يديه ويحفر الدقيق يوهم أنه يبحث عن المناقش ويسقط كمه على العدل الذي به الدقيق فيرفع يديه كأنه يزيل بذلك كمه وينصب الدقيق في كمه إلى موضع شد الخزام، ثم أظهر أنه لم يجده في ذلك العدل، وطلب منه أن ينظر في العدل الآخر، وفعل به كما فعل بالعدل السابق ثم أخرج المناقش وقال: (أليس هو هذا؟) فحجل الرجل وحلف أنه لم يره ولم يشعر به، وتركه وحمله وانصرف حتى دخل الرحى، وحلّ حزامه فسقط الدقيق الذي اجتمع في حزامه، وكان أزيد من ثلث ربع واحد ثم قال للمتعلم: (هكذا يعمل المشتغل)^(٢).

وكذلك من غشوشهم خلط الدقيق بالعظام، وشوابي البحر ومحره في بلد الساحل، وبالتراب الأبيض يقول السقطي: (سمعت يوما رجلا يحدث وقد تعجب مما رأى فقال: كنت واقفا على قارعة طريق يفضي إلى رحي فإذا بطاحتها يتوجه إلى دابة وتحتة عدل فارغ، وقد أبصر إلى جانب الطريق قلبية^(٣) بالية فسمعتة يقول:

(١) المصدر نفسه ص/٣٩

(٢) السقطي، في آداب الحسبة ص/٣٩-٤٠

(٣) قلبية: جمجمة حيوان، المصدر السابق ٣٦

(ربع دقيق هنا ترفدلي، ونزع عن الدابة وجعلها في مقر عدله، وعاد إلى ركوبه، ومضى لوجهه)“.

كذلك من غشوشهم خلط الدقيق بالتراب الأبيض، فيذكر السقطي - أيضا - أن هناك بأرحى مألقة عجبا يجب التحدث به، وذلك أن فيه غار فيه تراب أبيض يختفر ويخلط في الدقيق، ويزعم أهل تلك الجهة أنه يحسن باختيار ما يخلط معه من الدقيق، والناظر في الحسبة بمألقة يمنعون منه، وبينون فم الغار مرة، ويردمونه أخرى، ومتى غفل عنه حفر عليه ودلي به، ومع ذلك كله فالمفسد لا ينفك والخدع جمّة“.

ومن غشوشهم في الخبز خلط الطيب بما دون ذلك، يفعل ذلك العمال ليوفروا على المعلمين المؤونة ليؤثرهم بالاشتغال والمنفعة، فإذا كشف المحتسب حيلتهم تلك تراء صاحب العمل من ذلك، وادعى أن هذا عمل العمال، وطلب من المحتسب أن يأخذهم به

شأن المحتسب معهم

هؤلاء ممن ناهم عمل المحتسب، فيدخلون تحت سلطانه وولايته، فيأمرهم المحتسب ألا يباع الخبز إلا بميزان، ويتفقد طحينه، ويمنعهم من تلبيس الخبز وهو: الأخذ من عجين طيب قليلا وتلبيس وجه الخبز به، وهو من دقيق غير طيب“.

ويأمرهم أن يكثرُوا عند العجين من الماء، وينهون عن خلط البارد من الخبز بالحار، والتفريق بين الطيب وغيره، ويمنعون عن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء والغسل، وبعد الطبخ بالزيت“، وينهون عن التدخين عليه بعد إدخاله الفرن بالنخالة، وحطب الأشتب ليحسن وجهه، ويتجمل للناظر، ويمنعون عن تقريصه بالدقيق

(١) انظر السقطي، من آداب الحسبة ص/٣٧

(٢) انظر السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص/٣٧-٣٨

(٣) ابن عبدون، رسالة ابن عبد الرؤوف في القضاء والحسبة ص/٤٣

(٤) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب ص/٨٩

الطيب منه، وذلك تدليس، وعليهم التفريق بين خبزة الرطلين والرطل ونصف،
ويختبرهم المحتسب بالوزن، ويعاقبهم إن وجدته ناقصاً^(١).

وإذا وجد الخبز ناقصاً عند صاحب الخانوت فالأدب على صاحب الفرن
والخانوت^(٢)، ويمنع صاحب الرحى أن يطحن بها بعد نقشها لئلا يختلط الحجر
بالدقيق^(٣).

وللمحتسب طرق في كشف حيل المختالين، ومن ذلك: كشفه طيب عجين
الخبز من عدمه يقول السقطي: (وقد كان بعض المحتسبين يختبر ذلك بأن يدخل مسلة
الحديد بخيط الصوف، فينفذ الخبزة بها من القصر إلى الوجه، فإن خرجت فتاتته في
خيط الصوف كسر الخبز لقلة عجينه، وإن لم يخرج في الخيط شيء فذلك الطيب
المراد)^(٤).

ومن طرقهم في الاحتساب الاهتمام بنظافة ماء العجين، ويمنعون مما يظن به
عدم النظافة^(٥).

ولا يمكن من بيع الخبز لا جزار، ولا من تستقذر خدمته، ويومرون بتغطية
الخبز بين أيديهم، ويمنعون من مجاورة أهل الحرف القذرة كبيع السردين، وسائر
أصناف الخوت، والبيطرة والحجامين، وما أشبه ذلك، ويومرون بتنظيف ساحاتهم،
والبعد عن المواضع الوسخة القذرة^(٦).

(١) المصدر نفسه ص/٩٠

(٢) يحيى بن عمر، أحكام السوق ص/٥٨

(٣) السقطي، في آداب الحسبة ص/٢٧

(٤) المصدر نفسه ص/٤٣

(٥) ابن عبد الرؤوف، رسالته في آداب الحسبة والمحتسب ص/٩٠

(٦) انظر المصدر نفسه ص/٩٠

المطلب الثاني: الاحتساب على العطارين

هؤلاء من أهل السوق، يشرف على عملهم المحتسب، ولكن شأنهم عظيم لصعوبة كشف غشهم من قبل المحتسب.

يقول أبو عبد الله محمد السقطي (هؤلاء قوم شغلهم أوسع الأشغال، وأمورهم مختلفة الأحوال، والكشف عنهم صعب المرام، وغش مفسدهم لا يكاد يحصر، ولا يرام، وذلك أن الغش عندهم إذا لم يزد على الثلث لم يستطع أحد إخراجه، ولا الوقوف على الصحة فيه، ويتساوى الناس في معرفة ظاهر الأشياء بدخول أكثرهم فيها، فصار المفسدون لا يلبثون على أحد، ولا يقفون في سبيلهم على حد^(١)).

ثم أورد أنواعا من غشوشهم وحيلهم وخدعهم، فمن ذلك: أنهم يغشون الحناء بقشور الرمان، والزنجبيل بالموجود شبيها له بجبال الأندلس...، ويغشون الزعفران بشعر العصفور، ونضيج لحم صدور الدجاج، والعنبر بشحم الحوت ثم يقول: (ولكل نوع من ذلك تدبير له وصنعة فيه أحكمها أهل الاشتغال بها، وواصلها المديرون لها، والأمر في ذلك كله أعظم من أن يطال البحث عنه، ولاستقصاء له، وكيف لا؟ وقد حكى أن العقار نحو الثلاثة آلاف في العدد، والاختراعات لا تنقطع)^(٢).

طريقة الاحتساب عليهم

يقدم المحتسب عليهم في سوقهم أمينا تعلم ثقته، ودينه، ومعرفته، وبصيرته في تلك الأشياء، ويعرفها ويميزها، وله اعتناؤه ببقاء الشيوخ العارفين بذلك، والأخذ عنهم فيه، وكذلك ثقات التجار المتحولين في البلاد، والأطباء العارفين^(٣).

(١) انظر السقطي، في آداب الحسبة ص/ ٥٦

(٢) انظر السقطي ص/ ٥٨، ابن عبد الرؤوف ص/ ٨٦-٨٧

(٣) انظر السقطي، ص/ ٥٨

كذلك على المحتسب أن تكون له همة في مطالعة أقوال المتقدمين في أخبار ما يوجد من ذلك، والكشف عنه؛ لأنه توجد لتلك الأشياء أشباه مماثلها في الصفة، والنوع، وتنافيها في الفعل والمنفعة^(١).

وعلى المحتسب أن يكون بصيرا بطرق الغش ليسهل عليه معرفة الوصول إلى كشف تلك الطرق وفضح فاعلها ومعاقبته، فإن لهم طرقا وحيلًا في الغش يتقنها من تمارس على فعلها.

كما أن للمحتسبين طرقا ووسائل لكشف وفضح تلك المنكرات ومن ذلك: كشف الغش في الشمع بأن تدخل فيه مسلة حديد - أي: إبرة من حديد - بعد أن تحمي في النار، وتقرر في الشمع المغشوش بدقيق الباقلا، أو شحم الماعز، فإن المغشوش ينش، والخالص لا ينش^(٢).

بياعي المركبات

أما المركبات، فإنه يصعب كشف الغش واخيلة فيها، ولا سيما الذين يبسطون بها في رحاب المساجد، وأفواه الطرق، ومجمعات العوام، فأولئك لا خلاف أنهم لا يبيعون إلا بالأيمان الخائنة^(٣).

يقول السقطي: (ولقد رأيت منهم - أي الباعة - من يصنع من القرع الرطب مربى يبيعه بحسب تفريعه له فتارة مربى زنجبيل، وتارة مربى جزر)^(٤).

ثم ذكر أنه اطلع على أحد الباعة المتجولين، والجالسين بالساحات وكيف نشر عدته وأدواته، ثم عمل مركبا وغشه، وشغل الناس بما يأتي من الخدع والقصص، والحكايات العجيبة، وإنشاد الشعر ثم باعه بعد أن اجتمع عليه خلق كثير

(١) انظر السقطي، ص/٥٨

(٢) انظر السقطي ص/٥٩

(٣) انظر المصدر نفسه ص/٥٩

(٤) انظر المصدر نفسه ص/٥٩

ولم يبين السقطي كيف احتسب على ذلك الغاش بعد أن وقف على حاله، واطلع على ما عمل من الغش والخداع، لا سيما وأن السقطي من رجال الحسبة، وولاتها.

طرق الاحتساب عليهم

وشأن المحتسب كذلك مع هؤلاء أن يمنع غشهم، وينبه على مكرهم وحيلهم ويبين للناس فعلهم، ويأخذ الصيادلة الذين نصبوا أنفسهم بالأسواق أن لا يخلطوا عقارا إلا بمحضر الأمين عليهم، ليطلع على عملهم، ويكشف غشهم وخذعهم، وللمحتسب طرق في كشف أولئك وفضحهم^(١).

كما أن صناعة الطب خضعت لرقابة المحتسب، فقد نهت كتب الحسبة عن خلط العقار الطيب بالردىء، والأشياء الهندسية بالبلدية، وبيعها ممن لا يميزها، ولا يفرق بينها، مثل الخولان، والصبر، واللبان والعود الرطب وما أشبه ذلك^(٢). ولا يبيع الشراب، ولا المعجون، ولا يركب الدواء إلا الحكيم الماهر^(٣).

(١) انظر السقطي، ص/٦١-٦٢

(٢) انظر محمد خلاف، وثائق في الطب في الأندلس ص/٩

(٣) انظر ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ص/٤٧، ومحمد خلاف، وثائق في الطب ص/٩

المطلب الثالث: الاحتساب على باعة العبيد والخدم

كثر العبيد والخدم في الأندلس؛ لأنها بلاد جهاد ضد النصارى، ولذلك فإن هذا الباب باب واسع، والمنكرات في ذلك والاحتساب عليه يطول.

يقول السقطي: (أما هؤلاء فقوم خطبهم جليل، وأمرهم ليس بالمختصر، ولا القليل، وذلك أنهم يتصرفون بين الأنساب، والأموال، ويأتي مفسدهم بما لا يقتضيه الشرع، ولا تقره نفس مؤمن ولا ترتضيه بحال، ولهم في شأنهم خدع ومكر يعاملون الناس بها ويدخلونهم بحسبها)^(١).

ومن حينهم وغشهم: أنهم ينصبون بسوقهم امرأة يسمونها الأمانة توافق في النكير مذهبهم، وتشهد في استبراء الخدم بمقتضى مرادهم، وبحسب ما يعطي مشترين، ويقصد التعجيل بالاجتماع بهن، وتفهمه من غرضه فيهن، وكذلك إخفاء العيوب، والحيلة فيها والتدليس بها، ويتوصل المفسدون بمشاركتها إلى ما لم يكونوا يقدرون عليه دونها، وذلك أنها تحمل المرتفعات فتينات معطرات إلى ديار من يطلبهن باسم الشراء، ويوهم بإرادة التقلب، والاختبار، ولا سيما ذوات الصناعات فيعطيهن على وجه الشكر، فرمما اجتمع بتلك الخادمة^(٢).

يقول السقطي: (ولقد أفصح لي أحد من فعل معه هذا بشيء يجب التنزه عن ذكره)^(٣).

ومنكرات ذلك - أيضا - عدم استبراء النساء، والدخول بهن بعد الشراء مباشرة، وقبل التحقق من استبرائهن، وهذا حرام مخالف لنصوص الشريعة، وهادم لمقاصدها، وطريق الخلط الأنساب.

يقول السقطي: (استدعاني يوما رجل له دنيا وكلفني بداره كتب عقد جارية من المرتفعات للشراء، فسألته عن استبرائهن، فلم أجده، والبائع منه يعرف حكم ذلك

(١) انظر السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص ٦٣/

(٢) انظر السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص ٦٣/

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٦٣/

فقلت لهم: لا بد أن توقف للاستبراء عند ثقة من النساء تتفقان عليها، أو عند رجل من الثقات أهل الدين، والأمانة تكون عند أهله إلى أن يتحقق استبراؤها.

فقال المشتري: تقول شيئا والله ما سمعته قط، ولا عمل معي، وإنما عادتي اشترى بالمعرض خادمة، وأبيت معها ليلة ذلك اليوم.

يقول السقطي: (فانفصلت وتركتهما)^(١).

هذا من احتساب السقطي على هذا المنكر العظيم فيين لهم الحكم الشرعي، فلما وجد عدم السمع والطاعة لتنفيذه وقبوله، ووجدهم لا يعرفون ذلك الحكم تركهم، وانفصل عنهم هاجرا لهم.

وأورد السقطي - أيضا - قصة رواها عن رجل من الصانع أنه كان يعمل عند رجل في واجهة لمنزله فمر بهم رجل من بيع الخادמות ويحبهن ويعرضهن، فسأله صاحب الدار عن الخادمة التي عنده عارضها للبيع وطلب منه إحضارها لمشاهدتها فسأره بكلام سمع منه الصانع قوله خمسة دراهم تعطين أسوقها لك فغاب مدة يسيرة فجاء بها ملتحفة بكساء، فقال له هذه، وأشار لها إلى غرفة فطلعتها وطلع صاحب الدار بعدها وخلق بينهما، ومشى لوجهه، فتعجب الصانع من فعلها، وجمع أدواته وخرج^(٢).

وهذا من أعظم منكرات هذا الصنف، وأشدّها خطرا كما أن من منكرات هذا الصنف ستر عيوب الخدم، والحيلة في ذلك، والتدليس على المشتري، وإيهامهم بغير الحقيقة بسبب ما يأتون به من الطرق الخفية في ذلك، كما أشار السقطي وذكر أن هناك طرقا يعرف بها الغش في هذا ويكشف، يقوم بها متولي الحسبة، ويطالب بها^(٣).

(١) انظر السقطي، في آداب الحسبة م.س. ص/٦٣-٦٤

(٢) انظر المصدر نفسه ص/٦٤

(٣) انظر السقطي، في آداب الحسبة ص/٦٩-٧١

طريقة الاحتساب عليهم

على المحتسب أن يقدم عليهم أمانة من ثقات المسلمين الخيار أهل الدين والمروءات يؤمن عليها مكر ذلك الصنف من النخاسين، وخذعهم ويمنعون من امتنانها كل الأحيان قصد الإدلال عليها، وتمكن الحيلة في خدعتها تكون الخادومات عندها تشاهد أحوالهن، وتعرف بصحيحها من معتلها، ويأمر المحتسب ألا تحمل جارية من المرتفعات إلى دار أحد للتقليب، والاختيار، إلا أن يكون سيدها يتناول ذلك بنفسه، أو يحضر لذلك مشريها بدار الأمانة المذكورة أو غيرها، ويمنعون من تسويق المرتفعات، أو خدم يصلحون للاتخاذ إلا في ستر، وبمحضر سادتهم، والتحرار المعلومين بالتجارة فيهن ويختبرن فيما يدعين أنهن يحسنه من أنواع صنائعهن^(١).

وكذلك يؤمر النخاسون ألا يبيعوا نغير مشهور بالعين والاسم مملوكا، أو مملوكة إلا أن يعطى ضامنا بلديا معروفا بالعين والاسم، ولا سيما الغرباء الذين يحملون الممالك من البلدان، وأن يباحثوا العبيد، ويسئلوهم لما يخاف في ذلك كله من أن يكون العبد مسروقا، أو يكون له أهل يمكن هروبه إليهم، أو يكون حرا قد استعبد بموافقة، أو يكون للأنثى زوج أو ولد، أو يكون لواحد منهم عيب خفي، ولا يبيعون صبيا ولا صبية من أحد من أهل الذمة أو النصارى^(٢).

كما أن على النخاسين تفقد عيوب الممالك، وكشف الخيل في ذلك والإخبار بعيوبهم^(٣).

(١) انظر السقطي، ص/٧٢

(٢) انظر المصدر نفسه ص/٧٢

(٣) انظر المصدر نفسه ص/٧٢-٧٣

الجلسون في الأسواق

وهناك قوم يسمونهم الجلسون في الأسواق، وهم بمثابة الوسطاء بين البائع والمشتري، ولكن همهم الربح لأنفسهم وغش غيرهم فيأتون بمكرات عظيمة، وخاصة في هذا الباب.

يقول السقطي عنهم: (وأما الجلسون للتجارة بالأسواق فقوم أكثرهم يستبيحون في معاشهم ما منعه الشرع، ونهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم، فمنهم: من هم حوانيت للتجارة ودلالون بين أيديهم يقسمون معهم الأجرة فيما يبيعون.

ومنهم: من يجلس للنحش، فيضل التجار المسافرين فينزلون بين أيديهم فيأخذ الجلاس السلعة، وينظر إلى الشراء الذي فيها يرسم التاجر ثم يحوه، ويزيد عليه عددا ويقول للسمسار: ناد فينادي الدلال بما أمر به حتى ينتهي السوم فيكتبها على من زاد آخر، فيربح بذلك التاجر كثيرا، وإن زاد الجلاس ولم يجد الدلال من يزيد تركها الدلال لمناداة يوم آخر^(١).

كيفية الاحتساب على أولئك

يمنع المحتسب التجار من أن ينزلوا إلا على يدي دلال لا على يدي جلاس؛ لأن الجلاس ناجش، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد نهى عن النحش، والدلال ينادي، ويطلب الزوائد، والتاجر يبيع، والمشتري يبتاع، ويتغني الربح، ويسقط للجلاس بذلك ما يجوز فيه للتاجر فيكتبه على نفسه يرسم الحانوت؛ لكونه أعرف بسومه من التاجر الجالب له، وذلك سبب النهي عن بيع حاضر لبادي^(٢).

ويأخذ التجار بأن لا يرسموا سلعهم، ويجهدون لأنفسهم، ويبيعون بما قسم الله ليرتفع بذلك ما صنعه بعض الخيل منهم حين رأوا فضل الجلاسين معهم فرسموا

(١) انظر السقطي في آداب الحسبة ص/٧٤

(٢) انظر السقطي، ص/٧٦

سلعهم بأزيد مما اشتروها به ليزيد الجلاسون في بيعها من ذلك الحد، وذلك منكر لا يصلح، وقبيح لا يحسن^(١).

قال السقطي: (والواجب في جميع ذلك كله حملهم على المعتاد في الجيد وما يوجبه الشرع ويجيزه)^(٢).

(١) انظر السقطي، ص/٧١

(٢) انظر السقطي، ص/٧٨

المطلب الرابع: الاحتساب على أهل الحرف والصنائع

هؤلاء ممن ينالهم عمل المحتسب، فيشرف عليهم، ويحارب غشهم، فيجب على المحتسب أن يرتب الصنّاع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة، فهو أجلّ، وأتقن^(١).

كما أنه ينبغي للمحتسب أن يتفقد أمورهم وصنائعهم، ويمنعهم من مطلق الناس في حوائجهم لما في ذلك من تعطيلهم للناس عن أشغالهم، وإضرارهم بهم^(٢). ومن هؤلاء: الخياطون فيمنعهم المحتسب ألا يخطوا بفرد خيط، ولا يخط كامل؛ لأنه لا يتمكن من شده لطوله فتكون الخياطة به محلولة.

كذلك الصباغين، والقصارين، والرقائين، والدباغين، يشرف المحتسب على عملهم ويمنع غشهم^(٣).

فالخرف كثيرة، والاحتساب عليهم مهم، ويتعرض صاحبه لمشقة، وعنت أهل السوق؛ لأنه نصب نفسه لكبح فساد المفسدين، وكف شرهم على الآخرين، ويتعرض المحتسب بعمله هذا للحد من طموحهم في الجشع وطمعهم في المال.

طرق الاحتساب عليهم

من ذلك: تخويف من يعمل في ذلك بالغش، ويقصد الربح والغنى، يخوف بالله تعالى، ويحذر من الخطر الذي هو عليه^(٤).

من أمثلة ذلك: احتساب السقطي على من كان يعمل مع شيخ البنائين، وكان ضيق الحال فغاب عنه، فلما رآه، وسأله عن حاله فقال: إن حاله حسنة بعد اشتغاله في إحدى مطاحن الدقيق خادماً، فلما وقف السقطي على حاله، وحقيقة

(١) انظر ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٧٢

(٢) انظر السقطي، ص/٧٨

(٣) انظر المصدر نفسه ص/٧٨-٧٩

(٤) السقطي، في آداب الحسبة ص/٤١

عمله، أنه يحتال، ويأخذ ما لا يحل له بطريق المكر والحيلة، والتدليس قال له منكرا لصنيعه: (ومن مثل هذا تعيش، ولا تتقي الله، وإن كنت الآن أرفه فقد كنت ترزق حلالاً)^(١)، ثم تركه، وذهب عنه، ثم لقيه بعد ذلك فوعظه فقال له ذلك الخادم: (كذلك يفعل الكل في ذلك الشغل)^(٢).

من هذا يظهر جلها منكرات السوق في مجال الدقيق والخبز، ومنها: الاحتيال في النقص، والغش، وأن المحتسب يقوم بعمله حسب ولايته، وأن من صميم عمله محاربة ذلك المنكر وكشفه للناس والحيلولة دون وقوعه. ومن وسائل إنكاره: التخويف للمرتكب لذلك المنكر، وهجره، والإعراض عنه.

(١) المصدر نفسه ص/٤١

(٢) المصدر نفسه ص/٤١

المطلب الخامس: الاحتساب على الجزارين، وبائعى الحوت

يدخل هذا تحت سلطة المحتسب، ومراقبته، ومن منكرات وغشوش أولئك: النقص في الوزن، والاحتياال فيه، وخلط السمين بالهزيل في ذلك، والبائت بالطري، وبيع المصران والكروش مع اللحم، ولحم العتر مع لحم الضأن، والميت مع الحي، وكثرة العظم في اللحم^(١)، كذلك ترك التسمية عند الذبح، ومخالفة سنن الذكاة الشرعية الواجب مراعاتها، وإتباعها عند ذلك^(٢).

طريقة الاحتساب عليهم

على المحتسب أن يأمرهم بإتباع الطرق الشرعية عند الذبح من ذكر التسمية جهرا عند الذبح، وتحديد الشفرة، والتواري بذلك عن الذبيحة، والرفق بها عند إضجاعها، وعدم التعنيف عليها، وألا يذبح شاة وأخرى تنظر إليها، ويأمرون بصرف الذبيحة إلى القبلة، وإضجاعها على شقها الأيسر، ومراعاة قطع الجوزة إلى الرأس حتى لا يقع الخلاف في أكلها، ولا بد من قطع الحلقوم، والأوداج عند الذبح، وألا يرفع الذابح يده قبل ذلك^(٣)، وينهاهم المحتسب عن النفخ عند سلخ الذبيحة حتى لا يتغير طعم اللحم بذلك، ويؤدبون إن عادوا^(٤).
وتكون للمسلمين مجازر خاصة بهم، ولأهل الذمة مجازر خاصة بهم كذلك، وينهون عن البيع من المسلمين، ومن اشترى من المسلمين منهم لا يفسخ شراؤه، وهو رجل سوء^(٥).

وهذا يدل على احتياطهم لدينهم، والابتعاد عن الشبه فيه.

(١) انظر السقطي، ص/٤٨، وابن عبد الرزوف ص/٩٣

(٢) وابن عبد الرزوف ص/٩٣-٩٤

(٣) السقطي، ص/٤٧، وابن عبد الرزوف ص/٩٤

(٤) انظر يحيى بن عمر، أحكام السوق ص/١١٧

(٥) انظر ابن عبد الرزوف ص/٩٤

كذلك يقوم المحتسب بحولة تفتيشية على الجزارين مع أعوانه لينظر في الوزن والتمشي بالسعر الذي يباع به، حتى لا ينخدع الجاهل بحيلهم^(١).

كذلك يقدم المحتسب عليهم عريفا من ثقاتهم يبحث عن أخبارهم، ويطلع على أسرارهم، وينبه عليهم في السر والعلن، ويأخذهم بغسل الحصر التي يضعون اللحم عليها، ويطالبهم بنظافتها، وكذلك نظافة حوانيتهم.

وهم في هيئة وقوف الجزار، وكيفية تغطية اللحم طريقة معروفة يطالبون بها^(٢)، ويضعون الملح على اللحم إذا بات حماية له، ويفطونه بغشاء الخلفاء^(٣).

ويجعل لكل نوع من اللحم حوانيت تخصه، وتعلم به منفصلة عن غيرها، ويؤمر بائع لحم العنز أن ينفخ جلد عنز ويعلق بأول الحوانيت المعدة لبيع العنز؛ حتى لا يجهل ذلك أحد^(٤).

هذا يدل على نظام تلك الصنعة التي يشرف المحتسب عليها.

وسائل الكشف عن حيل الجزارين

ومن وسائل اختبار اغتسب لكشف حيل الجزارين وغشوشهم ما يلي:

يختبر المحتسب اللحم الذي يتوهم بأنه من ميت بأن يأخذ منه قطعة من عضو معين، ويأخذ مثلها من ذلك العضو بعينه من لحم مذبوح، ويوضع في قصرية مملوءة ماء، فإن المذبوح يرسب، والميتة تطفو، وكذلك ينظر إلى جلدها في حين سلخه فإن ظهر به نقط حمر صفار، وتظهر الحمرة في عروقه الرقيق التي في الجلد فهو جلد ميتة، وإن أدرمه صفيا أبيضاً فهو جلد مذبوح.

(١) المقرئ نفح الطيب ٢٠٩/١

(٢) انظر ابن عبد الرؤوف ص/٩٥، السقطي، ص/٤٩

(٣) المصدر نفسه ص/٩٥

(٤) انظر السقطي، ص/٤٩، وابن عبد الرؤوف ص/٩٥

طريقة المحتسب مع بيع الحوت

وكذلك شأنه مع بيع الحوت حيث يأمر بأن يكون سوقهم بمعزل عن الطريق، ويلزمهم بتنظيف الساحة، ويمنعهم عن خلط البائت بالطري وعدم الإكثار من الرش، فإنهم يؤذون الحاضرين، ويمنعون عن تمليح البائت من اليومين والثلاثة^(١). وكذلك ينظر في القلائن للحوت، ويأمرهم بتنقيته، وتنظيفه، وإخراج ما في جوفه، ويبالغون في تنظيفه، ولا يقلون بزيت رديء، وينهون عن كثرة الدقيق عند القلي، وينهون عن غمسه عند خروجه من القلي ساخنًا في الماء والملح لتحسينه للنظر، وليثقل الميزان، ويؤذون أن لم ينتهوا، ويأمرهم المحتسب بتبليغ القلي وإنعام الطبخ^(٢).

وكذلك يختار النظر والصيد لئلا يذبح ميتا، وكذلك الحوت الذي يموت في الماء قبل صيده يختار ذلك^(٣).

وإن سقر عليهم المحتسب فإنه يتحرى العدل، والربح بمقدار درهمين في الرطل الواحد للجزار^(٤).

وهذا يدل على علو نظام الاحتساب، والعدل والاهتمام في تلك الأمة، أما باعة الحوت، فيشتد عليهم ألا يبيعوا البائت مخلوطا مع الطري، وألا يبيت عندهم حوت إلا أن يكون مملوحا، بل عليهم أن يبيعوا كلاً من ذلك على حدة، يبيعونه مقلبا ومطبوخا^(٥).

(١) المصدر نفسه ص/٩٧

(٢) انظر ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة ص/٩٧

(٣) السقطي، ص/٤٩

(٤) المصدر نفسه ص/٤٩

(٥) المصدر نفسه ص/٥٠

المطلب السادس: الاحتساب على الطباخين

أما الطباخون فلهم نظام يؤاخذهم به المحتسب فلا يتركون يطبخون بالليل، ولا في السحر ولا في الديار الخالية، والمواضع الغائية، وليطبخوا في حوانيت مخصصة مسطحة يتمكن من غسلها في كل الأوقات، ويتناولون أشغالهم بضوء المصباح بحيث لا يخفى شيء من أمورهم حتى يشهد الثقة المقدم عليهم بنظافتهم.

هذا يدل على اهتمامهم واعتنائهم بالصحة العامة للأمة لأن إتباع ذلك النظام وتطبيقه له أثره على المجتمع.

يقول أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي: (فإن ظهر للناس تناول الطباخ وبحث الثقة وتفقد المحتسب، وكان الطباخ مأمونا مع ظهور تناوله أمن الناس الفساد، واطمأنوا لصحة العمل ولم يخافوا)^(١).

هذا نتيجة لأثر الاحتساب ومراقبة المحتسب لأعمال الطباخين؛ فإن من نتيجة ذلك العمل الأمن على الغذاء ونظافته وسلامته من الضرر على صحة المجتمع.

ولكن مع هذا النظام، وتلك المراقبة من المحتسب لم يخلو ذلك المجتمع من صور وحالات المخالفة، وارتكاب المنكر، فربما تكون شاذة، وهي حالات تحصل ممن يجيد فن الصنعة، والتخفي عن عين المحتسب، ولنضرب مثالا لذلك: القصة التالية التي ذكرها السقطي عن رجل حدثه بها عن صديق له يجيد فن الطبخ إذ كان هذا الماهر دخل قرطبة ولم يكن معه سوى ثلاثة أرباع درهم، ووجد على مقربة من مدينة قرطبة فرسا ميتا فعمد إلى إحدى فخذي الفرس وسلخها وحملها معه، ودخل بها قرطبة؛ واشترى بها معه أدوات طبخة، وعمل من ذلك طيخا فباعه، وفي اليوم التالي رجع إلى الفرس، وأخذ الفخذ الأخرى وعمل بها كاليوم الأول، وتحصل من كل ذلك ثلاثة دنانير فاتخذها رأس مال له فيما كان يعمل من غير ذلك^(٢).

(١) انظر السقطي، في آداب الحسبة ص/ ٥٠.

(٢) انظر السقطي في آداب الحسبة ص/ ٥٠-٥١.

قلت: أين محتسب قرطبة من ذلك العمل ومرتكبه، ولكن ذلك حدث ممن يجيد فن الصنعة: والتخفي عن مراقبة المحتسب.

ويقول السقطي - أيضا - في ذكر حالات مشابهة لتلك المخالفة أو أعظم منها: (ونقد أتيت مرات بجلود كلاب ورؤوسها، ووجدت قد أخذ لحمها، واتهم بذلك بعض الطباخين فمرة ظهر الفاعل ومرة خفي)^(١).

ولم يطلعنا السقطي على جزاء من كشف أمره وظهر للمحتسب، ولكنه ذكر لنا طريقة في كشف لحم الكلب من غيره إذ يقول: (وإذا جعل لحم الكلب للمهر تنمر، وانقبض، ولم يقربه)^(٢).

وكذلك إشراف المحتسب على عمل "المرقاس" هذا نوع من الأكلات عندهم حيث يشرف المحتسب على طريقة عمله^(٣).

طريقة الاحتساب على الطباخين

يأخذهم المحتسب بتنظيف أبدانهم وشعورهم لكثرة الحك، وتنظيف الأواني والقدر، ولا بد أن يتخذوا للقدر أغطية على ترابيع كأمثال أغطية التوابيت عليها أقفال، ومن تحتها أغطية أخرى، وتكون المفاتيح إذا أغلقت عند عريفهم، ويطوف عليهم المحتسب، ويختبرهم لكشف حالهم^(٤).

وكذلك أهل الهريسة يشرف عليهم المحتسب ويختبر عملهم يقول السقطي: (وأطيب هريسة القمح وأعد لها ما كان القدح يصدق ستة أرباع، وما زاد على ذلك أو نقص منه فإنما هو بحسب الاختيار لا بحسب الأعدل، وقد يعملها الصانع بحرية، وقد درج المحتسبون على أن يختبروها عليهم بأن يجعلوا عليها في القدر صنجة الرطلين فلا تغوص، ولما علم الصانع ذلك عمد أحدهم إلى صفيحة نحاس تشبه قطعة

(١) المصدر نفسه ص/٥١

(٢) المصدر نفسه ص/٥١

(٣) المصدر نفسه ص/٥١

(٤) انظر السقطي، في آداب الحسبة ص/٥٢

الرقائق، ودسها في موضع من وجه القدر، فلما أُطلَّ عليه المحتسب وضع الصنحة على الفريسة فوق الصفيحة فبقيت على الوجه، ولم تغص فتركه المحتسب، وانصرف، وقد انخدع في عقله ببصره^(١).

كذلك شأن المحتسب معهم أن يظهروا له مواضع أشغالهم حتى لا يخفى للناس شيء من تناولهم، ويحضرون اللحم للتعريف الذي يتقدم عليهم ليعرفها، وللمحتسب في كشف واختبار الناضج من أعمالهم طرق ذكرها السقطي^(٢).

كذلك من شأن المحتسب مع الطباخين أن يتفقدتهم عند الغدو والعشي، فأما بالغدو، فيقف على اللحم الذي يطبخون لئلا يكون لحما رديئا أو لحما من غير الصنف الذي يوكل لحمه يبيعونه بضمن الطيب، وأما العشي فلكلا تبقى لهم بقية فيزيدوا عليها غيرها ويخلطونها، ثم يعيدوا طبخها ويؤمرون ببيع ما بقي لهم منفردا، ويأمرهم بوضع ما طبخوه في الصحاف والقدر الواسعة ليراه المشتري^(٣).

(١) المصدر نفسه ص/٥٣-٥٤

(٢) انظر السقطي، في آداب الحسبة ص/٥٥

(٣) ابن عبد الرزوف في آداب الحسبة والمحتسب ص/٩٦

المطلب السابع: الاحتساب على البقالين أو البياعين

يدخل تحت هذا أشياء منها بيع الفواكه، وخص هذا مع دخوله تحت ما يكال ويوزن؛ لأن هناك مسائل، وصورا للبيع تبرز هنا، وخصها المحتسبون بالذكر، فمن ذلك: البيع بالعدد، فالعدد جائز عند البيع كالجوز واللوز، وما يباع جزافا، والبيع المحرم كبيع العينة^(١).

شأن المحتسب مع أولئك:

فإنه يأمرهم بالتفريق بين الكبير والصغير حتى يتقارب المعداد، أما إذا كان باطنه فاسدا، ولا يتوصل إلى معرفة ذلك الفاسد إلا بكسره فمالك ألزمه المبتاع، وقال ابن الماجشون: إنما هو اليسير إذ بهم، وأما الكثير فيرد، ولو اشترط البائع البراءة منه لم يجز؛ لأنه خطر.

قال ابن عبد الرؤوف: (وكل مبيع من الفواكه، وسائر الأطعمة التي تكال أو توزن إذا كان جنس واحد، فالمبتاع هو المتولي الأخذ لنفسه، ويأمر المحتسب الناس بترك ما نهى عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بيع الغرر، فمن ذلك: ما كان رطبا في شجرة من تمر أو تين أو عنب أو شبه ذلك يبابس من جنسه مكيل، أو زرع قائم، أو حصيد بمكيل من البر، أو زيتون من شجرة بمكيل من زيت، أو زيتون).

ومن ذلك: بيع الجزاف من جميع الأشياء كلها بكيل أو وزن، أو بقدر من صنف ذلك الجزاف.

ومن ذلك: - أيضا - بيع المخاطرة، وهو بيع الثمار قبل بدو صلاحها.

ومن ذلك: بيع العينة وهو بيع ما ليس عندك، وبيع ما لم تضمن^(٢).

والعينة على وجهين:

(١) المصدر نفسه ص/٩٩

(٢) انظر ابن عبد الرؤوف ص/٩٩

منها: حرام.

ومنها: حلال.

فالحرام: أن يأتي رجل إلى تاجر، فيقول له: (بع لي سلعة كذا بثمن كذا إلى أجل كذا) فيتفق معه على الربح، ويخرج التاجر دنانيره فيشتري بها ما سمي من السلع ويبيعها منه على ما اتفقا عليه، فهذا حرام، أو يقول له: (اشتر لي سلعة كذا وأنا أربحك فيها كذا) أو يقول له: وأنا اشتريها منك بكذا، أو يبيع منه سلعة إلى أجل ويشتريها منه في الحين بالنقد فهذا كله لا يحل.

الحلال: ما لم يقع بين البائع والمبتاع موعدة، ولا شيء من الوجوه التي ذكرت إلا أن يشتري لنفسه، ويبيع لمن احتاج بنقد، وإلى أجل فهذا كله دون موعدة تكون بينهما^(١).

كذلك تحريم البيوع التي يحرم التفاضل في أجناسها مثل بيع العنب فلا يباع إلا مثلاً بمثل، وكذلك الثوم والبصل، فلا يباع حتى يظهر طيبه من رديئه ويطلع على جميعه^(٢).

وما كان من الأطعمة تشتري فينهى صاحبها عن الغش فيها، فإن لم ينته وعاد، فإنه يودب، ويتصدق بذلك الطعام^(٣).

شأن المحتسب مع هذه البيوع

وشأن المحتسب مع تلك البيوع منعها وعدم إتمامها، كذلك على المحتسب أن يأمر الباعين بتوطئة مناصب حوائثهم، وعدم رفعها حتى ينظر المبتاعون ما عليها، وفي ذلك مضرة لعدم الإحاطة بالمبيع كذلك يمنع المحتسب خروج المصاطب إلى الطريق؛ لأن فيه ضرراً على المارة^(٤).

(١) ابن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ص/٩٩

(٢) المصدر نفسه ص/٩٩

(٣) المصدر نفسه ص/١٠٠

(٤) المصدر نفسه ص/١٠٠

كذلك بأمر المختب بائعي الأطعمة، وما كان من أنواعها أن يصنعوها بين أيديهم لتقع عليها عين المشتري، ولا يضعونها خلف ظهورهم فتخفى عليهم. والفتاء إذا كان مرآ فالإمام مالك ألزمه لمبتاعه.

وقال أشهب: (١) يرد إذا كان يسيراً؛ لأنه يتوصل إلى معرفته بإدخال عود رقيق فيه وذوقه، وكذلك يفعل بمكة - أعزها الله - وأما الأحمال فلا ترد إلا أن يكون أكثره مرآ؛ لأنه لا يخفى على بائعه.

وهذا يدل على علو نظام الاحتساب عند الأمة، وكذلك رجوعهم إلى ما يفعل في بلاد المشرق وخاصة في الحجاز.

(١) هو: أشهب بن داود الإمام العلامة مفتي مصر أبو عمر القيسي العامري المصري الفقيه اسمه مسكين.

وأشهب لقب له، ولد سنة/١٤٠هـ، وقال عنه الإمام الشافعي - رحمه الله -: ما أخرجت مصر أفقه من

أشهب، لو لا طيش فيه، توفي سنة/٢٠٤، انظر السير ٩/٥٠٠-٥٠٢، وترتيب المدارك ٣/٢٦٢-٢٦٩

المبحث الرابع

الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب

لقد قام المجتمع الأندلسي بكافة طبقاته بالاحتساب على الأخلاق والآداب
وهم على الأقسام التالية:

١ - من الأمراء:

لا شك أن الاحتساب على المنكرات وإزالتها يجب في المقام الأول على من
تقلد الولاية العامة من الأمراء، والحكام، ولقد وجد من قام بذلك من الأمراء في
الأندلس، وقاموا بالاحتساب في محاربة الخمر ومحاولة لقطعها البتة.

يقول المقرئ: (وقد رام من وليها - أي: الأندلس - من الولاة المظهرين للدين
قطع ذلك، فلم يستطيعوا إزالته)^(١)، كما أن الموحدين طاردوا الخمر وحاربوها في
أنحاء دولتهم، وكان من أمراء الأندلس من له أخلاق حميدة وسجايا عظيمة، فقد
كان علي بن مجاهد العامري لا يشرب الخمر، ولا يقرب من يشربها^(٢).

وكان الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أخو المنذر وادعا لا يشرب
الخمر^(٣).

فإذا كان الأمير منتهيا عن فعل المنكر وانتشر ذلك بين رعيته لا شك أن
لذلك مردودا طيبا في سلوك عامة الرعية.

وقد كان الأمير الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر بالله، والمكنى بأبي
العاص المتوفي سنة/٣٦٦هـ على أخلاق حسنة محبا للعلوم مكرما لأهلها، وقد رام
قطع الخمر من الأندلس، وأمر بإزالتها، وتشدد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة
العنب من جميع أعماله، فقبل له إنهم يعملونها من التين وغيره، فتوقف^(٤).

(١) المقرئ، نفع الطيب ١١٢/٣-١١٣

(٢) المراكشي، المعجب ص/١٢٧، وانظر دول الطوائف ص/٢٠٩

(٣) النضي، بغية الملتبس ص/١٦

(٤) النضي، بغية الملتبس ص/١٨-٢١

وهذا يدل على حسبة من هذا الأمير رحمه الله تعالى في الأخلاق بامثال
حسن الخلق في نفسه، وحسبة في العلم وتكريم أهله، وحسبة في قطع دابر شرب
الخمر، واجتنائه من مصدره.

وكان الموحدون يتحرون العدل، ويأمرون به، ويحثون عليه، وأن تكون
الأحكام جارية على سنن العدل، وأمروا أن ترفع إليهم أحكام القتل، أو الإعدام قبل
نفاذها، وترفق بذلك الشروح، وتقيد شهادة الشهود، مع تدوين حجج المظلومين^(١).

٢ - من العلماء:

العلماء هم أولى الناس بالاحتساب وقمع المنكرات بما أعطاهم الله من العلم
في أحكام الشريعة وتنفيذها والذب عن حدودها وحمايتها من أن تهدم أو تدنس
حماها، ولهم مواقف عظيمة في هذا المجال، ومن ذلك احتسابهم في محاربة الخمر،
ومن يشربها ولو كان عظيمًا، أو أميرًا، فهذا أحمد ابن وهب من أهل قرطبة، ويكنى
أبا عمر جاءه كتاب من السلطان ففكه، ثم كتب، وطوى الكتاب وسجاه، وتناوله
الفراق، فلما سئل عن ذلك قال: كتب إلي يقول: ما خير الخير؟ وما شر الشر؟
فكتبت إليه: خير الخير الصبر، وشر الشر الخمر^(٢).

وهذا بيان من هذا العالم على شدة خطر الخمر، وعاقبتها الوخيمة، فهي أم
الخبائث.

٣ - من الأدباء:

للأدباء في الأندلس شأن عظيم، فقد أثروا المكتبة العربية بروائع من الشعر
والأدب، وكان لهم دور عظيم لا ينكر في هذا المجال، ومع ذلك فقد كان لهم دور
بآرائهم الأدبية من شعر ونثر في مجال الاحتساب، وإنكار المنكرات، فهذا الشاعر أبو

(١) انظر عبد الملك بن صاحب الصلاة المن بالإمامة، تحقيق د. عبد الهادي الشاذلي ط ٣ (بيروت، دار

الغرب ١٩٨٧م) ٢٢٥-٢٢٩

(٢) ابن بشكوال، الصلة ١/ ٢٨-٣٩

بكر المغيلي نسبة إلى قرية مغيلة من أعمال إشبيلية المتوفى سنة/٣٦٤هـ كان ينصح،
ويدعو إلى تجنب الإسراف والخلود إلى الدنيا ومن قوله في هذا المعنى:

تبين فقد وضع المعلم وبان لك الأمر لو تفهم
هو الدهر لست له آمنة ولا أنت من صرفه سالم
فأين الملوك وأشياعهم وديانهم أدبرت عنهم
فهذي القبور بهم عمرت وتلك القصور خلت منهم^(١).

المحتسب المولى يراقب الأخلاق

كان من واجبات المحتسب المولى في الأندلس، مراقبة الأخلاق العامة بين
الناس، والاحتساب على منكراتها، وحمل الناس على كل خلق حسن، ومحاربة كل
خلق وأدب سيئ، فكان من واجبات المحتسب منع صانع الزجاج أن يصنع آنية
مشاكلة للخمر، وكذلك من يصنع الأواني من الفخار^(٢)، وكذلك ينهى المحتسب
عن بيع العنب الكثير ممن يعرف أنه يشتريه لعصره حمرا^(٣).

ولما عرضت مسألة ابن حمدون على القاضي أحمد بن محمد قاضي الجماعة
بقرطبة المتوفى سنة/٣١٢هـ وشهد عليه شهود بأنهم يعرفون عبد الله بن حمدون بأنه
ممن يعصر الخمر ويبيعها ويشربها، ويدخرها، ويجتمع إليه أهل الشر والفساد، فسأل
عن ذلك المشاورين أبا صالح وابن لبابة، وعبد الله بن يحيى، فجاء جوابهم:

(أما شرب الخمر، ففيه الحد ثمانون سوطا. وأما عصرها، وبيعها، فالأدب
على قدر ما

يزعه عن ذلك وينهاه، وأما جمع أهل الشر والفساد فأكثر من ذلك من
الأدب، والحبس حتى تظهر توبة، وتعرف بعد الاعتذار إليه شهادتهم عليه^(٤).

(١) ابن سعيد المغرب في حلى المغرب ١/٣١٣-٣١٤

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٤٣

(٣) المصدر نفسه ص/٤٩

(٤) القاضي عيسى، وثائق شؤون الحسبة في الأندلس ص/١٠٩-١١٠

المحتسب يراقب تصرفات النساء

كذلك من واجبات المحتسب الإشراف ومراقبة تصرفات النساء، ويمنع من المنكرات فيها ومن ذلك:

١- منعهن من الاغتسال في الأماكن الخافية على ضفاف الأنهار؛ لأن تلك الأماكن الخافية مظنة فعل الفاحشة، فيقطع المحتسب السبيل المؤدي إليها^(١).

٢- ألا يبيع النساء في السوق إلا ثقة.

٣- القيام بقطع الطرازات؛ لأنهن من الوسائل المؤدية إلى الزنا.

٤- منع الخلوة بالنساء من الطبيب كالحمام ونحوه^(٢).

٥- منع مشي الرجال والنساء أيام العيد على طريق واحد عند جواز النهر^(٣).

المحتسب يراقب النظام والأخلاق العامة

يقوم المحتسب بتنظيم الصنائع والبضائع في الأسواق، فيجعل أماكن خاصة لكل صنف من أصناف البضائع، ويمنع أن يكون حول المسجد والجامع بيع ما فيه منافاة لبيئة الجامع، وهذا يدل على اهتمامهم بالأدب والأخلاق العامة^(٤).

كذلك يراقب المحتسب أعمال المجتمع فيأمر بالترفع عن الأعمال المهينة كعمل المسلم عند اليهود والنصارى في أعمال مهينة كرمي الزبل، وتنقية الحمام^(٥)، فلا يقوم بذلك مسلم ليهودي، ولا نصراني فهم أولى بذلك.

(١) ابن عبنون، رسالة في القضاء والحسبة ص/٤٥

(٢) المصدر نفسه ص/٤٦

(٣) المصدر نفسه ص/٤٦

(٤) المصدر نفسه ص/٤٨

(٥) المصدر نفسه ص/٤٧

ويشرف المحتسب على الكنائس ويمنع المنكرات التي يمكن أن تقع فيها، ويمنع النساء من دخولها، ويأمر القسيس بالزواج^(١).

وينهى أهل الدقيق عن غربلة القمح في الأسواق، والطرق الضيقة لما فيه من الإضرار بالناس^(٢).

ويمنع المحتسب القصاص عن الكلام بما يسندوه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن لا بأس بالأخبار عن الملوك وبني إسرائيل.

ويمنع المحتسب من يمشي على الأسواق بالأزجال إلا من كان معرضاً على الجهاد، والذهاب للحج في وقت ذلك.

ويمنع أهل التخيل الذي يظهر أنه يفعل شيئاً من غير فعله ويخيل به مثل قلب العين، وما أشبه ذلك، وهو من باب السحر، والسندي الذي يهيج نفسه عن القدر الذي هو عليه فينتهي عن ذلك وإلا أدب.

وكذلك يتفقد الذين يتخبطون في الأسواق ويوهمون الناس أنه صرع، ويستخير ذلك منهم، وكذلك أصحاب الأورام، والقروح البشعة، ومن يتعلق مصراة من جنبه، والذي يصبح من وجع الحصا، والذي يظهر أنه مقعد، والذين يقرحون أيديهم، ويوهمون الناس أن ذلك بلاء، وهم يكذبون؛ وذلك كله منهم حيلة لأخذ أموال الناس بالباطل^(٣).

فيجب على صاحب الحسبة أن يقف من ذلك كله على صحة ويعاقب من تخيل منهم بتلك الحيلة؛ حماية للأخلاق، وصيانة لها، وطهارة للمجتمع.

ويأمر المحتسب بتعليم الثقاب والرماية، والسباحة، ويأمر النخاسين أن لا يمرروا دابة أكثر من مرة أو مرتين للمشتري، وأن لا يعذبوا البهائم، ومن تصلب من المعتوهين واشتدت أذيته على الناس أمر المحتسب بثقافه، ولا يهمل أمره^(٤).

(١) المصدر نفسه ص/٤٨-٤٩

(٢) ثلاث رسائل في الحسبة والمحتسب ص/٨٨

(٣) المصدر نفسه ص/١١٣

(٤) المصدر نفسه ص/١٢٣

وهذا يدل على الاهتمام بالأخلاق والآداب في تلك الأمة، وأن المحتسب هو
المسؤول عن منكرات الأخلاق، ويحتسب عليها، وقد وجد ذلك وطبق من قبل
المحتسب كما مرَّ سابقاً.

المبحث الخامس

الاحتساب على الأمراء والحكام وفيه تمهيد ومطلبان

المطلب الأول: حصة العلماء على الأمراء

المطلب الثاني: حصة العامة على الأمراء والولاة

التمهيد

الحاكم راع استرعاه الله أمر الأمة، أو أمر بعضها، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالرجوع إلى الأمراء والعلماء، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر^(٢).

والحكام والأمراء بشر يخطئون ويصيبون لكن الاحتساب عليهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ليس كالاحتساب على غيرهم؛ لما لهم من مكانة، ولما في أيديهم من ولاية؛ لهذا كان خير من يقوم بالاقتساب عليهم العلماء؛ لأنهم هم أصحاب البصيرة بأمر الدين، والدراية بعواقب الأمور^(٣).

وإذا نظرنا في تاريخ أهل الأندلس حكاما ومحكومين نجد أن الحسبة العملية عليهم تأتي من طائفتين: الأولى: العلماء، الثانية: العامة.

وسأفرد لكل طائفة مطلباً أذكر فيه نماذج من حسبتهم على الأمراء والولاة.

المطلب الأول: حسبة العلماء على الأمراء والولاة

من أبرز النماذج في احتساب العلماء على الأمراء في تاريخ الأندلس الإسلامي ما كان من المنذر بن سعيد البلوطي المتوفى سنة/٣٥٥هـ مع الخليفة الناصر لدين الله عند ما أغرق في بناء القصور إغراقاً أفضى به إلى بناء الزهراء المدينة الباهرة الساحرة، وانتهى في ذلك حتى عطل شهود الجمعة من المسجد الجامع ثلاث جمع متواليات، وكان المنذر بن سعيد خطيب الجمعة بالزهراء؛ فأراد أن يزجر الناصر فجعل خطبته في ذم تشييد البناء وزخرفته، والإسراف في الإنفاق عليه، مخوفاً من

(١) قال ابن كثير: (والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء). ابن كثير تفسير

القرآن العظيم ١/٩١؛

(٢) سورة النساء الآية/٥٩

(٣) انظر محمد بن أحمد بن عبدون النحوي، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة م.س. ص/٤

الموت محذرا من مجيئه فجأة، وأفاض في طلب الزهد، والابتعاد عن الملذات، ونهي النفس عن الهوى مستشهدا بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية، حتى ضج الناس بإعلان التوبة إلى الله، وكان من جملة الباكين المستغرقين الناصر غير أنه وجد في نفسه على المنذر بن سعيد وشكا لولده الحكم ما سمعه من المنذر قائلا: والله لقد تعمّدني بخطبته، وما عني بها غيري، فأسرف عليّ، وأفرط في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي، فزعزع قلبي، ثم أقسم الناصر ألا يصلي خلفه صلاة الجمعة، وجعل يصليها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة وجانب الزهراء^(١).

ثم أراد ابنه الحكم أن يزبل ما وقع بينهما فاعتذر للمنذر عند الخليفة فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيرا، ولو رأى ما أنفقت، وحسن تلك البنية لعذر، فلما قال له ولده ذلك أمر ففرشت بفراش الديباج وجلس فيها لأهل دولته ثم قال لقرابته ووزرائه: رأيتم أم سمعتم ملكا كان قبلي صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: والله يا أمير المؤمنين وإنك الأوحى في هذا الشأن فبينما هم على ذلك إذ دخل المنذر بن سعيد ناكسا رأسه فلما أخذ مجلسه قال له: ما قال لقرابته، فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته لسوء ما رأى، وقال: الله يا أمير المؤمنين ما ظننت الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن مع ما آتاك الله، وفضلك به على المسلمين حتى ينزلك منازل الكافرين فاقشعر الخليفة من قوله وقال له: انظر ما تقول كيف أنزلني الله منازلهم، فقال: نعم أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ وَزَخْرَفًا...﴾^(٢)

فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا، وجعلت دموعه تنحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر، وقال له: جزاك الله خيرا عن الدين، فالذي قلته هو الحق، ثم قام من

(١) انظر نفح الطيب م.س. ١٠٦/٢، النباهي تاريخ قضاة الأندلس ص/٦٩

(٢) سورة الزخرف الآية/٣٣-٣٥

بجلسه وأمر بنقض سقف القبة وأعاد مزاميرها ترابا على صفة غيرها^(١)، ففي هذا الذي نقل عن المنذر والناصر فوائد كثيرة منها:

١- احتساب العلماء على الأمراء والحكام.

٢- مكانة العلماء عند الحكام والولاة حيث يدخلون عليهم ويسمعون منهم.

٣- فضل الناصر حيث قبل النصيحة وامتلأ ولم يتكبر أو يعاند.

وليس هذا مقتصرًا على المنذر بن سعيد بل سجل التاريخ الأندلسي نماذج أخرى ممن كان يحتسب على الأمراء والولاة؛ وإن كانت هذه الحسبة - أحيانًا - لا تكون على وجهها الصحيح كما فعل أبو عبد الله غريب بن عبد الله الثقفي الطليطلي - وكان شاعرا - كان يقع في أمراء قرطبة ويعلن جورهم ثم في طليطلة تزعم الثائرين على أمراء بني أمية، وكان المتوردون يستندون لرأيه على صورة لم يجعل للحكم بن هشام مطمعا فيهم^(٢)، وفي عصر ملوك الطوائف كثر اعتراض الفقهاء على الولاة مما جعلهم يتعرضون للقمع كما حدث لابن حزم الظاهري الذي حرقت كتبه بإشبيلية خلال حكم المعتضد بن عباد^(٣).

من ذلك: ما فعله أهل الربض - ومنهم الفقهاء الجلة وأهل الفتيا، مثل طائفة الفقهاء، ويحيى بن يحيى راوي الموطأ، وأخيه وأمثالهم - فإنهم أنكروا على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أمورا منها: إطلاق يد ربيع القومى متولي المعاهدين بالأندلس من التصاري وكان خطيبا في رجاله سوغه افتراض المعادين والمغارم على المسلمين^(٤) فثاروا عليه سنة ٢٠٢ هـ، وناشدوه وجاهرُوا الخلعة ورجعوا إلى باب

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦/١٧٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١١/٢٨٨

(٢) انظر ابن القوطية ص/٤٦، جذوة المقتبس رقم ٧٥٥، ابن الأبار التكملة رقم ٢٤٨٩، نفح الطيب رقم/٦٤١٦

(٣) ابن بسام الذخيرة ص/١٦٩

(٤) اختلف في سبب ذلك الهيج فقليل: لم يكن له سبب إلا الأشر والبط وهلال العافية، والطبع الخاخي ولم يكن هناك وظائف ولا مغارم، وشيء، وقيل أن سببها ما تقدم من افتراض المغارم، انظر البيان المغرب

ص/٧٦، وأعمال الإسلام ص/١٥

قصره في السلاح، وأحاطوا به في أمم لا يحصيها إلا الله، لكن ذلك لم يفلح فلقد انتهت ثورتهم بأن قتل منهم مقتلة ذريعة قدر بعشرة آلاف وشرّد نحو ذلك^(١)، وهذه الواقعة إنما منشأها - على قول - الاحتساب على الحكام، وإن كان أكثر من فيها عامة، إلا أن فيها حنة من العلماء والفقهاء لكن لأنهم لم يأتوا الأمر من باب ولا اتبعوا طريقة الشرع في نصيح الحكام باءوا بالهزيمة ورجعوا بالخسران، وقد وقع في التاريخ الإسلامي - في غير الأندلسي، وفي الأندلس - وقائع كثيرة تقارب هذه الواقعة فلم يكن عاقبتها إلا الهزيمة، والآثار الوبيلة من تضعضع المسلمين وضعف قوتهم وهوانهم عند عدوهم؛ وهذه النماذج هي في الحقيقة مظهر من مظاهر الخوارج المتكرر في فترات تاريخية؛ ولهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم إلى أن يسريح برّ أو يسراح من فاجر، وهذا مسلك قرره أهل الأندلس في كتبهم^(٢).

قال محمد^(٣): (فالسمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب ومهما قصروا في ذاتهم فلم يلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق، ويؤمرون به، ويدلون عليه، فعليهم ما حملوا، وعلى رعاياهم ما حملوا من السمع والطاعة لهم^(٤))

(١) انظر البيان المغرب ٧٦-٧٧، وأعمال الإسلام ص/١٥-١٦

(٢) شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى ٤/٤٤٤

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بأبي زمنين - رحمه الله - المتوفى سنة/٣٩٩هـ،

صاحب كتاب أصول السنة، انظر الوافي بالوفيات ٣/٣٢١، الديباج ص/٢٧

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي أصول السنة تحقيق عبد الله محمد البعاري ط/١ (المدينة مكتبة

الغريب الأثرية ١٤١٥هـ) ص/٢٧٦

المطلب الثاني: حسيبة العامة على الأمراء والولاة

تقدم أنه إنما يحتسب على الأمراء أهل العلم دون غيرهم لمعرفةهم بطرائق ذلك وسبله، ولتقديرهم للعواقب، وترجيحهم لأرجح المصالح، واختيارهم لأخف الضررين، وبضد ذلك العامة فالغالب أنهم إذا دخلوا في هذا الأمر كان ضررهم أكثر من نفعهم، وقد وقع من عامة الناس من أهل الأندلس احتساب - فيما يرونه هم - على كثير من الولاة من ذلك:

في ولاية محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله، وكانت ولايته سنة أشهر، وكان في غاية السخف وركاكة العقل، وسوء التدبير، دخل عليه عوام أهل قرطبة نهارا وخلعوه وأخرجوه من قرطبة وأوثقوا وزيره أحمد بن خالد^(١).

وفي ولاية هشام المؤيد ثارت عليه العامة مرودة لا حاجة لنا بك^(٢).

وليس كل ما يقع من العامة من هذا القبيل يكون حسيبة، بل قد يكون مملا من الحكام، أو لأمر من أمور الدنيا كما يذكر ابن الخطيب عن أهل قرطبة؛ إذ يقول: (وقد جبل الله أهل قرطبة على ملل ملوكها، والقلق بذوي أمرها والإرجاف بما يتوقع لها وكان سفهاؤهم بالأسواق، والمجاميع غير المحتشمة فوثر عنهم في العامرين فوادر حارة واستراحات عنهم، وكان المنصور وولده المظفر يستحقرون لذلك مشايخهم ويأمرهم بإنهاء وعيده ويشافهم بإنكاره، ولا يزال حكامه يبالغون في إنكار ذلك وتغييره أقصى المبالغ ضربا للظهور، وقطعا للألسنة؛ هذا كثر الحمل عليه وشهرت البغضة^(٣)).

(١) انظر المعجب ص/١٠٨

(٢) ابن بسام الذخيرة ١٩٤٥ م ٣٩/١/٤

(٣) أعمال الأعلام ص/٩٠

المبحث السادس

الاحتساب في مجال العلم والتعليم وفيه مطلبان

المطلب الأول: طرق التعليم في الأندلس

المطلب الثاني: الرحلة إلى طلب العلم

المطلب الأول: طرق التعليم في الأندلس

التمهيد:

إن للعلم والتعليم في الأندلس مجال وميدان برزَ فيه الأندلسيون في طلبه وتعلمه، ثم تعليمه، ونشره تدريساً، وتأليفاً، دافعهم في ذلك طلب الأجر، والمثوبة من الله تعالى إحتساباً عليه، وهذا المجال أقرب إليه التطبيق العملي، وهو استكمال لما مضى في الفصل الثاني من الباب الأول.

التعليم في المنزل واهتمام الأندلسيين به

ويأتي بعد التعليم في الكتاب التعليم في المنزل، والمسجد ولكل منهما أهمية عظيمة في التعليم في الأندلس، فالتعليم فيها مرحلة تالية لمرحلة الكتاب، فالتعليم في المنزل اهتم به الأندلسيون، فكان كثير منهم معلماً لابنه، بل اكتفى بعض الطلاب بالتعلم على أبيه، ووصل إلى مرحلة عالية من العلم.

فهذا عبد الواحد بن محمد بن دينار، من أهل قرطبة توفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م^(١)

سمع من أبيه، ومن أخيه، ورحل معهما، وبلغ مبلغ أكابر أهل العلم^(٢).
و أحمد بن مسعود بن مفرج المتوفى سنة ٤٧٨هـ، روى عن أبيه، وتفقّه عنده^(٣).

وأحمد بن محمد بن علي بن محمد المتوفى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م أخذ عن أبيه، وتفقّه عنده^(٤).

(١) هو: عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار، ولد سنة ٢٢٩هـ، وكان خيراً ناسكاً، انظر تاريخ

علماء الأندلس ٢/٤٩٤

(٢) ابن الفرضي، علماء الأندلس ١/٢٨٩

(٣) ابن بشكوال، الصلة ١/٦٧

(٤) ابن بشكوال، الصلة ٨١

وممن اقتصر على السماع على والده، وحاز شهرة واسعة، بل أصبح قاضي قرطبة، الفقيه أحمد بن بقي بن مخلد^(١) الذي يقول عنه ابن الفرضي، كان قاضي قرطبة لا أعلم أنه سمع من غير أبيه، وكان زاهدا فاضلا توفي سنة/٣٤٤هـ/٩٥٥م^(٢). وكذلك يقول ابن الفرضي عن محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني من أهل قرطبة المتوفى سنة/٣٣٣هـ/٩٤٤م إنه سمع من أبيه أكثر علمه، ولا أعلمه روى عن غيره، وكان مشاورا في الأحكام، وانفرد عن أبيه برواية كتب لم يروها غيره^(٣). ووجد من علماء الأندلس من يعقد درسه في منزله، فيحضر إليه الطلاب لأخذ ما لديه من علم جادين محتسبين في ذلك، ويكون ذلك المجلس في غرفة خاصة بذلك، أو يكون على سطح المنزل.

يقول ابن فرحون عن حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التيمي القرطبي المتوفى سنة/٤٦٩هـ/١١٠٢م: قوله كنا عند أبي الحسن القابسي نحو ثمانين رجلا من طلبة العلم، وكنا في علية له - وهي: غرفة علياء تطل على الشارع بحيث تبرز عن جدران البيت - فصعد إلينا الشيخ يوما، وقد شق عليه الصعود فقام قائما، وتنفس الصعداء، وقال: والله لقد قطعتم أبهري^(٤).

وهذا دال على رغبتهم في طلب العلم، وجددهم في ذلك، كما يدل على تكبد المعلمين المشاق، والصبر في التعليم، وإيصال العلم لطلابه، محتسبين في ذلك الأجر والثوبة من الله تعالى.

(١) أحمد بن بقي بن مخلد أبو عمر القرطبي كبير علماء الأندلس، وقاضي قرطبة، توفي سنة/٣٢٤هـ، انظر

سير أعلام النبلاء ٨٣/١٥

(٢) انظر ابن الفرضي علماء الأندلس ٣٣/١

(٣) ابن الفرضي، علماء الأندلس ٥٢/٢

(٤) ابن بشكوال، الصلة ج ١/١٥٧

التعليم في المسجد:

هو المكان الثاني للتعليم، أو طلب العلم، ويعتبر أهم مؤسسة إسلامية تعليمية على الإطلاق، منذ بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد أولى المسجد اهتماما عظيما، فكان يبدأ بتأسيس المسجد أولا كما فعل في مسجد قباء ومسجده الشريف أول الهجرة، فالمسجد دوره عظيم في الإسلام لأداء العبادة، ومركز عظيم للتعليم، ومقر للقضاء، والاجتماعات.

بناء المساجد في الأندلس

وفي الأندلس اهتموا ببناء المساجد، فأول مسجد تم بناؤه هو مسجد "الرايات" الذي بناه موسى بن نصير في الجزيرة الخضراء أول قدومه^(١)، ثم تتابع بناء المساجد، وانتشرت في الأندلس انتشارا كبيرا، كما قام العلماء والفقهاء ببناء مساجد خاصة بهم^(٢).

فكان كثير من طلاب العلم يقصدون تلك المساجد لطلب العلم، والأخذ من العلماء في حلقاتهم المنتشرة في تلك المساجد، وقد كثرت المساجد في الأندلس، وقد ذكر بعض المؤرخين أرقاما كبيرة تدل على كثرة المساجد في الأندلس، ومما هو معروف أن المسجد الواحد كان يدرس فيه أكثر من مدرس، مما يدل على أن عدد المدرسين أو حلقات التعليم كانت تفوق عدد المساجد.

عدد المعلمين الذين تولوا التدريس:

ومن الصعب حصر كل المعلمين الذين تولوا التدريس، وجلسوا للتعليم، فأشير إلى بعض الأمثلة والأسماء على سبيل المثال لا الحصر، ومنهم:

(١) الإدريس، نزهة المشتاق ص/١٧٦-١٧٧، وانظر، تاريخ الإسلام في الأندلس ص/٢٦٨

(٢) انظر محمد عيسى تاريخ التعليم في الأندلس ص/٢٦٨

- ١- مفرج بن يونس بن مفرج بن محمود، سكن قرطبة وكان يعلم بمسجد سرور^(١).
 - ٢- محمد بن يوسف بن محمد الأموي المتوفى سنة/٤٢٩هـ-١٠٣٧م كان من أهل الضبط والعلم، وأقرأ الناس بقرطبة في مسجده، ثم خرج عنها في الفتنة، واستوطن الثغر، وأقرأ الناس به دهرًا ثم انصرف إلى قرطبة^(٢).
 - ٣- علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي كان مقرئًا للقرآن العظيم، كثير الاعتناء بروايته، مجودًا متقنًا التزم الإمامة بمسجده والإقراء فيه لمدة ست وستين سنة إلى أن توفي سنة/٥٦٩هـ-١١٧٣م^(٣).
- وهذا يدل على أهمية المسجد ودوره في التعليم في الأندلس، وهو الميدان المكاني للعملية التعليمية، وللمحتسبين في ذلك

طرق التعليم في الأندلس:

ومن أهم طرق التعليم التي وجدت في الأندلس:

- ١ - الإقراء ٢ - الإملاء ٣ - المناظرة، أو الحوار^(٤).

ولقد بذل المعلمون والمربون الجهد وبذلوا الوسع في التعليم والتربية، واستخدموا الحنكة التعليمية في نشر العلم وترغيب الناس فيه فتسابق الناس إلى التعلم والتنافس فيه، فلزموا الشيوخ بعد مرحلة الكتاتيب للتضلع من العلوم النافعة المتنوعة في شتى الفنون حتى إذا رأوا أنهم قد استوعبوا ما في بلادهم شرعوا في الرحلة فتنقلوا بين مدن الأندلس شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا، ثم رحلوا إلى المغرب، وتونس، ومصر، وإلى الحجاز وبخاصة إلى الحرمين مكة والمدينة، وإلى العراق، والشام،

(١) انظر شكيب أرسلان، الحلل السندسية ٧٢/١

(٢) ابن لفرضي، علماء الأندلس ج٢/١٠٠

(٣) انظر المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس ج١/١٥٠-١٥٣

(٤) انظر د. محمد عيسى تاريخ للتعليم في الأندلس ٣٤٧-٣٤٩

واليمين^(١)، وهذلولو الغالي والنفس في سبيل الزيادة في العلم تطبيقا لقوله عز وجل
﴿وقل رب زدني علما﴾^(٢).

المطلب الثاني: الرحلة في طلب العلم

الرحلة لطلب العلم سمة من سمات التعليم في الإسلام، حيث يقوم الطلاب بالانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن مزيد من العلوم وعن المعلمين المنتشرين في كافة بلاد العالم الإسلامي، وتعتبر الرحلة من أعلى مراحل التعليم، وقد كانت للرحلة دور عظيم في توحيد ثقافة العالم الإسلامي، وتنشيطها، وقد سمها أحد المؤرخين الغربيين بالحركة فيقول الدكتور مكل دي أبالشا: (الحركة هي من أهم مميزات التعليم الإسلامي، ويتجلى هذا في الرحلات من أجل اقتناء العلم)^(٣).

وقبل هذا القرآن والسنة يحثان المسلم على التفقه في الدين وتحصيل ذلك، فإنه واجب على الكفاية، يقول الله تعالى: ﴿قلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(٤).
ويقول - صلى الله عليه وسلم - «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»^(٥).

وبهذا الروح العظيمة النابعة من الأصلين العظيمين للإسلام حفظت هذه الأمة كتاب الله المنزل إليها، فنقلته بحفظ الصدور تلقيا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمانة وثقة، وتواتر، كما نقلته - أيضا - بحفظ السطور أخذًا من الصحف

(١) بالتحريك، وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها، ولما رها، وزروعها والبحر مطوف بها من المشرق إلى الجنوب فراحما إلى المغرب يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط. ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٤٧/٥

(٢) سورة طه الآية/١١٤

(٣) أنشا، التعليم العالي في القرون الوسطى الإسلامية، ومقارنته بالتعليم الحاضر، نغلا عن د. محمد عيسى تاريخ التعليم ص/١٠٩

(٤) سورة التوبة الآية/١٢٢

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٨٩/١ ح/٨٨

التي دونت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأدت القرآن إلى العالم بغاية الدقة في تبليغ نصه وكيفية أدائه، وتلاوته في كلماته وحروفه حتى وصل إلينا عبر القرون غضا طريا كما أقرأه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه، مما لم يقدر لكتاب غيره.

ثم ذبت الكذب والخلل عن الحديث النبوي بما وضعه علماء الحديث من قواعد الرواية، وهي أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختبارها. يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: (نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور، وقد بذلوا من أجل الحديث وأسانيده كل ما في وسعهم، حتى رحلوا المسافات البعيدة على بعد الشقة، وعظم المشقة طلبا للحديث، وبحثا عن أسانيد الأحاديث، بل عن إسناد الحديث الواحد^(١)). وكانت الرحلة في طلب العلم من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم وقد عني العلماء بالرحلة عند المحدثين فذكروا أهدافها وآدابها وفوائدها وألفوا فيها^(٢).

أنواع الرحلات:

وهناك نوعان من الرحلات، رحلات الأساتذة، ورحلات الطلاب، وتختلف أهداف ودوافع كل منهما عن الأخرى؛ كما أن هناك رحلات داخلية داخل البلد أو الأقاليم، ورحلات خارجية من قطر لآخر^(٣).

أما بالنسبة لطلاب الأندلس، فإن ظروف الأندلس الجغرافية قد حكمت اتجاهها نحو المشرق مروراً بالشمال الإفريقي، وتونس، ومصر، وبلاد الشام، ثم الاتجاه إلى العراق، وبلاد الحجاز، أو ركوب البحر إلى مصر، ومنها إلى بلاد الشام

(١) انظر، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٨٢، الخطيب البغدادي الرحلة في طلب الحديث ص/١٦.

(٢) انظر الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث

(٣) انظر د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٤١٠-٤١١

عبر سيناء^(١)، أو إلى بلاد الحجاز عبر البحر الأحمر، وكانت الرحلة إلى الحج تساعد في ذلك^(٢).

وقد وجدت في الأندلس الرحلات الخارجية التي كانت تتجه دائما إلى عواصم الأمصار الإسلامية المشهورة مثل: القيروان في تونس، والإسكندرية، والقاهرة بمصر، وبغداد^(٣)، والكوفة، والبصرة بالعراق، ومكة، والمدينة بالحجاز، وكان الأندلسيون يتجهون دائما إلى هذه المدن للتعلم على أساتذتها، ولطلب الكتب منها^(٤)، كما وجدت الرحلة الداخلية في الأندلس، والاكتفاء بها.

من كبار العلماء الذين اكتفوا بالرحلات الداخلية:

- ١- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، من أكابر علماء الأندلس لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة، وغيرها، ومن الغرباء القادمين إليها، وتمتاز الرحلات العلمية تلك بطول المدة وكثرة الشيوخ الذين يمكن مقابلتهم خلالها^(٥).
- ٢- إبراهيم بن هارون بن خلف المتوفى سنة/٣٦٠هـ-٩٧٠م قد أقام بقرطبة في طلب العلم أربعين سنة^(٦).
- ٣- بقي بن مخلد نقي وسمع من مائتين وأربعة وثمانين رجلا^(٧).

(١) بكسر أوله وفتح: اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى بن

عمران عليه السلام، ونودي فيه، وهو كثير الأشجار. ياقوت الحموي معجم البلدان ٣/٣٠٠

(٢) انظر د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٤١٠-٤١١

(٣) أم الدنيا وسيدة البلاد وفي بغداد سبع لغات، وتسمى مدينة السلام، وسميت بذلك لأن دخلت يقال لها

وادي السلام وأول من مصرها وجعلها مدينة أبو جعفر المنصور. ياقوت الحموي معجم البلدان ١/٥٧٧

(٤) انظر د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٤١١

(٥) انظر الحميدي، جذوة المقتبس ص/٣٤٤

(٦) انظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ١/٢٦، رقم/٣٩

(٧) انظر الخشني أخبار الفقهاء والمحدثين ص/٥١٢

٤- ابن وضاح^(١) من مائة وخمسة وسبعين.

٥- ابن فطيس من أكثر من مائتين.

٦- ابن حبيب فقد جال في الأرض، وقطع طولها عرضها، وجال في أكنافها، وانتهى إلى أطرافها^(٢).

ولقد كانت الرحلات الداخلية تتم عادة قبل الرحلات الخارجية، حيث يقوم الطالب بالدراسة على أهل بلده، ثم ينتقل منها إلى المدن القريبة أو إلى عواصم الإقليم، ثم إلى الحاضرة، وبعد ذلك يسعى إلى السفر للبلاد البعيدة، ولقد تكفلت الأوقاف، وأعمال الخير في كافة البلدان الإسلامية بإعانة الطلاب، ورعايتهم، وتمكينهم من التحصيل الدراسي، وفي الأندلس كانت أوقاف المساجد كثيرة جداً، ومما لا شك فيه أن جزءاً منها كان يوجه لخدمة الغرباء الذين هم في غالبيتهم من الدارسين^(٣).

مما سبق يظهر أهمية الرحلة، وأن علماء الأندلس اهتموا بها اهتماماً عظيماً، واحتسبوا في سبيلها الأجر والثوبة من الله تعالى، وهذا مجال عظيم من مجالات الاحتساب، له أثر عظيم ومردود طيب على نحو المجتمع وازدهاره.

الرحلات الخارجية لبعض أكابر العلماء:

فقد رحل الإمام الكبير يحيى بن يحيى بن بكير التيمي - بعد مراعاة الآداب السابقة لطلب العلم - من الأندلس إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي التيمي للسمع منه بالمدينة، وبعد أن أتم ذلك وتضلع بعلمه الغزير، وفقهه الواسع بقي عند مالك وقال: أقيمت لأستفيد من شمائله.

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن وضاح من رجال الدولة الأموية في الأندلس، تولى بقرطبة

سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م

(٢) المقرئ النفع ٢/٢١٥

(٣) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث م.س. ص ٢٦

وهكذا فإن أهل الفضل يقصدون للناسي بهم وبأحوالهم وصفاتهم، فرجع إلى الأندلس بعلم غزير وخلق رفيع فانتفع به المسلمون هناك فوائد جمّة في جميع الجوانب^(١).

وهذا أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي صاحب التصانيف ممن جدّ في الطلب وراعى آدابه، فقد أخذ عن أهل بلده يونس بن مغيث ومكي بن أبي طالب^(٢) ومحمد بن الحسن بن عبد الوارث ثم ارتحل بعد استيعاب ما في بلده ليحصل ما ليس عندهم، فحج وجاور ثلاثة أعوام ملازماً للمحافظ أبي ذر فكان سافر معه إلى السراة ويخدمه فأكثر عنه، وأخذ علم الحديث والفقه والكلام، ثم ارتحل إلى دمشق فسمع من أبي القاسم عبد الرحمن بن الطيّز، والحسن بن السمار، والحسن بن محمد بن جميع، ومحمد بن عوف المزني، ثم ارتحل إلى بغداد، فسمع من عمر بن إبراهيم الزهري، وعبد العزيز بن علي الأزجي، ومحمد بن علي الصوري الحافظ، وصحبه مدة وخلقاً سواهم، ثم ذهب إلى الموصل^(٣) فأقام بها سنة على القاضي أبي جعفر السمناني المتكلم صاحب ابن الباقلاني، فبرز في الحديث، والفقه، والكلام، والأصول، والأدب، فرجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم غزير حصله مع الفقر والتقنع باليسير، فبدأ بنشره في تلك الربوع فتفقه به أئمة واشتهر اسمه، وصنف

(١) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث م.س. ص/٢٧

(٢) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد الأندلسي القيسي أبو محمد مقرئ عالم بالتفسير والعربية، ولد

سنة/٣٥٥هـ، له كتب منها: مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات، توفي سنة/٤٣٧هـ،

انظر الأعلام ٢٨٦/٧

(٣) بالفتح وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظم كبرا وعظما

وكثرة خلق، وسعة رفعة، فهي محط رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان في باب العراق.

ياقوت الحموي معجم البلدان ٢٢٣/٥

التصانيف النفيسة، ومن تلاميذه أبو عمر بن عبد البر^(١)، وأبو محمد بن حزم، وأبو بكر الخطيب^(٢)، وخلق سواهم^(٣).

ومن رجع إلى كتب التراجم والتواريخ والسير يجد من ذلك الشيء الكثير^(٤)

(١) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الترمي الحافظ شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها في وقته له مؤلفات كثيرة ومنها: التمهيد، الاستذكار، جامع بيان العلم وفضله، ولد سنة/٣٦٨هـ، وتوفي سنة/٤٦٣هـ، انظر ترتيب المدارك ٨/١٢٨-١٣٠، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣

(٢) هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الإمام الأرواح العلامة المفتي الحافظ الناقد محدث الوقت، وعائلة الحفاظ، ولد سنة/٣٩٢هـ، ومن مصنفاته: تاريخ بغداد، شرف أصحاب الحديث، توفي سنة/٤٦٣هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠-٢٩٦

(٣) انظر الذمعي، السير م.س. ١٨/٥٣٥-٥٣٨

(٤) انظر، الذمعي، السير، وتذكرة الحفاظ، وتاريخ الإسلام، وغيرها.

المبحث الخامس: الاحتساب في تعليم العلم ونشره:

الاحتساب على تعليم العلم ونشره في الأندلس، يظهر جليا من خلال ذلك التراث العظيم، الذي تزخر به المكتبات فالتعليم من الكتاب من الاحتساب، والتعليم في المساجد من الاحتساب، وإنشاء المدارس النظامية والتعليم فيها من الاحتساب، والتأليف في العلم لنشره، والفتوى من الاحتساب، فهذه مجالات عظيمة ضرب بها الأندلسيون بسهم وافر.

الاحتساب من الأمراء:

لعظم مكانة الخلفاء والأمراء في الأمة، ولأنهم قدوة لغيرهم فقد وجد في الأندلس من كانت له حصة في ذلك، واهتمام عظيم، فقد مضت الإشارة إلى ما قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر من تشجيع نشر العلم في الأندلس، وإسناد مهمة ذلك إلى ولي عهده الحكم المستنصر الذي كان على درجة عالية من الثقافة والعلم، واهتمام بذلك، فلما آل الأمر إليه بعد أبيه أبدى عناية فائقة على تشجيع العلم والتعليم، وإنشاء المدارس لتعليم الأيتام، وأبناء الفقراء، وأوقف على ذلك الأعباس، وبلغت الأندلس في عهده مبلغا عظيما في هذا المجال^(١)، وملوك دولة بني نصر في غرناطة اهتموا بالعلم والتعلم وشجعوا على ذلك.

الاحتساب من العلماء:

الاحتساب من العلماء هو المرتكز المهم هنا؛ لأنهم أهل العلم وحملته ودعائه والقائمون به؛ لذا فإن الكلام عن احتسابهم يطول ويتسع فأشير إلى صور من احتسابهم حسب العلوم التي برزوا فيها:

(١) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك ٣/٣٧٩-٣٨٠، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٦٩/٨.

العلوم الدينية

وهي أنواع مختلفة برز فيها علماء الأندلس، واحتسبوا فيها وأشير إلى بعض الأمثلة لأولئك العلماء ومنهم:

١- يحيى بن يحيى الليثي أحد رواة موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى المتوفى سنة/٢٣٤هـ، قال أحمد بن خالد: ^(١) (لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الحظوة، وعظم القدر، وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى، وكان الأمير عبد الرحمن يحله بجمل الأدب ولا يرجع عن قوله، ويستشير في جميع أموره، وفيمن بوليه، ويعزله، فلذلك كثر القضاة في مدته، وكان يفضل بالعقل على علمه، وألح عليه الأمير عبد الرحمن في ولاية القضاء فأبى عليه، فوكل عليه من يقصده في الجامع، وقال للناس هذا قاضيكم ^(٢)).

٢- الغازي بن قيس أبو محمد القرطبي الأموي المتوفى سنة/١٧٩هـ كان خيرا فاضلا عالما، وكان عاقلا نبیلا يروي حديثا كثيرا، ويتفقه في المسائل، رأسا في علم القرآن، وعرض عليه القضاء فامتنع، وقصد قارئة يوما أن يقدم من أبواب المطأ ويؤخر ليرى الناس حفظه، فأنكر ذلك عليه وقال: إن عدت لا تقرأ علي إنما تريد أن تري الناس ما نُكِّن يريد حفظه ^(٣).

٣- أبو العباس أحمد بن منذر بن جمهور بن أحمد الأزدي الإشبيلي المتوفى في إشبيلية في رجب سنة/٦١٥هـ وصفه أبو الحسن الرعيني بالفضل والزهد، والانقباض عن الناس، وكان مجلس تدريسه في نهاية الوقار كأنما على رؤوس حاضريه الطير سكونة وهيبة - رحمه الله ^(٤).

(١) من يزيد ولد سنة/٢٤٦هـ، وكان في شهر رمضان وعشر ذي الحجة لا يجلس لأحد إنما يقطعها

بالعبادة، وتوفي سنة/٣٢٢هـ، انظر ترتيب المدارك ١٧٨-١٧٤/٥

(٢) انظر القاضي عياض ترتيب المدارك ١١٥/٤

(٣) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك ١١٤/٣-١١٥

(٤) انظر أبو عبد الله محمد المراكشي، الذيل والتكملة ٢/١ ص/٥٥١

٤- طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عطية، كان فقيها حافظا للمذهب المالكي ذا كرا للمسائل غلب عليه ذلك، وقصد لتدريسه، ونوظر عليه في المدونة، وغيرها^(١).

٥- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد نزيل غرناطة، تصدر لإقراء كتاب الله، وإسماع الحديث، وتدرّس الفقه عاكفا على ذلك عامة نهاره مشابرا على إفادة العلم ونشره، وكان ثقة قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قامعا لأهل البدع ناصحا من مصنفاته "كتاب صلة الصلّة" توفي سنة/٧٠٨هـ^(٢)، وهذا يدل على عظم الاحتساب في نشر العلم والجد في ذلك من تلك الأمة، مما يثمر على ذلك المجتمع أثارا عظيمة، وفوائد مهمة.

٦- أحمد بن عمرو بن منصور المتوفى سنة/٥٣١٢هـ، وكان عالما بالحديث حافظا له بصيرا بعلمه إماما فيه، ناشر لعلمه^(٣).

٧- عبد الملك بن العاصي بن محمد السعدي ولد سنة/٢٨٦هـ وتوفى سنة/٣٣٠هـ اعتنى بطلب العلم ونشره، وله في ذلك تواليف كثيرة منها الإبانة عن أصول الديانة، وكتاب اختصار الأموال لأبي عبيد^(٤).

٨- أبو عمر المقامي يوسف بن يحيى الدوسي المتوفى سنة/٢٨٨هـ وكان إماما ثقة عالما جامعا لفنون من العلم عالما بالذنب عن مذهب الحجازيين نشر علمه في مصر واليمن، والقيروان، وطليطلة، وقرطبة، وله مؤلفات كثيرة^(٥).

٩- سعد بن معاذ بن عثمان القرطبي المتوفى سنة/٣٠٨هـ كان جليلا معظما في أهل العلم حافظا لرأي مالك، ويتحلق عليه في المسجد الجامع بقرطبة ويسمع منه^(٦).

(١) انظر أبو عبد الله محمد المراكشي، الذيل والتكملة ١٦٠/٤

(٢) انظر ابن الخطيب الإحاطة ٧٢/١، الذبي تذكرة الحفاظ ٢٧٥/٤

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٢١٦/٥، والذهبي: تذكرة الحفاظ ٢٧٥/٤

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١٦٥/٥، انظر الحميدي جذوة المقتبس ص/١٣٠

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك ٤٣٠/٤

(٦) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١٦٥/٥، الحميدي الجذوة ص/٢١١

١٠- محمد بن أحمد الجبلي المتوفى سنة/٣١٢هـ كان ممن رسخ في العلم والفقه، والفرائض، ودعى للشورى فامتنع، وكان من فضلاء المسلمين، واجتهد في نشر علمه^(١).

١١- إبراهيم بن محمد بن باز المتوفى سنة/٢٧٤هـ كان ناشرا لعلمه، وكان - أيضا - كثير الملازمة للرباط والثغر^(٢).

١٢- أحمد بن محمد بن أبي عبد الله أبو عمر الطلمنكي كان عالما معلما نشارا لعلمه، وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع قامعاً لهم غيورا على الشريعة شديداً في ذات الله عز وجل، وكان مشاركاً في جميع الفنون^(٣).

١٣- أحمد بن عتيق البلسي، كان عالماً معلماً مصنفاً قدمه المنصور بن أبي عامر للشورى والفتوى، والقضايا الشرعية، وكانت الفتاوى في نوازل الأحكام تصدر عنه^(٤).

١٤- علي بن خلف بن بطال البكري أبو الحسن المتوفى سنة/٤٤٩هـ كان من المحدثين البارزين، وله شرح على صحيح البخاري^(٥).

١٥- عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي المقرئ المتوفى سنة/٤٤٤هـ كان عالماً بالحديث والقرآن روايته، وتفسيره، وإعرابه، وله تواليف حسان يكثر تعدادها ويطول إيرادها، وكان تجلده السلاطين^(٦).

١٦- عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي ولد سنة/٣٥١هـ وتوفي سنة/٤٠٣، وهو مؤلف تاريخ الأندلس كان فقيها عالماً بجميع الفنون، ولم ير مثله في سعة الرواية

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك ١٨٣/٥-١٨٤

(٢) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك ٤٤٣/٤-٤٤٦

(٣) انظر ابن فرحون، الديباج المذهب ص/١٠٢

(٤) انظر ابن فرحون، الديباج المذهب ص/١٢٠

(٥) ابن فرحون، الديباج المذهب ص/٢٩٨، وانظر ابن بشكوال، كتاب الصلة ٢/٣٩٤

(٦) ابن فرحون، الديباج المذهب ص/٢٨٨، وانظر ابن بشكوال، كتاب الصلة ٢/٣٨٥

بقرطبة كان حافظاً للحديث متقناً لعلومه قتله البربر في داره وواروه التراب من غير غسل، ولا كفن، ولا صلاة^(١). وهذا يدل على عظم الفتن، وأن من شرور الفتن عدم معرفة الفضل لأهله، فهذا العالم المحتسب الجليل يؤول أمره من شدة الفتن إلى هذه الصورة المحزنة. وهذا نزر قليل من هؤلاء العلماء الذين احتسبوا في هذا المجال، والموضوع طويل وواسع جداً يدل على اهتمام تلك الأمة بهذا المجال العظيم. أما من احتسب على نشر العلم وتدوينه، فإنهم من تقدم ذكره.

أشهر المفسرين الأندلسيين

ولا يتسع المجال هنا لحصر أشهر المفسرين في الأندلس بوجه الحصر والتحديد على مدى القرون الطويلة، ولكن تكفي الإشارة إلى بعضهم، ومنهم:

١- أحمد بن أبي محمد بن برهان التغزي كان من بحور العلم مشاركاً في كل الفنون مدافعاً عن الدين، وله تأليف حسنة^(٢).

٢- بقي بن مخلد المتوفى سنة ٢٨٦هـ/٨٨٩م، كان من أشهر المفسرين في الأندلس، يقول ابن حزم رحمه الله عنه ما يلي: (وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره)^(٣)، ثم يذهب ابن حزم ويقرر أن قواعد ابن مخلد صارت أساساً للإسلام فيقول: (صارت تأليف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام لا نظير لها، وكان متميزاً لا يقلد أحداً، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى^(٤)).

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب ص/٢٣٣

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب ص/١٢٦

(٣) انظر المقرئ نفع الطيب ١٦٢/٤

(٤) انظر المقرئ نفع الطيب ٢٦٤/٢

- ٣- أبو محمد مكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م الذي كتب تفسيره المسمى الهداية، وهو من عشرة أسفار، ويعرف - أيضا - بسم تفسير القرطبي^(١).
- ٤- محمد بن عطية الغرناطي من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي صاحب التفسير الكبير يقول عنه ابن سعيد ما يلي: (ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن وهو الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الشرق والغرب وصاحبه من فضلاء المائة السادسة^(٢)).

أشهر القراء الأندلسيين

ولقد برز الأندلسيون في علم القراءة، واهتموا به، وكان من العادة أن يعين الأمراء في المساجد بعض القراء لكي يقوموا بقراءة القرآن فيها، أو في منازلهم، وخاصة في شهر رمضان.

أما الموحدون، فقد أخذوا الناس بقراءة حزب من القرآن يوميا بعد صلاة الصبح، كما أكدوا على العوام، ومن في الديار بحفظ أم القرآن، وما تيسر منه، وألزموا النواب أن يقدموا علماء أمناء من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر^(٣).

ولا يتسع المجال هنا لحصر قراء الأندلس على مدى القرون الطويلة، ولكن بالإشارة إلى أن كتاب معرفة القراء الكبار الذي تناول أكبر طبقات القراء في العالم الإسلامي قد ضم من الأندلسيين مائة وسبع وعشرون قارئا مشهورا^(٤).

وأشير هنا إلى من ألف في هذا، كما أشير - أيضا - إلى كتاب النهمي "معرفة القراء"^(٥)، ومن ألف في هذا من يلي:

(١) انظر المقرئ نفع الطيب ج ٤/١٧١

(٢) انظر المقرئ نفع الطيب ج ٤/١٧٢

(٣) انظر انوني، العلوم والآداب ص ٢٧-٢٨

(٤) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص ٢٨٦

(٥) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص ٢٨٨

١- محمد بن علي بن عبد الرحمن الأندلسي البياسي المتوفى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م،
ولّي قضاء بياسة، وخطابتها، وتصدر للإقراء، والتحديث، وكان حذقا بالصناعة
وجودا ماهرا^(١)، كم اهتم الناس بهذا الفن، وخاصة في عهد ملوك الطوائف،
وخاصة في شرق الأندلس عند ملكها مجاهد العامري من موالي العامرين لاعتناء
المنصور بذلك، وأخذ به، فنفق بذلك سوق القراءة حيث هو من أئمتها فظهر
في عهده:

٢- أبو عمرو الداني، وبلغ الغاية فيها، وعوّّل الناس على قراءته، وعدلوا عن غيرها
واعتمدوا على كتاب "التيسير" له، ثم جاء:

٣- أبو القاسم بن فيرة من أهل شاطبة الذي اختصر وخص ما دونه أبو عمر في
قصيدة اعتنى الناس بحفظها، وتلقينها للولدان المتعلمين^(٢)، وقد ألف الأندلسيون
في هذا العلم كثيرا ومن ألف في هذا كذلك:

٤- العاص بن خلف بن محمد الإشبيلي المتوفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، صنف كتاب
التذكرة في القراءات السبعة، وكتاب التهذيب^(٣).

٥- أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب توفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، صنف كتاب
التقريب في القراءات السبع، وتصدر للإقراء بإشبيلية^(٤).

٦- محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ الإشبيلي المتوفى سنة ٥٥٣هـ، كان إماما في
صناعة الإقراء مشاركا في العربية له كتاب في القراءات سماه كتاب الإيماء^(٥).

٧- أحمد بن محمد القيسي القرطبي، تصدر للإقراء، والعربية، واختصر كتاب التبصرة
لمكي في القراءات وتوفي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م^(٦).

(١) انظر الذهبي، معرفة القراء ص/٤٦٨

(٢) ابن خلدون، المقدمة ١١٩/٢

(٣) الذهبي، معرفة القراء ص/٣٧٢

(٤) الذهبي، معرفة القراء ص/٣٩٧

(٥) الذهبي، معرفة القراء ص/٤٢٥

(٦) الذهبي، معرفة القراء ص/٥١٣

٨- محمد بن يوسف بن علي بن حيان العالم الأندلسي الجياني الغرناطي، المتوفى في القاهرة سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، الذي كانت له اليد الطولى في الفقه والآثار، والقراءات، واللغات، وله مصنفات في القراءات، والنحو^(١).

وقد نبغ الأندلسيون كثيراً في هذا العلم حتى نجد أسماءهم تلمع في كثير من مناطق العالم الإسلامي، ومن ضمنها مدنه الزاهرة مثل: بغداد، أو القاهرة^(٢).

التأليف في الفقه:

ثم هناك الفقه والتأليف فيه، وبجالة عظيم، ومن المعلوم أن المذهب المالكي هو المذهب الذي ساد الأندلس بعد مذهب الإمام الأوزاعي، وقد ألف الأندلسيون كتباً كثيرة في الفقه المالكي أهمها:

الواضحة لابن حبيب، ثم المستخرجة أو العتيبة للعتبي المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، ويستحيل حصر المؤلفات الأندلسية في هذا المجال، أو حصر أشهر علماء الأندلس المالكيين^(٣). ومما يدل على عظم مكانة الفقه والفقهاء في الأندلس أنه في صلاة الجمعة كان يأتي إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ثلاثمائة فقيه من قرى قرطبة؛ لأداء صلاة الجمعة كل منهم يلبس القلنسوة ولا يلبسها إلا من كان يحفظ موطأ الإمام مالك^(٤).

وهذا يدل على ازدهار فن الفقه، وعلو شأن أهله، وعظم احتسابهم في هذا الفن وخاصة في الدولة الأموية في الأندلس.

(١) انظر الذهبي، معرفة القراء ص/٥٧٧، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٢٩٢

(٢) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص/٢٩٢-٢٩٣

(٣) انظر القاضي، ترتيب المدارك وابن فرحون، الديباج المذهب

(٤) انظر القرطبي، نفح الطيب ج ٤/٤٥٨

انخفاض مستوى فن الفقه في الأندلس

ثم بعد ذلك انخفض مستوى هذا الفن، حيث انتقلوا إلى الشروح والمختصرات، ونعل ذلك الانخفاض هو السبب في أن أبو بكر الطرطوشي المولود سنة/٤٥١هـ/١٠٥٩م، المتوفى سنة/٥٢٥هـ/١١٣٠م اتهمهم بالجهل حيث طلب منه تلميذه أبو بكر بن العربي أن يرحل إلى الأندلس، فأجابه لا أحب أن أدخل بلدا غلب عليه كثرة الجهل، وقلة العقل^(١).

المذاهب الأخرى في الأندلس:

كما وجد على أرض الأندلس المذهب الأوزاعي، والشافعي، والظاهرى، الذي من أبرز رجاله القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة على عهد الناصر، وابن حزم الظاهري في عهد ملوك الطوائف^(٢).

علم الحديث في الأندلس

أما الحديث في الأندلس فقد بدأ منذ عهد مبكر جدا، حيث إنهم قد عرفوا قيمة هذه المادة العلمية واعترفوا بحقها والاحتساب فيها، يقول ابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة/٤٦٣هـ/١٠٧٠م: (إن أول ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم، بعد كتاب الله عز وجل، سنة رسول - صلى الله عليه وسلم - فهي المنبئة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم^(٣)).

وأشير هنا إلى بعض المحدثين الأندلسيين ومنهم:

(١) انظر الطالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ص/٥٨

(٢) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص/٣٠٠

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص/٢

١- بقي بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م، وهو الذي ملأ الأندلس حديثاً وراية، ولقد ووجه بمقاومة شديدة من علماء الأندلس حيث أنكروا عليه ما أدخله الأندلس من كتب الحديث حيث أدخل المصنف لأبي بكر بن شيبه، وأغروا به السلطان، وأخافوه به، ثم إن الله بمنه وفضله أظهره عليهم وعصمه منهم، فنشر حديثه، وقرأ للناس روايته، فمن يومئذ انتشر الحديث في الأندلس^(١).

٢- محمد ابن وضاح، المتوفى سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، الذي رحل إلى المشرق مرتين ولقي من العلماء مائة وخمسة وسبعون رجلاً، وكان عالماً بالحديث بصيراً بطريقه، متكلماً على علمه، وبه وببقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث، وإسناد، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه، ورغم تلك الأهمية الكبرى التي لبقي بن مخلد في دراسات الحديث وانتشاره في الأندلس إلا أن المستشرق "انجيل تمونتا بالنسيا" لم يذكره عند حديثه عن أئمة المحدثين في الأندلس^(٢)، هذا ولقد وصل بقي بن مخلد إلى درجة عالية من الشهرة، وسعة العلم، حتى كان يقال في المشرق: هل احتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي إلى هنا منه أحد؟ وجملت تصانيفه في الحديث إلى المشرق، فاعترف بفضلها وقيمتها^(٣).

٣- قاسم بن أصبغ المولود سنة ٢٤٤هـ/٨٦١م، كان إماماً من أئمة الحديث في الأندلس، حافظاً له، ومصنفها فيه المتوفى سنة ٣٤٠هـ/٨٩٩م^(٤).

٤- محمد بن عبد السلام الخشني المولود سنة ٣١٨هـ/٨٣٣م، المتوفى سنة ٣٨٦هـ/٨٩٩م، الذي عاد إلى الأندلس بعد رحلته إلى المشرق بكثير من

(١) انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٢/٢٨٨

(٢) انظر ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس رقم الترجمة ١١٣٦

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم ٢٨٣

(٤) ابن ماكولا، الإكمال ١/٤٤١، وانظر الحميدي، جنة القسيس ص/٣١١-٣١٢

الكتب الجديدة، كان معظمها في علم الحديث يقول عنه السيوطي: إنه أدخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة^(١).

٥- ابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٦هـ/٩٨٨م^(٢) من محدثي الأندلس المشهورين.

٦- ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م يعد من أكبر المحدثين في غرب الإسلام حسب شهادة ابن بشكوال، وعلى الرغم من أنه لم يرحل إلى المشرق إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يكون ضليعا في الفقه، والأنساب والأخبار^(٣)، ومن أشهر مؤلفاته في هذا المجال الاستيعاب، والتمهيد^(٤).

وقد أورد المستشرق "انجيل جثالت بالثيا" لائحة بأسماء أشهر المحدثين في الأندلس تدل على اهتمام أمة الإسلام في الأندلس بالحديث والاحتساب فيه تعلما وتعلما ونشرا وتأليفا^(٥).

كما وجد من ألف في علم الكلام، ومن ألف في العلوم اللسانية كاللغة، والعلوم العقلية^(٦).

الاحتساب في إنشاء المدارس في الأندلس:

وهناك الاحتساب على المدارس، وإنشائها، فهو ميدان عظيم لنشر التعليم وهناك اختلاف في الآراء في زمن ظهور تلك المدارس مع أن المدارس في المشرق وجدت متقدمة على المدارس في الأندلس، ومما يشير إلى وجود المدارس في الأندلس ما يلي:

(١) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ١٤/٢، والسيوطي، بقية الوعاة ١٢٧/١

(٢) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ٧٦/٢

(٣) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص/٣٠٥

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

(٥) انظر تاريخ الفكر الأندلسي ص/٣٩٤

(٦) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص/٣٠٦-٣٠٩-٣٢٥

أورد ابن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م عند حديثه عن أبي علي
الصدفي المتوفى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، يقول: (ثم عاد إلى الأندلس، واستقر بمدرسة
مرسية ورحل إليه الناس^(١))، ولقد رجع الصدفي إلى الأندلس في
عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م^(٢).

كما أورد ابن رزق المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م عند حديثه عن السلطان
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الذي تولى الحكم في ١٩/ربيع الآخر
عام ٥٨٠هـ/٢٠/يولييه/١١٨٤م، وتوفي في ٢٢/ربيع الأول
عام ٥٩٥هـ/٢٢/يناير/١١٩٠م، حيث يقول عنه: إنه حصن البلاد، وحفظ الثغور،
وبنى المساجد، والمدارس في بلاد إفريقية، والمغرب والأندلس، وبني المدرستان - أي:
المستشفى - للمرضى والمجانين، وأجرى المرتبات على الفقهاء، والطلبة على قدر
مراتبهم وطبقاتهم^(٣).

ما جاء في بعض قصائد رثاء الأندلس مثل: قصيدة ابن الأبار التي جاء فيها:
يا للمساجد عادت للعدا يعبا # # # وللمنداء غدا أثنائها جرمنا
لهفي عليها إلى استرجاع فائتها # # # مدارسنا لثماني أصبحت درسا^(٤)

ويورد المقرئ في رثاء بلنسية لشاعر لم يسميه

بأبي مدارس كالطلول دوارس # # # نسخت نواقيس الصليب نداءها^(٥)
ومن تلك المدارس:

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب ص/٢٢١

(٢) المقرئ، أزهار الرياض ١٥٢/٣

(٣) انظر ابن أبي زرع، روض القرطاس ص/٢١٧

(٤) المقرئ، نفح الطيب ١٩٩/٦

(٥) المقرئ، نفح الطيب ٢٢٤/٦

١- مدرسة مرسية التي أنشأها محمد بن أحمد الرقوطي، الذي كان عالما بعدة فنون^(١).

٢- مدرسة مالقة، التي درس فيها الفقيه محمد بن محمد بن يوسف الطنجالي المتوفى سنة/٧٣٣هـ^(٢)

٣- المدرسة النصرية، وهي من أشهر المراكز التعليمية في الأندلس بعد مسجد قرطبة، بنيت على عهد السلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف الأول ٧٣٣هـ/٧٥٥هـ، بناء على مبادرة من الحاجب رضوان النصري، وقد حازت تلك المدرسة على شهرة واسعة، حتى أجمع كافة المؤرخين تقريبا على اعتبارها أول المدارس في الأندلس^(٣).

المحتسب المولى يراقب التعليم

التعليم والتصدي له من الأعمال والصنائع التي تخضع لإشراف ورقابة المحتسب، يقول القاضي أبو يعلى الموفى سنة/٤٥٨هـ في كتابه أحكام السلطانية: (إن ما يأخذه ولاية الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع المعلمين، فلهم أن يلاحظوا الطرائق التي ينشأ الصغار عليها لأن نقلهم عنه بعد الكبر عسيرا، فيقر منهم من توفر علمه وحسنت طريفته، ويمنع من قصر، أو أساء من التصدي لما يفسد به النفوس وتخبث به الآداب^(٤)).

وأما في الأندلس فإن الكتاتيب، والمدارس الأولى كانت خاضعة نظريا لإشراف المحتسب^(٥).

(١) انظر، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٣٨٥

(٢) ابن القاضي، درة الحجال ٢١٠/١

(٣) انظر، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٣٩٠

(٤) القاضي أبو يعلى، الأحكام السلطانية م.س. ص/٣٠٢

(٥) انظر مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة م.س. ص/٢٠٥

وتشير رسائل ابن عبدون في القضاء والحسبة إلى هذا، فيقول في رسالته في القضاء والحسبة: (يجب للمؤدب ألا يكتر من الصبيان، ويمنعون من ذلك، وأنا أقول: إنهم لا يفعلون، فإنه لا يقوم الواحد بخدمة الجماعة لا سيما التأديب، ولا يعلمهم شيئا على ما ينبغي، فالتعليم صناعة، تحتاج إلى معرفة، ودربة، ولطف، فإنها كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس، حتى يرتاض ويقبل التعليم، وأكثر المؤدبين جهال بصناعة التأديب والتعليم، لأن حفظ القرآن شيء والتعليم شيء آخر، لا يحكمه إلا عالم به، ومعنى التأديب أن يعلمه حسن الألفاظ في القراءة، والخط الحسن، والهجاء، ويأمر من كان كبيرا بالصلاة، ويكتب له التشهد، وما يقول في الصلاة، وليس شيء في الدنيا أنفع للإثنين من شيئين، إما لمن يكتب ويقرأ إقامة الهجاء، وإما لمن يبيع ويشترى فمعرفة الحساب^(١)).

فإيراد ابن عبدون لهذا النص في رسالته عن الحسبة يدل دلالة واضحة على أن الإشراف على شؤون الكتاتيب يدخل في ولاية الحسبة، ويدل - أيضا - على اهتمام أهل الأندلس بالتعليم في مراحله الأولى، ومراقبة من يقوم به، ويظهر من رسالته دقة ضبط أوقات المؤدبين، وأن عليهم أن يصرفوها في التأديب، وعدم التفريط فيها فيقول: (قطع المؤدبين من حضور الولائم، والجنائز، والشهادات واجب إلا في يوم بطالة) ويقول - أيضا - في تبيان صفات المؤدب: (يجب أن لا يكون المؤدب عزبا، ولا شابا، بل يكون شيخا خيرا دينا عفيفا قليل الكلام، والشهوة إلى استماع ما لا يعنيه، وأن لا يحضر الجنائز البعيدة، ولا يكتر البطالة، ولا يهمل الصبيان، ولا يزول عنهم إلا لأخذ الغداء، والوضوء، ويكون راقبا في مكانه محافظا على حوائج صبيانه^(٢)).

وهذا النص - أيضا - يدل على اهتمامهم بالمؤدب وإلزامه بهذه الصفات، ومنها ملازمته الشديدة للصبيان وعدم تركهم ليراقبهم ويضبط سلوكهم وتصرفاتهم، ويبدو كذلك أن الطالب يمكث في الكتاب وقتا طويلا.

(١) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة م.س. ص/٢٥

(٢) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة م.س. ص/٢٥

وصاحب السوق، وهو المحتسب المولى هو الذي يتولى المحاسبة على أخطاء المعلمين، والأفكار والكتب الوافدة إلى الأندلس، وهو الذي يتصدى لردعها، وإنكارها بغض النظر عن أهليته لذلك، وصحة إنكاره، والحادثة التالية تدل على ذلك، فقد ذكر ابن الفرضي أنه لما أدخل أبو عبد الله الخشني كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد إلى الأندلس من روايته ولم يكن دخلها قبل ذلك أنكر عليه ذلك الفقهاء وكثروا عليه، وأنهوا شأنه إلى محمد بن حارث صاحب السوق، فأرسل فيه وجيء به فنهره، وقال له: (أنت ترعم أن في الحديث ناسخا ومنسوخا فقال له: هو في القرآن فضلا عن الحديث، قال وأين هو؟ قال: في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(١) فنسخه قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢) وهل كان أحد يقدر أن يتقي الله حق تقاته، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(٣) فلم يصغ إليه، ولا فهم عنه، وعجل عليه فأمر بسجنه^(٤). ويبدو من الرواية عدم فهم ابن حارث لما ذكره الخشني، بل رأى أن ما جاء به الخشني منكر يستحق عليه الردع، فعنفه بل أمر بسجنه نظرا لأنه صاحب السوق، وهو المسؤول والمتصدي لمثل هذا.

كما أن القاضي يتولى تعيين العلماء الذين يراهم جديرين بالتدريس، وينوه بدرجاتهم ويدعو ويحث على الإفادة منهم كما فعل القاضي ابن ذكوان - رحمه الله تعالى - إذ كان يبحث عن العلماء الربانيين للتدريس، فقد دخل الأندلس أبو محمد بن أبي طالب أيام المظفر بن عامر سنة ٣٩٣هـ فلم يؤبه بمكانه حتى نوه بمكانه القاضي ابن ذكوان وأجلسه في الجامع للتدريس فنشر علمه وعلا ذكره، ورحل الناس إليه من كل قطر^(٥).

(١) سورة آل عمران الآية/١٠٢

(٢) سورة التغابن الآية/١٦

(٣) سورة البقرة الآية/١٠٦

(٤) ابن حيان، المقتبس م.س. ص/٢٥٤

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك م.س. ١٤/٨، وابن فرحون، الديباج المذهب م.س. ص/٤٢٥

الأمراء يراقبون على التعليم

كما نجد من الخلفاء والأمراء من يتولون ذلك، ويندبون أنفسهم لذلك لأهليتهم له؛ إذ كانوا علماء، أو يندبون غيرهم ليقوم بذلك؛ إذ كانوا يرون في رعاية التعليم وتعليمه شرفاً وفضلاً ما بعده شرف.

فهذا الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي كان عالماً محباً للعلم، يتدخل في قضية علمية ويحكم فيها، وينصف العالم ويدعوه لنشر علمه بعد أن وقف بنفسه على حقيقة أمره، فقد دخل بقي بن مخلد - رحمه الله - الأندلس بمصنف ابن أبي شيبة؛ فثار عليه بعض العامة، وطلبة العلم، وأرادوا منعه من تدريسه، ولما انتهى الأمر إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن طلبه ونظر في كتابه، ثم قال له: هذا كتاب طيب، وقال: انشر علمك وارو ما عندك، ونهاهم أن يتعرضوا له، بل أخذ نسخة منه، وهذا يدل على عظم علم وفقه ذلك الأمير ومحبة للعلم واحتسابه في نشر العلم ومراقبة المعلمين^(١).

عناية الأمراء في الأندلس بالعلم واحتسابهم فيه:

والمتبع لمواقف الأمراء والخلفاء في الأندلس يجد أنهم احتسبوا على العلم والتعليم، ونشروه على اختلاف تقلب أحوال وأحداث تلك الأمم ابتداءً من الدولة الأموية في الأندلس وانتهاءً بدولة بني نصر في غرناطة، حيث كانت آخر دولة للإسلام في تلك الديار.

أولاً: الدولة الأموية وعناية أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:

ففي الدولة الأموية نجد احتساب أولئك الأمراء والخلفاء على العلم واهتمامهم به، ويبرز منها العصر الذهبي، عصر الاستقرار عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي يعتبر عهده من أزهى العصور وأرقاها، فقد اهتم ذلك الأمير بالعلم

(١) وابن فرحون، الدياج المذهب م.س. ص/٢٥٠

وأولاه عناية فائقة تعلما وتعلما، ونشرا، وتأليفاً^(١)، بل عهد إلى ابنه وولي عهده الحكم المستنصر بمهمة رعاية العلم، والعلماء في مملكته.

يقول صاعد الطبقي المتوفى سنة/٤٦٦هـ في كتابه طبقات الأمم: (ثم لما مضى صدر من المائة الرابعة، انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وذلك في أيام أبيه إلى العناية بالعلوم، وإلى إثارة أهلها، واستجلب من بغداد، ومن مصر، وغيرهما من ديار المشرق، عيون التأليف الجليلة، والمصنفات الغربية في العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده، ما كان يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة)^(٢).

وهذا يبين صورة من صور احتسابهم في العلم ينعكس أثره على الحياة العلمية في الدولة الأموية في الأندلس.

ومن صور تلك الحركة العلمية العمل على استحلاب العلماء المشاركة من أمثال: أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي من أهل مصر، فقد قدم على الناصر في قرطبة في محرم سنة/٣٤٣هـ، وأبو علي القالي البغدادي ٢٨٨هـ/٣٥٦هـ وقد استقبله الناصر استقبالا حافلا، وقد أعطى هؤلاء العلماء الفرصة للتعليم في مساجد قرطبة^(٣). كما اهتم الناصر بالكتب وجمعها، والحث على التأليف، والإغداق ما أمكن على العلماء لكي يقوموا بتأليف الكتب، فقد كان الحكم المستنصر ينشط أبا علي ويعينه على التأليف بوسع العطاء كذلك الحصول على المؤلفات من كافة البلاد الإسلامية وخاصة من بغداد^(٤).

ويأتي بعد ذلك الأمير العالم الخليفة الحكم المستنصر المسؤول عن رعاية التعليم وشؤونه في عهد أبيه الناصر فقد لمع نجمه في سماء تلك البلاد آنذاك، فلا يذكر العلم والعلماء في الأندلس إلا ويذكر الخليفة، فهو عالم، فقد تولى الخلافة

(١) انظر د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/١٠٨

(٢) صاعد الطبقي، طبقات الأمم ص/٨٨

(٣) المقرئ، نفح الطيب ٧٥/٤-١٣٩

(٤) المقرئ، نفح الطيب ٧٥/٤، انظر غلاب الفلسفة الإسلامية ص/١٣-١٤

سنة/٣٥٠هـ وعمره سبع وأربعون سنة وتوفي سنة/٣٦٦هـ، وتعتبر فترة خلافته القصيرة من أنصع صفحات الأندلس اهتماما بالعلم والعلماء، فقد أشادت بعض الكتب^(١) بهذا الخليفة العظيم، وتاريخ احتسابه في العلم إلى خلافة أبيه الناصر حيث تحمل عن والده عبء الجانب الثقافي والعلمي والتعليمي في مملكته، وجعل دولته بعد ذلك امتدادا لنشاطه وعمله خلال عهد أبيه^(٢)، والخليفة نفسه كان عالما كبيرا وسندا يعتمد عليه ومرجعاً يحتكم إليه كما مرّ سابقا في قصة بقي بن مخلد رحمه الله.

يقول المستشرق الفرنسي "لوفي بروفنسال": (علينا أن نبرز في المقام الأول ذلك الاسم الخالد الحكم الثاني عالما لا غبار عليه راعيا مهيبا عظيما للآداب والعلوم، صديقا للفنون)^(٣).

ويعتبر الحكم بحق من الأمراء المحترمين في الأندلس على التعليم ونشره ويتجلى ذلك في الصور التالية:

١- استقدامه للعلماء من كافة نواحي الأندلس إلى قرطبة، فقد استقدم علي بن معاذ بن سعيان الرعيبي المتوفى سنة/٣٨٩هـ، استقدمه من بجاية^(٤)؛ ليقتبس من علمه فأقام بقرطبة نحو عام ثم عاد إلى وطنه^(٥).

٢- تشجيع قدوم علماء المشاركة إلى الأندلس، وتكريمهم، ورفع شأنهم، فمن هؤلاء إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي، المتوفى سنة/٤٠٠هـ، رحل من مصر إلى الأندلس وحل على الحكم ورحب به^(٦).

(١) انظر د/ عبد الرحمن حجي، التاريخ الأندلسي م.س. ص/٢٩٩

(٢) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص/١٢٥

(٣) لوفي بروفنسال، تاريخ أسبانيا الإسلامية ٢/٣٢٥

(٤) بالكسر، وتخفيف الجيم، وألف، وياء، وهاء: مدينة على الساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصصها من المنافع، إنما هي دار مملكة تركب منها السفن وتساغر إلى جميع الجهات باقوت الحموي معجم البلدان ١/٣٣٩

(٥) انظر المراكشي، الليل والتكملة السفر الخامس ١/٤١٠

(٦) الحميدي، جلدوة المقتبس ص/١٥٣-١٥٤، ابن الأبار، تكملة الصلة ١/١٩٥

٣- احترام الخليفة الحكم المستنصر بالله للعلماء ورفع مكانتهم، مما رفع قدرهم عند الناس فجعلهم يهتمون بدروسهم، حتى وصل بعض هؤلاء الفقهاء إلى درجة عالية من المهابة والوقار حتى إنه كان يطلب من الخليفة الحكم فينفذ الخليفة طلبه ولا يرد، كما جاء في قصة الفقيه إبراهيم بن إسحاق الذي وجه إليه الحكم رسولا يطلب منه الحضور إليه في قصره، فوجده الرسول في المسجد يلقي درسه مع طلبته بعد المغرب، فاعتذر الفقيه عن الحضور حتى يكمل درسه لطلبته كعادته، فلما علم بذلك الأمير شكره على جهده، ودعاه، وطلب منه الحضور بعد انتهاء درسه، ثم إن الفقيه طلب من الرسول أن يطلب من الخليفة فتح باب القصر القريب من المسجد؛ ليدخل منه إلى الأمير، فلما وصل الطلب إلى الحكم أمر بفتح الباب وتهيئته لدخول الفقيه فدخل معه إبراهيم بن إسحاق بعد فراغه من درسه^(١).

٤- زيارته للفقهاء، والعلماء، والقراء في مجالسهم وفي دروسهم، وتفقد أحوالهم، ورؤية مستواهم العلمي، فقد قام الحكم المستنصر بزيارة أبي علي بن محمد الأنطاكي المتوفى سنة ٣٧٧هـ في محل إقامته، وعين الأنطاكي بعض الطلبة لقراءة القرآن الكريم يوم زيارته^(٢).

٥- إنشاء أماكن للتعليم ركزها على التعليم الأولى، حيث أنشأ مكاتب في مدينة قرطبة لكي يتعلم فيها أولاد الفقراء والضعفاء مجاناً، وجعل لمعلميها أوقافاً من دخل السراجين لكي يتقاضوا منها مرتباتهم، وتجمع كافة المصادر على أن هذه الخطوة تعتبر من أفضل خطوات الحكم المستنصر بالله، حيث يُقال: (ومن مستحسنات فعّاله، وطيبات أعماله اتخاذ المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء، والمساكين حوالي المسجد الجامع، وفي كل ربض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتبات، وعهد إليهم بالاجتهاد، والنصح ابتغاء وجه الله العظيم)^(٣). وفي

(١) انظر المقرئ، نفح الطيب ١/٣٥٣-٣٥٥

(٢) ابن الأبار، تكملة الصلة ١/٢٩٥

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب ص/٣٥٨

سنة/٣٦٤هـ/٩٧٤م، يقول: (ومنها حبس الحكم المستنصر حوائيت السراجين بقرطبة على المعلمين لأولاد الضعفاء)^(١)، وقد أنشأ الحكم في هذا المجال سبعة وعشرين مكتبا منها ثلاثة بجوار المسجد، والباقي بكل ربض من أرباض المدينة^(٢).

٦- اهتمام الحكم المستنصر بتأليف الكتب والحصول عليها، فقد شجع العلماء العاملين في هذا المجال، وأحزّل لهم العطاء^(٣) داخل الأندلس أو خارجها، ويذكر هنا حصوله على نسخة منقحة من كتاب الأغاني لمؤلفه أبو الفرج الأصفهاني من بغداد قبل أن يحصل عليه أحد في العراق^(٤).

وسائل تشجيع التأليف داخل الأندلس:

من وسائل تشجيع التأليف في داخل الأندلس ما يلي:

- ١- الإعفاء من الغزو في مقابل تأليف كتاب، وهو ما حدث مع الفقيه عبد الله المتوفى سنة/٣٥٢هـ^(٥).
- ٢- تقديم الجوائز الكبرى، وإسناد الوظائف المهمة إلى العلماء الذين يعملون على التأليف مثلما حدث مع أحمد بن عبد الملك الإشبيلي المتوفى سنة/٤٠١هـ^(٦). ومما يذكر للحكم تلك الروح العلمية، ومعرفته لشروط تأليف الكتب من تهئية المراجع، وإعداد المكان، ومتابعة العاملين^(٧).

(١) ابن حيان، المقتبس تحقيق الحجي ص/٢٠٧

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب ص/٢٤٠-٢٤١

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٨/٢٦٩-٢٧٠

(٤) انظر المقرئ، نفع الطيب ٤/٧٢

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس ص/٢٣٦

(٦) ابن بشكوال، الصلة ١/٢٣-٢٤

(٧) انظر عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص/٣١٤

٣- عنايته بالمكتبات حتى استطاع أن يجمع في قصره مكتبة عظيمة ذكر أن عدد مجلداتها يصل إلى أربعمائة ألف مجلد، وهذا يدل على عظم مكتبة الحكم المستنصر بالله، ورغبته، وعنايته بجمع الكتب^(١).

٤- مساهمته في جعل الأندلس أكبر أسواق الأدب والعلم، فكان المؤلفون يؤمنونها من جميع البقاع حاملين إنتاجهم، فإذا دخلوا الأندلس اشتراه منهم الخليفة الحكم بأثمان سخية، مما يدفعهم إلى العودة بأضعاف ما كان معهم، فكان لهذا الأسلوب أثر عظيم في بناء وبروز الأندلس في هذا المجال، فكان له أثر عظيم ومباشر على النهضة الأوربية^(٢).

ثانيا: الدولة العامرية واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه

يأتي أبو عامر محمد بن عبد الله الذي تلقب بـ"الحاجب المنصور" فقد برز المنصور في أواخر الدولة الأموية فقد كان حاجبا هشام المؤيد بالله، وأخذ يحكم باسمه، وأخذ يُحكم أموره حتى انفرد بحكم البلاد، وانفرد بسياستها، ويذكر له اهتمامه بالجهاد ضد النصارى، وقيامه بذلك بنفسه، كما احتسب في العلم ومن صور ذلك ما يأتي:

١- الحث على التأليف، وتقديم العطايا الضخمة لمن يؤلف كتابا فقد دفع لصاعد الطبقي خمسة آلاف دينار لمنا كتابه "الفصوص"^(٣).

٢- شجع قدوم علوم المشاركة وحثهم على التأليف، وأجزل لهم العطاء، ومن أشهر النوافدين على المنصور أبو العلاء صاعد بن الحسن الربيعي اللغوي توفي ٤١٧هـ، وألف للمنصور مجموعة من الكتب^(٤).

(١) انظر د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/١٣٦-١٣٧

(٢) انظر د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/١٣٦-١٣٧

(٣) انظر ابن بشكوان، الصلة ٢٣٨/١

(٤) انظر الحميدي، جذوة المقتبس ص/٢٢٣-٢٢٧

٣- اتخذ المنصور مجلسا علميا كل أسبوع يلتقي فيه مع العلماء، والأدباء مما أثار حماس الحركة الأدبية في عصره، وتجمع الكتب، على أن المنصور كان عبا للعلم، موثرا لأهل الأدب، مفرطا في إكرام من ينسب إليها، ويفد عليه متوسلا بهما بحسب حظه منها، وطلبه لهما، ومشاركته فيها، وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه من أهل العلوم للكلام فيها بحضرتة من كان مقيما في قرطبة^(١).

٤- اهتم المنصور اهتماما كبيرا بالشعراء حتى وصل به الأمر إلى إنشاء ديوان خصاص بالشعراء، يشرف عبد الله بن محمد بن مسلمة عليه، وقد عرف هذا بأنه من أهل العلم والأدب، وفي هذا الديوان يسجل كبار الشعراء، وتصرف لهم رواتبهم، ودرجاتهم^(٢).

٥- قام المنصور بنفسه باختيار العلماء سواء القادمون عليه من المشرق، أو ممن كانوا من أهل الأندلس، وكان يعقد لهم مجلسا للمناظرة يحضره كبار العلماء، والأدباء، والشعراء، وإذا ما أثبت الممتحن تفوقه وبراعته، ونجاحه في الاختبار، فإن المنصور يهديه هدية، ويقدم إليه مبلغا من المال، فقد وصل ابن دراج العسطلبي بمائة دينار بعد أن برز في الاختبار، وأهدى عليه الرزق، وأثبتته من جملة الشعراء^(٣).

كما أن المظفر عبد الملك الذي جاء بعد المنصور سلك نفس الطريق في الاهتمام بالعلم والعلماء، والاحتساب في ذلك فكان يقوم بزيارة لبعض الفقهاء في أماكن تدريسهم ليتحدث معهم، ويطلب منهم الدعاء^(٤).

(١) انظر الحميدي، جذوة المقتبس ص ٧٢-٧٣

(٢) انظر الحميدي، جذوة المقتبس ص ١٠٢-١٠٣

(٣) انظر الحميدي، جذوة المقتبس ص ١٠٢-١٠٣

(٤) انظر ابن القرضي، علماء الأندلس ص ٨٤

كما أن المظفر عبد الملك قام بنقل العالم أبي محمد مكّي بن أبي طالب المقرّي المتوفى سنة/٤٣٧ هـ إلى جامع الزاهرة، فأقرأ فيه حتى انصرفت دولة آل عامر، فنقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الجامع بقرطبة، وأقرأ فيه زمن الفتنة^(١).

وبعد أن سقطت الدولة العامرية، وتعرضت الأندلس للفتنة الكبرى، يحدثنا ابن حيان عن مقتل أكثر من ستين مؤدباً في مدينة قرطبة وحدها مما يدل على كثرة إنتشار مراكز التعليم في قرطبة في هذه الفترة، وقد نقل إلينا ابن بسام نص أبي حيان قائلاً: (قال أبو حيان: وأصيب في تلك الواقعة من المؤدبين خاصة نيف وستون، عريت سقائفهم في غداة واحدة منهم، وتعطل صبيانهم لعدمهم^(٢)).

وعلى الرغم من الفتنة العنيفة التي أحاطت بقرطبة، والظروف السياسية السيئة، وتقلب الأمراء لم نعدم من بينهم من اهتم بالعلم والعلماء، فالخليفة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي توفي في عشر من رمضان سنة/٤١٤ هـ اتخذ بعد توليته قراراً ببعض الوظائف وأوردها ابن حيان على النحو التالي: خدمة المدينتين، والزاهرة، وخدمة التعقيب والمحاسبة... وخدمة الوثائق، ورفع كتب المظالم، وخدمة خزانة الطب، والحكمة، وخدمة الإنزال والنزائل، وخدمة أحكام السوق^(٣).

يقول الدكتور حسين مؤنس المؤرخ المصري المهتم بالدراسات الأندلسية واصفاً مناخ قرطبة خلال القرن الرابع الهجري: (يمكن أن تتصور البيئة العلمية الأندلسية في ذلك العصر بيئة تأليف وترجمة، وتحديد، وطلب للعلم، والمعرفة مما جعل قرطبة خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، مركزاً من مراكز القيادة والإشعاع للحضارة في العالم كله)^(٤).

(١) ابن بشكوال، الصلة ٢/٦٣١-٦٣٢

(٢) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة م ١ ج ١/٣١

(٣) ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول ١/٣٦-٣٧

(٤) د/حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ص/٥٦

ثالثًا: دولة المرابطين واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه

ثم جاءت دولة المرابطين، وكان احتسابهم على العلم ظاهرًا بينا يقول المراكشي عند حديثه عن الأمير يوسف بن تاسفين المرابطي: (واشتد إشاره لأهل الفقه، والدين، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرا، ولا يبت في صغير من الأمور أو كبير إلا بمحضر من أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس)^(١).

ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها، وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم)^(٢).

ويقول في موضع آخر: (ولا يقرب من أمير المسلمين إلا من علم علم الفروع... فنفقت في ذلك إلزامات كتب المذهب، وعمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها... وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء... ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام... وقرر الفقهاء عند أمير المؤمنين تقييح علم الكلام وكراهية السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه هذه الأقوال حتى استحکم في نفسه بغض علم الكلام وأهله... فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه).

(١) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار العرب ص/٢٥٣

(٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار العرب ص/٢٥٣، تاريخ التعليم في الأندلس ص/١٧٥

ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي رحمه الله المتوفى سنة ٥٠٥ هـ المغرب أمر أمير المؤمنين بإحراقها وتقديم بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها، واشتد الأمر في ذلك^(١). وفي هذا المنهج من المراطيين حصة على العقيدة، وكذلك توحيد المذهب، والاعتناء بالمذهب المالكي، وكذلك نبذ ومخاربة الفلسفة، وعلم الكلام، والتشديد على ذلك.

رابعاً: عهد الموحدين، واهتمام أمراتها بالعلم واحتسابهم فيه:

يبدو من اسم الموحدين أن دولتهم قامت على عقيدة دينية انطلقت منها ودعت إليها وهي إحياء عقيدة التوحيد الخالصة، وهذه العقيدة هي التي دعا إليها مؤسس هذه الدولة، وباني كيانتها محمد بن تومرت سجنه في رسالته التي سماها "المرشدة"^(٢) والتي أمر الناس أن يقرأوها ويتعلموها، فكان لزاماً عليهم أن يقرأوا عقيدة ابن ترموت - المرشدة - على ما فيها من انحراف^(٣)، وأكد على الجميع في حفظ ذلك، وتدبره، وملازمة قراءته، وتعاهده كما أكد على العوام ومن الديار في حفظ أم القرآن، وما تيسر من القرآن، وألزم نوابه أن يقيموا علماء أمناء من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر^(٤).

وهذا من احتسابه في العلم ونشر عقيدته التي نذر نفسه لها، وتعليمها للناس، وانطلق في تأسيس دولته منها، ثم نهج خلفاؤه من بعده هذا النهج، فكان عبد المؤمن يشرف بنفسه على هذا النوع من التعليم، وأمر بكتابة مجموع أحاديث الجهاد، ومجموع أحاديث الصلاة، فكان يعلّمه بنفسه على الناس ويأمرهم بحفظه، وقد كان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم بحبا لهم محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى السكن

(١) المراكشي المعجب في تلخيص أخبار العرب ص/٢٥٤-٢٥٥، ابن القطان، نظم الجمان ص/١٤-١٥

(٢) انظر ابن القطان المراكشي، نظم الجمان ص/٨٧

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٥٤١/١٩

(٤) انظر: د. حسن مؤنس، موسوعة التاريخ الأندلسي ٩١/٦

بجواره، والجوار بحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم^(١).

كما أمر في سنة/٥٥٠هـ بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلاده، وتغيير المنكر، وتحريق كتب الفروع، ورد الناس إلى قراءة الحديث، وكتب بذلك إلى جميع طلاب المغرب والعدوة - أي: الأندلس^(٢).

ثم تابع ذلك الأمير أبو يوسف يعقوب سنة/٥٨٠هـ/٥٩٥هـ/١١٨٤م/١١٩٩م، فانقطع في عهده علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يخرجوا منها ما فيها من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقرآن الكريم ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وغيرها من كتب الفروع.

يقول المراكشي: ^(٣) (ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يوتى منها بالأحمال فتوضع، ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة).

كما وجد عند الموحدين الاهتمام بإنشاء المدارس في مناطق كثيرة من البلاد في أفريقيا والأندلس^(٤).

خامسا: دولة بني الأحمر واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:

ثم خلفت الدولة النصرية أو دولة بني الأحمر دولة الموحدين، وذلك بعد التدهور السريع الذي أصاب الأندلس وخاصة بعد معركة العقاب ١٥/صفر سنة/٦٠٩هـ/١٦/يوليه سنة/١٢١٢م، ويرى ابن عذارى أنها كانت السبب في هلاك

(١) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص/٢٩٣

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص/١٥٤

(٣) المراكشي، المعجب ص/٤٠٠

(٤) د/محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/١٨٠

الأندلس^(١)، وبعد ذلك عادت الأندلس إلى فترة تشبه فترة ملوك الطوائف، وتقدمت الجيوش الإسبانية المسيحية تسترد المدن والقواعد الأندلسية الكبرى، في هذه الأثناء استطاع أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن حميس بن نصر بن قيس الخنزرجي الأنصاري ٥٩٥هـ/٦٧١هـ من أن يؤسس له أمانة جعل عاصمة دولته غرناطة وذلك بعد أن دخلها عام/٦٣٥هـ فتمت تلك الدولة للتيارات السياسية والحركة الاسترداد الإسبانية مدة تزيد على مائتين وخمسين عاماً^(٢).

ولقد اهتمت هذه الدولة بالعلم والتعليم، وخاصة في عهد ثاني أمرائها أبي عبد الله محمد الملقب "بالفقيه" لما اشتهر به من العلم والفقه، ولقد عمل هذا السلطان على إحضار العلماء من المدن الأندلسية إلى غرناطة، يقول ابن الخطيب عند الحديث عن محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي المتوفي سنة/٧١٥هـ/١٣١٥م أنه من أهل مرسية وأنه أقرأ التعليم والطب، والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية فانتفع الناس به^(٣).

كما أن الفقيه أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد المتوفي سنة/٧٠٨هـ والذي انتهت إليه الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، لحق بغرناطة آوياً إلى كنف سلطانها الأمير أبي عبد الله فأكرم مثواه وعرف حقه^(٤).

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٢٤٠-٢٤١

(٢) انظر المحي التاريخ الأندلسي ص/٥١٥

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة ٣/٦٩-٧٠

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة ٣/١٨٨-١٩٣

كذلك من عنايتهم بالعلم إجراء الجراية على المعلمين وأمرهم بالتدريس
وتعليم الناس، فالفقيه محمد بن محمد النمري الضرير المتوفى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م،
كان حافظاً للقرآن أستاذاً يقوم على العربية خير قيام، توفي بغرناطة تحت جراية من
أمرائها لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم^(١).
وهذا منكر من الفاعل له الفقيه، ومن المقر له، والراضي به، والمعين عليه،
وهو الأمير.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة ٣/٣١-٣٢

المبحث السابع

الاحتساب على أهل الذمة وفيه تمهيد وثلاثة مطالب

المطلب الأول: أهل الذمة في الأندلس

المطلب الثاني: القيام بأمر أهل الذمة ومراقبة أحوالهم

المطلب الثالث: صور من الاحتساب على أهل الذمة في الأندلس

التمهيد

أولاً: تعريف الذمة

الذمة: (هي العهد والأمان والكفالة، وأهل الذمة هم المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم، والذمي هو المعاهد الذي أعطي عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه)^(١).

وعقد الذمة: هو أن يقر الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب - أو غيرهم من الكفار على كفرهم بشرطين:

الأول: أن يلتزموا أحكام الإسلام في الجملة.

الثاني: أن يبذلوا الجزية.

ويسري هذا العقد على الشخص الذي عقده ما دام حياً وعلى ذريته بعده^(٢).

ثانياً: الأصل فيه

والأصل في هذا العقد: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٣).

وإذا تم هذا العقد - أي: عقد الذمة - ترتب عليه حرمة قتالهم والحفاظ على أموالهم وصيانة أعراضهم، وكفالة حريتهم، والكف عن أذاهم.

(١) انظر إبراهيم أنيس وآخرين المعجم الوسيط [المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع استنبول تركيا،

بدون تاريخ ٣١٥/١

(٢) انظر السيد سابق فقه السنة [دارالكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م] ٤٥/٣

(٣) سورة التوبة الآية/٢٩

ثالثاً: الأحكام التي تجرى عليهم في ديار المسلمين

وتجري أحكام الإسلام على أهل الذمة من ناحيتين أو في ناحيتين:
الناحية الأولى: المعاملات المالية فلا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفاً لا يتفق مع
تعاليم الإسلام كعقد الربا وغيره من العقود المحرمة.

الناحية الثانية: العقوبات المقررة فيقتص منهم وتقام الحدود عليهم متى فعلوا
ما يوجب ذلك.

وأما ما يتصل بالشعائر الدينية من عقائد وعبادات، وما يتصل بالأسرى من
زواج وطلاق فلهم فيها الحرية المطلقة تبعاً للقاعدة الفقهية "أتركوهم وما يدينون"
وإن تحاكموا إلينا فلنا أن نحكم لهم بمقتضى الإسلام أو نرفض ذلك لقول الله
تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ جَاءَوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرُضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)

والجزية التي يذللونها عبارة عن مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة
المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب^(٢) وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم - أيضاً
- أخذها - أي: الجزية - من مجوس هجر، وأخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- أيضاً - من مجوس البحرين، وأخذها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من فارس،
وأخذها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من الفرس^(٣).

(١) سورة المائدة الآية/٤٢

(٢) انظر ابن رشد بداية المجتهد ونهاية المقتصد نصيب عبد الحليم محمد عبد الحليم الطبعة الثانية إدار

الكتب الإسلامية القاهرة مصر ١٤٠٣هـ/١/١٤٦٨-٤٧٢، وفقه السنة م.س/٣/٤٥-٤٧، والقاضي

عيسى بن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس تحقيق محمد بخلاف م.س/ص/٣٧

(٣) وقد أخرج ذلك الإمام الزمذني - رحمه الله - انظر سننه كتاب السير باب ما جاء في أخذ الجزية من

المجوس برقم/١٥٨٦، ٤/١٢٤-١٢٥

المطلب الأول: أهل الذمة في الأندلس

والأندلس بطبيعة قربها من بلاد النصارى ونشاط أهلها في الجهاد، فقد كثر أهل الذمة هناك، كما أن الأندلس قد تميزت تحت الحكم الإسلامي بمميزات عامة منها: الحرية الدينية التي أقرها الإسلام ورعاها، وبذلك نخلصت من أشكال الاضطهاد الديني التي كانت تشقى به في ظل حكام القرط الذين كانوا طبقة مميزة ومتعالية ومنفصلة عن الناس، وقد كان من مظاهر هذه الحرية الدينية ما شوهد من اندماج بين الفاتحين والعناصر المسيحية، والتزاوج بين الجانبين، ولم يكن هذا الاندماج والتزاوج مقصورا على الفاتحين المسلمين من العرب، بل شاركهم في ذلك من قدم معهم من جيوش الفتح من البربر، ونقد أشارت المصادر الأندلسية بالروح الطيبة التي سادت بين العرب الفاتحين وأهل البلاد النصرانية إذ لم يترفعوا عنهم بل عاشوا متحاورين متساوين، وكان لذلك أثره في انتشار الإسلام بين العناصر المسيحية أو النصرانية - بتعبير أدق - والتي كثرت بينها الخلافات المذهبية والتي وجدت في دخولها الإسلام الحل الأمثل للاضطهادات الدينية التي كانت تعانيها، كما كان لهذا التمازج أثره في انفراد الأندلس حضاريا عن بقية عالم الإسلام بسمات خاصة واضحة، وقد ترك المسلمون النصارى يفصلون في أقضيتهم ونفا للقانون القوطي القديم، وكان يدير أمورهم قوامهم الذين كانوا يجمعون ضرائبهم ويؤدونها إلى بيت مال المسلمين نيابة عنهم، وأما القضايا التي كانت تقع بين المسلمين والنصارى فكان ينظر فيها قضاة المسلمين ويحكمون فيها بشريعة الإسلام، واليهود والنصارى معا قد أظلمهم الإسلام في الأندلس واستنقذهم من أذى القوط والكنيسة واستشعروا الأمان والاطمئنان تحت حكم الإسلام^(١).

(١) انظر الشافعي أبو الأصبح عيسى بن سهل، وثائق في أهل الذمة في الأندلس م.س. ص/ ١٠-١٣.

المطلب الثاني: القيام بأمر أهل الذمة ومراقبة أحوالهم

والقيام بأمر أهل الذمة، ومراقبة أحوالهم، ومدى إلزامهم بما عليهم من حقوق تجاه هذه المعاهدة هو مسؤولية المحتسب المولى من باب أولى، ثم يأتي دور المحتسب المتطوع بعد ذلك.

فيجب على المحتسب أن يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير في أسواق المسلمين، ومن ركوب الخيل بالسروج، والزي بما هو من زي المسلمين، أو بما هو أبهة، وينصب عليهم علما يمتازون به عن المسلمين كالشكلة^(١) في حق الرجال، والجلجل^(٢) في حق النساء، ويمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه حساسة أو إذلال للمسلمين كطرح الكناسة، ونقل آلات الخمر، ورعاية الخنزير، وشبه ذلك لما فيه من الكفر على الإسلام، ويؤدب من فعل ذلك^(٣).

(١) نوع من الخلي كالعقل يجعل في الرجل، قال في الصحاح: والشكال العقل والجمع شكل، قال الأصمعي: الشكال

حل بين التصدير والحقب. قال أبو عبيدة: وليس يكون الشكل إلا في الرجل، ولا يكون في اليد. الجوهري،

الصحاح تحقيق أحمد عطار ط/٣ (بيروت دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ١٧٣٦/٥، مادة (شكل)

(٢) نوع من الخلي تلبسه النساء ويحدث صوتا عند المشي، قال في الصحاح: الجلجل واحد الجلاجل،

وصوته الجلجلة. انظر الجوهري الصحاح م.س. ١٦٥٩/٤ مادة (جلل)

(٣) انظر عمر بن عثمان بن العباس الجرسيني، رسالة في الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال [مطبعة المعهد

العلمي الفرنسي بالقاهرة، سنة ١٩٥٥م بدون تاريخ] ص/١٢٢

المطلب الثالث: صور من الاحتساب على أهل الذمة في الأندلس

فقد كتب صاحب السوق إلى يحيى بن عمر يسأله عن اليهودي والنصراني يوجد وقد تشبه بالمسلمين وليس عليه رقاع ولا زنار وهو يحمل ما يعصر به الخمر ما ترى من عقوبته على ذلك؟

فكتب إليه ابن عمر: أرى أن يعاقب بالضرب والسجن ويطاف به في موضع اليهود والنصارى؛ ليكون ما حل من العقوبة والضرب والسجن تحذيرا لمن رآه منهم وزجرا لهم.

قيل ليحيى بن عمر: إن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طائب كتب إلى قضاته في اليهود والنصارى أن تكون الزنابير عريضة مغيرة في وجه ثوبه ليعرف بها فمن وجدته ركب نهيك فاضربه عشرين سوطا مجردا، ثم صممه إلى الحبس، فإن عاد فاضربه ضربا شديدا وضيعا بالغ فيه وأطل سجنه^(١).

كما أن القضاة - أيضا - قد قاموا بواجبهم تجاه أهل الذمة فقد كتب إلى القاضي أبي الأصبع: فهمنا - وفقك الله - الشهادات الواقعة في أن الشنوعة محدثة فرأينا شهادات توجب هدمها بعد الإعذار إلى أهلها، وليس في شرائع الإسلام إحداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولا شنوعات في مدائن المسلمين وبين ظهرانهم قال بذلك عبيد الله بن يحيى وغيره.

فقال القاضي أبو الأصبع: ذكر ابن حبيب في ثالث جهاد الواضحة عن ابن الماجشون عن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يرفعن فيكم يهودية ولا نصرانية)^(٢).

(١) انظر يحيى بن عمر الأندلسي، كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق [الشركة التونسية للنشر

والتوزيع بدون تاريخ] ص/ ٩٦-٩٧

(٢) انظر القاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس م.س.

قال ابن المأجشون: (لا تبني كنيسة في دار الإسلام ولا في حرمة ولا في عمله إلا أن يكون أهل الذمة منقطعين عن دار الإسلام وحرمتهم وليس بينهم مسلمون فلا يمنعوا من بنيانها بينهم^(١)).

(١) المصدر السابق ص/٧٧، ويراجع هذا المصدر للتوسع في هذه الأفضية والوقوف عليها

الفصل الثالث

أبرز المحتسبين في المجال العملي، وفيه مبحثان

المبحث الأول: أبرز من تولى الحسبة في الأندلس

المبحث الثاني: أشهر المحتسبين المتطوعين في الأندلس

المبحث الأول

أبرز من تولى الحسبة في الأندلس وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: ولاية السوق في عهد الدولة الأموية في الأندلس

المطلب الثاني: ولاية السوق في عهد ملوك الطوائف

المطلب الثالث: ولاية السوق في عهد المرابطين

المطلب الرابع: ولاية السوق في عهد الموحيدين

المطلب الخامس: ولاية السوق في دولة بني نصر بغرناطة

المطلب الأول: ولاية السوق في عهد الدولة الأموية [١٣٨/٤٢٢هـ]

تمهيد:

هذا الفصل يدل على تاريخ ولاية السوق في الأندلس، أو ما يسمى ولاية الحسبة، حيث عرفت في الأندلس أول ظهورها بـ(ولاية السوق) وهو الجانب الرسمي للحسبة في الأندلس، وقد جاء هذا الفصل في صورة تراجم سقتها من المصادر الأصلية لتعطي صورة عن تلك الولاية، وصورة من الذين تولوها عبر فترات التاريخ الذي مرت به الأندلس، ومن هذه التراجم تبرز أهمية هذه الولاية في الأندلس والاهتمام بها، وبعض سمات وصفات من يتولاها، وما تجمع له من ولايات مع تولي منصب السوق أو الحسبة، وما إليه من أعوان كالمفتي.

لقد برزت ولاية السوق في الأندلس عند ما استقر الإسلام فيها واستتب، وقد نشط هذا الجانب المهم في عهد هشام الأول سنة/١٧٢-١٨٠هـ وكان أول وال على السوق باتفاق ودون شك في توليه.

١- أبو سليمان فطيس بن سليمان الكاتب الذي دخل الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية الذي نقله إلى خدمة ابنه هشام، فصار أميناً له فلما ولي هشام الإمارة ولّاه على السوق، ولما ولي الحكم بعد وفاة والده أثبتته في منصبه، وتوفي أبو سليمان هذا في أواخر إمارة الحكم قبل سنة/٢٠٠هـ^(١).

٢- ثم العباس بن قرعوس بن عبيد الله بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي المتوفي سنة/٢٠٠هـ، وكان شديداً على المجرمين والمخالفين، ويأمر بالتعزير الشديد من الجلد^(٢).

٣- ثم عبد الله بن حسين بن عاصم، الذي ولاه الأمير محمد على مناصب عالية ومنها ولاية الشرطة والحسبة المعروفة بولاية السوق، وكان غاية في الصلابة عند

(١) انظر ابن الأبار، الحلة السراء رقم/١٩٥/ص/٣٦٥

(٢) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٠٨٤

القيام بوظيفته، وكان شجاعاً على التجار والصناع الغشاشين، وقد عزم على أن يضرب من يشرب الخمر بالسوط^(١)، من هذا يظهر جمع ولاية الشرطة والسوق في يد رجل واحد، وشدة وصلابة من يتولاها، ورغبته في تطهير المجتمع من المنكرات في السوق وغيره، والاحتساب في الأخلاق في محاربته للخمر وشاربيها، وضربهم بالسياط على ذلك المنكر.

٤- ثم إبراهيم بن حسين بن خالد قد ولي هذا المنصب، فحكم على بني قتيبة بهدم دكاكينهم مخالفاً في حكمه هذا الفقهاء، ومنهم: يحيى، وعبد الملك، وزونان، فبينوا أن ما أمر به صاحب السوق مخالف في غير محله، فألغى معاذ بن عثمان الشعباني - الذي كان قاضياً على قرطبة سنة/٢٣٢هـ في ذلك الوقت - ما قرره إبراهيم بن حسن من هدم الدكاكين، وهذا مما يدل على أن سلطة القاضي أعلى من سلطة صاحب السوق، وأنه يتدخل ويلغي ما حكم به صاحب السوق إذا رأى مصلحة في ذلك^(٢).

٥- ثم إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة الثقفي أبو إسحاق القرطبي المتوفى سنة/٢٥٦هـ كان والياً على أحكام الشرطة والسوق في عهد الأمير محمد، وقد أمره الأمير محمد أن يجتهد في الأمر، وسمح له بأن يقطع الأيدي، والأرجل ويصلب دون أن يستأذنه، ولا يسأله، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق، ويدعو بعض الشيوخ ليشهد على ما يقوله المتهم، ثم يصلبه، وقد أعد لذلك العديد من الشناقين^(٣).

هذه ترجمة مهمة؛ إذ يتبين منها الجمع بين ولاية الشرطة والسوق في ولي واحد، ثم تفويض صاحب السوق بأمور خارجة عن اختصاصه الأصلي بل داخلية في ولاية القاضي، وهو الحكم بالقطع في الأجل والأيدي، بل له أن ينفذ

(١) انظر ابن حبان، المقتبس ص/٥٤٧

(٢) انظر الخشنى قضاة قرطبة ص/٨٦-٨٧

(٣) انظر الخشنى، قضاة قرطبة ص/١٥١

ذلك دون الرجوع إلى ولي الأمر بعد أن فوضه ولي الأمر في ذلك، وهذا التفويض فيما ليس من ولايته يدل على أهمية ولي السوق، والثقة به من قبل الولي دعت الظروف والأوضاع الاجتماعية من تطاول أهل الفساد وجرأتهم عليه مما جعله يفوض صاحب السوق هذا التفويض الكبير، ورأى فيه واليا يستعان به في ضبط الأمور، وتثبيت الأمن في المجتمع وقت الفتن العظيمة، كما أن في قبول هذا الأمر رغم أهميته وخطورته مكانة اجتماعية لصاحب السوق عظيمة، كما أن إشهاده من قبل الشيوخ على أقوال المتهم يقربه إلى تحقيق الحق والعدل.

٦- ثم محمد بن الحارث بن أبي سعيد أبو عبد الله القرطبي، وقد تولى أحكام الشرطة الصغرى التي كان قد تولاها أبوه في عهد عبد الرحمن بن الحكم، ثم لما تولى الأمير محمد أثبتته في منصبه وولاه على السوق، وما زال واليا في هذا المنصب حتى توفي سنة/٢٦٠هـ^(١)

يدل هذا على تقارب ولاية السوق والشرطة، وأنها كثيرا ما تجمعان في رال واحد لتقارب غرضهما فكل منها يهدف إلى تحقيق أمن المجتمع وتطهيره من الغش والضرر بالآخرين.

٧- ثم حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة الثقفي أبو الوليد القرطبي تولى السوق في عهد الأمير محمد، وكان شديدا على أهل السوق، فكان يعزر بتعزيز أليم ومتعدد، وهذا مما سبب ابتعاد الناس عنه، وترك مجلسه فلا يطلبون العلم منه وتوفي سنة/٢٦٣هـ^(٢).

وهذا مما يدل على أن صاحب السوق يتولى التعزير بنفسه، وله الحق في التشديد في ذلك، وأن نه مجلس علم يعلم فيه الناس.

(١) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١١٠٧

(٢) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس برقم/٣٥١، وابن فرحون، تبصرة الحكام ١٥١/٢

٨- ثم مالك بن علي بن عبد العزيز القرشي الزاهد أبو خالد، وأبو القاسم القرطبي، كان ورعا محتسبا، وتوفي - رحمه الله - سنة ٢٦٧هـ^(١).

٩- ثم سليمان بن محمد بن أصبغ بن وانسوس، وقد تقلد خطة السوق، ولكن قد عزله الأمير لعجب وكبر حصل منه^(٢).

١٠- ثم عبد الله العزفي بن محمد أبي القاسم ابن القاضي أحمد العزفي أبو طالب صاحب سبنة في الأندلس، وكان فقيها حافظا للحديث له علم بالتاريخ ولد سنة ٦٣٨، وتوفي ٧١٣، تولى في قرطبة على السوق، فأمر أن يعلن على الناس في النيروز أن لا يزودوا دكاكينهم بأكثر مما يزودونها عادة^(٣).

وهذا يدل على سنية ذلك المحتسب ورغبته في إنكار العقائد المنحرفة بالرسائل التي يراها وهي ما تدخل تحت ولايته.

١١- ثم سعيد بن السليم كان عاملا للأمير عبد الله قبل أن يتولى الإمارة، وكان يحبه كثيرا، فلما تولاها قلده خطة السوق، وقد قام بهذه الوظيفة بصلابة، وقساوة، فحصل على احترام الناس وخوفهم منه، ذات يوم كان في مجلس نظره وسط السوق فجاءه خصي من ولي العهد المطرف بن عبد الله فجلس على فراشه، فأساء الأدب مع سليم صاحب السوق وشتمه، فأمر صاحب السوق بخلع ثيابه عنه وأمر بضربه بمائتين جلدة، وسجنه، فلما بلغ ذلك الأمير أقره على فعله، وأبقاه في منصبه، وبعد فترة اتخذه وزيرا، ثم مستشارا^(٤).

وهذا دليل على صلابه صاحب السوق، وضبطه لولايته، فلا بد من الشدة، والحزم؛ لتستقيم له الأمور، ويصلح شأن السوق وأهله، وأن مجلس نظره يكون وسط السوق، ولا يتساهل في خدش كرامته، والتطاول على مكانته ولو كان

(١) انظر الخشني، قضاة قرطبة ص/ ١١٢

(٢) انظر ابن حيان المقتبس ص/ ١٨٩-٥٥٠

(٣) انظر ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٨

(٤) انظر ابن حيان، المقتبس ص/ ٥٠، تاريخ التاج الأندلس ص/ ١٠٣

من نخدم الأمير، وموقف الأمير العظيم المعاضد لوالي السوق إذا علم بحقيقة الأمر فيؤيده ويقره على ما اتخذته من تأديب رآه لائقا بالمخالف.

١٢- ثم أبا صالح أيوب بن سليمان حيث ولاه الأمير خطة السوق بدلا من عبد الله بن الأصغ العبدى حيث عزله الأمير عبد الله سنة/٢٧٦هـ، وكان لقبول الأول المنصب قصة مشهورة^(١).

١٣- ثم يحيى ابن سعيد بن حسان القرطبي ولاه الأمير ولاية السوق بعد وفاة محمد بن يحيى بن أبي غسان في سنة/٢٩٥هـ^(٢).

١٤- ثم محمد بن وضاح بن حزيق أبو عبد الله القرطبي مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، كان صابرا على التعليم، ومحتسبا في نشر علمه، وقد توفي في سنة/٢٨٧هـ^(٣).

١٥- وفي سنة/٢٩٦هـ توفي يحيى بن سعيد بن حسان الذي كان صاحب السوق^(٤).

١٦- ثم محمد بن عبد الله الحزوبي صار إليه النظر في السوق بعد أن عزل عمر بن أحمد في ربيع الثاني من سنة/٣٠١هـ.

١٧- ثم أيوب بن سليمان بن هشام أبو صالح القرطبي من أصل جبّاني، شارك في الثورى، وكان مشهورا، وولي السوق في أيام الأمير عبد الله ثم عزل من المنصب لكره أهل السوق إياه، وقد توفي سنة/٣٠٢هـ^(٥). لم أطلع على أسباب الكره حسب ما وصلت له من بحث.

(١) انظر ابن حيان، المقتبس ص/٥٣

(٢) انظر ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١٤٨/٢، وابن الأبار التكملة برقم/٢٧٣٦

(٣) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص/١١٣٦

(٤) انظر ابن عذارى، البيان المغرب ١٤٩/٢

(٥) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس برقم/٢٦٧ ص/٨٦

١٨- ثم أحمد بن حبيب بن بهلول قلد ولاية السوق بعد أن رفع الناصر بن محمد بن عبد الله الحزوبي من ولاية السوق إلى ولاية المدينة التي عليها موسى بن محمد بن جديد، وذلك في سنة/٣٠٢هـ^(١).

١٩- ثم محمد بن أحمد بن عبد الملك بن سلام المعروف بابن الزرّاء، أعتقه الإمام هشام بن عبد الرحمن، كان زاهداً، وأمر المحتسبة، وأخبار العباد، يغلب فيه على العلم، وقد توفي سنة/٣٠٤هـ^(٢).

٢٠- ثم عمر بن أحمد بن فرج الذي كان كاتب الرأي ووالي السوق، وتوفي هذا في سنة/٣٠٥هـ^(٣).

٢١- ثم الفقيه علي بن محمد العطار القرطبي حيث ولي الافتاء في سوق قرطبة، وتوفي سنة/٣٠٦هـ^(٤). هذا ظاهر أن هناك مفتياً لأهل السوق، يرجعون إليه ويأخذون بفتواه، وهو يدل - أيضاً - على ضبط وتنظيم السوق وأن لهم مرجعية شرعية.

٢٢- ثم يحيى بن يونس القرطبي ولي على السوق في شوال سنة/٣١٣هـ وذلك لأن أحمد بن بهلول قد أصيب بمرض يمنعه من التنقل^(٥).

٢٣- ثم محمد بن أحمد بن يحيى الزهري أبو عبد الله المعروف بالإشبيلي الزاهد القرطبي، كان يجتمع حوله أهل الحسبة، والمعلمون؛ ليتعلموا منه، وقد توفي عام/٣٢٥هـ^(٦).

(١) انظر ابن عذاري، البيان المغرب ١٧٣/٢

(٢) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١١٦٥

(٣) انظر ابن عذاري، البيان المغرب ١٧٣/٢-١٧٩

(٤) انظر ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس رقم/٩١٦

(٥) انظر ابن عذاري، البيان المغرب ٢٠٣/٢

(٦) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٢١٤

٢٤- ثم يحيى بن عبد الله بن يونس المرادي القرطبي المعروف بالمقبري حيث كان واليا على الشرطة والسوق، وسكة عبد الرحمن بن محمد الناصر، وقد توفي سنة/٣٢٦هـ^(١).

٢٥- ثم أحمد بن عبد الله بن أبي طالب الأصبحي قاضي قرطبة، كان صاحب السوق في عهد عبد الرحمن الثالث، وقد توفي سنة/٣٢٦هـ^(٢).

٢٦- ثم محمد بن فيصل بن هذيل الحداد أبو عبد الله القرطبي، قد ولي الإفتاء لأهل السوق في قرطبة، وتوفي في غزوة الخندق سنة/٣٢٧هـ^(٣).

٢٧- ثم أحمد بن عبد الله بن أبي عيسى الظلمنكي أبو عمر، كان سيفاً مسلحاً على الخارجين عن الدين الصحيح، والمنحرفين يؤدبهم؛ وكان يغار على الشريعة، وكان شديداً في القيام بحق الله، عاش في قرطبة، يعلم الناس محتسباً، وتوفي في طلمنكة سنة/٣٢٩هـ^(٤)، الظاهر أن هذا محتسب متطوع، وهو دليل على وجود المحتسب التطوع في الأندلس.

٢٨- ثم عبد الرحمن بن محمد يونس بن عبد الله بن يونس المرادي المقبري القرطبي حيث تولى خطة السوق بقرطبة سنة/٣٣٥هـ^(٥).

٢٩- ثم إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد أبو بكر مولى بني أمية القرطبي، كان والياً على السوق واعتنى به، وتوفي في أول خلافة المستنصر بالله الحكم سنة/٣٥١هـ^(٦).

٣٠- ثم محمد بن محمد بن أبي زيد القرطبي، وقد أقيم في المسجد الجامع بقرطبة اجتماع في يوم الخميس أول يوم من شهر ربيع الأول من سنة/٣٥٠هـ؛ لأخذ

(١) انظر ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/٢٧٣٧

(٢) انظر الحشني لقضاة قرطبة ص/٢٠٢-٢٥٦

(٣) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٢١٩

(٤) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٩١

(٥) انظر ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/٢٨٣٢

(٦) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/٢٦١

بيعة الشعب لعبد الرحمن الثالث، وحضر هذا الاجتماع كل من وزير المدينة، والقاضي وصاحب الشرطة العليا، وصاحب الشرطة الصغرى، وصاحب أحكام السوق وهو محمد بن محمد بن أبي زيد هذا، وطالت هذه المناسبة إلى سبعة أيام^(١)، يدل هذا على أن حضور هذه المناسبات من مهام صاحب السوق.

٣١- ثم أحمد بن يونس بن أحمد الجذامي المعروف بالحراني الطبيب القرطبي ولآه الشرطة، السوق هشام الثاني في سنة ٣٥١هـ^(٢).

٣٢- ثم أحمد بن محمد بن زكريا بن الوليد القرطبي المعروف بالرصافي، كان مفتيا، عند ما كان يفتي يجتمع حوله أهل الحسبة، وتوفي سنة ٣٦٢هـ^(٣)، وهذا يدل على وجود وظيفة الحسبة وأن أهلها يجتمعون عند أهل الفتوى مما يفيد طلبهم للعلم، ورغبتهم فيه، وفي معرفة مسائل الاحتساب.

٣٣- ثم أحمد بن هلال بن زيد العطار أبو عمر القرطبي حيث كان مفتيا في سوق قرطبة، وقد توفي سنة ٣٦٤هـ^(٤).

٣٤- ثم محمد بن يحيى بن خليل اللخمي أبو عبد الله المعروف بابن العصفري القرطبي حيث كان مفتيا في السوق - سوق قرطبة - بالأبي، وقد توفي سنة ٣٦٤هـ^(٥).

٣٥- ثم ابن المرعزي ولي أحكام السوق حينما تولى المنصور الحجابة في سنة ٣٦٦هـ^(٦).

٣٦- ثم محمد بن عبد الله بن سعيد البلوي أبو عبد الله القرطبي، كان يجلس حوله الناس والمختصة لطلب العلم توفي سنة ٣٧٠هـ^(٧).

(١) رواية مجهولة عن عبد الرحمن الثالث ص/٣٠

(٢) ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/٢٢، وطبقات الأطباء ص/١١٢، وطبقات الأمم ص/٨٠-٨١

(٣) ابن القرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٦٢

(٤) ابن بشكوال، الصلة رقم/١٥٠

(٥) ابن بشكوال، الصلة رقم/١٣١١

(٦) النباهي، المرقبة العليا ص/٨١

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص/٣١

٣٧- ثم أحمد بن نصر بن خالد أبو عمر القرطبي، كان يلي أحكام الشرطة والسوق، وقضاء قرى جيان، وكان معلما لأمر المؤمنين المؤيد بالله، وقد توفي سنة/٣٧٠هـ^(١).

٣٨- ثم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الله الرعيني أبا المطرف المعروف بابن المشاط القرطبي، حيث ولاه على أحكام الحسبة - التي تسمى بولاية السوق في جيان - ابن أبي عامر، وقد توفي سنة/٣٩٧هـ^(٢).

٣٩- ثم أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حصين بن أحمد بن حزم الغافقي الأندلسي، قد ولاه على الحسبة في دمشق الحاكم العبيدي سنة/٣٩٥هـ، يؤخذ من هذا أن هناك من الأندلسيين من تولى الحسبة في غير بلده.

٤٠- ثم أحمد بن سعيد بن حبان الأموي قد ولاه على السوق القاضي منذر بن سعيد، وقد توفي سنة/٤٠١هـ^(٣)، وهذا يدل على أن تولية صاحب السوق تصدر من القاضي؛ إذ أن منذر بن سعيد كان قاضي الجماعة بقرطبة.

٤١- ثم خلف بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن عثمان الكلبي، كان وزيرا لعبد الله بن عبد الملك بن مروان ومحتسبا، ويعرف بابن المرباط، ولد سنة/٣٠٩هـ، وتوفي في سنة/٤٠٠هـ وقبل سنة/٤٠١هـ^(٤).

٤٢- ثم عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد أبو محمد الطليطلي، قد أوجب على نفسه القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فعين نفسه لذلك، وألف ديوانه باسم كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد توفي سنة/٤٢٤هـ^(٥)، وهذا - أيضا - محتسب متطوع، وهو دليل على وجود الاحتساب التطوعي في الأندلس، مما سبق تبرز ولاية السوق في الأندلس في هذا العهد واهتمام الولاة بها

(١) ابن القرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٦٧

(٢) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٦٧٨

(٣) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٣٩

(٤) انظر ابن القرضي، تاريخ علماء الأندلس رقم/١٢١٤، وابن بشكوال، الصلة رقم/٣٢١

(٥) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٥٨٥

ووقوفهم مع والي السوق "المحتسب" وذلك مما أعطى تلك الولاية قوة ومهابة،
ومما يدل على ذلك جمعها مع ولاية الشرطة مما يقوي سلطة صاحبها وأن الغالب
على والي السوق العلم والفقه في الدين، حيث يجلس في المجلس، ويعقد الدروس،
ويقوم بنشر العلم. كذلك من أعوان صاحب هذه الولاية مفني السوق مما يدل
على تنظيم هذه الولاية ووجود المرجعية لها. ونرى والي السوق في بعض الفترات
يفوض في أمور غير داخلية في ولايته أصلاً وخاصة زمن الفتن وطفيان المفسدين
في النوحى الاقتصادية.

المطلب الثاني: ولاية السوق في عهد ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ)

التمهيد:

ملوك الطوائف تطلق على عهد الفوضى والتفرق والاختلاف الذي ساد بلاد الأندلس بعد الفتنة العظمى التي أعقبت الدولة الأموية، حيث أصبح التناحر والحروب سمة ذلك العصر، وأصبح على كل جزء من أجزاء الأندلس أميرا، وكل منهم يطمع في الآخر ويحاول توسيع دائرة مملكته على حساب جاره، وربما وجد منهم من يعقد المعاهدة مع ملوك النصارى ضد جاره المسلم.

في هذا العصر المضطرب، استمرت ولاية الحسبة في الأندلس، وتألقت وازدهرت، وبرزت أهميتها لشدة الحاجة الاجتماعية إليها، وليس أدل على ذلك مما يأتي، ومن أبرز ولاية السوق في هذا العهد:

٤٣- محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن سعيد الأموي أبو عبد الله القرطبي، كان محتسبا مطبقا للسنة، يهرب منه المنحرفون، والفساق، وكان عليهم كالسيف المسلول، ولد سنة/٣٣٥هـ، وتوفي سنة/٤٢٩هـ^(١).

٤٤- ثم أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيري الأصولي يعرف بابن المحتسب وقد توفي سنة/٤٢٩هـ^(٢)، مما تقدم يظهر أنهما محتسبان متطوعان قاما بالحسبة في المجالات التي رأياها فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وذلك مما يدل على أن المحتسب المتطوع وجد في الأندلس، وأن الاحتساب أداء للواجب الذي شعر بأن عليه أدائه، وذلك طلبا لرضوان الله تعالى.

٤٥- ثم تولى محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد أبو بكر القرطبي أحكام الشرطة والسوق بقرطبة، وكان شديدا في قضائه، وقد توفي سنة/٤٣٢هـ^(٣).

(١) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/١١٣٦

(٢) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٩١

(٣) انظر ابن بشكوال، الصلة برقم/١١٤٢

٤٦- ثم عبد الرحمن بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد، قد ولي أحكام الشرطة، والسوق بقرطبة، وقام بها على أحسن وجه إلى أن مات في سنة ٤٣٧هـ^(١). كالعهود السابقة كانت ولاية الشرطة والسوق تجمع لرجل واحد.

٤٧- ثم الحسن بن محمد بن ذكوان أبو علي قد ولي قضاء قرطبة من قبل أبي الوليد بن محمد بن جهور الذي رفعه إلى هذا المنصب من أحكام الشرطة والسوق مع أنه لم يكن كثير العلم، وكان مسؤولاً عن الحسبة سابقاً لكنه ارتفع بسبب منهجه ومهارته في القضاء مع غض النظر إلى قلة تفقهه، كان عفيفاً، وشديداً، وغنياً، ومتساهلاً مع الحكومة^(٢).

٤٨- ثم أبو الحسين بن سابق حيث ارتفع إلى ولاية السوق بينلسية، وحمدت سيرته وأعماله في تلك الولاية^(٣).

٤٩- ثم خلف بن بقي التجيبي أبو بكر الطليطلي حيث كان والياً على أحكام السوق، في بلده، وكان يجلس لها بالجامع^(٤).

٥٠- ثم يوسف بن سمؤال أبو عمر الدقاق القرطبي حيث كان مفتياً في سوق قرطبة^(٥)، ويدل من تراجم هؤلاء وجود وظيفة مفتي أهل السوق دلالة على اعتناء بهذه الولاية، وإيجاد المرجعية الشرعية لأهل السوق في سوقهم، وهذا المفتي تابع لصاحب السوق أو مساند له.

(١) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٧٠٣

(٢) انظر ابن عذارى، البيان المغرب ١/١٦٠

(٣) انظر ابن عذارى، المغرب ٢/٣١٣

(٤) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٣٧٤

(٥) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/١٦٣٠

٥١- ثم محمد بن موسى بن مفلس أبو عبد الرحمن الطليطلي، كان مفتياً لأهل السوق، من أهل طليطلة تكنى بأبي عبد الله، كان فقيهاً بالمسائل، مفتي أهل السوق، موثقاً، وكان رجلاً صالحاً من أهل الخير والطهارة، وتوفي قبل سنة/٤٦٠هـ^(١).

٥٢- ثم محمد بن مكّي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي أبو طالب القرطبي حيث ولي أحكام السوق والشرطة، وأحبّاس قرطبة، وكانت أقضيته خلال ولايته محموداً، توفي سنة/٤٧٤هـ^(٢)، هنا دلالة أن ولاية الشرطة والسوق غالباً ما تجمع في يد رجل واحد، وهنا أضيف له وظيفة أخرى وهي الأحباس، أي: الأوقاف، كما أن سيرة ذلك الوالي كانت حميدة.

٥٣- ثم أبو الأصبع المنزلي حيث كان مفتياً لواجب بن عمر بن واجب عند ما كان والياً على السوق، وناظرنا في الأحكام بيلسية وتوفي قبل سنة/٤٩٠هـ^(٣)، هذا دليل على الجمع بين خطة السوق والأحكام، وهي من الخطط في الأندلس، وأن لوالي السوق مفتياً يرجع إليه، وكذلك اتضح في هذا العهد الجمع بين ولاية السوق والشرطة ووجود مفتي السوق داخله مساند لصاحب هذه الولاية ووجود هذه الولاية في هذا العهد يدل دلالة واضحة على عظم تلك الخطة واعتناء الولاة بها.

(١) انظر ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص/٣٩٣

(٢) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم ١٢١٠

(٣) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/١١٠٧، وابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص/٣٩٣

المطلب الثالث: ولاية السوق في عهد المرابطين:

(٤٨٤-٥٢٠هـ)

٥٤- أبو بكر بن محمد شرف الدولة أحد أبناء المعتمد، كان يعيش على كتابة الوثائق بمراكش فدعاه صاحب الحسبة المقدم لها من قبل القاضي أبي محمد بن عرجون؛ لكي يكون كاتباً له حيث كان أمياً جاهلاً^(١).

٥٥- ثم محمد بن سفيان بن أبي إسحاق أبو عبد الله الواعظ، حيث تولي حسبة السوق ببلنسية، وتوفي سنة/٥١٢هـ^(٢).

٥٦- ثم محمد بن مروان بن يونس أبو عبد الله المعروف بابن الأديب كانا ناسخاً بارزاً مشهوراً ولي من قبل القاضي مروان بن عبد العزيز على خطة السوق وتوفي ببلنسية سنة/٥٤٢هـ^(٣).

٥٧- ثم يحيى بن محمد بن يحيى بن علي القيسي أبو الحسن المعروف بابن الإشبيلي القرطبي، وقد تولي الحسبة في المدينته التي هجرها ليسكن فاس، وتوفي بتلمسان^(٤).

٥٨- ثم طارق بن موسى بن طارق أبو جعفر البلسي، قد تقلد ولاية السوق، والمواريث، وقتل في سنة/٥٦٦هـ^(٥).

(١) انظر ابن الأبار، الحلة السراء ٧٦/٢

(٢) انظر ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة رقم/١١٧٤

(٣) انظر ابن الأبار، التكملة رقم/١٢٩٤

(٤) انظر ابن الأبار، التكملة رقم/١٢٩٤

(٥) انظر السيوطي، بغية الوعاة رقم/١٥٥٠

٥٩- أحمد بن محمد بن موسى بن عبد الله أبو جعفر البلسي، قد تولى حصة السوق، وبذل فيها جهدا مشكورا، وقد توفي سنة/ ٥٨٠هـ^(١)، من هذا يتضح استمرار ولاية السوق في ذلك العهد رغم الفتن والاضطرابات التي سادت والحروب التي اشتعلت فيه، مما يدل على أهمية تلك الولاية.

(١) انظر السيوطي، بغية الوعاة رقم ١٥٥٠

المطلب الخامس: ولاية الحسبة في عهد الموحدين

(٥٤٠-٦٢٠)

٦٠- عبد العزيز بن محمد اليحصبي اللبلي أبو الأصبغ عالما باللغة العربية تولى الأحكام والحسبة بمرسية، وتوفي سنة/٥٨٠هـ^(١).

٦١- ثم عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس الغرناطي، كان قاضيا في جزيرة شقر، وقوادش، وجيان، وغرناطة، وقد ولي النظر في الحسبة والشرطة، ومناصب أخرى قام بها على وجه مناسب، وكان أخلاق محمودة وعمله مشكورا، ولد سنة/٥٢٤هـ، وتوفي سنة/٥٩٧هـ.

٦٢- ثم أحمد بن علي بن خلف التحيي الإشيلي أبو القاسم كان عالما ربانيا ولاء القاضي أبو محمد بن حوط الله الإشيلي حسبة السوق لحسن خلقه، وأمانته في النظر في كل ما يصلح للمسلمين، وكان مشهورا بين الشعب، والملا، ولكنه لم يطل في عمله حيث توفي في سنة/٦٠٢هـ على إثر مرض أصابه^(٢).

٦٣- ثم عمر بن محمد بن عبد الرحمن البكري أبو حفص قد تولى خطة السوق وتوفي سنة/٦٠٦هـ^(٣).

٦٤- ثم علي بن محمد بن يوسف بن عبد الملك الأنصاري الوراق المعروف بابن المؤذن أبو الحسن الذي تميز بقيامه محتسبا حال كونه في خطة السوق ببلده، وقد ولد سنة/٥٥٠هـ، وتوفي سنة/٦٢١هـ^(٤)، من هذا يظهر وجود خطة الحسبة، أو

(١) انظر البيهقي، بغية الوعاة رقم/١٥٥٠

(٢) انظر ابن الزبير صلة الصلة رقم/٢٧

(٣) انظر ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/١٦٩٤

(٤) انظر ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/٢٣٦٦

السوق في دولة المرابطين، وأنها مستمرة كالعهود السابقة، مما يدل على أهميتها في تلك الدولة، وأنها أصبحت تسمى الحسبة.

٦٥- ثم محمد بن علي بن يوسف بن مطرف الأموي أبو بكر قد ولي خطة السوق في بلده مالقة وتولى - أيضا - مناصب أخرى، وكان عمله محمودا، وكانت ولادته سنة/٥٥٦هـ، ووفاته سنة/٦٣٦هـ^(١).

٦٦- ثم سليمان بن يحيى بن سليمان بن بدر القيسي الإشبيلي أبو عمرو ولي الشورى وخطة السوق مرات عديدة، وكان في آخر أيامه يدرس الفقه توفي سنة/٦٤٦هـ^(٢).

٦٧- ثم محمد بن غلبون بن محمد بن عبد العزيز بن غلبون الأنصاري أبو بكر المرسي، وكان معلما ابن الأبار، وقد تولى خطة السوق في بلده، وكان يحب جمع الكتب النادرة، توفي سنة/٦٥٠هـ^(٣)، وهذا دليل على اهتمام الموحدين بخطة السوق، وازدهارها في عهدهم، واختيار الكفاء ليتولى تلك الولاية.

المطلب السادس: ولاية السوق في مملكة بني

نصر بغرناطة

هذه الإمارة هي آخر معاقل الإسلام في الأندلس، وقد صارت النصرانية قرابة قرنين ونصف، وحاولت الإبقاء على الإسلام وتطبيقه، وما أدل على ذلك إلا استمرار الخطط الدينية فيها ومنها ولاية السوق، ومن ولاتها في ذلك العهد.

٦٨- أبو بكر محمد بن فتح أحمد الأنصاري الإشبيلي قد تولى حسبة السوق، والشرطة، والقضاء، وكان صابرا شديدا قويا متوكلا على الله، وبقي في هذه

(١) انظر ابن الأبار، الذيل والتكملة رقم/١٦٩٤

(٢) انظر ابن الأبار، التكملة رقم/١٩٩٣

(٣) انظر ابن الأبار، التكملة رقم/١٦٩٠

المناصب ينظر فيها كلها حتى وفاة السلطان الغالب بالله سنة/٦٧١هـ، وتوفي سنة/٦٩٧هـ^(١)، يدل هذا على استمرار حسبة السوق في كافة عصور الإسلام في الأندلس، وأن تلك الولاية تسند للأكفاء من الرجال، وتجمع لهم أكثر من ولاية. ٦٩- ثم أبو تمام غالب بن علي بن محمد اللخمي من سكان غرناطة، وقد تولى الحسبة بفأس، وساعد أهل بلده مساعدات طيبة^(٢). هذا تولاهما بفأس في المغرب، ولكنه أسندت إليه لأنه من سكان غرناطة، وقد تولاهما هناك.

٧٠- ثم محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري جيائي الأصل مالقي يكنى أبا عبد الله، كان على استقامة، وصلابة، ونزاهة، ولي الحسبة بمالقة، وسارفيها سيرة حميدة، وهنأه لسان الدين الخطيب برسالة على توليه الحسبة، تعطي صورة عن تلك الولاية، وحال المجتمع، وأرشده إلى طرق تعينه على أدائه هذه الولاية بنجاح، ولد بمالقة في العاشر من ربيع الأول سنة/٧١٠هـ^(٣).

(١) انظر الشبامي، المراقبة العليا ص/١٢٥

(٢) انظر جدوة المقتبس ص/٣١٢

(٣) انظر لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ١٩٦/٣-١٩٩

المبحث الثاني: أشهر المحتسبين المتطوعين في الأندلس

التمهيد

الاحتساب التطوعي فرض كفاية على المسلم، وأحيانا يكون فرض عين في حالات، وبشروط^(١)، وهو من لوازم دين الإسلام، ومن شعائره الظاهرة، وقد تنافس فيه المسلمون في كل العصور، يرجون بذلك الثواب الجزيل من الله تعالى، ويقصدون وجهه جلّ وعلا، وقد وجد من قام بذلك في الأندلس في كل عصورها، وقد سبق إيراد بعض من قام بذلك ضمن التراجم السابقة، فمنهم: من احتسب في محاربة البدع. ومنهم: من احتسب في ردع المنكرات من الأفعال والأقوال. ومنهم: من احتسب في تعلم العلم وتعليمه ونشره.

من المحتسبين المتطوعين:

٧١- الحسن بن علي الفاسي أبو علي لم يزل يطلب العلم، ويصاحب الفقهاء محتسبا إلى أن مات^(٢).

٧٢- ثم محمد بن عبد الرحمن بن سعيد النحوي أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة/٥٠٥ هـ كان يعرف بابن المحتسب^(٣).

٧٣- ثم محمد بن خلف بن محمد القيسي أبو عبد الله الجياني المعروف بابن المحتسب - أيضا - توفي سنة/٥٣٢ هـ^(٤).

(١) انظر ابن باز الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة ص/١٦

(٢) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٣٢٠

(٣) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/١٢٥٠

(٤) انظر ابن الأبار، التكملة رقم/١٢٤٥

٧٤- ثم محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العرني المعافري أبو بكر الإشبيلي، ولي قضاء إشبيلية في رجب من سنة/٥٣٨هـ، وجعل على نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصبر على ذلك حتى توفي سنة/٥٤٣هـ^(١).

٧٥- بيباس بن محمد بن علي بن بيباس العبدري أبو بكر كان قاضيا، وكان يفتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله في ذلك قصص مشهورة، توفي سنة/٥٨٢هـ^(٢)، لم أقف على شيء منها رغم طلي وبخشي عنها.

٧٦- يحيى بن عبد الجبار بن يحيى بن مسعود بن يوسف الأنصاري المالقي المعروف بابن الأبار، تولى القضاء، واجتهد في الإصلاح، والابتعاد عن الشرور، توفي سنة/٥٩٠هـ^(٣).

٧٧- يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي الواعظ أبو زكريا، كان شديدا على الفساق، وأهل البدع، توفي بغرناطة سنة/٦٠٨هـ^(٤).

٧٨- علي بن محمد بن يوسف بن عبد الملك الأنصاري الوراق أبو الحسن المرسى، يعرف بابن المؤذن، اجتهد في أن يعمل محتسبا خلال ولايته على خطة السوق ببلده.

٧٩- عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد من أهل طليطلة، رحل إلى المشرق مع أبيه، كان ورعا خيرا، مجتهدا متواضعا، سنيا، عالما كانت جلّ كتبه نسخها بيده، ألزم نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، وألف في ذلك "كتاب الأمر والنهي"، وكان مهيبا محبوبا من جميع الناس، توفي رحمه الله سنة/٤٢٤هـ^(٥).

(١) انظر انباهي، المراقبة العليا ص/١٠٢

(٢) انظر ابن بشكوال، الصلة رقم/٦١٠

(٣) انظر ابن الزبير، صلة الصلة رقم/٣٦٨

(٤) انظر ابن الزبير، صلة الصلة رقم/٣٩٢

(٥) انظر ابن بشكوال الصلة ١/٢٦٤-٢٦٥

٨٠- إبراهيم بن محمد بن حسين بن شظير من أهل طليطلة توفي سنة/٤٠١هـ،

كان منافراً لأهل البدع، والأهواء لا يسلم على أحد منهم^(١)

٨١- قاسم بن محمد بن سليمان القيسي من أهل طليطلة توفي سنة/٤٥٨هـ^(٢).

٨٢- عبد الرحمن بن خلف بن مسعود الكنانى من أهل قرطبة المتوفى سنة/٥٠١هـ،

كان يعظ الناس في مسجده ويذكرهم^(٣).

٨٣- ومن أهل بجاية من كان يبحث بنفسه عن الطلبة القادمين إليها لنشر علمه؛

لمعرفة أن تلك البلدة ملتقى لطلبة العلم، وكان من أهل العلم والعمل، عاكفاً

على الاشتغال بالعلم، جادا في نشره، وإذاعته حسن النية فيه، ولذلك اشتهر

ذكره وعني الناس بتواليقه^(٤).

٨٤- ومنهم من كان ينصح القضاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٥).

٨٥- علي بن عبد الله بن خلف بن محمد بن عبد الملك الأنصاري من أهل بلنسية،

عائمة العلماء بشرق الأندلس في عصره، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر،

وينكر على من يشرب الخمر، فقد كان ابن عمه يواقع شرب الخمر أحيانا فعمد

إلى أواني الخمر فكسرها توفي سنة/٥٦٧هـ^(٦).

(١) انظر الصلة ٩٠/١-٩١

(٢) انظر الصلة ٤٤٨/٢

(٣) انظر الصلة م.س. ٢٣٤/١

(٤) انظر ابن الأبار صلة الصلة ص/٥، تذكرة الحفاظ ٣٥١/٤، شذرات الذهب ٢٧١/٤

(٥) القاضي عياض ترتيب المدارك ٩٣/٦-٩٤ في ترجمته لأحمد بن عبادة بن نوح المتوفى سنة/٢٣٢هـ

(٦) انظر ابن الأبار الذيل والتكملة ص/٢٣١

٨٦- أبو عمر أحمد بن عفيف القرطبي المتوفى سنة/٣٤٦هـ، كان يعظ الناس في مسجده، ويقرأ عليهم كتب الرقائق، وكان كثير الخشية سريع الدمعة مجتهدا بالقرآن طيب المجالسة، وكان يغسل الموتى، وله كتاب في ذلك كتاب الجنائز^(١).
٨٧- ومنهم من كانت له أعمال من البر صالحة، وكان يعظ الناس، وانتفع الناس بوعظه وإرشاده، وكان كثير النصيح لعامة المسلمين^(٢).

٨٨- ومنهم من اهتم بالحبسة، وتغيير المنكر، وكر آيات الله، وكان بارزا في الفتيا^(٣).
٨٩- ومنهم من ذاع صيته في الأندلس، وله مؤلفات ظاهرة، ومنها من فقد كتبه. كلسان الدين بن الخطيب الذي بلغ الوزارة، وبلغ مكانة عظمى في البلاغة، والعلم والشعر المتوفى سنة/٧٧٦هـ، ويهمننا ما جاء في بعض وصياه لأولاده بحسبا في تلك الوصايا، فهي تبين صدقه في النصيحة، وحرصه عليها جاء في وصيته لأولاده قوله (وامر بالمعروف أمرا رفيقا، وانهبوا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا... وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا، ولا تقربوا من الفتنة جهرا، ولا تداخلوا في الخلاف زيدا ولا عمرا) ثم قال - أيضا -: (ورغبوا الناس في الطاعات واندبواهم إليها ووضحوا لهم أعمالهم، وحرصوهم عليها... وخذوا بعمارة مساجد الله التي هي بيوت الأتقياء)^(٤).

٩٠- أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ من أهل البيرة سكن قرطبة، وكان رجلا فاضلا واعظا منيا، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يعظ الناس فيه في غاية من الحفل، وكان الناس يكررون إليه ويزدحمون عليه، ونفع الله المسلمين به توفي سنة/٤٣٢هـ^(٥).

(١) القاضي عياض ترتيب المدارك ٨/٨-٩

(٢) انظر المصدر السابق ٧/٢٨٨، في ترجمة أبي عبد الله بن عمر المعروف بابن الفخار المتوفى سنة/٤١٨هـ

(٣) انظر ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن القطان المتوفى سنة/٤٤٠هـ، المصدر السابق ٨/١٣٥

(٤) المقرئ نفع الطيب ١٠/٢٤٧-٢٥٨

(٥) ابن شكوال صلة الصلة ص/٢٠١-٢٠٢

٩١- يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم القيسي جاء من المشرق، وكان واعظاً، يعرف بالأصبهاني من أهل دمشق، كان شديداً على أهل الأهواء والبدع محبا لأهل السنة والورع منقطع النظيرين في الفضل والخير والدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، واشتغل حين صدر عن بلاده إلى أن وصل الأندلس ووعظ بها فنفذ الله به المسلمين، وتاب على يديه جملة كبيرة من المشرقيين المذنبين، وكان وعظه يأخذ بمجامع القلوب، توفي بقرطبة سنة/٦٠٨هـ^(١).

٩٢- ومنهم من كان محتسبا بقراءة القرآن حسن الصوت بها يقرئ القرآن بلا أجرة شديداً في الأمر بالمعروف قوي الفراسة^(٢).

٩٣- يحيى بن أحمد خليل السكوني من أهل لبله، وكان ياشبيلية، وتكلم عند السلاطين في المصالح العامة، وكان من أهل التفنن في العلوم الدينية، والعقائد الإيمانية، وكان مجلسه أحفل مجلس وأجمعه لأشتات المعارف، وشرح كتاب المستصفي، وعمل على تفسير الزمخشري كتاباً ضمنه، وبين فيه ما جاء في تفسيره من انتحال الاعتزال، وهو في ذلك محتسباً، توفي سنة/٦٢٦هـ رحمه الله^(٣).

٩٤- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم من أهل قرطبة تحولاً في الأندلس، وهو من أعظم من أنجبت الأندلس الذين كان لهم أثر باقي، مشهور، فهو موسوعة عظيمة من موسوعات الإسلام يدل على ذلك كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وكتاب "المحلى: في الفقه الظاهري، قال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد: (كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة) وقال أبو عبد الله الحميدي: (كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمّة عاملاً بعلمه

(١) ابن الزبير صلة الصلة ص/٢٠١-٢٠٢

(٢) انظر ترجمة يحيى بن حجاج، ابن الزبير صلة الصلة ص/١٧٢-١٧٣

(٣) ابن الزبير صلة الصلة ص/١٩٤

زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه قبله في الوزارة وتدبير
الممالك^(١) ويأتي ابن حزم في مقدمة المحتسبين في العلم والتعليم والتأليف، كما
أنه كان واعظا بالشعر الذي كان بارعا فيه، يقول على البديهة ومن مواعظه
الشعرية قوله:

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا	فـجـانـعـه تـبـقـى ولـذاتـه تـفـسـنـى
إذا أمكنت فيه ممترة ساعة	تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعات في المعاد وموقف	نود لـسـديـه أنـا لم نـسـكـن كـنـا
حصلنا على هم وإثم وحسرة	وفات الذي كنا نلديه عينا
حينئذ لما ولي وشغل بما أتى	وغم لما يرجى فعيشك لا يهنا
مناي من الدنيا علوم أبها	وانشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي	تناسى رجال ذكرها في المحاضر

ومن صور احتسابه مناقشته ورده على كثير من الانحرافات، والانتهاكات
والأخطاء في الأديان^(٢)، وقد تصدى للرد على ابن النفريلة اليهودي الذي
ألف كتابا ادعى فيه تناقض كلام الله عز وجل في القرآن الكريم، واستطاع ابن
حزم أن يدحض آراءه في حسم وقوة، وقد توفي رحمه الله في سنة ٤٥٦هـ^(٣).

٩٥- ابن الزبير أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي ولد سنة ٦٢٧هـ،
تصدر لإقراء كتاب الله وتعليم الفقه عكف على تدريس العلم وصارت الرحلة
إليه، وله كتاب "ردع الجاهل من اعتساف الجاهل" وهو رد على بدع المبتدعة
التي ظهرت في زمنه، وكان قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قامعا لأهل
البدع، توفي سنة ٧٠٨هـ، ومن صور احتسابه: قيامه على الساحر الفزاري في
مالقة، ولكنه أودى ثم تحول إلى غرناطة، فاجتمع ابن الزبير بصاحب غرناطة
ووصف له حال الفزاري، فأذن له إذا انصرف بجواب رسالته التي جاء الفزاري

(١) الحيلدي حذوة ص/ ٢٩٠

(٢) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٧٩، وما بعده، ابن بشكوال كتاب الصلة ٢/ ٣٩٥-٣٩٦

(٣) ابن بشكوال كتاب الصلة ٢/ ٣٩٦، أنور الجندي من نوابع الفكر الإسلامي ص/ ٢٥١

بها أن يخرج إليه ببعض أهل البلد ويطالبه من ياب الشرع ففعل، فثبت عليه الحد، وحكم بقتله فضرب الفزاري بالسيف فلم يحل فيه فقال ابن الزبير جردوه فوجدوا جسده مكتوبا فغسل، ثم وجد تحت لسانه حجرا لطيفا، فزرعه فجال فيه السيف حينئذ^(١)، وهذا دليل على عظم دور المحتسين المتطوعين، ومساندة الولاة لهم في تغيير منكرات العقيدة، مما سبق يبرز بحال الاحتساب التطوعي في الأندلس، وندب العلماء أنفسهم إليه طلبا للأجر والثوبة، وانصر على ما يجده أحدهم في هذا الطريق، ورغبتهم في الإصلاح في ذلك المجتمع، فمن وسائلهم في ذلك بيان البدعة وقمعها، والتحذير منها، والنفور والبعد عن أهلها، والنهي عن المنكر، ومن تواضع علمائهم في ذلك البحث عن الطلبة القادمين لطلب العلم الغرباء عن البلد، والالتقاء بهم، ونشر العلم بينهم احتسابا. بما رغب الناس فيه، وفي مؤلفاته، والحصول عليها، وكذلك مناصحة القضاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عندهم، والتعرض لأهل الفسق، ونهيهم عن قرب الخمر، وتكسير أوانيهم، ومنهم من كان يعظ الناس في المساجد، وبقراءة كتب الرقائق عليهم، وامتناز بعضهم بالتأثير الشديد على الناس فتاب على يديه خلق عظيم من المذمنين^(٢)

(١) انظر ابن الخطيب الإحاطة م. س. ٧٢/١، الذمى تذكرة الحفاظ ٢٧٥/٤

(٢) انظر ابن الزبير صلة الصلة ٢٠٢-٢٠١

الفصل الرابع

آثار الاحتساب في المجتمع الأندلسي وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: آثار الاحتساب في العقيدة والعبادة

المبحث الثاني: آثار الاحتساب في الجهاد والدعوة إلى الإسلام

المبحث الثالث: آثار الاحتساب في الأسواق والمعاملات

المبحث الرابع: آثار الاحتساب في الآداب والأخلاق قوة وضعفا

المبحث الخامس: آثار الاحتساب في العلم والتعليم

المبحث السادس: آثار الاحتساب على الأمراء والحكام.

المبحث الأول: آثار الاحتساب في مجال العقيدة والعبادة

التمهيد:

مما سبق يتبين لنا بجلاء ما كان للاحتساب من آثار طيبة في مجال العقيدة والعبادة، فقد بقيت الأندلس ثمانية قرون في ظل الإسلام، وعاشت الأمة فيها في تقلبات بين الضعف، والقوة، وإن عقيدة السلف الصالح بقيت راسخة قوية، ولم تضعف رغم تلك الشوائب التي علقت بها، كما أن الفتن والحروب والتفرق الذي ساد الأندلس ما زادها إلا قوة وثباتاً.

والتأمل في أحوال المجتمع الأندلسي العقدي يدرك ظهور العقيدة الصافية المبنية على الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم منذ دخول الإسلام إليها في أواخر القرن الأول الهجري حتى خرج منها في أواخر القرن التاسع الهجري، على ما مر به من تقلبات، وصراعات من أعدائه النصاري البارزين الذين يحاولون طمس نوره، وإخماده، وبين أعدائه من أبنائه الذين أثروا شهواتهم على مصلحة الإسلام ومستقبله وشغلوا بالتناحر والتطاحن بين بعضهم البعض، وأصبح الأخ عدواً لأخيه في الإسلام، وأخذ يكن له ويدبر من الخطط؛ للإيقاع بأخيه ونكته حتى لو كان ذلك على مصلحة ترك العقيدة والارتقاء إلى أحضان النصارى^(١).

ومن آثار الاحتساب على العقيدة في الأندلس ما يلي:

- ١- إطالة مدة بقاء الإسلام في تلك البلاد.
- ٢- إن النفوس التي تشربت حلاوة الإيمان، وسلامة العقيدة الصافية يعز عليها ترك تلك العقيدة أو التنازل عنها بسهولة، وما أدل على ذلك من شدة صنوف العذاب والتنكيل بالمسلمين من قبل النصاري، حيث سلكوا معهم أنواعاً من العذاب تقشعر من هولها الجلود، وبدل على ذلك شدة إصرار المسلمين على

(١) انظر الحبحي التاريخ الأندلسي ص/ ٣٥٤ وما بعدها

التمسك بالإسلام المتمثل بالعقيدة، فما استطاع النصارى إزالة العقيدة من صدورهم، إلا بالقتل الجماعي للأمة بعد أن عجزوا عن طمس آثار العقيدة في النفوس^(١)، ونزعها من الصدور، وهذه الصورة وهي: قوة ثبوت العقيدة الإسلامية في الصدور، وصعوبة نزعها بالقوة تكرر في جميع أطوار تاريخ الإسلام قديما وحديثا، وقوة هذا الثبات والإصرار عليه ناتج عن الاحتساب في التمسك بهذه العقيدة والرغبة الشديدة في الموت عليها - عقيدة الفطرة - قال الله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها...﴾^(٢)

٣ - بروز الجهاد في الأندلس بشكل عظيم، ورغبة ذلك المجتمع فيه، وتنافسهم عليه، وتمنيهم الشهادة^(٣) في سبيل هذه العقيدة وفرحهم ودعائهم أن يختم الله لهم بها، حتى أصبحت الأندلس دار رباط وجهاد، وتنافس في ذلك الأمراء، وأصبحت كثرته والاهتمام بها منقبة حميدة للأمير، حتى بلغت غزوات المنصور بن أبي عامر نيفاً وخمسين غزوة^(٤)، وكذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر اهتم به كثيرا وأصبح العلماء يحضرون تلك الغزوات ويجهدون في المشاركة في القتال ليقترن بهم العامة، كما كانوا يقومون بتعليم الجند وتثقيفهم أمور دينهم كما يقومون بتحريض الجند وشحنهم وإلهاب حماسهم في القتال والرغبة في الشهادة كما يبينون لهم أحكام الجهاد في الإسلام، وبذا يكون العالم معلما، وداعية، وجنديا، وقائدا، فما دفع أولئك العلماء لهذا إلا الاحتساب في العقيدة إذا فالرغبة في الجهاد والصدق فيه هو أثر من آثار هذه العقيدة الصحيحة.

(١) انظر أحد رصف، وتذكروا من الأندلس الإمادة ط/٢ (مصر، القاهرة، المزهراء للإعلام العربي ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص/٢٦٩

(٢) سورة الروم الآية/٣٠

(٣) انظر ترجمة سليمان بن هشام بن وليد المقرئ الذي أصيب سنة/٤٠٠هـ، حيث حج وبعد أن شرب من

ماء زمزم دعا بثلاث: إحداهما طلب الموت في سبيل الله، انظر الصلاة ١٩٥/١

(٤) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٦/١٧

٤ - نبذ كل عقيدة أو فكر يحارب ويناقض العقيدة الصحيحة والقيام عليه، وقمعه، وهذا ظاهر بارز في الأندلس، فقد وقف أهل الأندلس من البدع في العقيدة موقفا صلبا حيث وقفوا محتسبين عليه صفيا واحدا حاكمين ومحكومين علماء وعامة فموقفهم من الإلحاد والزندقة شديد، وكذلك التشيع والخوارج والصوفية فإن وجدت بعض المنكرات في الأندلس في بعض فتراتها إلا أنها لم تستطع الظهور والبروز، وتكوين توجه لذلك الفكر وتلك البدع، وهذا أثر حميد من آثار الاحتساب في العقيدة وقمع منكراتها^(١).

٥ - عدم استطاعة الشيعة، والصوفية، والخوارج - أصحاب الأفكار العقدية المخالفة للمنهج الصحيح تكوين كيان سياسي أو دولة لها في الأندلس رغم طول فترة الإسلام في الأندلس، ورغم جدية الفاطميين في ذلك ورغبتهم فيه، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، إلا ما وجد في دولة الحموديين ذات التوجه والفكر الشيعي التي نشأت في الأندلس، وهذا نتيجة للاحتساب في العقيدة ومحاربة البدع فيها، وهي: منقبة حميدة تسجل لأهل الأندلس.

٦ - التراث الأندلسي العظيم في مجال العقيدة كأمثال الكتب الآتية ذكرها:

الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم الأندلسي تلك الموسوعة التاريخية في الأديان والفرق، التي تعتبر من أهم مصادر تاريخ الأديان ونقدها والانتصار لعقيدة السلف، وهذا الكتاب وأمثاله تعد من أهم آثار الاحتساب في العقيدة.

أصول السنة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين - رحمه الله - المتوفى ٣٩٩هـ. هو في الحقيقة انتصار لمذهب السلف في العقيدة حيث بين ذلك الأندلسي منهج السلف الصالح في العقيدة^(٢).

(١) انظر عيسى بن سهل الأحكام الكبرى ١٣٤٢/٢

(٢) انظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي، الشهير بابن زمنين أصول السنة تحقيق عبد الله بن محمد

بن عبد الرحيم البعاري، الطبعة الأولى، (السعودية المدينة المنورة، مكتبة الغرباء ١٤١٥هـ) ص/٣٥ وما بعدها.

البدع والنهي عنها: لمحمد بن وضاح القرطبي، حيث احتسب ذلك القرطبي على البدع ونهى عنها وأقام الدليل على ذلك من الكتاب والسنة^(١)، فهو من المصادر العظيمة التي هي أنس من آثار احتساب ذلك المجتمع في العقيدة.

كتاب الاعتصام: للإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - المتوفى سنة/٧٩٠هـ، فقد بين في كتابه هذا البدع في زمانه ورد على أهلها ودحض مفرجاتهم، وأسكتهم بالحجة والبرهان، وهو أفضل من كتب في هذا الموضوع واحتسب فيه.

يقول الشيخ رشيد رضا - رحمه الله تعالى: - (وقد كتب كثير من العلماء في البدع وكان أكثر ما كتبوا في الترهيب والتنفير والرد على المبتدعين، ولكن الفرق يرد بعضها على بعض ويدعي كل منهما أنه هو الحق، وأن غيره هو الضال المبتدع: إما بالإحداث في الدين، وإما بجهل مقاصده والجمود على ظواهره، وما رأينا أحدا منهم هدي إلى ما هدي إليه الإمام الشاطبي من البحث الأصولي في هذا الموضوع، وتقسيمه إلى أبواب يدخل في كل منها فصول كثيرة وهو بذلك أول من قعد أصول علم معرفة البدع، فإن كتابه "الاعتصام" لا ند له في بابه فهو واسطة عقده، ونسيج وحده، وقد أعانه على ذلك رسوخه في مقاصد الشريعة وإطلاعه على أسرارها ودقائقها، يدل ذلك على ذلك كتابه الموافقات^(٢)).

(١) انظر محمد بن وضاح القرطبي، البدع والنهي عنها، تحقيق عمر عبد المنعم ط/الأولى (مصر القاهرة

مطابع ابن تيمية) ص/٢٥ وما بعدها

(٢) من مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - الطبعة الأولى الإمام الشاطبي الاعتصام ٧/١

المبحث الثاني: آثار الاحتساب في الجهاد والدعوة إلى الإسلام

ومن الآثار الطيبة للجهاد في سبيل الله - عز وجل - في جزيرة الأندلس ما يلي:

- ١- بقاء الإسلام قويا عزيزا؛ لأنه إذا قوي الجهاد قوي الإسلام، والعكس بالعكس، وهذا يتبين لكل من تتبع تاريخ الأندلس في جميع مراحله.
- ٢- بقاء الإسلام في تلك الجزيرة ثمانية قرون، ولو لا قوة الجهاد لما بقي الإسلام هناك هذه القرون كلها؛ لأن الأندلس تقع في داخل أوروبا وبعيدة عن بلاد الإسلام، وهذا يدحض ما أشيع عن الأندلس من الترف والركون إلى الملذات والشهوات، هذا وإن وجد، فقد غلب على الحقيقة وأن الأمة أمة جهاد.
- ٣- حسن المعاملة الإسلامية فازدادت الصلات، والاختلاط مع غير المسلمين من الأسباب مما أدى إلى اعتناقهم للإسلام^(١).
- ٤- معرفة العدو مكارم أخلاق الفاتحين، وحسن معاملتهم، وكل ذلك غرس العقيدة الإسلامية السمحة التي بها خرجوا وبها انتصروا، فجعلت الناس يدخلون في هذا الدين الحنيف أفواجا^(٢)، وتبين لهم أن الفتح الإسلامي فتح العقيدة، وفتح القلوب للإيمان بها، وليس الهدف من القتال الاستعلاء على الأراضي، بل الهدف السلام الإيماني، الذي هو غاية كبرى في الإسلام^(٣).
- ٥- كان علماء الأندلس القدوة للعامة في هذا الركن العظيم فكانوا يخرجون مع الجيش الإسلامي، داعين مذكرين للناس بفضل الجهاد في سبيل الله مرغبين فيه مما يكون له أعظم الأثر في إلهاب النفوس وتشوقها إلى الشهادة، وبالتالي الصير

(١) التاريخ الأندلسي م.س. ص/١٥٨

(٢) المعجب في تلخيص أخبار العرب م.س. ص/١٠٢

(٣) المعجب م.س. ص/١٢٢

على ما يعترضها في سبيل ذلك، وكذلك يشاركون بأنفسهم في القتال، فقد قتل الإمام المفسر ابن جزى - رحمه الله - في وقعة طريف سنة ٧٤١هـ^(١)، كذلك القاضي ابن جحاف - رحمه الله - الذي أحرق بالنار من قبل النصاري في ساحة بلدة بلنسية^(٢)؛ ولذا كانت الأندلس بلد جهاد ورباط، وأخذ الناس يسألون أهل الفتيا أيها أفضل الجهاد أو الحج^(٣)، فكان العلماء وعامة الناس يخرجون إلى الثغور رباطاً في سبيل الله تعالى^(٤)، مما أغاظ النصاري، وأثار حقدهم على الإسلام وأهله.

آثار الانحراف بالجهاد عن غرضه وهدفه الشرعي:

١ - الجهاد ركن عظيم في الإسلام، ودرع حصين للأمة يبرز قوتها، وهيبتها أمام أعدائها، وذلك إذا استكملت شروطه، ومنها: أن يكون تحت إمام واحد يقوده ويدعو إليه، ويكون بنية خالصة لإعلاء كلمة الله، وغرضه تحقيق وإعلاء كلمة الله والدفاع عنها، ولكنه إذا انحرف عن ذلك يأتي هذا القتال بآثار سيئة على الدين والأمة جميعاً، وفي الأندلس انحرف هذا الجهاد عن هدفه ومقصده الشرعي إلى أغراض سياسية ورغبات شخصية على حساب إضعاف الأمة وتفريق وحدتها، فقد وقع هذا الانحراف أمام الفتن في آخر أيام اندولة الأموية في الأندلس، وظهرت الدويلات، وأصبح في كل مدينة أمير للمؤمنين فأطلت عليهم الحروب الأهلية، وشغلت الأمة بقتال بعضهم لبعض، فهدمت الدور ورميت النساء، ويتم الأطفال من قبل أهل ملتهم، وقتل العلماء في دورهم^(٥) فكانت الخالقة لتلك الأمة بسبب القتال الذي انحرف عن غرضه، وهدفه، فوجد العدو النصراني المستأسد

(١) انظر ابن جزى، القوانين الفقهية المقدمة ص/٣

(٢) انظر ابن عذارى البيان المغرب ٣٠٥/٣

(٣) الرنشريسي المعيار المغرب ٣٨٤/١٠

(٤) المصدر السابق ٣٨٤/١٠

(٥) ابن الخطيب أعمال الأعلام ٢٠٣/٢

المتربص في أخذ البلاد مدينة تلو الأخرى، والأدهى منه مساعدة بعد أمراء الطوائف في ذلك^(١).

٢ - أن هذا الجهاد يتأخر أحيانا من أهله في الأندلس فلا يأتي إلا وقد فات الأوان، وانتصر العدو، واستيحت البيضة، فقتلت النفوس، وهتكت الأعراض، ومثال ذلك في الأندلس: مدينة "بربشتر" التي حاصرها النصارى سنة/٤٥٦ هـ لأكثر من أربعين يوما واستنجد أهلها بإخوانهم ولكن بدون جدوى، ثم وقعت المأساة التي اهتزت لها الأندلس كما يذكر المؤرخون، فقد دخلها العدو فعاش فيها فسادا فقدّر القتلى بأربعين ومائة ألف، وارتكبوا أبشع الجرائم قتلا وهتكا للأعراض^(٢)، ثم قام الدعاة إلى الجهاد فلبى الناس النداء واسترجعت المدينة، ولكن بعد وقوع الفاجعة.

(١) انظر ابن عذارى البيان المغرب ٣٨/٤ وما بعدها

(٢) انظر ابن الأبار الحلة السراء ٢٤٧/٢، وابن بسام الدخيرة ٩٨/٣

المبحث الثالث: آثار الاحساب في الأسواق، والمعاملات

التمهيد:

وكما سبق أن الحسبة بمفهومها الواسع تعنى أمرا. بمعروف ظهر تركه، ونهيا عن منكر ظهر فعله وارتكابه؛ فعلى ذلك بكثر القائمون بها بدءاً بالوالي الذي له الولاية العامة، وبالمحتسب المولى، وانتهاءً بالمحتسب المتطوع فالكل يصب عملهم في دائرة واحدة مهمة وبامتلائها تصلح شؤون الأمة في مجتمعاتهم وتنظم، ويحصل الأمن والاستقرار والهدوء والاطمئنان، والتواصي بالحق وبالصبر فتكمل تلك الأمة، وتسعد في حياتها الأولى والآخرة.

ومن تلك الآثار:

١ - أن السلطة العليا قد قامت بمهمتها في هذا الجانب خير قيام فحمت الطرق وأمنت المسالك، وضربت على أيدي العابثين بالأمن، فأمن التجار على أنفسهم وبضاعتهم فأقبلوا على أسواق البلاد في ثقة فكثرت الخيرات في مجتمعاتهم فعمت البلاد، ولا شك أن هذا من آثار الاحساب الطيبة^(١).

٢ - ثم إن السلطة العليا قامت - أيضا - بإلغاء المكوس - أي : الضرائب - فلم يكن في عمل من بلادهم خراج، ولا معونة، ولا تقسيط، ولا وظيفة من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة، والعشر^(٢).

٣ - فلما وجد الأمن وهذا الاضطراب في البلاد اطمأن الناس وبدعوا يتجهون للإنتاج، بل أخذ الإنتاج يتضاعف بسبب قلة الضرائب، مما ساعد على مضاعفة الإنتاج من جهة وعلى زيادة دخل الفرد من جهة أخرى مما أشاع بين الناس لونا من الرخاء والرفاهية، فلم يكن أيسر من أهل الأندلس مالا ولا أبحر منهم في

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس ص/١٦٧

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس ص/٣٤٢

الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً^(١)، ويعتد ذلك من أينع لمار
الاحتساب في مجال الأسواق وما يدور في فلكها.

٤ - كما أن والي السوق قد قام بمهمته الموكلة إليه بكل جد وإخلاص وصدق وأمان
فجدّ واجتهد في البحث عن طرق الغش والغشاشين، فأخذ على أيديهم وجعلهم
عبرة لأولي الأبصار، وعظة لغيرهم ممن كان يسلك مسلكهم، فقل شرهم عن الناس

٥ - المحافظة على صحة المجتمع حيث شددوا في مراقبة المواد الغذائية، واهتموا كثيراً
بمراقبة الطحن، وصناعة الخبز، فكان لا بد من غربلة الخبث قبل بيعها، ولا بد
من التأكد نوع الدقيق حتى لا يخلط النوع الجيد بالرديء، والتأكد من نظافة
الطحانين وأوانيهم ولما يطحنون، والتأكد من نظافة قصارى العجن وجرده الألواح
ومسحها، ومثل ذلك في بقية أنواع الأغذية^(٢).

٦ - كما أن هذه المراقبة الاحتسابية قد ساعدت على توفر الأموال والحقوق
لأصحابها بدلاً من ضياعها ووضعها في أماكن لا تناسب معها، وحفظت كذلك
أكل أموال الناس بالباطل، حيث إن الغشاشين لو مكنوا لأكلوا أموال الناس
بالباطل.

٧ - كما أن هذه الرقابة الاحتسابية قد كانت سبباً في نشر العدل والخير والفضل
والبركة، حيث إن الشارع قد بين لنا أن الصدق والأمانة في المعاملات،
والمعاوضات المالية يسبب البركة في تلك المعاملات.

كما أن هذا الاحتساب في مجال الأسواق قد سبب الآثار الحميدة وأنتج فوائد مهمة
حيث ساد تلك المجتمعات الأمن، والهدوء، والاطمئنان.

(١) انظر د/ عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين م.س. ص/ ١٩٦

(٢) انظر ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة واغتساب م.س. ص/ ٣١

المبحث الرابع

**آثار الاحتساب في الآداب والأخلاق قوة وضعفا،
وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: آثار قوة الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب
المطلب الثاني: آثار ضعف الاحتساب في مجال الأخلاق
والآداب

المطلب الأول: آثار قوة الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب

من المسلم به في دين الإسلام، علو خلق المسلم، وتأثره بالكتاب والسنة، وما جاء فيهما من نصوص عظيمة، تحث وترغب في الخلق الحسن، وتدعوا إليه، فإذا آمن العبد بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبما أنزل الله في كتابه من آيات بينات وما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم من هدي شريف، كان لزاماً على هذا العبد التأثير بنصوص هذين المصدرين العظيمين، ومن آثار ذلك: حسن الخلق، والآداب لهذا العبد المؤمن احتساباً للأجر والثوبة من الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: (أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق).

وأمة الإسلام في الأندلس عند ما اعتنقوا هذا الدين حسنت أخلاقهم وتأثروا به أيما تأثير، فكان المجتمع يمقت السائل ويتعرض للسب والشتيم فضلاً أن يعطى^(١)، فينتج عن هذا الأمر ألا يوجد في المجتمع من يطلب الصدقة، بل يدفعه هذا السلوك إلى العمل والجد، والاستغناء عن الناس، وهذا غرض عظيم من مقاصد الإسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه، ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل أعطاه أو منعه) متفق عليه، كما ظهر المجتمع بحسن المنظر والنظافة، والسلوك المهذب ورقة الخلق، والاعتناء بذلك.

يقول المقرئ: (وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، ومنهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً، ويتناح صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها)^(٢).

(١) انظر المقرئ نفح الطيب ٢١٠/١-٢١١

(٢) نفح الطيب ٢١٤/١

ولذا ظهر ذلك المجتمع بالأخلاق الحسنة والجمال، ومحبته لهم، وما يؤدي إليه. وكان المحتسب في الأندلس كما مرّ يراقب الأخلاق، ويعمل جاهدا على تنقيتها، ويحارب منكراتها في الأسواق والطرقات، وأماكن اجتماع الناس كالأسواق والمساجد والمناسبات، كالأعياد والأفراح^(١). ولا شك أن تلك المراقبة من المحتسب أثر طيب في اختفاء المنكرات أو الحد منها.

(١) انظر ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/ ٤٨-٤٩

المطلب الثاني: ضعف آثار الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب

على الرغم من علو أخلاق أهل الأندلس واحتسابهم في ذلك بشكل عام وظاهر، ومعتبر عند الأمراء، والعلماء، والعقلاء - فالأمة مسلمة وقضاتها الفقهاء المتمكنون من الشريعة، وأمرؤها منفذون لما يصدره القضاء، والأمة أمة جهاد ورباط، وعرفت به، مع كل ذلك - فقد تظافرت المصادر والمراجع على ذكر شيء يخدش ذلك الخلق وينقص كماله، في حق من يباشره، وهذا دليل على ضعف الاحتساب في هذا الجانب، سواء من المباشر لذلك الفعل أو القائم بالاحتساب، فالأولى أن يقوم المحتسب ببيان حكم هذا المنكر وتوضيحه، والمنع من وقوعه أو تكرره، وأوجز هذه المنكرات فيما يلي:

١ - الغناء

فقد فشا في شتى طبقات ذلك المجتمع، وتباروا فيه وتنافسوا، وكانوا مشغوفين بالغناء مغرمين بالسماع، وكان أفراد الشعب حتى الفقراء منهم مولعين به أيضا^(١).

يقول ابن الخطيب: (والغناء بمدينتهم "غرناطة" فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيرا من الأحداث)^(٢).

وقد كان لأبي الحسن علي بن نافع الملقب "بزرياب" أثر عظيم في نشر الغناء، وما صاحبه في الأندلس، فقد فرّ من بغداد ثم دخل الأندلس في عهد الأمير

(١) انظر المقرئ نفع الطيب ١٢/١٤

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ١٣٧/١

عبد الرحمن بن الحكم، واستقبله الأمير أحسن استقبال، وأجرى عليه مرتبا كبيرا، ومنحه دُورا وضياعا دخلها أربعون ألف دينار، وأجرى المرتبات لأولاده^(١). وأحدث هذا أثرا عظيما، وأثاطا في الحياة الاجتماعية في الأندلس، في الملابس، وتصفيف الشعر، وطريقة الطعام والشراب فضلا عن الغناء، فافتن به من أحب بهذا ورضي به، كما أسرف الناس في هذا، واستحلب المغنون والمغنيات من المدن الشرقية كبغداد وغيرها، وبذلت الأموال، وكان المال يُحزّل، ويدفع للأفضل في الغناء والأداء، وقد أفاضت كتب أهل الأندلس في هذا، وغالبا ما يصحبه الشعر الفاحش الذي لا يخلو من المجون، والدعوة إلى التشبيب بالنساء ووصفهن، فيتلذذ السامع بهذا، وهذا له أسوأ الأثر في الخلق والسلوك^(٢).

٢- الخمر

أما الخمر فقد كثر بينهم وفشا رغم تدبّثهم، ولكن إسراف العوام في الشهوات، والغفلة والترف، والنعيم دعا إلى الوقوع في هذا المنكر، فغالبا ما تجمع بحالسهم بين الغناء والكأس على اختلاف طبقات المجتمع، وكما أظهر بعض الأمراء العزم على قطع الخمر من الأندلس ولكنه لم يستطع ذلك، والسبب لأن الرغبة في هذا المنكر شديدة؛ ولذا فإن الاحتساب عليه بدأ ضعيفا حتى من بعض القضاة، إذا رأوا سكرانا وقبضوا عليه فإنهم سريعا ما يدرأون عنه الحد^(٣).

٣- الإسراف في المجون والخلاعة

(١) انظر ابن القوطية تاريخ الموية ص/١٦٣، والمفري نفح الطيب ١٠٧/٤

(٢) انظر ابن القوطية تاريخ الموية ١٢٠/٤

(٣) انظر موقف الأديب أبو الأصبع عبد العزيز البطلبيوس عند ما خرج سكرانا فلقى قاضيا، فلما أنعذه

الشُرط طلب القاضي فدرأ الحد عنه انظر ابن سعيد المغرب ٣٦٩/١، بغية الملتبس ٥٦٢

فإن القوم وجد من بينهم - عفا الله عنهم - من أسرف في هذا، وتطرف فيه، وتفنن؛ فمن يقف على وصف مجالسهم ويطلع على شعرهم يلمح هذا ويدركه، ومن ينظر في قصيدة ابن شهيد في الغزل، والخلاعة يدرك ذلك^(١).

وكذلك دعوة بعض الشعراء إلى الفحش والخلاعة، ونزع الحجاب^(٢)، والتلذذ بالنظر إلى النساء، وأقبح منه النظر إلى الغلمان الحسان، والمراودة على فعل الفاحشة^(٣)، وإذا حدث هذا من المعلم فإنه أشد خطرا وأعظم منكرا.

أو رد المقرئ في ترجمته لأبي بكر محمد بن طلحة الإشيلي^(٤)، أنه كان معلما لا يملك نفسه في النظر إلى الصور الحسان، وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فلما دخل مجلسه قصر طرفه على الولد ولم يلتفت إلى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لا يعلم ما يقوله، وقد افتضح في طاعة هواه فقال الرجل: يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك، وقد جيره الله عليك، ولكن على من يتركه عندك - لعنة الله - هذا ما علمت بمحضري والله إن غاب معك عن بصري لمحة لتفعلن به ما اشتهر عنك، وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا^(٥).

وعالم آخر إشيلي - أبو الحسن علي بن جابر^(٦) - أديب، وإمام في فنون العربية، يقول أحد تلاميذه: لفلان جميل الصورة بالله أعطني قبلة تمسك رمقي فشكاه إلى الشيخ وقال له يا سيدي قال لي هكذا فقال له الشيخ: أعطيته ما طلب؟ فقال: لا. فقال ما هذه الثقالة؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضا.

(١) انظر المقرئ نفح الطيب ٤٤٣/٣

(٢) انظر ابن سعيد المغرب ٢٧/٢

(٣) انظر المغرب م.س. ١٨٠/٢، بغية الوعاة ٣٧٣، نفح الطيب ٥٣٢/٣

(٤) انظر المغرب ٢٥٣/١، بغية الوعاة ص/٤٩

(٥) انظر المقرئ:

(٦) نفح الطيب ٣٧٩/٣

ثم قال المقرئ: وحسبك به جلالة وقدوة، أن أهل إشبيلية رضوا به إماماً في جامع العديس^(١).

وإذا صدر هذا المنكر في مجال العلم، وصرح به ولم يردع مرتكبه، فإن وجوده داخل المجتمع يقين، وله آثاره السلبية في المجتمع.

٤- الإسراف في الهجاء

كما أن الأندلسيين أسرفوا في وصف الخدائق والبساتين، ومجانس الغناء، فإنهم كذلك أسرفوا في السب والشتم والهجاء، من ذلك قول أبي بكر اليكبي في الهجاء:

أعيد الوضوء إذا نطقت به # # # متذكراً من قبل أن تنسى

واحفظ ثيابك إن مررت به # # # فالظلم منه ينحس الشمس^(٢)

وهذا واضح أن هذا الهجاء من فقيه أو من يعلم ما يدخل الغيظ في قلوب الفقهاء، كما أن الفقهاء لم ينحوا من شدة الهجاء، أورد المقرئ في ذم الفقهاء المرائين

أهل الرياء لبستم ناموسكم # # # كالذئب يدج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك # # # وقسمتم الأموال بآبن القاسم

وركبتم شهب البغال بأشهب # # # وبأصبع صبغت لكم في العالم^(٣)

وهذا دليل على فحش الهجاء، وإسرافهم فيه، كما يعطي صورة عدم احترام

الفقهاء، وعدم تقدير العلماء لمكانة العلم وواجبه الذي حملوه إن صح ما نسب الشاعر إليهم من الطمع، وأخذ الدنيا بالدين، فإنه منكر عظيم. والله أعلم.

(١) المصدر السابق

(٢) ابن سعد المغرب في حلى المغرب ٢٦٧/٢

(٣) انظر المقرئ نفح الطيب ٤٤٨/٣، والمعجب ٢٣٥

المبحث الخامس: آثار الاحتساب في العلم والتعليم

إن النظام التعليمي من أهم المعالم التي تميزت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم كما أنه الأساس الذي تبنى عليه حضارات الأمم، والمسلمون في الأندلس قد وجهوا اهتماما خاصا للتعليم ابتداء من السنين الباكرة في حياة الطفل واستمرارا إلى سن الكهولة، بل وإلى الممات؛ لما رأوا في العلم من مكانة، وفضل، وشرف، ونبل، وجلالة العلماء هم ورثة الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ينشرون بين الناس العلم والنور والخير، وكل ما فيه سعادتهم في حياتهم الأولى والآخرة، ويحذرونهم من الشرك والظلم، وكل ما فيه ضرر لهم في حياتهم الأولى والآخرة فهم بمثابة النيراس يستفاد منهم، ويهتدى بهم.

فحاولت الأسرة الأندلسية تعليم طفلها مبكرا ما أمكن ذلك وتميزوا في هذه المرحلة عن باقي الأقاليم الإسلامية الأخرى حين لم يركزوا كل جهدهم على تعليم القرآن فحسب، وإنما أضافوا مع القرآن أشعار العرب ولغتهم مما جعل الأندلسيين يتمتعون بقدرة لسانية كبيرة، ومستوى لغوي عال.

ولقد ساعد هذا على ارتفاع مستواهم الثقافي، حيث إن المستوى العام للشعب الأندلسي كان طيبا، وكذا المستوى الاقتصادي، وذلك مما دفع الناس - بعد توفيق الله عز وجل - إلى الإقبال على تعليم أولادهم واجتهادهم في ذلك، كما أن الدولة - أيضا - قامت من جانبها بتوفير التعليم المجاني لأبناء الفقراء مثل ما قام به الحكم المستنصر من إنشاء سبع وعشرين مكتبا في قرطبة وحدها، ومستوى المعلمين اقتصاديا واجتماعيا كان عاليا، فقد شكلوا من الناحية الاجتماعية طبقة عرفت بطبقة الفقهاء، احترمتها الشعب لعلمها ودينها، واحترمتها الحكام؛ لحاجتهم إلى تأييدهم ولعلمهم بمكانتهم لدى العامة^(١).

(١) انظر د/محمد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس ص/٤٧٧-٤٧١

وكل ما سبق قد أثر في المجتمع الأندلسي، فكان من نتائجه هذا التراث الضخم المفيد النفيس الذي نراه ونلمسه في واقعنا المعاصر.

ومن آثار هذا التوجه الطيب في الحث على التعلم والتعليم، ودعمه من الحكم المستنصر أن أقبل القرطبيون جميعا وكانوا في هذه الفترة يعشقون الكتب حتى النساء، فقد كان في الربض الغربي من المدينة مائة وسبعون امرأة يكسبن رزقهن من نسخ الكتب^(١).

وكذلك من آثار العلم والتعليم أن تنافس الأمراء فيه، فكانت غايتهم ظهور العلماء ونبوغهم في ممالكهم؛ لتحمل سيرتهم عند العامة والخاصة، وهي منقبة يتبارون فيها، فكان لدى كل أمير من العلماء والأدباء والشعراء عدد طيب يفخرون ويتباهون بهم عند نظرائهم^(٢).

كذلك من آثار العلم والتعليم في الأندلس انتشاره والتوسع فيه في شتى فنونه، فكثر الاختراعات في الطب والهندسة، والصيدلة^(٣).

كذلك أصبحت الأندلس منارة علم تضيئ للعالم وأصبحت مساجدها جامعات كبرى تتلقى فيها شتى أنواع المعارف، وتوجهت نفوس الناس، وتافت إليها راحلين لطلب العلم وتحصيله، حتى وجد من ملوك النصارى من أرسل أبناءه لطلب العلم في الأندلس^(٤).

مما كان لذلك أعظم الأثر في حضارة أوروبا، وهذا أثر عظيم من آثار العلم في الأندلس.

(١) انظر محمد غلاب، الفلسفة الإسلامية في المغرب (القاهرة، ١٩٦٦م) ص/١٥

(٢) ابن حيان المقتبس تحقيق محمد مكي ص/٣١٩

(٣) انظر ابن جليل طبقات الأطباء ٩٤-٩٨

(٤) انظر المقرئ نفع الطيب ١٦٦/٤

المبحث السادس: آثار الاحتماب على الأمراء والحكام

١- إذا تجرد المحتسبون من الهوى والشهوات، وصدقوا النصيحة للأمراء كان من أثر ذلك استجابة الأمراء للمحتسبين، وقيامهم بإزالة وتغيير المنكرات، وخوفهم من الله تعالى، وجلبت قلوب الأمراء على تعظيم أولئك العظماء والاعتراف بفضلهم، يتجلى هذا في الأمثلة التالية:

أ- موقف عبد الرحمن الناصر من القاضي منذر بن سعيد البلوطي الذي ذم البناء وتشيدده، الذي أسرف فيه الناصر مما دعاه إلى التأخر عن حضور الجمعة، حيث قال لولده بعد أن أشار عليه بعزل المنذر: (أمثل منذر بن سعيد في فضله وعلمه وخيره؟ لا أم لك! يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الحق؟ هذا مما لا يكون، وإنني لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه! ولكنه أخرجني فأقسمت. ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله)^(١).

ثم موقفه - أيضا - من نصيحة المنذر بن سعيد بعد بنائه للزهراء وقبتها، وطلاتها بالذهب والفضة، فبعد أن رآها المنذر بكى، وألقى موعظة بليغة أمام الناصر حتى بكى الناصر وخشع وقال: (جزاك الله - يا قاضي - عنا وعن نفسك خيرا، وعن الدين والمسلمين أجلاً جزائه، وكثر في الناس أمثالك، فالذي قلت هو الحق)، وقام عن مجلسه ذلك، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرمودها ترابا على صفة غيرها^(٢).

ب- استجابة الحكم المستنصر لطلب القفيه أبي إبراهيم الذي كان في المسجد معه طلابه عند ما طلبه الحكم فاعتذر حتى يتم درسه كعادته، وطلب القفيه

(١) النباهي م.س. ص/٧٢

(٢) النباهي تاريخ قضاة الأندلس م.س. ص/٧٠

أن يفتح له باب القصر القريب من المسجد ليدخل منه عند ذهابه فاستجاب الأمير لطلبه^(١).

هذه النصيحة الخالصة من العلماء المحتسبين على الأمراء ينتج عنها اجتماع كلمة الأمة والأمن في المجتمع، وبذا يصلح المجتمع بإذن الله، وتقوى كلمة الأمة أمام أعدائها.

وهذا ما حصل في عهد الناصر لدين الله الذي حكم الأندلس نصف قرن، وكان من العظماء المهابين، في زمنه خضع له جبابرة الملوك من النصاري، وكان يهاب العلماء ويسمع منهم ويجلهم؛ ولذا التف حولهم العلماء، حتى كان يحضر معه لصلاة الجمعة خمسون فقيها كلهم يلبس القلنسوة^(٢) سنة ٦٢١هـ^(٣).

٢ - إذا صلح العلماء وكانوا ربانيين في دعوتهم واحتسابهم، وصلح الأمراء، وسمعوا النصيحة من أولئك العلماء صلح بالتالي المجتمع، وصلحت الأمة، واجتمعت كلمتها، وقد حدث هذا في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل الذي قرّب الفقهاء، وشاورهم، وعزّ الإسلام بالأندلس^(٤).

٣ - إذا وقع الاحتساب من غير أهله، أو كان على غير وجهه الصحيح، وخاصة للأمراء، فإن عواقبه تكون وخيمة، ونتائجه سيئة، وثماره قبيحة على المجتمع حيث تكون الفقرة بين الأمراء والعلماء، وهو ما حدث في هيح الربض في عهد الحكم بن هشام، فكانت الفتنة عظيمة، والخطر شرا مستطيراً على الأمة^(٥).

(١) انظر انقري نفح الطيب ٣٥٣/١

(٢) انظر النباهي تاريخ قضاة الأندلس ص/٧٩.

(٣) ابن بشكوال، التكملة رقم/٢٣٦٦

(٤) انظر الذمّي سمر أعلام النبلاء ٢٥٠/٨

(٥) الذمّي سمر أعلام النبلاء ٢٥٣/٨

الباب الثالث

الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: دروس في العقيدة والعبادة

الفصل الثاني: دروس في الأسواق والمعاملات والأخلاق
والآداب، والعلم والتعليم

الفصل الثالث: دروس في الجهاد والدعوة إلى الإسلام

التمهيد:

هذا الباب خصصته للدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس وبخاصة في العصر الحاضر فهي جديرة بالاهتمام والعناية، فدخول الإسلام إلى الأندلس قلب القارة الأوربية، وبقائه ثمانية قرون، وتقلب المسلمين خلالها بين القوة والضعف، ثم تجمع النصارى، وتداعى عليهم على تلك الأمة، حتى أذاقوا المسلمين أصناف عظيمة من العذاب، وسلكوا كل وسيلة لطمس معالم الإسلام ووقوف الكنيسة النصرانية وراء تلك الحروب الرهيبة، وتولي القساوسة والرهبان تلك الحرب وغشرافهم عليها، وقيام ما عرف في ذلك العصر بـ"محاكم التفتيش" التي ذاق المسلمون منها أصنافا عظيمة من العذاب تقشعر منها الجلود والأبدان في حرب صليبية مدمرة الهدف منها طمس العقيدة الإسلامية، وخراجها من الأندلس، وهذه الحرب الشرسة تتكرر ضد المسلمين في كل عصر وبخاصة في عصرنا الحاضر، كل ذلك مما ينبغى للدعاة والمحتسبين الوقوف عليه طويلا، وأخذ الدروس والعبر الدعوية، والاستفادة من ذلك في الواقع المعاصر^(١).

فقد جاء عقد هذا الباب لتحلية ما يمكن بيانه من ذلك في ضوء ما مرّ من احتساب في بحالته المختلفة، وقد رتبته على فصول حسب ما يقتضيه الدروس، وتحت كل فصل مباحث.

(١) انظر أحمد رائف وتذكروا من الأندلس الإيادة ص/٢٦٩،

ينبغي ألا يغيب عن البال ما نشته الدول النصرانية ضد المسلمين في دول البلقان في البوسنة والهرسك وغيرها، وتصميم النصارى ألا تقوم دولة إسلامية في أوروبا

الفصل الأول

دروس في العقيدة والعبادة وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: دروس في العقيدة الصحيحة ونشرها

المبحث الثاني: دروس في محاربة العقائد الباطلة

المبحث الثالث: دروس في إقامة العبادات والمحافظة عليها

المبحث الرابع: دروس في الولاء والبراء

المبحث الأول: دروس في العقيدة الصحيحة ونشرها

التمهيد:

يعتبر فتح الأندلس - ذلك الجزء البعيد عن قلب الأمة الإسلامية - ونشر الإسلام فيها، وتوسّعه وقوته، وأثره في حضارة أوربا، وتحمل الصعاب والمخاطر أيضاً كانت أسبابه ودواعيه يعتبر درسا في العقيدة ونشر الإسلام، فينبغي للأمة المسلمة أن تعيه، وتذكره دائما، وتذكر الأجيال به.

وقد أحسنت حكومة خادم الحرمين الشريفين - حرسها الله تعالى - عند ما نظمت ندوة بعنوان "الأندلس: قرون من التقلبات والعطانات" ممثلة في مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض من الفترة ١٥-١٩ جمادى الأولى من عام ١٤١٤هـ الموافق ٣٠/أكتوبر إلى ٣/نوفمبر عام ١٩٩٣م، وجمعت علماء من شتى بلاد الإسلام الذين هم باع طويل في الدراسات الأندلسية، وألقيت فيها بحوث في جوانب مهمة تناولت الحضارة الأندلسية^(١)؛ ليدركوا الأمة الإسلامية بماضيهم المجيد في الأندلس ليتعظوا ويعتبروا من ذلك، وأوجز الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس في هذا المجال فيما يلي:

١ - ينبغي التمسك بالإسلام، والالتزام بشريعته، قولاً وعملاً، والسير على الطريق الذي سلكه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام - رضوان الله

(١) قامت مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض بطباعة تلك المحاضرات ومن ذلك:

- أ - الأندلسيون واستحداث مصدر تشريعي جديد. (عمل قرطبة) للدكتور عمر بن عبد الكريم الجيادي
- ب - وانتقال العلوم العربية من الشرق إلى الغرب وتأثيرها في أوروبا للدكتور علي دهاب.
- ت - والحركة العلمية في غرناطة زمن السقوط للدكتور قاسم الحسيني.
- ث - التراث الإسلامي الأندلسي في ميزان الاستشراق الإسباني المعاصر، نماذج مختارة للدكتور أحمد عبد الرحمن الكمون.

عليهم جميعا، والدعوة إلى هذا الدين على بصيرة فإنها سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وسبيل أتباعه قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) فقد كان رأينا هذا المسلك واضحا في الأندلس فقد فتحها المسلمون ونشروا الإسلام فيها على هذا المنهج، وكسب الإسلام أرضا جديدة، وأتباعا استبشروا به خيرا، وفرحوا به ووجدوا فيه سعادتهم، فأخذوا ينشرونه، ويدافعون عنه، فعلى الدعاة الالتزام بهذا المنهج فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٢ - الاعتناء بالعقيدة، وضرورة دراستها وفهمها الفهم الصحيح، ثم العمل على ترسيخها في أذهان الناشئة في مراحل التعليم، وبثها في كافة طبقات المجتمع بالوسائل المختلفة من خطابة وإعلام وغيره؛ ليدركها الجميع ويطبقها في حياته العملية، ولتكن هذه العقيدة محور حياته الذي يفكر فيه، فقد اعتنى بها أهل الأندلس، وساروا على المنهج العقدي الصحيح، ورأفوها رمزا لوحدهم فحافظوا عليها^(٣).

٣ - أن يتولى الدعاة والعلماء المتمكنون في العقيدة عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وبيّنوا أدلتها وشرحوها، فذلك هو المنهج السليم، بل هو من أكبر وسائل إزهاق الباطل والخرافات والخزعبلات؛ فإن الحق إذا ظهر للناس وانتشر فيما بينهم اضمحل الباطل وخنس، فإن على الحق نورا يدل عليه، وعلى الباطل ظلمة وكأبة تدلان عليه، ويكون ذلك بالبيان بالدليل والتأليف والندوات والمحاضرات وغير ذلك من الوسائل الميسرة في هذا العصر، وقد استخدم الأندلسيون هذا المسلك، فقد كان

(١) سورة يوسف الآية/١٠٨

(٢) سورة النحل الآية/١٢٥

(٣) انظر ابن أبي زمنين أصول السنة فإنه دليل ناطق يشهد باعتناء القوم بالعقيدة وترسيخها

التابعون الأوائل^(١) مع جيوش الفتح لنشر هذه العقيدة، وتوضيحها للناس وخاصة الجدد منهم، وسار على نهجهم من جاء بعدهم.

٤ - ضرورة الاعتناء بالمسلمين الجدد في شأن العقيدة وبيانها لهم وتوعيتهم فيها وتزويدهم بما يساعدهم على ذلك، ومتابعتهم في ذلك فإنهم كسب للإسلام إذا فقهوا في العقيدة، فالقيام بهذا من لوازم الأمة وخاصة أهل الحسبة، فقد اعتنى الأندلسيون بهم، ونشروا الإسلام بينهم، فأصبحوا دعاة له بعد ذلك.

٥ - حمل هم هذه العقيدة والتفكير فيها واستشعار المسؤولية تجاهها من لوازم هذا الدين الذي آمن به المسلم، ونشرها والدعوة إليها من أولى واجبات الأمة حكومات وأفراداً، فقد أوصل المسلمون الفاتحون الأوائل للأندلس عقيدة الإسلام رغم بعدها وتحملوا في سبيل ذلك المشاق الصعاب دافعهم نشر هذا الدين وتبليغه إلى الناس كافة طلباً للأجر والثوبة، فالواجب على الأجيال بعدهم أن يقتفوا آثارهم في حمل هذا الدين ونشره بين الناس.

٦ - على الدول الإسلامية والمنظمات والهيئات المسؤولة عن الدعوة الإسلامية ونشرها إدراك هذه الدروس والاستفادة منها، والعمل على فتح البلدان في العصر الحاضر بهذا الدين بكلمة التوحيد وفق المنهج الصحيح، وبالوسيلة المناسبة التي تقتضيها مصلحة الدعوة ومستقبلها، ومن ذلك فتح المراكز الإسلامية وتزويدها بالدعاة^(٢)، المتمكنين في العقيدة الصحيحة، والتركيز على نشرها، وإبراز صورة

(١) انظر في مواقف أولئك التابعين ومواقفهم في نشر الدعوة ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس م.س.ص ٤٨/

(٢) يذكر ويشكر هنا لحكومة المملكة العربية السعودية توجهها الطيب لفتح مراكز إسلامية في قلب معظم العواصم العالمية ومن ذلك: المركز الإسلامي في مدريد في قلب العاصمة الإسبانية (الأندلس) سابقا الذي قام بفتاحه نيابة عن عادم الحرمين السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وصاحب السمو الأمير الملكي عبد العزيز بن فهد الذي قال في كلمته الافتتاحية: (يعود اليوم الإسلام ليدخل الأندلس كما دخلها سابقاً)، كما قام بافتتاح المركز الإسلامي بلوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية. انظر جريدة المدينة المنورة العدد رقم/ ١٢٨٨٠ في ربيع الآخر ١٤١٩ هـ الموافق ٢٥ يولي ١٩٩٨ م ص/٧

الإسلام للعالم وفق الكتاب والسنة، وإبطال حجج المغرضين الحاقدين والتصدي لكشفها ودحضها.

المبحث الثاني: دروس في محاربة العقائد الباطلة

١- يجب الالتفاف حول العقيدة الصحيحة، ونبذ ما سواها من عقائد منحرفة، فلا يستقر أمن للمجتمع بدون عقيدة يؤمن بها، ويدافع عنها، كما أنه يجب محاربة كل فكر يضاد ويخالف عقيدة السلف مهما كان اتجاهه، وقد رأينا جدية الأندلسيين في محاربة العقائد الباطلة المنحرفة عن منهج الحق، وقوتهم بحزم تجاه الإلحاد والمنحدين، وتطبيق الفتاوى الصادرة من العلماء فيهم، وشدتهم في ذلك، مما كان له أعظم الأثر في أمن المجتمع، وتوحيده ضد أعدائه، وحال ذلك الاحتساب دون خطر دخول العقائد الأخرى المنافسة لعقيدة التوحيد مثل التشيع في الأندلس؛ لذا ينبغي إدراك خطر الأفكار المنحرفة وصدّها عن المجتمعات المسلمة.

٢- إن البدع والخرافات والانحرافات في العقيدة ما حصلت إلا لما تنكب أناس منهج السلف الصالح بحسن نية أو بسوء نية فالطريقة المنحرفة تنتج سلوكاً منحرفاً سواء حسنت نية صاحبها أو فسدت، ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت ببعض الناس إلى الانحراف عن طريق النبوة والصحابة والتابعين لهم بإحسان في تلقي العقيدة وفي فهمها فيما يلي، وجود بعض الناقمين على الإسلام بين المسلمين؛ إذ دخلوا في الإسلام ظاهراً، وأرادوا الكيد له ولأتباعه باطناً. وسلفهم في ذلك عبد الله بن سبأ اليهودي، وما أكثر أمثاله على فترات من الزمن - والمتبع لتاريخ الإسلام والمسلمين في الأندلس يجد حقد النصاري الدفين، وعداوتهم الشديدة، وبغضهم للإسلام والمسلمين، وما أمر أبي الخير وابن مسرة عن ذلك ببعيد^(١)، فأخذ هؤلاء الأعداء وأمثالهم يشيعون الأكاذيب والخرافات بحجة الغيرة على الإسلام أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلذلك ينبغي

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث

الاستفادة من هذه الظاهرة والانتباه لها واتخاذ ما يلزم تجاهها وعلى الدعاة والمصلحين رصد مثل هذه الظاهرة، وكشف عوارها وفضحها وتفنيدها، وقطع دابرها وتحذير المسلمين منها، فيبينوا للناس بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد كمل الله به الدين وأنه قد بلغه الأمة وبينه غاية البيان أصوله وفروعه، ولم يكتم منه شيئا، وفي مقدمة ما بينه العقيدة الصحيحة، بينها بيانا صافيا شافيا مفصلا كافيا كما بين العبادات؛ ولذلك لم يحصل بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم خلاف في مسائل العقيدة إطلاقا، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - (تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا وأن العناية بها وبيانها أهم؛ لأنها من غمام تحقيق الشهادتين وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بيانا شافيا..)^(١)

٣- إن الأمة لا تكون قوية عزيزة إلا باجتماعها وتماسك وترابط أفرادها، ولا تكون هذه الصفة في الأمة إلا بوجود عقيدة صحيحة قوية واحدة تدين بها الأمة، وتجتمع عليها، فقد رأينا أن أمة الإسلام في الأندلس عزت وقويت أمام أعدائها عند ما كانت عقيدتها قوية متحدة نابذة لكل البدع التي تخالفها وكل فكر عقدي يفرق جمع كلمتها ففي كل عهد أو حقبة من حقب التاريخ كانت تلك الصفة موجودة في الأمة تكون الأمة قوية مرهوبة الجانب من أعدائها، وكان

(١) انظر ابن القيم مختصر الصواعق المرسلة م.س. ٢١/١

الإسلام قويا وانتشاره أوسع وأقوى، وبقدر تخلف هذه الصفة يكون تخلف هذه القوة والانتشار^(١).

٤ - الاستفادة من هذه الدروس وإيجاد حلول مناسبة لمواجهة مثل هذه الأعمال، وهذه الطرق والفرق التي تعمل في خفاء لإفساد عقائد المسلمين.

٥ - أن يستفيد الدعاة والمصلحون في محاربة البدع وأهلها بسلوك المنهج الصحيح، في مواجهة مثل هذه الأخطار.

٦ - عدم مجالسة أهل البدع ومحدثهم قال أبو قلابة - رحمه الله - : لا تجالسوا أهل البدع ولا تخالطوهم فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم كثيرا مما تعرفون^(٢)، وعن أيوب قال: لقيني سعيد بن جبير - رحمه الله - فقال: ألم أرك مع طلق قلت: بلى، فماله؟ قال لا تجالسه فإنه مرجى^(٣)، وقال الفضيل بن عياض: من أتاه رجل فشاوره فذله على مبتدع فقد غش الإسلام، احذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق^(٤)، وكان ابن طاوس جالسا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم فأدخل ابن طاوس إصبعه في أذنيه وقال: لابنه أي: بني أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد لا تسمع من كلامه شيئا^(٥).

(١) ففي عهد الخليفة الناصر عندما اشتد على محاربة البدع في العقيدة مثل محاربه ابن مسرة وأتباعه، والخطر الشعبي الذي حاول الدخول إلى الأندلس من قبل الدعاة الفاطميين في مصر، واشتد على الخوارج وثوراتهم، وضرب بيد من حديد على تلك البدع العقيدية، كان نتيجة ذلك قوة دولة الإسلام في الأندلس واستقراره وانتظام الجهاد، وقوة الإسلام في الأندلس، وأخذ أعدائه من النصارى يخافون ويفنون على قرطبة ويخطبون ود المسلمين، فانتشر الإسلام وظهرت ثماره الحميدة، انظر المقرئ نفع الطيب م.س. ٣٦٧، ابن عثرون، والعبر ٣١٢/٤، عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي ص/ ٣١٩

(٢) انظر اللالكائي شرح السنة ١٣٤/١

(٣) انظر ابن رباح البدع والنهي عنها ص/ ٥٢

(٤) اللالكائي السنة ١٣٥/١

(٥) المصدر السابق ١٣٥/١

٧ - اهتم الأندلسيون بشأن تقرير عقيدة السلف والانتصار لها بالدليل من الكتاب والسنة، والتصدي لمنكرات العقيدة، والرد عليها، وكشفها، ومن يطلع على كتاب الفصل في "الملل والأهواء والنحل" للإمام ابن حزم - رحمه الله - وكتاب البدع والنهي عنها للإمام محمد بن وضاح القرطبي رحمه الله، وكتاب الاعتصام للإمام الشاطبي - رحمه الله - يدرك مدى اهتمام القوم بهذا الجانب، واحتسابهم فيه، فعلى من يقتدي بهم مؤمنا بهذا الدين الاستفادة من أولئك في هذا العلم المهم، ويسلك طريقهم في الاحتساب.

٨ - ضرورة وعي الأمة لعدوها الحقيقي وهو عدو العقيدة من يهود ونصارى وأنهم لن يرضوا عن مسلم أبدا، وإن أظهروا ذلك فهو إلى حين قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾^(١) وقال تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا﴾^(٢) وقد تحقق ما نبهت إليه الآية فإن النصارى لما ظفروا بالمسلمين في الأندلس ظهرت عداوتهم لهذه العقيدة فسحقوا المسلمين سحقا عظيما، وارتكبوا جرائم شنيعة تقشعر من هولها الأبدان مما يدل على عداوتهم وحقدهم الدفين تجاه هذه العقيدة وأهلها فقد تتبعوا مظاهر تلك العقيدة في ذلك المجتمع من اسم وغسل ولباس يمت ويدل عليها فأزالوه وعاقبوا عليه وقتلوا به فلما عجزوا عن ذلك أبادوا ذلك المجتمع في مجازر جماعية مرعبة مخيفة فأقمرت تلك الأرض من أهل العقيدة بعد أن نعمت بهم قرون مديدة، فعلى الأمة الإسلامية أن تدرك هذا ولا تنساه، وتذكر ما حصل لإخوانهم في العقيدة في الأندلس في (محاكم التفتيش) وكيف سحقوا تلك الأمة وأبيدت، وقضي على مظاهر تلك العقيدة في المساجد وغيرها وأن هذه العداوة تظهر وتبرز في كل زمن متى وجد عدو العقيدة فرصة له، ولا تستغرب أبدا ما يحصل لإخواننا في الوقت الحاضر في البوسنة والهرسك ودول البلقان المسلمة، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي من

(١) سورة البقرة آية ١٢٠

(٢) المنتحة آية ٢

بجازر جماعية مرعبة، فقد سبق إليها رهبان وقساوسة محاكم التفتيش في الأندلس، فعلى الأمة أن تتذكر ذلك وتذكر عدوها الحقيقي، وتحذر جانبه، ولا تركز إليه، وتأخذ بأسباب القوة والعزة في جميع صورها ومظاهرها.

المبحث الثالث: دروس في إقامة العبادات والمحافظة عليها

١- كان من صميم عمل محتسب الأندلس الأمر بأداء الصلاة في الجماعة، والنهي عن التخلف عنها، ومراقبة هلال شهر رمضان وخروجه، والأمر بأداء الزكاة، كذلك الإشراف على دور العبادة، المساجد والأمر بيناتها، وتنظيفها، وشأن خدمها والمؤذنون والأئمة^(١)؛ لذا فإن هذه الأعمال ينبغي الاعتناء بها من قبل المحتسبين فإنها مجال عظيم له أثر طيب في المجتمع وأجر جزيل من الله تعالى.

٢- أهل الأندلس اهتموا بشأن العبادة وأدائها احتساباً للأجر والثوبة من الله تعالى فقد كانوا يعانون مشقة في أداء الحج، وتطول بهم الرحلة فيه حيث تصل إلى ثلاث سنوات^(٢)، مما يدل على طول صبرهم في أداء مناسكهم فعلى المسلم أن يصبر على الطاعة ويحافظ عليها.

٣- شأن الصلاة عظيم في الإسلام؛ إذ هي ركنه الثاني، وقد اعتنى بها أهل الأندلس، فبنوا المساجد وتنافسوا فيها من قبل الأمراء والعامة، وكذلك الإمامة، ووجدت وخليفة صاحب الصلاة، وهو الإمام للمسجد، وكذلك الخطابة مما يدل على أهميتها لديهم، لذا ينبغي الاهتمام بها وبدورها، والاحتساب في ذلك، وعلى الأمة أن تربي أبنائها على المحافظة عليها.

٤- ظهر في الأندلس عباد وزهاد كثر لم يكتفوا بالعبادات المفروضة بل أكثروا من نوافل العبادة كالصلاة فكان منهم أهل ليل^(٣)، وأكثروا من الصوم والرباط في

(١) انظر ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحجة والمحتسب ص/ ٧٠-٧١

(٢) انظر ابن بشكوال الصلة ١/ ١٧٦

(٣) انظر ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٢ رقم/ ١٢٨، وابن بشكوال الصلة ١/ ١٦-١٧، وابن

حيان المقتبس تحقيق محمود مكي ص/ ٤٤٤

سبيل الله احتساباً للأجر والمثوبة من الله وطلباً للشهادة، فمن يطلع على كتب
التراجم الأندلسية يدرك هذه السمة ظاهرة عندهم؛ فقد ألف ابن بشكوال فيما
يروى ابن الأبار كتاباً بعنوان زهاد الأندلس وأئمتها^(١)،
ولا شك أن للعبادة والطاعة والإكثار منها أثر عظيم على العبد، وعلى
المجتمع فإن العبد إذا تقرب إلى الله بأداء المفروضات وزاد عليها من النوافل فإنه
قمن بمحبة الله له؛ ولذا فإنه يسدد، ويعان، ويوفق، ولذلك أثره في دعوته
واحتسابه، فعلى الدعاة والمختسبين أن يسلكوا هذا المسلك فيكون لهم نصيب
وافر من الطاعات المختلفة من صلاة، وصوم، وحج، وصدقة؛ ليصبحوا قدوة
حسنة في المجتمع صورة حسنة عن دعاة الإسلام، ولذلك أثر طيب في نشر
الإسلام.

(١) ابن الأبار التكملة ص/ ٧١٨

المبحث الرابع: دروس في الولاء والبراء

لقد امتحن أهل الأندلس بالفتن والحروب التي وقعت بعد سقوط الدولة الأموية بالأندلس، ودب الخلاف بين الأمة، وتسلب بعضهم على بعض، وطمع بعضهم في بعض، واستقلت كل مدينة عن الأخرى، فقد ذكر ابن الخطيب أنه قامت في الأندلس عشرين دولة^(١)، كل مدينة عليها أمير يدعو الناس لطاعته، فطمع فيهم العدو النصراني الذي كان يترصد بهم؛ فأخذ يلتهم المدن الأندلسية، وأصبح أولئك الأمراء يدفعون لهم الجزية ليتقوا بها على إخوانهم في الدين، وهي فترة من أسوأ الفترات التي وصل إليها الإسلام وأهله في الأندلس، لذا ينبغي للأمة المسلمة أن تأخذ الدروس من ماضيها، وتحذر ما كان سببا في هلاك غيرها ومن تلك الدروس:

١ - ضرورة اجتماع كلمة الأمة المسلمة استجابة لقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^(٢).

٢ - خلال فترة دول الطوائف لم تعد تلك الأمة الناصحين المحتسين العارفين بعواقب تلك الفتن، فقاموا بواجبهم تجاه أولئك الأمراء داعينهم إلى الوحدة، ونبذ الفرقة، محذرين ومنذرين عاقبة الاختلاف فأخذوا يتنقلون بين المدن الأندلسية داعين إلى هذا الهدف العظيم، ومن أولئك: القاضي أبو الوليد الباجي، وأبو الحزم جهور بن محمد، وابن حزم الأندلسي^(٣)، ولكن بدون جدوى، فأعذروا إلى ربهم؛ لذا فإن على علماء الإسلام، ودعائه الدعوة إلى وحدة الأمة المسلمة، وتحذيرها من الاختلاف والخلاف والفتن التي تجر الأمة إلى شر مستطير.

(١) انظر ابن الخطيب تاريخ اسبانية الإسلامية ص/١٢٩

(٢) سورة آل عمران الآية/١٠٣

(٣) انظر نفع العلي ٧٦/٢، الصلاة ٢٠٢/١، ترتيب المدارك ٨٠٢/٣

٣- على الأمة المسلمة أن تعرف عدوها المتربص بها، فلا تعطي ولاءها لكافر، فإنه
عدو تظهر عداوته متى وجد فرصته قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشْقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ
أَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾^(١) وقد
ظهرت عداوة أولئك الكافرين في مسلمي الأندلس حيث ساموهم سوء العذاب
فلم يرقبوا منهم إلا ولا ذمة، رغم العهود والمواثيق التي أعطوها لهم^(٢).

(١) سورة الممتحنة الآية/٢

(٢) انظر أحمد رائق وتذكروا من الأندلس الإبادة ص/٢٦٩، وما بعده

الفصل الثاني

**دروس في الأسواق والمعاملات، والأخلاق
والآداب، والعلم والتعليم وفيه ثلاثة مباحث**

المبحث الأول: دروس في الأسواق والمعاملات

المبحث الثاني: دروس في الأخلاق والآداب

المبحث الثالث : دروس في مجال العلم والتعليم

المبحث الأول: دروس في الأسواق والمعاملات

السوق هو المكان الرسمي للمحتسب في الأندلس وواليها يسمى صاحب السوق، وولاية السوق هي الخطة المعتبرة في الدولة، وقد اهتم بها الأندلسيون وأولوها عناية عظيمة، فألفت المؤلفات التي تبين الطرق الشرعية للقائمين بها، فأخذوا بتدريسونها، ويتذكرونها بينهم، وأصبح لهم أعوانا، ومفتون في شؤون هذه الولاية، وأحيانا، تسند هذه الولاية لصاحب الشرطة في البلد؛ فلذا فإن هذه الولاية لها أهداف وأغراض سامية ينبغي أخذ الدروس المفيدة من تلك الولاية في الأندلس ومن ذلك:

١- الاهتمام بشأن الأسواق وما فيها من معاملات، ومصالح للمجتمع، فعلى الأمة إسنادها للأمناء الحريصين على تطهير المجتمع من الغش، والخداع؛ ليأمن الناس من المحتالين الجشعين أهل الطمع والشهوات.

٢- الأسواق تتعلق بها معاش الناس، ومصالحهم، وأغراضهم، فالقائم بمراقبتها يحول بينهم وبين رغباتهم في غش الناس من قبل أهل النفوس المريضة وهو مظنة الرشوة فعلى الوالي عليها التنبيه لذلك، ولا يولي عليها إلا من له وازع قوي من الدين يمنعه من أخذ الرشوة، والهدية، كما أن عليه أن يرتب له ما يكفيه لمساعدته في شؤون حياته فلا يميل إلى النظر إلى أهل السوق وما بأيديهم، فقد كان من ضعف هذه الولاية أن يأخذ المحتسب أو صاحب السوق أجرته من أهله، فإن الأمر إذا بلغ إلى هذا فلا يؤمن الغش والاحتيال من أهل السوق، وأن يسكت المحتسب على منكراتهم.

٣- الأسواق هي أماكن تجمع الناس صغارا وكبارا رجالا ونساء؛ ولذا فهي موطن ظهور لبعض المنكرات مثل: التأخر عن صلاة الجماعة، واختلاط الرجال بالنساء، وبعض الأخلاقيات المشينة؛ ولذا فقد كانت هذه المنكرات محاربة من قبل محتسب الأندلس؛ ولذا فإن على المختسين القائمين على أسواق المسلمين أن يظهرها من هذه المنكرات، فلا تليق بأسواق المسلمين.

٤ - رأينا في الأندلس كيف أن ولاية السوق يطلبون من المحتسبين الكبار أهل التجربة، والخبرة في معرفة الغش وكشفه يطلبون منهم أن يكتبوا لهم المولفات التي تساعد في أداء مهمتهم ونجاحهم فيها، فيؤلف لهم بذلك فيستفيدون بذلك، ومن يطلع على كتاب السقطي ويتدبره يعرف هذا؛ إذ أن هناك أنواعا كثيرة من الغشوش لا يتفطن لها ولا يصل إلى كشفها إلا من تمرس في ذلك، ومع الفارق الزماني والتطور البشري في كل شيء؛ فإنه ينبغي على المشرفين على كشف غش الأسواق أن ينتبهوا إلى هذا، وعليهم أن يستفيدوا من تجارب من سبقهم، كما أن من حقهم أن تعقد لهم الدورات التي تبصرهم بأنواع الغش والحيل التجارية، وطريقة كشفها والتعامل معها كما كان يفعل محتسب الأندلس.

٥ - صاحب السوق متعرض لغضب أهل السوق؛ لأنه لا يمكنهم من رغباتهم في الغش والتلاعب بالأسعار، ويقوم بملاحقة من يتلبس بذلك ويعاقبه، فإذا قام بعمله على الوجه الأكمل، وكان نزيها فلا يكسب رضا أهل السوق؛ إلا ما ندر منهم، وهم ينتظرون الفرص للإيقاع به وطرده من السوق، واستعداد السلطان عليه، وقد حدث مثل هذا في الأندلس (١)؛ وإذا كان هذا حاله وحال أهل السوق معه فلا بد من الوقوف معه ومساعدته من القاضي والسلطان وأهل العلم، فلا يخذل بل ينصر لتقوى سلطته وحتى ينخزل أهل الفساد والغش، فعلى من له ولاية على أهل السوق نصرتهم في الحق، وشد أزرهم، وقد كان أهل الأندلس غالبا ما تجمع ولاية السوق وانشرطة لرجل واحد؛ ليكون متوليها عزيز الجانب؛ لا يفكر أحد في النيل منه.

(١) انظر ابن سهل وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس ص/٥

الأمن الغذائي تطمع إليه المجتمعات، وتسعى لتحقيقه، وفي نظري أن المجتمع الأندلسي تحقق فيه ذلك، كما أن السعي لتحقيقه هو من واجبات صاحب السوق؛ ولذا فإن مسألة التسعير والتدخل فيه هو من اختصاص المحتسب^(١)، والمهدف من ذلك النظر في إحقاق العدل والإنصاف.

(١) انظر سعيد المكيديين التيسر في أحكام التسعير ص/ ٢٧

المبحث الثاني: دروس في الأخلاق والآداب

من الدروس المستفادة من هذا المجال ما يلي:

١ - أن الأخلاق الحسنة والسيرة الحميدة والأدب الرفيع هي ميزان وعي الأمة، ودليل على تقدمها في الأدب والخلق الحسن، فالأمة إنما تعد بأخلاقها وأدبها، فإذا كانوا مؤدبين سائرين على السيرة الحسنة كانوا أرقى الأمم في جميع المجالات الحسنة والطيبة، وإذا ساءت أخلاقهم وقبحت أفعالهم فلا اعتداد بهم، بل يكونون هابطين ساقطين لا وزن لهم عند العقلاء

والناظر إلى أمة الإسلام في الأندلس يجد أنها أمة ذات أخلاق عالية، وآداب رفيعة، فقد أصبحت منارة من منارات الإسلام تقتبس منها الأمم تستفيد من حضاراتها، والفضل في ذلك يعود إلى الله تبارك وتعالى حيث منّ عليهم ووفقهم إلى تطبيق الإسلام في واقع حياتهم، وتطبيق آدابه وما يدعو إليه من مكارم الأخلاق.

٢ - كانت أمة الأندلس تستقيح كل أمر يخل بالمروءة أو يחדش في الأخلاق الحسنة، وتجنبه وتبتعد عنه.

قال المقرئ: (وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدروزة - أي: طلب الصدقة - التي تكسل عن الكدّ وتخرج ماء الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبة عندهم إلى النهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه، وأهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجدد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر^(١)).

وقال - أيضا - في صدر كلامه عن علو مكانة أهل الأندلس في الأخلاق والآداب: (بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم وحسن نظرهم وجودة قرائهم، ولطافة أذهانهم، ودقة أفكارهم، وحسن تعاملهم، ونفوذ خواطرهم)^(٢)؛ لذا فإنه ينبغي الاهتمام بالأخلاق.

(١) المقرئ نفح الطيب م.س. ٢١٠/١-٢١١

(٢) المقرئ نفح الطيب م.س. ١٣٤/١

فالأمة المسلمة اليوم بأمر الحاجة إلى تهذيب أخلاقها وآدابها وترباً بنفسها عن سفاسف الأمور ودناءتها لترقى فتكون أمة سامية متمسكة بالأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة والسلوك الطيب، والأدب الرفيع؛ لينتج عن ذلك الترابط والتضامن والتقدم في جميع الميادين، وتصبح مضرب المثل في هذا المجال فتقتدي بها الأمم وتستفيد منها، وذلك المأمول من المسلمين والمتنظر منهم؛ لأن المسلم عبارة عن شعلة هداية ونور يستفاد منه في كل مكان فهو مفتاح للخير ومغلاق للشر.

٣ - أن الالتزام بالآداب الإسلامية والحث عليها والتمسك بها يعدّ من أكبر الوسائل لتهذيب الأخلاق والآداب وحمايتها وغنائها.

فعلى العلماء والمحتسبين ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يرشدوا الناس إلى ما يعينهم على التمسك المستمر بالأخلاق الحسنة وترك كل ما يناقض ذلك من الرذائل وسفاسف الأمور، وبم أن الخمر أم الخبائث؛ لأن شاربها لا يتورع عن كل منكر فإن المحتسب يمنع كل وسيلة تؤدي إليها ويقتدى باحتساب أهل الأندلس في ذلك^(١)، فكما راقب محتسب الأندلس الأخلاق وسلوك المجتمع، وكان من مهامه إعلاء الأخلاق وصيانتها، فكان ينهى عن اختلاط النساء بالرجال وينهى عن جلوس النساء في أماكن الريّة والتهمة، وينهى المسلم أن يكون خادماً لنصراني^(٢).

فعلى الأمة وعلى الدعاة والمصلحين أن يأخذوا الدرس من ذلك، ويهتموا بالأخلاق، والمحافظة عليها، ويسندوا ذلك لأهل الحسبة؛ فإنهم أجدر من يقوم على ذلك ويهتم به.

وكذلك ينهى عن جلوس النساء في أماكن الريّة والتهمة وينهى النساء عن الاختلاط بالرجال في أماكن توجد فيها الريب، ويراقب أحوال المسلمين ويأمرهم بالترفع عن الأعمال المهينة كرمي الزبل، وتنقية الحمام، فلا يقوم بذلك مسلم ليهودي ولا نصراني، فهم أولى بذلك^(٣).

(١) انظر ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة م.س. ص/٤٣

(٢) انظر ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة م.س. ص/٤٣

(٣) المصدر نفسه ص/٤٩

والخلاصة عليهم أن يمنعوهم من كل خلق سيئ مذموم، ويمنعوا كل وسيلة تؤدي إلى ذلك، وفي المقابل يحملوهم على الأخلاق الرفيعة، ويعلموهم الوسائل المؤدية إلى ذلك، ويتعاهدوهم فترة بعد فترة حتى يسعدوا ويكملوا فيكونون منارات أخلاق، وهدى ونور يستفاد منهم، ويقتدي بهم.

المبحث الثالث: دروس في مجال العلم والتعليم

من الدروس المستفادة في هذا المجال ما يلي:

١ - فضل العلم ومكانته في الدين الإسلامي الخفيف فهو بمثابة المصباح والنور الذي يستضاء به في الظلمات، وبمثابة الأرواح للأجساد فلا حركة لها بدونه، وبه يعرف العبد كيف يعبد ربه فتفيده تلك العبادة في دنياه وآخرته نجاحاً وفلاحاً، فقد أسند أبو يوسف بن عبد البر القرطبي عن الصحابي الجليل خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» قال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» قال: يا رسول الله، أسألك عن العمل وتخبرني عن العلم؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن قليل العمل ينفع مع العلم، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل»^(١).

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على فضل العلم ومكانته في الدين، فإن القول بالعلم سبب النجاح والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة كما أن القول بالجهل سبب في الوقوع في البدع والشرك والخرافات وقد قيل: إن من أعلام البصر بالدين معرفة الأصول لتسلم من البدع والخطأ، والأخذ بالأوثق من الفروع احتياطاً لتأمن^(٢).

وإن من حقوق البحث والنظر عدم الكلام في مسائل الحلال والحرام إلا بعلم؛ ولذلك ثبت عن السلف الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - كراهيتهم للقول بالرأي في دين الله عز وجل، وقد أسند الإمام الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني عن الإمام الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنخذ به، وما قالوا برأيهم قبل عليه^(٣).

(١) انظر أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله م.س. ٥٤/١

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ٤٤/٢-٤٥

(٣) عبد الرزاق الصنعاني، الكتاب المصنف ٢١١/١

وروى سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما^(١) - أن رجلا سأله عن شيء فقال له سالم: لم أسمع في هذا بشيء، فقال له الرجل: إني أَرْضَى برأيك، فقال لو أعلم أن رأيي يثبت لقلت فيه، ولكني أخاف أن أرى اليوم رأيا، وأرى غدا رأيا آخر غيره فأحتاج أن أتبع الناس في دورهم فلا أجدهم، فإذا كان هؤلاء الكبار التابعون - رحمهم الله - يخافون من الرأي المجرد ويكرهون القول به في الدين فما بال من كان بعدهم ودونهم في العلم والفقہ في الدين؟! إن الأمر خطير والخطب جليل، فإذا لا بد من العلم الصحيح لتلافي تلك الشبهات، وكفى بذلك دلالة على فضل العلم وعظم نفعه وفائدته، وأنه أحق ما بذل فيه الغالي والنفيس.

٢ - إن المسلمين اهتموا بذلك وبذلوا في ذلك الجهد والوقت وابتكروا ما أفاد الناس هناك حتى تركوا بذلك أعظم الأثر في المسيحيين مما جعل أولئك المسيحيين يقبلون على تعلم العربية وبالتالي قراءة الكتب العربية ونقلها إلى قومهم، وبذلك أصبحوا رسلا إلى قومهم ينقلون الثقافة العربية والإسلامية إلى شعوبهم، مما دعا الكاتب المتعصب "الفارو" الذي عاش في القرن التاسع الميلادي إلى القول: (إن إخواني المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها بل لتعلم أسلوب عربي بليغ، وأأسفاه إنني لا أجد اليوم عالما يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الإنجيل، بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علما ولا أدبا ولا لغة إلا العربية ذلك أنهم يقبلون على كتب العرب في فهم وشغف، ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يَحْتَرِقُونَ الكتب المسيحية وينبذونها)^(٢).

(١) الإمام الزاهد الحافظ مفتي المدينة أبو عمر - وأبو عبد الله القرشي العدوي المدني - مولده كان في خلافة

عثمان رضي الله عنه، توفي سنة/١٠٧هـ، انظر السير ٤/٤٥٧-٤٦٥

(٢) انظر د. كتور حسان حلاق، دراسات في التاريخ الحضارة الإسلامية ص/٢٦٨، جرونيانوم، حضارة

الإسلام ص ٨١-٨٤، د/ سعيد عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية ص/٥١-٥٢

ومما قاله (لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم ولن تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينية، بينما نجد بينهم عددا كبيرا لا يحصى يتكلم العربية بطلاقة، ويقرض الشعر أحسن من العرب أنفسهم)^(١).

إذا كان هذا حال القوم من أثر المسلمين وجدهم في العلم حتى استطاعوا جلب الأوربي وتغيب اللغة العربية إليه ليدرسها ويجيدها بطلاقة وهذا ناتج عن علو المسلمين وتفوقهم ثقافيا.

إذا حدث هذا من أهل الأندلس فإن التاريخ يسجل لهم هذه المنقبة الحميدة، وعلى المسلمين أن يقفوا عندها ليأخذوا الدرس من هذا، ولكن الناظر لحال المسلمين اليوم يرى قيام أوروبا بغزو المسلمين في اللغات حتى أصبحت اللغة الأجنبية شبه مفروض تعلمها من بعض الأفراد إذا أرادوا العلم وخاصة العلوم العلمية التطبيقية كالطب والهندسة مثلا، فليت المسلمون يستفيدون من عبر الأندلس ليروا الفرق بين الأمس واليوم.

٣ - مسؤولية طالب العلم مسئولية كبيرة وهي متفاوتة على حسب ما عنده من العلم وعلى حسب حاجة الناس إليه، وعلى حسب قدرته وطاقته، فهناك مسؤولية من جهة نفسه كإعداد النفس للتعليم والدعوة وأداء الواجب، والعناية بالعلم والتفقه في الدين، ومراجعة الأدلة الشرعية والعناية بها، فإن طالب العلم بحاجة شديدة إلى أن يكون لديه رصيد عظيم من الأدلة الشرعية والمعرفة بكلام أهل العلم وخلافهم ومعرفة الراجح في مسائل الخلاف بالدليل من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بدون تقليد لأحد، وبدون تعصب لأحد، فالتقليد يستطيعه كل أحد، وليس من العلم في شيء، فقد سبق قول الإمام أبي عمر بن عبد البر: أجمع العلماء أن المقلد لا يعد من العلماء^(٢).

وهذه المسؤولية السابقة نراها بارزة في الأندلس، حيث إن طلاب العلم والعلماء في تلك البلاد الإسلامية قد أدركوا هذه المسؤولية وأهميتها وضرورتها فقاموا

(١) زيفريد هوندكة، أثر الحضارة العربية في أوروبا ص/٥٢٩

(٢) انظر ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله ٤٥/٢

بها خير قيام، فبرز منهم رجال أفذاذ بررة حملوا هذه المسؤولية، فكان منهم العلماء العاملون المجتهدون ومنهم: أبو الوليد الباجي، وابن العربي، وابن عبد البر والإمام الشاطبي، وابن جزري، وبقي بن مخلدن وابن حزم، وغيرهم كثير.

وهناك - أيضا - مسؤولية مهمة وعظيمة وهي المسؤولية الملقاة على طالب العلم العالم من جهة البلاغ والتعليم للناس، فإن العلماء هم خلفاء الرسل، وهم ورثتهم، ولا يخفى مرتبة الرسل، وأنهم هم القادة، وهم الهداة للأمم، وهم أسباب سعادتها ونجاتها، فالعلماء حلوا محلهم، ونزلوا منزلتهم في البلاغ والتعليم؛ لأنهم ختموا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فلم يبق إلا البيان والتبليغ لشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - والدعوة إليها وبيانها ونشرها بين الناس، وليس لذلك أهل إلا أهل العلم، وهم الذين أهلهم الله تبارك وتعالى لهذا الأمر العظيم دعاء وقادة بأفعالهم وأقوالهم وسيرتهم الظاهرة والباطنة، فإذا رجعنا إلى واقع المجتمع الأندلسي نجد أنهم قد قاموا بهذه المسؤولية خير قيام وأدوها أحسن أداء وعظما وإرشادا وتوجيها وإفادة تدريسا وتأليفا، وأكبر دليل على ذلك وجود هذه المؤلفات الضخمة، وهذا التراث الأندلسي الأصيل من اختلاف أنواع الفنون من التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأصول والفرق والأديان، وغير ذلك من الوسائل والطرق السليمة المفيدة، وخير شاهد على ذلك وجود خطباء بارزين، وعلماء وهبوا حياتهم للتدريس فمنهم من يجلس في المسجد الجامع من الصباح إلى الظهر، وأمراء اعتنوا ببناء المدارس وتوفير المعلمين لتدريس أولاد الفقراء والمساكين بالمجان، وقد سبقوا غيرهم في ذلك حتى في زمن الفتن والاختلاف وانقسام الأندلس إلى دول وطوائف (ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد؛ إذ نفقوا سوق العلوم، وتباروا في المثوبة على المنثور، والمنظوم، فما كان أعظم مباهايتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني يختص بالملك الفلاني، وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم، ونبهت الأمداح من أثره ما ليس طول الدهر بنائم^(١)).

(١) من رسالة أبو الوليد الشقندي (ت/٦٢٩هـ) في فضل الأندلس انظر المقرئ نفح الطيب ١٦٦/٤

كل ذلك دليل واضح ولسان ينطق ويبين أن تلك الأمة قد قاموا بواجب النصيحة والبيان والتبليغ على الوجه المطلوب^(١)، ولذا فإن الباحث ينصح بضرورة الاستفادة من هذا الدرس في مجتمعتنا المعاصرة في البيان والتبليغ لتراث النبوة وتعليمه للأمة، فالطرق - والله الحمد - اليوم كثيرة ومنها: وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ولها آثارها العظيمة في ذلك، وهكذا الخطب في الجمع والأعياد والمناسبات والندوات والاحتفالات لأي سبب لها أثرها - أيضا - وكذلك النشرات المستقلة والمؤلفات والرسائل لها أثرها العظيم.

٤ - إن العلم لا يغني ما لم يصحبه العمل، وأن ترك العمل بالعلم سبب في عدم الانتفاع به، فالمتبع لأحوال العلماء في الأندلس، والناظر لما دون في تراجمهم، وفيما خلفوه من التراث العظيم يجد أنهم قد أعطوا العلم حقه ومستحقه، فقد طبقوه في أنفسهم وذلك واقع ملموس - فقد اجتهدوا في طلب العلم وبذلوا في سبيله الغالي والنفيس، وعملوا به في الوقت نفسه، ثم نشره بين الناس وجاهدوا واحتسبوا في ذلك فكان بعضهم يجلس من الصباح إلى الظهر في المساجد للتدريس والإفادة. ويخرج بعضهم للجهاد في سبيل الله تعالى، ولا يزال يعقد حلقات للدروس يعلم الجند ويثقفهم، ويفقههم في الدين.

وتجد بعضهم قوام الليل وصوم النهار، والمحتسبين لوجه الله عز وجل - الذين يقومون بإصلاح الفرد والمجتمع فتجدهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون ما فسد من الأحوال فتجدهم ينصحون الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بالأسلوب الشرعي المناسب.

وخير شاهد على ذلك هذا التراث العظيم والمفيد الذي خلفوه لنا مثل: فقيه القراءات وما يتعلق بها نثرا ونظما كالشاطبية، والحديث وعلومه كالإلماع في تقييد الرواية وضبط السماع للقاضي عياض.

(١) انظر مبحث الاحتساب في مجال العلم والتعليم في الفصل الثاني في الباب الثاني من هذا البحث

وشروح الحديث كالتمهيد لما في الموطأ من الأسانيد للحافظ ابن عبد البر، والاستذكار له، والقبس في شرح الموطأ - أيضا - للحافظ أبي بكر بن العربي. والفقهاء وما يتعلق به كبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد. وكتب العقيدة والفرق والأديان وكشف البدع وما يتعلق بها، ويظهر ذلك في مؤلفات ابن وضاح وابن حزم والشاطبي، وغيرهم ففي ذلك كله دلالة واضحة جلية على أنهم قد عملوا بما علموا فبارك الله عز وجل لهم في علمهم وجهودهم. فهؤلاء قد نجحوا - بفضل الله عز وجل - من مغبة وخطر من تعلم علما ثم لم يعمل به فإن العاقبة وخيمة في ذلك، فقد أسند الحافظ ابن عبد البر النمري عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرّات^(١).

٥ - إن العلم لا يدرك إلا بالتقوى والجد والاجتهاد والإخلاص لله في طلبه، فمن طلبه الله وما عند الله في الدار الآخرة من النعيم المقيم فأخلص نيته واتقى الله عز وجل وحذ واجتهد فإن الله تعالى يفتح عليه باب العلم وينير قلبه وبصيرته، وخير شاهد لذلك أن أولئك العلماء الذين سبق ذكرهم من الأندلسيين والذين كان لهم دور بارز في ميدان العلم في تلك البلدان ما نالوه براحة جسم بل بجد واجتهاد، وقبل ذلك الإخلاص والتقوى والعمل بالعلم وأنهم ما أرادوا به حطام الدنيا ومتاعها الزائل، فعلى طلبة العلم الاقتداء بهم في ذلك^(٢).

٦ - إن للعلم آدابا لا بد من مراعاتها حتى يستفيد الطالب في طلبه ويحصل المعلومات الكثيرة، وقد سبق ذكر تلك الآداب في مبحث الاحتساب في مجال العلم والتعليم^(٣) ومن الأمثلة الحية على ذلك ما يلي: أن أبا الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي صاحب التصانيف السائرة ممن جد في طلب العلم وراعى آدابه فقد

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله م.س. ٦/٢

(٢) انظر د. عبد المجيد تركي مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، تحقيق د/عبد

الصبور شاهين ط/١ (بيروت دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ/١٩٨٦)

(٣) انظر مبحث العلم والتعليم في الفصل الثاني من الباب الثاني

أخذ عن أهل بلده يونس بن مغيث ومكي بن أبي طالب ومحمد بن إسماعيل وأبي بكر محمد بن الحسن بن عبد الوارث، ثم ارتحل بعد استيعاب ما في بلده؛ ليحصل ما ليس عندهم، فحج وجاور ثلاثة أعوام ملازماً للمحافظ أبي ذر فكان يسافر معه إلى السراة، ويخدمه فأكثر عنه، وأخذ علم الحديث والفقه والكلام ثم ارتحل إلى دمشق فسمع من أبي القاسم عبد الرحمن بن الطبير والحسن بن السمار والحسن بن محمد بن جميع ومحمد بن عوف المزني، ثم ارتحل إلى بغداد فسمع من عمر بن إبراهيم الزهري وعبد العزيز بن علي الأزجي ومحمد بن علي الصوري الحافظ وصحبه مدة، وخلقا سواهم، ثم ذهب إلى الموصل فأقام بها سنة على القاضي أبي جعفر السمناني المتكلم صاحب الباقلاني، فبرز في الحديث، والفقه، والكلام، والأصول، والأدب، فرجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم غزير حصله مع الفقر والتقنع باليسير فبدأ ينشره في تلك الربوع فتفقه به أئمة واشتهر اسمه وصنف التصانيف النفيسة، وكان ممن تخرج به أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري وأبو محمد بن حزم وأبو بكر الخطيب وخلق سواهم^(١).

٧ - إن العلم بحاجة إلى تشجيع ودعم مستمر ومساندة قوية ليبقى حيا قويا شامخا؛ فيكثر طالبيه والعاملون به فتسعد البشرية في مجتمعاتهم، فإذا رجعنا إلى هذه الناحية في الأندلس نجد أنها قد وجدت عناية فائقة من أولياء الأمور ومن الأمثلة على ذلك: أن القاضي يتولى تعيين العلماء الذين يراهم جديرين بالتدريس والتعليم والتوجيه والإفادة، وينوه بدرجاتهم ويحث ويدعو إلى الإفادة منهم كما فعل القاضي ابن ذكوان - رحمه الله تعالى - إذا كان يبحث عن العلماء الربانيين للتدريس، فعندما دخل أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي أيام المظفر بن أبي عامر سنة/٣٩٣هـ لم يؤبه به ولا بمكانه حتى نوه بمكانه القاضي ابن ذكوان فأجلسه في الجامع للتدريس فنشر علمه وعلا ذكره ورحل الناس إليه من كل قطر^(٢)، كما نجد - أيضا - من الخلفاء والأمراء من يتولون ذلك ويندبون أنفسهم لذلك لأهليتهم له إذا كانوا علماء

(١) انظر المذهبي، السيرة م.س. ٥٣٥/١-٥٣٨

(٢) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك م.س. ١٤/٨، وابن فرحون، الديباج المذهب م.س. ص/٤٢٥

أو يندبون غيرهم ليقوم بذلك، إذ كانوا يرون في رعاية العلم وتعليمه شرفاً وفضلاً ما بعده شرف، فهذا الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي كان عالماً محباً للعلم يتدخل في قضية علمية ويحكم فيها وينصف العالم ويدعوه إلى نشر علمه بعد أن وقف بنفسه على حقيقة أمره، فقد دخل الحافظ الإمام بقي ابن مخلد - رحمه الله تعالى - الأندلس بمصنف ابن أبي شيبة، فثار عليه بعض العامة وطلبة العلم وأرادوا منعه من تدريسه، ولما انتهى الأمر إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن طلبه ونظر في كتابه، ثم قال له: هذا كتاب طيب، وقال: انشر علمك، وارو ما عندك، ونهاهم أن يتعرضوا له، بل أخذ نسخة منه.

وهذا يدل على عظم علم وفقه ذلك الأمير ومحبة للعلم واحتسابه في نشره ومراقبة المعلمين^(١).

فكان الأمراء والخلفاء يولون جهوداً عظيمة وعناية فائقة بالعلم تعلماً وتعليماً ونشراً وتأليفاً فكانوا يجزلون الأجر على من يولف كتاباً تشجيعاً له للتأليف وكانوا يبنون المدارس لأولاد الفقراء والعجزة ويوفرون لهم المدرسون والمدرسين على نفقاتهم الخاصة كل ذلك من أجل بقاء العلم ونمائه وازدهاره طلباً لمرضاة الله عز وجل، فلما كان العلم بهذه المثابة من الفضل والمكانة وعظم الفوائد، فإن الباحث يهيب بالمسلمين إلى الجهد والاجتهاد في طلبه وتحصيله ونشره والصبر والمصابرة على ذلك، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحصيله والإقتداء بالعلماء الربانيين الأرائل في ذلك واقتفاء أثرهم بدءاً من إخلاص النية ومراعاة الآداب والجهد والاجتهاد والعمل بالعلم وتعليمه ونشره سواء بالتدريس أو التأليف عند توفر وسائله ليستفيدوا في أنفسهم ويفيدوا مجتمعهم فيسعدوا في الدنيا والآخرة.

(١) انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك م.س. ١٤/٨

الفصل الثالث

دروس في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: دروس في الجهاد وأمن الأمة الخارجي

المبحث الثاني: دروس في الدعوة إلى الإسلام وأمن الأمة الداخلي

المبحث الثالث: دروس في وحدة الأمة

المبحث الأول: دروس في الجهاد وأمن الأمة الخارجي

من الدروس المستفادة في هذا المجال ما يلي:

١ - إن الجهاد في سبيل الله يحمي الإسلام الحنيف من الاعتداء عليه من أعدائه الجاهلين به والحاقدين عليه، وقد تبين ذلك في الأندلس حيث كلما قوي الجهاد كلما خضع الأعداء وخفضوا رؤوسهم فلم يستطيعوا أن يتعرضوا له ولذلك بقي قويا في الأندلس زهاء ثمانية قرون في قلب أوروبا وإذا ضعف الجهاد في سبيل الله تعالى قام أعداء الإسلام ورفعوا رؤوسهم للكيد له وطمسه من الوجود، وتقلبت الأمة وصارعت الأعداء في ميدان الجهاد في سبيل الله وأخيرا غلبت، وطرد المسلمون من الأندلس، ومعبت آثار الإسلام فيها فهدمت المساجد، وأقيمت الكنائس؛ وما كان ليحدث هذا لولا الهزيمة في ميدان الجهاد فعلى الأمة أن تتذكر ماضيها في الأندلس، وتذكر أجيالها به.

٢ - من الجهاد في سبيل الله الاستعداد وإعداد القوة قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾^(١). فإعداد القوة من السلاح والعتاد والرجال هو في حقيقته قوة للأمة وإخافة للعدو فتصبح مرهوبة الجانب من الأعداء الخارجين، فلا يطمع فيها عدو خارجي، فعلى الأمة المسلمة أن تلي أمر الله تعالى، وتعد القوة التي تخيف بها أعداءها، وبذا يحصل لها الأمن الخارجي.

٣ - من يستقرئ تاريخ فتح الأندلس وجهاد المسلمين فيها يدرك رحمة أولئك الفاتحين لأهل البلاد فهم يطلبون الدخول في الإسلام واعتناقه ويحرصون على ذلك طمعا في الأجر والثوبة من الله تعالى، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم، فإن أبوا عرضوا عليهم دفع الجزية مقابل حمايتهم في دار الإسلام فإن أبوا قاتلوهم؛ لأنهم بهذا صدوا عن سبيل الله، وهذا فيه رد على من يقول إن الجهاد في الإسلام تسلط على الشعوب، وإكراه لها، واستيلاء على الثروات، ومصادرة

(١) سورة الأنفال الآية/٦٠

للحريات، وتدخل في شؤون الآخرين، فعلى المسلمين استقراء تاريخ أمتهم، ودحض وكشف شبهات الحاقدين.

المبحث الثاني: دروس في الدعوة إلى الإسلام وأمن الأمة الداخلي
إن وظيفة المؤمنين في هذه الحياة أشرف الوظائف ومهمتهم أصعب المهمات وهم حملة راية الدعوة إلى دين الله، وقد دل القرآن الكريم على أنه لا أحد أحسن ممن يدعو إلى دين الله عز وجل، وكان ممن يعمل الصالحات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)
من الدروس المستفادة في هذا المجال ما يلي:

١- نشر الإسلام وتحمل الدعوة مسؤولية عظيمة، فأهل الإسلام مسؤولون أمام الله عن هذا الدين، ونشره، وتعظيم المسؤولية على أهل العلم ودعاة الإسلام، لا سيما وقد أبطل الله كل دين سواه قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢) والأمة بأسرها معرضة لعذاب أليم إن لم تقم بواجب الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن أهم أنواع الجهاد نشر الإسلام وتعليمه والدعوة إليه قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلَّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

هذا وقد قام أهل الأندلس وبخاصة أهل العلم والولاء والدعاة بالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في تلك الديار ودخل الناس في دين الله، وسعدت تلك الديار بهم^(٤).
فحري بأمة الإسلام ودعائه أن تستقرئ تاريخ أولئك الدعاة، وتنهج نهجهم في الدعوة إلى الله، لا سيما وقد تيسرت وتنوعت طرق الدعوة فوسائل الإعلام على اختلافها وسيلة وطريق للدعوة إلى الله في هذا العصر، السفر إلى بلاد الكفار ينبغي

(١) سورة فصلت الآية/٣٣

(٢) سورة الصف الآية/٩

(٣) سورة الصف الآية/١٠-١١

(٤) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث

أن يستغل في الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام، فالتاجر المسلم داعية، والطالب المسلم داعية، والمسئول المسلم داعية، كما كان سلفنا في الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية الواسعة؛ لذا يقول أحد المعنيين بشان الدعوة في العصر الحاضر: (انتشر الإسلام في الماضي عن طريق معاملة التجار ودعوتهم غير المسلمين إلى الإسلام وشرحهم للإسلام، أما الآن الذين يسافرون إلى الغرب بغرض العمل أو التجارة أو غيره معلوماتهم عن الإسلام سطحية وتصرفاتهم لا تمت إلى الإسلام بصلة، ثم ينسبون أنفسهم للإسلام، وربما تصرفاتهم تخالف تعاليم الإسلام الحنيف، بل تصرفاتهم أحياناً تنفر من الإسلام، وهناك فئة أخرى تفهم الإسلام فهماً خاطئاً حيث يقتلون ويخربون ويغيرون المنكر باليد، وهو ليس لهم ثم يقولون نسير على نهج محمد - صلى الله عليه وسلم - ومحمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - لم يأمر بقتل الأبرياء، ولا بتغيير المنكر باليد حيث ذلك للحاكم فهؤلاء يشوهون صورة الإسلام في الغرب والشرق وفي كل مكان^(١)).

فعلى الدعوة الرجوع إلى تاريخ الدعوة الأوائل في العصور الماضية ومن ذلك: تاريخ الدعوة في الأندلس، وكيف نشروا الإسلام فيها، واعتنقه غيرهم، وأصبحوا من دعاة، وعليهم - أيضاً - الاستفادة مما جد من وسائل حديثة ويستخدموها في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

٢ - على الدعوة إلى الله أن يكونوا ربانيين في جهادهم ودعوتهم وأن يكون همهم وقصدهم وجه الله وتبليغ هذا الدين والذب عنه عن طريق الجهاد والدعوة إلى الله، متجاوزين الماديات والنظر إلى زخرف الحياة الدنيا والطمع في المناصب أياً كانت كبيرة أو صغيرة، فإنهم إذا اتصفوا بهذه الصفات، وسلكوا هذا المنهج أفلحوا ونجحوا في دعوتهم وجهادهم في سبيل الله، وقذف الله هيتهم في قلوب أهل السلطة فخافوا منهم لخوفهم من الله في النصيحة التي قدموها، والدعوة التي نشروها.

(١) من كلام الشيخ رانيك نيسا ناي، مفتي جمهورية كازاخستان، ورئيس الإدارة الدينية، نشرته جريدة

المدينة المنورة في العدد ١٣٠٩٦ في يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة ١٤١٩ هـ ص/١١

فهذا الشيخ منذر بن سعيد البلوطي يعرض نصيحة إلى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر في خطبة الجمعة، ويغلظ له القول في ذلك، فيتفطن له الأمير، ويفضّب من منهجه في النصيح والإنكار، فلما أّخبر ولي عهده بذلك، فأشار إليه بعزله غضب الناصر وقال: (وبلك مثلي يعزل المنذر بن سعيد) ونكّني لا أصلي الجمعة خلفه ثم تحوّل إلى مسجد آخر.

ومع عدم موافقة منذر بن سعيد - رحمه الله - على منهجه في نصيح السلطان علانية، لا سيما أن هذا الإمام يحضر الجمع والجماعات وقيم الجهاد.

إلا أن الغرض من هذا الدرس هو: لما أحجم الناصر عن عقاب المنذر وهو السلطان العظيم الذي خافته جبابرة النصارى وجاءوا إليه مذعنين، فلا أشك أن الذي أخاف الناصر وجعله يحجم ويؤدب ابنه عند ما أشار بعزله إنما هو الله الذي عاف منه منذر ودفعه لينصح الناصر بهذا المنهج وعلم الناصر بمقصد المنذر من نصيحته تلك.

لذا ينبغي للدعاة والمجاهدين أن يكونوا ربانيين ورعين زاهدين في الدنيا يقدمون النصيحة لله وخوفاً منه حتى تبرا الذمة فإنهم إن سلكوا ذلك نجحوا وأفلحوا كما أفلح من كان قبلهم.

٣ - إن الأمة لا تسعد ولا تكمل إلا إذا وجد فيها من يدعوها إلى الخير وينهاها عن الشر، ويذكرها إذا نسيت، وينبهاها إذا غفلت.

٤ - إذا قامت الأمة بالدعوة إلى الله، ومحاربة أعدائها في العقيدة في الداخل، وقررت العقيدة الصحيحة، ودعت إليها، وقضت على منكراتها، كان لها الأمن الداخلي الذي به تقوى وتنتصر على أعدائها قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الأمن وهم مهتدون﴾^(١).

(١) سورة الأنعام الآية/٨٢

المبحث الثالث: دروس في وحدة الأمة

جاء الإسلام خاتماً للأديان جميعاً، ومهيماً عليها، وناسخاً لها فلا يقبل الله ديناً سواه فقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وهو بهذا المعنى يعلن الوحدة العامة للناس تحت هذا الدين، فلا تفاضل بينهم إلا بمقدار فقه هذا الدين، والعمل بشريعته، وتقوى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣).

والمتدبر للأصلين العظيمين لهذا الدين يدرك دعوتيهما إلى الوحدة والتعاون والرباط بين أمة الإسلام تحت هذين الأصلين قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤).

وقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).
فالدعوة إلى الوحدة والتعاون هدف، وغرض دعا إليه هذا الدين واهتم به، فلا غرابة أن نجد اهتمام الأندلسيين بهذا الهدف وتطبيقه عملياً، فالتفوا حول المذهب المالكي، واتخذوه رمزا لوحدهم المذهبية، ورأوا في مخالفته خرقاً واعتداءً على

(١) سورة آل عمران الآية/ ١٩

(٢) سورة آل عمران الآية/ ٨٥

(٣) سورة الحجرات الآية/ ١٣

(٤) سورة آل عمران الآية/ ١٠٣

(٥) سورة المائدة الآية/ ٢

وحدثهم، وتفرقا لوحدة الأمة والبلاد، حتى أخذ الحكام بالتأكيد على ذلك، وتهديد من يخالفه^(١)، فكان القضاء على المذهب المالكي فانتشر المذهب ووجدت المؤلفات الفقهية التي تهتم بشرح قواعد المذهب وتوصله^(٢) كما قاموا بمحاربة وقمع البدع العقيدية التي تخالف السنة مثل الشيعة، والزندقة، والصوفية^(٣).

ويمكن إيجاز الدروس المستفادة في هذا الجانب فيما يلي:

١- ينبغي السعي إلى وحدة الأمة تحت منهج أهل السنة والجماعة القائم على الفقه الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- ينبغي أخذ الدروس والعبر من تاريخ الأمة في الماضي، والحاضر في هذا الجانب قوة وضعفا.

٣- إن الشر كل الشر في الفتن والتفرق والاختلاف، والخير كل الخير، والفلاح في الوحدة والتعاون.

٤- على رلاة الأمر وعلماء الأمة التصدي لمحاربة كل فكر وكل دعوة تهدف إلى زعزعة وحدة الأمة وتفرقها.

٥- ينبغي تنبيه المجتمعات المسلمة على فوائد الاجتماع والتعاون، وتحذيرها من عواقب الفرقة، فما ضاعت الأندلس، وطمع فيها العدو إلا بعد تفرقها واختلافها داخليا.

(١) انظر ابن حيان المقتبس تحقيق بدروش الملتا ص/ ٢٥

(٢) انظر ابن رشد الجد البهان والتحصيل، ابن رشد الحفيد بداية المجتهد، ونهاية المقتصد، التوشريسي المعيار.

(٣) انظر مبحث الاحتساب في مجال العقيدة في الفصل الثاني من الباب الثاني.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه أن منّ عليّ ويسر لي إكمال هذا البحث - فمنه تعالى العون والتوفيق، والسداد والرشاد - حسب ما رسمت من خطة وذلّل لي جميع العقبات في سبيل إخراجها، وإبرازه، فتعم الله عليّ كثيرة، فأسأله تعالى التوفيق إلى شكرها ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾^(١)

وفي ختام هذا البحث المتواضع أو جز ملخص عملي فيما يلي:

- ١ - بينت أهمية هذا الموضوع والأسباب الداعية للكتابة فيه، وحاجة الأجيال القادمة للاطلاع على تاريخ وصورة الحسبة في الأندلس، وتذكيرهم بما كان للأجيال السابقة من دور عظيم في هذا المجال والاستفادة منه، وبخاصة الدعاة.
- ٢ - عرفت الحسبة لغة واصطلاحاً وبينت مفهومها، وأنها ولاية إسلامية أصيلة، مصدرها القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وبينت نشأتها في الأندلس، كما ذكرت موجزا لتاريخ الإسلام في تلك البلاد.
- ٣ - ذكرت نظام الاحتساب، وشروط المحتسب، وصفاته، وواجباته، وأعوانه، وسلطته، ومقر عمله، والمذهب الذي انتشر هناك، وهو المالكي، وعلاقة المحتسب بالولايات الأخرى مثل علاقته بالقضاء والشرطة، وصاحب المدينة.
- ٤ - تحدثت عن مجالات الاحتساب في الأندلس باعتبار شمولية الحسبة لكثير من مجالات الحياة في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والعلم والتعليم، والأمراء، والحكام، وفي مجال الأسواق، وقد حاولت تغطية هذه المجالات نظرياً وعملياً، كما ذكرت أثر الاحتساب في تلك المجالات.

(١) سورة النمل الآية/ ١٩

٥ - ذكرت أبرز المؤلفات في الحسبة في الأندلس قديماً وحديثاً، وظهر من ذلك قدم التأليف في هذا الفن في الأندلس.

٦ - حاولت إبراز مكانة الحسبة في الأندلس بعقد مقارنة بينها وبين المشرق ومصر والمغرب من حيث بدأ النشأة وقوة الحسبة، والتأليف فيها.

٧ - ذكرت في تاريخ الحسبة في الأندلس، أبرز من تولى ولاية الحسبة في كل عصر ودولة قامت في الأندلس وذلك بترجمة لذلك المحتسب، ومجال احتسابه، وكذلك أبرز المحتسبين المتطوعين ومن كانت لهم مكانة وأثر في ذلك.

٨ - تكلمت في الباب الأخير عن الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس قديماً ومدى الاستفادة منها في العصر الحاضر، وهي في نظري دروس ينبغي تأملها وتدبرها، والاستفادة منها.

أبرز النتائج والتوصيات:

وفي ختام هذا البحث أنه على بعض النتائج التي رأيت بروزها من خلال البحث والدراسة ومنها:

١ - أمة الإسلام في الأندلس أمة عظيمة، تبوأ مكانة سامية في عصرها، وبزّت غيرها من الأمم في مجالات كثيرة، وما ذلك إلا بالإسلام وتطبيقه في حياتها وتحكيم نظمته في شؤونها من إقامة لقرائضه ومن ذلك: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ينطلق منه الاحتساب، فينبغي تذكر تلك الأمة وتاريخها - ولا سيما في الاحتساب - الذي يكاد ينسى ويهجر من تاريخ تلك الأمة.

٢ - عظم ولاية الحسبة وأثرها في حياة الأمة المسلمة فقد كانت عزيزة عند الأندلسيين ولها أثر عظيم في النظم الإدارية عندهم، ويدل على ذلك إبقاء النصارى لهذه الوظيفة عند خروج المسلمين من الأندلس، وأصبح لفظ المحتسب "المتسن" في لسانهم، مع أن هذا النظام يكاد يفقد في كثير من الدول الإسلامية ما عدا هذا البلد - المملكة العربية السعودية التي ما زالت تقيم هذا النظام وترعاه وتحافظ عليه ممثلاً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- سبق المسلمين في الأندلس إلى التأليف في الحسبة يدل على تقدمهم واعتنائهم بها حيث أصبحت الحسبة لها قوانين يدرسونها ويتداولونها بينهم كما أشار إلى ذلك المقرئ^(١)

التوصيات

١- فينبغي زيادة الاهتمام بالحسبة كما اهتم بها الأوائل، وتطوير نظامها بما يتفق وأهدافها السامية وأصولها الثابتة، وإثراء الحسبة بالتأليف فيها وطرح قضاياها والنهوض بها بما تقتضيه متطلبات العصر الحاضر.

٢- الاحتساب والقيام به من أسباب التمكين للأمة في الأرض قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور﴾^(٢) فالقيام بالاحتساب من لوازم المؤمنين ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله إن الله عزيز حكيم﴾^(٣) كما أن ضياع وترك الاحتساب عاقبته وخيمة على الأمة بأسرها وسبب خلاكها قال الله تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾^(٤)

٣- فالقيام بالاحتساب ممثلاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمان للأمة، وتركه وإهماله ضياع وهلاك للأمة، فلقوته وضعفه أسباب فعلى الأمة المسلمة أن تأخذ

(١) فتح الطب المقرئ ١/ ٢١٠

(٢) سورة الحج الآية/ ٤١

(٣) سورة التوبة الآية/ ٧١

(٤) سورة المائدة الأيتان/ ٧٨-٨٩

بأسباب القوة وتجنب أسباب الضعف^(١) لا تخلوا الأمة من قائم لله بحجة
وراغب في الخير والصالح، فرغم الضعف الذي أصيب به أمة الإسلام في
الأندلس، واختلافها، وتفرقها إلى طوائف ودول شتى إرتمى بعض ولايتها في
أحضان النصارى يطلب منهم المدد على إخوانه المسلمين، رغم هذا المنكر
العظيم والضعف الشديد الذي أصاب تلك الأمة لم يعدم أهل الاحتساب في هذا
الطرف العصيب، فقد قام علماء أفذاذ وطافوا بتلك الدول والطوائف يحذرونهم
وينذرونهم عاقبة الخلاف والتفرق مسدين لهم النصيحة راجين منهم الرجوع إلى
التوحد في وجه أعدائهم النصارى، ولكن لا حياة لأولئك المدعوين.
٤ - فعلى الأمة أن تحذر عاقبة التفرق والاختلاف، وعلى الدعاة والمحتسبين أن يبينوا
للأمة خطر ذلك ويبينوا ذلك من خلال القرآن والسنة وتحذير الأمة منه.
٥ - وختاماً أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، كما أسأله أن
يبارك بهذا العمل وينفع به من كتبه وقراه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وسلّم.

(١) كر العلماء أن من أسباب قوته قوة السلطان ورغبته في الخير وقيامه بهذا الواجب ومساندته لأهله،

والقائمين به ومن ذلك: قوة الربانيين

الملاحق

الملحق الأول

رسالة من لسان الدين ابن الخطيب إلى محمد بن قاسم بن أحمد
الأنصاري بمناسبة توليته الحسبة بمالقة

وجاء في هذه الرسالة مانصه "أيها المحتسب المتمي إلى النزاهة المنتسب، أهنتك
بلوغ تمنيك، وأحذرك من طمع نفس بالغرور تمنيك، وكأني وقد طافت بركابك
الساعة، ولزم لأمرك السمع والطاعة، وارتفعت في مصانعتك الطماعة، وأخذت أهل
الريب بغتة كما تقوم الساعة، ونهضت تقعد وتقيم، وسكوتك الريح العقيم، وبين
يديك القسطاس المستقيم، ولا بد من شرك يُنصب، وجماعة على ذي جاه تتعصب،
وحالة كبت بها الجنب الأخصب فإن غضضت طرفك، أمنت عن الولاية صرفك،
وإن ملأت ظرفك، رحلت عنك حُرْفك، وإن كَفَفْتَ فيها كَفْكَ، حَفَّكَ العزَّ فيمن
حفك، فكن لقالي المَجَنَّة قاليا، وخوت السلة سالبن، وأبد لدقيق الخواري زهد
خواري، وازهد فيما بأيدي الناس من العواري وسر في اجتناب الحلو على سبيل
السَّوَا، وارفض دواعي الأهواء، وكن على الهَرَّاس شديد المراس، وثب على بايع
طبيخ الأعراس، ليثا مرهوب الافتراس، وأذب أطفال السوق في السوق، سيما من
كان قبل البلوغ والسُّبُوق، وصمم في استخراج الحقوق، والناس أصناف فمنهم: خيس يطمع
منك في إكلة، ومُسْتَعِدُّ عليك بوكزة أو ركلة، وحاسد في مطيئة تركب، وعطية تكسب،
فانخفض للحاسد جناحك، وسدَّد إلى حربه رماحك، وأشيع الخسيس منهم مرقعة دسمة فإنه
حق، ودمس له فيها عظما لعنه يحنق، واحفر نشريرهم حفرة عميقة، فإنه العدو حفيقة، حتى إذا
حصل، وعلمت أن وقت الانتصار قد وصل، فأوقع وأوجع ولا ترجع، وأولياؤه من حزب
الشيطان فأجع والحق أقوى، وإن نغفوا أقرب للتقوى. سدد الله إليك غرض التوفيق، وأعلقنا
من الحق بالسبب الوثيق، وجعل قدومك مقرونا برخص اللحم والزيت والدقيق بمنه وفضله^(١)

(١) لسان ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ١٩٧/٣-١٩٨

الملحق الثاني

في كتاب للحكم المستتصر في الحض على التمسك بمذهب مالك وزجر
مخالفيه

وكتب أمير المؤمنين أعزه الله إلى الوزير عيسى بن فطيس كتابا نسخته.
بسم الله الرحمن الرحيم يؤخذ برأي القاضي إسحاق وصاحب الصلاة
فجزاهم الله عن الدين والذب عن السنة خيرا، وقد صرفت الوثيقة لتكون في البيت،
ورأيت هذا الأمر قد كثر وكان ممنوعا مطرودا، فتقدم إلى القاضي والحكام بالأخذ
على أيدي الناس في هذا، فمن خالف مذهب مالك بن أنس - رحمه الله - بالفتوى أو
غيره وبلغني خبره أنزلت به من النكال ما يستحق وجعلته ثرادا، فقد اختبرت فيما
رأيت في الكتب أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب ولم نر في أصحابه ولا
من تقلد مذهبه غير السنة والجماعة فليتمسك بهذا ففيه النجاة إن شاء الله.
وبلغني أن قوما يفتنون بغير مذهب مالك بن أنس، وأنهم يرخصون في
الطلاق وغيره بمناكير من الفتوى، وكل من زاغ عن مذهب مالك، فإنه من رين
على قلبه؛ وزين له سوء عمله، فقد نظرت في أقاويل الفقهاء ورأيت ما صنف من
أخبارهم إلى يومنا هذا فلم أر مذهباً ولا أنقى ولا أبعد من الزيغ من مذهبه، وجلُّ
من يعتقد مذهباً من مذاهب الفقهاء؛ فإن فيهم الجهمي والرافضي والخارجي، إلا
مذهب مالك، فإني ما سمعت أن أحداً تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع،
فلا متمسك به نجاة إن شاء الله^(١).

(١) انظر النشر في المعيار العرب ٢/٢٣٢-٢٣٣

الملحق الثالث

كتاب الخليفة في التنديد بمذهب ابن مسرة وأتباعه

وأنفذ الخليفة الناصر لدين الله إلى آفاق ملكه بشأن هؤلاء المبتدعة كتاب طويلاً قرئ عليهم بأمصارعهم من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فإن الله تعالى جدُّه وعزُّ ذكره، جعل دين الإسلام أفضل الأديان، فأظهره وأعلاه ولم يقبل من عباده غيره، ولا - رضي الله عنه - منهم سواه، فقال في محكم تنزيله ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(١)، وقضى في محتوم أمره ونفاذ حكمه أن ينسخ به الديانات، ويختم برسالته الرسالات، فبعث محمداً خاتم النبيين وأكرم الأكرمين وأعزَّ الخلائق على رب العالمين بأن كتب الصلاة والسلام عليه في عرشه قبل أن يخلقه، واصطفاه لأمانته قبل أن يكونه، وأرسله بأفضل دين - سماه حنيفاً - إلى خير أمة اختارها وسطاً كما عزَّ من قائل - إذ عرفنا فضل ما هدانا إليه إليه من الدين وكرمنا به على سائر الأمم - ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢)

فله جلّ جلاله وتقدست أسماؤه، الشكر على خصائص هذه الفضيلة والحمد بالمئة الجلييلة فقد استنقذ من الغواية وهدى فأحسن الهداية، وأنار وأبان الحجة وكفانا بواضح المناهج مونة الفكر ونظم زمام الأمة وجمع وجوه السعادة العاجلة والنجاة الآجلة في تأليف الجماعة واجتناب نزعات الفرقة حيث يقول عزَّ وجهه لنبيه - المخصوص بهداه - صلى الله عليه وسلم - تحفياً به وبعباده ورحمة بسخطها على خير

(١) سورة آل عمران الآية/٨٥

(٢) سورة آل عمران الآية/١١٠

خلقه، وإعلاما لهم بتواصل الدين من قبله لأنبيائه وكراهة لاختلافهم بعد رسوله - صلى الله عليه وسلم - ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾^(١)، وخوف وحذر ونهي عن تفرق الكلمة ونه على البعد ونفي الله الخبائث عنها، وفضلها على سائر البلدان، واستقر فيها الدين كهيئته يوم أكمله الله لعباده، ولما استوسعت الطاعة وشملت النعمة وعمّ الأقطار بعدل أمير المؤمنين السكون والدعة، طلعت فرقة لا تبتغي خيرا ولا تأتمر رشدا، من طغام السواد، ومن ضعف آرائهم ومن خشونة الأوغاد... كتبنا لم يعرفوها ضلت فيها حلومهم وقصرت عنها علومهم، وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا وتفقهوا فيما لم يدركوا، واستولى عليهم الخذلان وأحل عليهم بخيله ورجله الشيطان؛ فزينوا لمن تحصيل لهم، ولقوم آمنين لا علم عندهم فقالا بخلق القرآن واستياسوا وأيسوا من روح الله ﴿إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾^(٢)، وأكثروا الخذلان في آيات الله وحرّفوا التأويل في حديث رسول الله صفرئت منهم الذمة بقوله تقدست أسماؤه ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلا فسوف يعلمون﴾ إلى قوله تعالى ﴿إذ الأغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾^(٣)، فهذا أبلغ الوعيد وأفظع النكال ﴿من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خذي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾^(٤) ثم تجاوزوا في البهتان وسدوا على أنفسهم أبواب الغفران، فأكذبوا التوبة وأبطلوا الشفاعة ونالوا محكم التنزيل وغامض متشابه التأويل بتقدير عقولهم، ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

(١) سورة الشورى الآية/١٣

(٢) سورة يوسف الآية/٨٧

(٣) سورة غافر من الآية/٦٩-٧٢

(٤) سورة الحج الآية/٨ - ٩

وابتغاء تأويله ﴿﴾ إلى قوله تعالى ﴿وما يتذكر إلا أولوا الباب﴾^(١) فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث وترك نهج السبيل، فأساؤوا الفهم عن العلوم، وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح، واستبدلوا على نقلة الحديث، ووضعوا من الكتب أوضاعها وتابعوا شهواتهم فيها، وتتابعوا فيما أوبقهم وورطهم ورأوا التخضع وحشية يحثها لازم الضلالة وداعية الهلكة والشذوذ عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ في دين ولا رسوخ في علم، حتى لتركوا رد السلام على المسلمين، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهليين، بخلافاً على أدب الله تعالى وقوله جل جلاله: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾^(٢)، وقالوا بالاعتزال عن العامة وشدوا أزرهفائره وانكشفوا فنكرهم ﴿الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه﴾^(٣)، فلهوا في جهالتهم وتاهوا في غيهم ونكسوا على رؤوسهم حقداً على الأمة الخنيفية واعتقاداً لبغضتها واستحلالاً لدمائها، وتذرعا إلى انتهاك حرمتها وسي ذرائعها، ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾^(٤)، لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم ونظره محيط بهم، ولما صار غيهم فاشياً وجهلهم شائعاً، واتصل بأمير المؤمنين من قدهم في الديانة وصدورهم عن الجادة ما شغل نفسه وأقصر مضجعه وأسهر ليله، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم، وأوعز إيعازاً شديداً وأنذر إنذاراً فظيعاً وعهد عهداً مؤكداً شافياً كافياً نظراً به لوجهه، تبارك اسمه وقدم فيه بين يدي العقاب الشديد.

وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم، ليقرع قلب الجاهل، ويفت كيد المستهتر الخائر، وينقض عزم المعاند المعاجل ويضطر الغواة إلى الإنابة الصحيحة التي تقبلها الله منهم أن يكشف عن الأذهان سرائرهم فيكون عليهم الشهيد ﴿وإنهم

(١) سورة آل عمران الآية/٧

(٢) سورة النساء الآية/٨٦

(٣) سورة الزمر الآية/١٨

(٤) سورة آل عمران الآية/١١٨

ءاتيههم عذاب غير مردود^(١)، ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره ويرسله في بدوه وحضره، وأن ينفذ عهوده إليك وإلى سائر قواده وجميع عماله بها، يقرأ على منابر المسلمين ولا يحرم القاصي بأعم الداني من تطهير هذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهة وفتنة فلم تحمل الديار ولا تعفت الآثار ولا استحق البلاء على قوم ولا أهلك الله أمة من الأمم إلا بمثل ما انكشف به هذه الطبقة الخبيثة من التبديل للسنّة والاعتداء في القرآن العظيم وأحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه وسلم هذا عند وروده عليك في الجامع قبلك وانشره في أسماء رعيتك، وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك وابث فيهم عيونك وطالب فيهم غورهم جهدك، فمن تجلى بطبقتهم أن انتسب إليهم وقامت عليه البيّنات بذلك عندك فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم ليعهد باستجلابهم إلى باب سدته، لينكلوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى حر صدره، وإياك أن تداهن في أهل الريّة وتتخطاهم إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة، فإن فرطت في أحد الأمرين أو كليهما فقد برئ الله وأحلّ دمك فاعلمه فاعتلمه إن شاء الله تعالى^(٢). ثم قال في جواب له لأبي إبراهيم وقد بلغني أن جماعة ولما نفذ عهد أمير المؤمنين - أعزه الله - بصلب أبي الشر هذا وظهر من سرور العامة والخاصة بذلك ما لم يظهر فيهم إلا أصبحوا إلى خلافته أعلاها الله، كتب إسحاق بن إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام على أمير المؤمنين وإمام المسلمين، ورحمة الله وبركاته، واخمد الله الذي لا يزال أمير المؤمنين سيدي وسيد المسلمين، بحمد الله بتوفيقه ويشد بصلوره في الخير بتأييده، والذي منّ عليه بأن كان أول دم أمر بسفكه في خلافته امتعاضاً له عز وحل ولكتابه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وغضباً على من استخف بعظمته واتخذ آياته ورسوله هزواً، وذلك من فضل الله عز وحل على أمير المؤمنين وعلى آبائه المهديين - رضي الله عنهم - الذين قفا آثارهم وسار بسبيلهم في غضبهم لله عز ذكره، وشدة انتقامهم له من الملحدين والمارقين والمبتدعين.

(١) سورة هود الآية/٧٦

(٢) ابن حيان القرطبي المقتبس ١/٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩

الملحق الرابع

في عملة الدقيق والخبر وباعتها

أما هؤلاء فأنصاف ومعلومهم يجمعون بين التجارة والصناعة، ومفسدوهم أهل جرأة و غش ولا يرتدعون إلا بما لم النكال وشديد العقاب، فمنهم باعته، ولمفسديهم خدع وغشوش. منها: أنهم يخلطون الطيب مع اللطيف، ويبيعون الجميع بسوم الطيب الذي قد رسمه عليهم المحتسب.

ومنها: أنهم يجعلون الطيب على اللطيف ليراه المشتري ثم يغرف له من الوسط ويعطيه وهو في غفلة عما في داخل الظاهر ويسمون ذلك المغفر.

ومنهم: من يخلط فيه النخال الدق بما فيه من الدق الشبيه بالسמיד وغير ذلك من الدلس، ثم يمضي إلى السقيف التي يباع فيها الدقيق انبراني، ويشترى فيها ربعا واحدا ويضعه في الجميع، فإذا وقف عليه المشتري وماله كيف يبيع الدقيق يقول له الآن - والله - اشترته بسوم كذا ويبيع الجميع على ذلك السوم، ويعتقد المشتري أجد إليه بأن أعطاه إياه بسوم ما اشتراه إلى غير ذلك من الخدع.

وشأن المحتسب مع هؤلاء الأصناف الموالة في البحث والتفتق في غير وقت معلوم وبمسك عنده غربالا قد اتفق عليه عند الوقوف على التعبير، وعملة القيمة بمائل غرابيل الدقيق يحتر عليهم مخافة أن يتركوا المتفق عليه ويعمل بغيره ويدعي الفاعل العمل بما اتفق عليه، وكذلك عمود وميزان وصنوج وعمارة أكبال ودور دوم للاختبار فمضى وجد شيئا على شيئا على غير قاعدة نكل فاعله، ويأخذ عملة الخبز يغسل معانهم كل يوم، وغسل مناديلهم وتثقيفها بالليل، فقد وجدوا فيها يرقدون، ويمتنعهم من العمل قبل الفجر لما يمكن في ذلك الوقت من قلة التحفظ لحدثان القيام من النوم ويعتصمهم على الاغتسال في أكثر الأوقات، وغسل رؤوسهم ولا سيما في فصل الصيف كذلك أواني مائه (١).

(١) الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي في آداب الحسبة

الملحق الخامس

في باعة العبيد والخدم

أما هؤلاء فقوم خطبهم جليل، وأمرهم ليس بالمختصر، ولا القليل، وذلك أنهم يتصرفون بين الأنساب والأموال، ويأتي مفسدهم بما لا يقتضيه الشرع، ولا تعره نفس مؤمن، ولا ترتضيه بحال، ولهم في شأنهم خدع ومكر يعاملون الناس بها ويداخلونهم بحسبها، منها:

أنهم ينصبون سوقهم امرأة يسمونها الأمانة توافق في النكر مذهبهم وتشهد في استبراء الخدم بمقتضى مرادهم وبحسب ما يعطي مشتريهن ويقصد التعجيل بالاجتماع بهن، وتفهمه من غرضه فيهن، وكذلك في إخفاء العيوب، والترك للتعريف بكنهها حتى تمكن الحيلة فيها والتدليس بها، ويتوصل المفسدون بمشاركتها إلى ما لم يكونوا يقدرون عليه دونها، وذلك أنها تحمل المرتفعات متينات معطرات إلى ديار من يطلبهن باسم الشراء ويوهم بإرادة التقلب والاختبار، ولا سيما ذوات الصناعات منهن وتقيم يومها بهن؛ لاختبار صنعتها، فيعطيهما على وجه الشكر لها والجزاء على تهممها، مع أنها أجرة على البيع والشراء إذا كان يوضع لها في العطاء بحسب ماليته وشرهه في إرادته ويستعد الطعام والشراب بالأربع والخمس منهن، وما تقتضيه الصنعة المطلوبة فيهن ويقمن على ذلك.

طريقة الاحتساب على هؤلاء

وشأن المحتسب مع هؤلاء أن يقدم أمانة من ثقات المسلمين الخيار أهل الدين والمروءات يؤمن منها مكر ذلك الصنف من الخناسين وخدعهم، ويمنعون من أمهاتها كل الأحيان قصد الإدلال عليها وتمكن الحيلة في خدعها، وتكون الخدم عندها تشاهد أحوالهن، ومناقلها وتعرف بصحيحها من معتلها، ويتقدروا إليها ألا تحمل جارية من المرتفات إلى دار أحد للتقلب والاختبار إلا أن يكون سيدها يتناول ذلك

بنفسه، أو يحضر لذلك مع مشتربيها بدار الأمانة المذكورة أو غيرها، ويمتنع من تشويق المرتفات، أو خدم يصلح للاتخاذ إلا في ستر، ويمحضر شادتهن، والتجار المعنيين المعلومين بالتجارة فيهن، ويختبرن فيما يدعين أنهن بحسنه من أنواع الصناعات^(١).

(١) السقطي في آداب الحبة ص/٦٣-٧١.

الملحق السادس

المحتسب

يجب للقاضي أن لا يقدم محتسباً إلا أن يُعلم الرئيس بذلك؛ لتكون للقاضي حجة عليه إن أراد أن يعزله أو يبقه ويجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً، خيراً، ورعاً، عالماً، غنياً، نبيلاً، عارفاً، عثكاً، فطناً، لا يميل ولا يرتشي، فتسقط هيئته ويستخف به، ولا يعبا به ويتوبخ معه المتقدم له، ولا يستعمل في ذلك خساس الناس؛ ولا من يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل والمهونة؛ لأنه لا يهاب إلا من كان له مال وحسب.

والاحتساب أخو القضاء؛ فلذلك يجب أن يكون إلا من أمثال الناس، وهو لسان القاضي وحاجبه، ووزيره، وخليفته، وإن اعتذر القاضي؛ فهو يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته، ويضرب له أجرة من يت المال تقوم به، فينصفه القاضي. فمن ذلك: أن يعضده ويحميه، ويشده، ويقوم معه، ويمضي أحكامه، وأفعله، ولا يعكس عليه أمراً، ولا يسلمه، ويمنع عليه جهده؛ لأنه يكفي القاضي أموراً كثيرة مما عسى أن يكون نظرها للقاضي، فيكفيه التعب والشغب والامتهان مع عامة الناس وخساسهم، والعناة والجهال من ضروب الصنائع والعمال، فهو لسان القاضي، والحاجة إليه ضرورية؛ لأن الناس معوجون، مغالبون، إرار؛ فإهمالهم وتضييع أمورهم، تفسد السياسة، وتفتح أبواباً من الفساد كثيرة، ورُم الشيء خير من إهماله، كاثوب الخلق، إذا رُم، استمتع به بعض الاستمتاع، وإن أمهل هلك سريعاً.

وهذا الباب إذا أحكم ربطه، صلح به العالم والرئيس والناس أجمعون؛ لأن في هذا الباب تدخل إقامة أبواب من الدين، من الفرائض، والسنن، ومن عملي الأبدان والصناعات، ومما يعيش منه الإنسان، وهذه هي أحوال الناس كلهم؛ لأن حكمه

ونظره ليس في رقاب الأموال، وفي الباب من الخصام، إلا فيما يلزم الإنسان من
شريعة الإسلام، انظر هذا، تجده صحيحاً، يا إنسان^(١).

(١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمختب، تحقيق ليفي بروفنسال، ص/ ٢٠-٢١

الملحق السابع

صلاة الجمعة

شهود الجمعة فريضة؛ لأن الله تعالى أمر بالسعي إليها فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فالجمعة حق عليه إلا عبد، أو صبي، أو مسافر، فمن استغنى بلهو أو شراء أو تجارة، استغنى الله عنه، والله غني حميد، وتاركها من غير عذر أشد حالا من تارك الصلاة؛ لأن الصلاة يقضيها بمثلها، والجمعة لا يقضيها بمثلها)

ومن الواضحة قال مالك: (ومن ترك الجمعة مرارا بغير عذر ولا علة، لم تجز شهادته، ولا إمامته، ولم أرغب في الصلاة إذا مات)

وأرخص النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عنها لمن مات عنده ميت واشتغل بجنائزته، وأرخص مالك وغيره في التخلف عنها لمن عنده مريض يلزمه أمره يخشى عليه الموت، كما أرخص بعض التابعين لمن بلغه وهو في المسجد والإمام يخطب أن أباه وجع يخشى عليه الموت أن يخرج إليه ويدع الجمعة.

قال ابن عبد الرؤوف: فإذا نودي لها، وجب على الناظر في الحسبة أن يمنع الناس عن الصلاة في الحوانيت، والدور، والمساطب، وجميع ما يأخذ حجرة أو ثقاف، وينهى عن ذلك، فإن لم ينتهوا أذَّبوا^(٢).

(١) سورة الجمعة الآيتين/٩-١٠

(٢) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص/٧٥

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس المدن والأماكن
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية			
الآية	رقمها	السورة	الصفحة
وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مَبْتَغِيَهُمْ	البقرة	١٢٠	٥٣٦
الْحَيُّ الْقَيُّومُ	٢٥٥	البقرة	١٦٧، ١٦٤
الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيْعٌ بِإِحْسَانٍ	٢٢٩	البقرة	٢٩٤
فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.....	١٨١	البقرة	١٧٥، ١٧١
فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أُخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ	١٧٨	البقرة	٢٩٤
قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى	٢٣٣	البقرة	٢٩٤
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا	١٨٠	البقرة	٢٩٤
مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَهَا نَأْتَ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا	١٠٦	البقرة	٢٢٥، ٢٥٩، ٣٣٨، ٤٥٨
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا	٢٧٥	البقرة	٤٦١
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ	١٩٠	البقرة	٢٨٧، ٢٦٣
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ	٢٢٨	البقرة	٢٩٤
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ	١٠٢	آل عمران	٤٥٨
وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا	١٠٣	آل عمران	٥٣٩، ٥٦١
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ	١٩	آل عمران	٥٦١
وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَلْوَا الْأَلْبَابِ	٧	آل عمران	٥٧١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ.....	١٧	آل عمران	١٩٠
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ.... وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ	٧	آل عمران	٥٧٠، ٥٧٢
قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ.....	١١٨	آل عمران	٥٧١، ٥٧٢
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....	١١٠	آل عمران	٧٩، ٧٧، ٥٧٠
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ.....	١١٠	آل عمران	٥٥٤، ٢٩٢، ٣٢، ٣١
لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ١١٤	١١٣، ١١٤	آل عمران	٨٢، ٣٥
وَبِذَلِكَ الْيَوْمِ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ	١٤٠	آل عمران	١٩٨، ١٩٥
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا	١٦٩	آل عمران	٣٦٥، ٣٦٤، ٣٨٩
وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	١٠٤	آل عمران	٧٢، ٣٢١، ٣٣، ٢٦ ٢٩٩، ٧٩، ٧٥
وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	٨٥	آل عمران	٥٦٩، ٥٦١، ٥٧٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ	١٠٢	آل عمران	٣، ٣٥٨، ٢٢٥، ٣ ٤٥٨
وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَخَبُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا	٨٦	النساء	٥٧١، ٥٧٢

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُمْ	٣٤	النساء	١٧٨، ١٧٤
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...	١	النساء	٣، ٢
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ	٥٩	النساء	٤٣، ٤٣٠، ٤١٨، ٤١٧ ٤٢٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٧
فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ	٤٢	المائدة	٤٧٤، ٤٠٣
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.....	٧٨، ٧٩	المائدة	٨٢، ٥٦٦، ٣٢١، ٣٦ ٥٦٥، ٢٩٩
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ	٢	المائدة	٥٦١
وَلَنُنَذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا	٩٢	الأنعام	٣٨٦
الَّذِينَ عَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ	٨٢	الأنعام	٥٦٠
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ	١٥٧	الأعراف	٢٥١، ٧٩، ٣٣
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ	١٥٧	الأعراف	١٦٥، ١٦١
فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ	٣٠	الأعراف	١٥٩، ١٥٤
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	١٣	الأنفال	٣١١، ٣٣٢
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ	٦٠	الأنفال	٥٥٧
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ	١١١	التوبة	٣٨٢
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ	١٢٢	التوبة	٤٣٨
الْمُتَّيِّبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ...	١١٢	التوبة	٨٠، ٣٣

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	٦٧	التوبة	٨٢، ٢٦
قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ	٢٩	التوبة	٣٦، ٥٦١، ٤٠٢، ٣٨٧ ٤٧٣، ٣
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	٧١	التوبة	٥٦٦، ١١٥، ٣٢، ٣٠ ٥٦٥، ١٢١، ٨٠، ٧٦
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً	٣٦	التوبة	٣٦٤، ٣٦٣، ٣٨٨
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً	١٢٢	التوبة	٧٣، ٢٠٦، ٢٧
إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ	٨٨	هود	٨
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بِقِيَّةٍ	١١٦، ١١٧	هود	٨٢، ٣٥
وَأَنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ	٧٦	هود	٥٧٢، ٥٧٣
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ.....	١١٨، ١١٩	هود	١٥٩، ١٥٤
إِنَّهُ لَا يَنفَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ	٨٧	يوسف	٥٧٠، ٥٧١
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ	١٠٨	يوسف	٥٣١، ٥٣٠
يُتَخَرِّجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	١	إبراهيم	٣٨٦
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	٩٤	الحجر	٣٨٦
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا	٤٧	الحجر	١٩٦، ١٩٤
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى	١١٤	النحل	٢٩٤

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.....	١٢٥	النحل	٥٣١، ٥٣٠
فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	٤٣	النحل	١٩٠
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ	٣٦	النحل	١٥٤، ١٤٩
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا	١١٤	طه	٤٣٨، ٢٠٥
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ	٢٥	الأنبياء	١٥٤، ١٤٩
الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ.....	٤١	الحج	٨، ٧٤، ٥، ٥٦٦، ٢٨، ٥ ٥٦٥، ١
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ	٣٠	الحج	٢٩
وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	٤١، ٤٠	الحج	٨٠، ٣٤
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِي	٩-٨	الحج	٥٧٠، ٥٧١
عِطْفِهِ.....			
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ	٩	الحج	٥٧٠
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.	٣٠	الحج	٧٥
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ	٣٩	الحج	٣٦٣
رِحَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِخَارَةً وَلَا تَبِعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ	٣٧	النور	٤٦٢

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا.....	٦٣	النور	١٦١، ١٦٥
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ	٢١	النور	٢٩٥
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ.....	٧	الفرقان	٤٦٢
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ...	١٩	النمل	٥٦٣
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا.....	٧٧	القصص	٤٦١
بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ.....	٤٩	العنكبوت	١٩٠
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	٣٠	الروم	٥٠٨، ٣٨٢
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ	٣٠	الروم	٣١٦، ٣٤٣، ٣٣٧، ٣٢٣
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا....	٥٧	الأحزاب	١٦١، ١٦٥
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ	٣٦	الأحزاب	٢٠٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا	٨٢	الأحزاب	٣، ٢

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا	٦	فاطر	٥٣٠
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	٢٨	فاطر	١٩١
فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَحْذَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ	٥١	يس	٣٠٦، ٣٢٧
قُلْ عَلَىٰ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا	٨	الزمر	١٩٠
يَعْلَمُونَ			
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ	١٨	الزمر	٥٧١
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ	٢٨	غافر	٣١٦، ٣٤٤، ٣٣٧
			٣٢٤،
إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَامِلُ	٧١ -	غافر	٥٧٠، ٥٧١
يُسْحَبُونَ	٧٢		
أَلَمْ تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ	٦٩	غافر	٥٧٠، ٥٧١
اللَّهِ أَنِّي يُضْرَفُونَ.....			
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ	٧٠	غافر	٥٧١
رُسُلَنَا			
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ	٣	غافر	١٦٣، ١٥٩
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ	٣٣	فصلت	٥٥٨، ٥٥٧
وَعَمِلَ صَالِحًا.....			
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا	١٣	الشورى	٥٧٠، ٥٧١
فَرِيقًا فِي الْحَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي السَّعِيرِ	٤٢	الشورى	٣٠٦، ٣٢٧
وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا	٣٣	الزخرف	٤٢٩، ٤٣١
لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَانِ لِيُوتِيَهُمْ سَقْفًا مِنْ			
فُضَّةٍ			
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ	٧	محمد ﷺ	٨٢، ٣٥
لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ	٩	الفتح	١٦٥، ١٦١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ.....	٢	الحجرات	١٦١، ١٦٥
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	١٣	الحجرات	٥٦١
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٢٢	المجادلة	٣٢٢، ٣١١
إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً	٢	المتحنة	٥٣٦، ٥٤٠
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ	٩	الصف	٥٥٨، ٥٥٨
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ	٦	الصف	٣٦٠، ٣٤٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ...	١٠- ١١	الصف	٥٥٨، ٥٥٨
نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ	١٠، ٩	الجمعة	٥٧٨
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ	١٦	التغابن	٢٢٥، ٣٥٨، ٤١٨، ٢٠٧، ٣٣٨، ٤٥٨
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	٤	القلم	١٧٦
وَأَخْرَوْا يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُتَقَفُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.....	٢٠	المزمل	٤٦١
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ لِلَّهِ	١٩	الانفطار	١٤١، ١٤٦
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ	٤	الشرح	١٦١، ١٦٥
أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ	٦	البينة	١٩١
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا	١	العاديات	٣٢٧، ٣٠٧

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
٤٧٤،٤٠٣	أخذ الجزية من بحوس هجر.
٢٥٣،٣٠٤	إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف وذا الحاجة.
٣٦٥،٣٨٩	أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش
٣٠٤	أقيموا صفوفكم -ثلاثا- والله لتقيم صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم.
١٨٢،١٧٨	ألا أخبركم بأحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلسا؟ ...
٢٥٤،٣٠٦	أمرني رسول الله ﷺ أن آتية بمدية -وهي الشفرة- فأتيته بها فأرسل بها فأهرقت ثم أعطانيتها
٣٦٦،٣٩٠	أن رجلا أعرايا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم..
٣٥٤،٣٠٥	أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بلالا.... فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟»
٣٤٤،٣٦٤	ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
٣٤٤	ابني هذا سيد..
٢٥٣،٣٠٥	اتقوا اللعائن ، قالوا يا رسول الله وما اللعائن؟....
١٧٣	اتقوا الله في النساء فإنما أخذتموهن بأمانة الله ...
٢٥٣،٣٠٤	اجلس فقد أذيت وآتيت.
٣١٤	احتج آدم وموسى....
٤٦٢	التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء.
٢٠٨،٥٣١،٤١٩	الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله...

طرف الحديث	الصفحة
العلماء ورثة الأنبياء...	١٩١
المدينة حرام، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله....	٣٣٢
المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان..	١٢١، ١١٥
بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة .	٥٣١
بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة...	٢٠٨، ٤١٩
تضمن الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيله.	٣٦٤، ٣٨٨
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟	٥٤٢
جاء رجل بناقعة مخطوطة فقال هذه في سبيل الله...	٣٦٦، ٣٩٠
خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حين فمررونا بسدرة	٢٥٢، ٣٠٣
خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم	٧٧، ٣٢١، ٣١
دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه	٢٠٦
رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء من الطريق أو بالطريق....	٢٥٣، ٣٠٤
سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله وحسن الخلق»	١٨١، ١٧٧
سئل النبي ﷺ عن أفضل الكسب قال ﷺ بيع مبرور وعمل الرجل بيده	٤٦١
على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره	٢٠٩
على المرء المسلم السمع والطاعة....	٢٠٩، ٥٣٩
فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ أوعى من السامع.	٥٣١
قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟	٣٩٢

الصفحة	طرف الحديث
٢٥٤،٣٠٦	كان رسول الله ﷺ في جنازة ، فقال : أيكم ينطلق إلى المدينة....؟
١٨٢،١٧٨	كرم المرء دينه، ومرءته تعلمه، وحسبه خلقه..
١٦٣	كل بدعة ضلالة..
١٨٥	كل مسكر خمر، وكل خمر حرام..
٢٠٨،٤١٩	كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة
٢٩٩،٣٢١	لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم...
٢٥٢،٣٠٣	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا.
١٢٠،١١٤	لن يفلح قوم ونوا أمرهم امرأة.
٢٠٩	لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة
١٢٠،١١٥	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء..
١٨١،١٧٧	ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق...
٣٦٥،٣٨٩	ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا...
٣٦٥،٣٨٩	ما يعدل الجهاد، قال: لا تستطيعوه ، قال فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا....
٣٧	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها....
٥٦١	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
٢٥٢،٣٠٣	من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة...
٣٠٣	من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ
٢٠٦،٤٣٧،٤١٧	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله....
٢٥٢،٣٠٤	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.

طرف الحديث	الصفحة
من حمل علينا السلاح فليس منا.....	٣٠٦، ٣٢٧
من رأى من أميري شيئا يكرهه فليصبر عليه.	٢٠٦، ٤٣٧، ٤١٧
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده.../٧٢	٢٩٩، ٤٢٠، ٣٦، ٢٦ ٢٠٩،
من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منزل الشهداء وإن مات في فراشه..	٣٦٦ ، ٣٩٠
من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة.	١٩٤، ٢٠٦، ١٩١
من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له	٦١، ١٤
من صنع إليه معروف فقال لفاعله....	١١
من لم يشكر الناس لا يشكر الله	١١
من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق.	٣٦٦، ٣٩٠
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.	١٩٤، ١٩١
نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أدأها ...	٥٣١
نهى رسول الله ﷺ عن نكاح السر.	١٧٣
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي	٣٦٧ ، ٣٩١
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر.....	٣٦
ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء	٢٥٣
يا رسول الله علام نبأبعك؟ قال:	٨٤، ٣٧

فهرس الآثار

الآثر	الصفحة
إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ... (عمر بن عبد العزيز)	٨٤،٣٨
حين سئل عن ميت الأحياء فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه . (حذيفة بن اليمان)	٨٤،٣٨
عن عبد الله بن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال: (هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى) (ابن المبارك)	١٨١
كل من ذلّ لغير الله فهو والكلب سواء (إبراهيم بن أدهم)	٨٥،٣٩
لا. والله ، لا أفعل ولأواسيكم بنفسي. (أبو بكر)	
من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.... (أبو عبد الرحمن العمري)	٨٥،٣٨
من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها (عمر)	٧٩،٣٢
يا أيها الناس اتتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر . (أبو بكر)	٨٤،٣٨

فهرس المدن والأماكن

المدينة أو المكان	الصفحة
أربونة	٣٩.
أسانيا	٦: ٣٦، ٣٨، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ٢٢٦، ٤٧٠، ٥١١.
إشبيلية	٣٠: ٥٦، ٥٧، ٩٧، ١٥٨، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٤، ٢١٨، ٢٨٧.
	٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٤٣٠، ٤٤٥، ٤٥٠، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٢٢.
إغراقا	٤٢٨.
أغمات	٥٣.
إفريقيا	٤٦٩، ٤٥٥، ٣٦٨، ٢٧٠، ٢٦٨، ٩١، ٨٧، ٥٢، ٢٢.
أكريسيف	٢٧٨.
إلبيرة	٥٠٢، ٩٢.
أهل الشرق	٥٤٥، ٣٥١، ٣٤٩.
أوروبا	٥٥٠، ٥٣٠، ٥٢٨، ٤٦٤، ٣٨٦، ٣٧٩، ٣٦٩، ٢٥٨، ١١٦، ٥٥٧.
استحه	٣٨١، ٣٠٥، ٣٠٤.
استكوتلندا	٢٣٠.
استنبول	٢٦٢.
الإسكندرية	٤٤٠.
الأندلس	٤: ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٧١، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢.

١٥٠٠ ١٤٧٠ ١٤٦٠ ١٤٥٠ ١٤٤٠ ١٤٣٠ ١٤٢٠ ١٤١٠ ١٣٨٠ ٢٣٧٠ ٢٣٦٠ ١٣٥٠ ١٣٢٠
 ١٧١٠ ١٦٨٠ ١٦٧٠ ١٦٦٠ ١٦٥٠ ١٥٩٠ ١٥٨٠ ١٥٧٠ ١٥٦٠ ١٥٥٠ ١٥٤٠ ١٥١٠
 ١٩٧٠ ١٨٩٠ ١٨٨٠ ١٨٧٠ ١٨٦٠ ١٨٥٠ ١٨٣٠ ١٨٢٠ ١٨٠٠ ١٧٥٠ ١٧٤٠ ١٧٢٠
 ٢٣٢٠ ٢٢٩٠ ٢٢٦٠ ٢١٧٠ ٢١٦٠ ٢١٥٠ ٢١١٠ ٢١٠٠ ٢٠٤٠ ٢٠١٠ ٢٠٠٠ ١٩٩٠
 ٢٨٥٠ ٢٨٤٠ ٢٨٣٠ ٢٧٥٠ ٢٧٣٠ ٢٧١٠ ٢٦٩٠ ٢٦٨٠ ٢٥٨٠ ٢٤٨٠ ٢٤٤٠ ٢٣٥٠
 ٢٠٩٠ ٢٠٣٠ ٢٠٠٠ ٢٩٧٠ ٢٩٦٠ ٢٩٥٠ ٢٩٤٠ ٢٩١٠ ٢٩٠٠ ٢٨٩٠ ٢٨٨٠ ٢٨٦٠
 ٢٢٦٠ ٢٢٥٠ ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢١٩٠ ٢١٨٠ ٢١٧٠ ٢١٦٠ ٢١٥٠ ٢١٤٠
 ٢٤٧٠ ٢٤٦٠ ٢٤٥٠ ٢٢٨٠ ٢٢٧٠ ٢٢٥٠ ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢٢٠٠ ٢٢٨٠
 ٢٧٢٠ ٢٧١٠ ٢٧٠٠ ٢٦٩٠ ٢٦٨٠ ٢٦٧٠ ٢٥٩٠ ٢٥٧٠ ٢٥٦٠ ٢٥١٠ ٢٤٩٠ ٢٤٨٠
 ٤٢٦٠ ٤٢٥٠ ٤٢٤٠ ٤٢١٠ ٤٢٠٠ ٤٢٨٠ ٤٢٧٠ ٤٢١٠ ٤٠١٠ ٢٧٧٠ ٢٧٦٠ ٢٧٤٠
 ٤٢٠ ٤٥١٠ ٤٥٠٠ ٤٤٩٠ ٤٤٨٠ ٤٤٧٠ ٤٤٤٠ ٤٤٣٠ ٤٤١٠ ٤٤٠٠ ٤٣٩٠ ٤٣٧٠
 ٤٦٦٠ ٤٦٥٠ ٤٦٤٠ ٤٦٣٠ ٤٦١٠ ٤٦٠٠ ٤٥٩٠ ٤٥٨٠ ٤٥٦٠ ٤٥٥٠ ٤٥٤٠ ٤٥٣٠
 ٤٩٨٠ ٤٩٣٠ ٤٩١٠ ٤٨٩٠ ٤٨٧٠ ٤٨٤٠ ٤٨٢٠ ٤٧٧٠ ٤٧٥٠ ٤٧٠٠ ٤٦٩٠ ٤٦٧٠
 ٥١٧٠ ٥١٤٠ ٥١٣٠ ٥١٢٠ ٥١١٠ ٥٠٩٠ ٥٠٨٠ ٥٠٧٠ ٥٠٣٠ ٥٠٢٠ ٥٠١٠ ٤٩٩٠
 ٥٣٦٠ ٥٣٣٠ ٥٣٢٠ ٥٣١٠ ٥٣٠٠ ٥٢٨٠ ٥٢٦٠ ٥٢٤٠ ٥٢٣٠ ٥٢٠٠ ٥١٩٠ ٥١٨٠
 ٥٥٥٠ ٥٥٤٠ ٥٥١٠ ٥٥٠٠ ٥٤٦٠ ٥٤٥٠ ٥٤٣٠ ٥٤٢٠ ٥٤٠٠ ٥٣٩٠ ٥٣٨٠ ٥٣٧٠
 . ٥٦٥٠ ٥٦٤٠ ٥٦٣٠ ٥٦٢٠ ٥٥٩٠ ٥٥٨٠ ٥٥٧٠

٤٧٤

البحرين

. ٤٩٠ ٣٩

البرت

. ٢٥٨٠ ٤٤٠

البصرة

. ٥٣٦

البلقان

. ٥٣٦

البوسنة والهرسك

. ٢٥٧

الترك

. ٣٣

الجزيرة

. ٥١١٠ ٢٤٨

الجزيرة الأندلس

الجزيرة الخضراء	٤٣٦، ٣١٨، ٩٢، ٣٨
الجوزة	٣٥٥
الحجاز	٤٣٧، ٤١٩، ٢٨٦، ١٦٣، ١١٠، ١٠٩
	٤٤٠، ٤٣٩
الحرمين	٢٥٩، ٥٣
الروم	٣٧٠، ٢٥٧
الرومان	٦
الرياض	٥٣٠، ٢٣٠
الزلاقة	٥٣
الزهراء	٤٢٩، ٤٢٨، ٣٦٩، ٢١٧، ٤٨
السوس	٢٧٨، ٢٢٦، ٢٢٢، ٥٥
الشام	٤٣٧، ١٩٥، ١٦٣، ١٠٧، ١٠٤، ٤٣
	٤٣٩
العراق	٣٢٦، ٣٢٥، ٢٨٦، ١٨٩، ١٦٣، ٣
	٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٧
الفسطاط	٢٨٠
القاهرة	١٩٥، ٢٧٦، ٤٤٠
القاهرة	٢٤٣، ٤٤٠، ٤٥١
القيروان	٤٤٠، ٣٣٠، ٣١٤، ٢٦٩، ٢٢٢، ٢٨
	٤٤٦
الكوفة	٢٩٠، ٤٤٠
المدينة المنورة	١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١٠، ١٠٩، ١٦
	٤٤١، ٤٤٠، ٤٣٧، ٣٦٤، ٣٦٣، ٣١١، ٢٦٨، ٢٥٧، ٢٥٥، ١٦٤، ١٦١
المرية	٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥١، ٣١٠، ٥٨
	٣٨٨، ٣٧٣

المشرق ٢٧ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٢
 ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٩٦ ، ٤١٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ،
 . ٥٠٠ ،

المغرب ١٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ،
 ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٧ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٦٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٦٨ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٣٧ ، ٤٣٧ ، ٤٥٥ ،
 . ٥٦٤ ، ٤٩٨ ،

المغرب الأوسط ٢٦٩ ، ٣٠٨ .

المملكة المتحدة ٢٣٠ .

الموصل ٤٤٢ .

النصرية ٤٥٦ .

اليمن ٤٤٦ ، ٤٣٨ .

باحية ٣٥٩ .

بريشتر ٥١٣ .

بظليوس ٣٧١ ، ٣١٢ ، ٣١٠ .

بغداد ٥٢٠ ، ٥١٩ ، ٥١٣ ، ٤٦٠ ، ٤٥١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٠ .

بلنسية ٥١٢ ، ٥٠١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٣٨٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٤٨ .

بواتية ٣٦٨ .

تاهرت ٣١٨ ، ٢٦٩ .

تلمسان ٤٩٤ .

تونس ٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٤٣٧ ، ٢٨٦ ، ٢٦٩ .

جبل طارق ٣٧ ، ٣٨٤ .

جبل عرفة ٣٦ .

جزيرة العرب	٣٦٣ .
جزيرة شقر	٣٤٨ .
حصن الأراك	٣٧٨، ٣٨٩ .
دمشق	٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٤، ١٠٤، ٤٨٩
٥٥٤، ٥٠٣ .	
رأس القنطرة	٣١٣ .
رباط	٣٨ .
سته	٣٦ .
سرقطة	٣٩، ٣٧٤، ٣٢٢، ٣٢٠، ٣١٢، ٩٢ .
سياء	٤٤٠
شاطبة	٣٧٥
شبه الجزيرة الأندلسية	٣٨٤ .
شرق الأندلس	٣٥٥، ٣٥١، ٣٢٣، ٢٤٧ .
شلب	٣٥٩ .
شمال إفريقيا	٢٦٩ .
شمال إفريقية	٣٥، ٣٦، ٤٣، ٥٠، ٤٣٩، ٣٢٤، ٣٢٢ .
طلمنكة	٤٨٧ .
طليطلة	٣٨، ٣٠٩، ٣١٠، ١٣٤، ٣١٢، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨٩، ٤٣٠، ٤٤٦
٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١ .	
طنجة	٣٦ .
غرناطة	٣١، ٣٤، ٥٨، ١٥٠، ٢٣٦، ٣٢٩
٣٣١، ٣٤٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٤٧، ٤٥٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٩٦، ٤٩٧	
٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥١٩ .	
فارس	٤٧٤ .
فاس	٤٩٨، ٤٩٤، ٤٦٩، ٢٧٨ .

فرنسا	٣٦٨، ٤١، ٣٩
قبرة	١٥٠
قبرة	٣٠٤:٤٠٥ ، ٥٠
قرطبة	١٣٠ ، ١١٥ ، ١٠٦ ، ٩٧ ، ٩٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٣
	١٨٧ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٦٠ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٢ ، ١٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٢١٥ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ٢٢٨ ، ٢١٨ ، ٣٤٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٢ ، ٣١٤ ، ٣١٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٢٨٦ ، ٤٣٤ ، ٤٣٢ ، ٤٢٩ ، ٤٢٣ ، ٤١٥ ، ٣٨٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥ ٥٠٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٦٦ ، ٥٢٣ ،
قرمونة	٣٩
قشالة	٥٦، ٣٧١
قطر مرتلة	٣٥٥
قنطرة	١٨٣
كورة	٣٠٤
لبلة	٣٥٩
لشيرة	٣٧٧
ماركش	٣٥٦
مالقة	٥٦٧ ، ٥٦٧ ، ٣٥٦ ، ٣٤٨ ، ٣٣١
مالقة	٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٩٧ ، ٥٨
مدينة سالم	١٤٨
مراكش	٢٧١: ٥٣
مرشية	٤٩٦ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣١٠

مصر	١١٢، ١٤١، ١٦٣، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١
٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٢٥، ٤٦١، ٥٦٤ .	
معركة أقليس	٣٧٤
مكة	٤٣٧، ٤٤٠ .
مكناسة	٢٧٨ .
مليلة	٣٣٠ .
ميرتلة	٣٥٨ .
مجر	٤٧٤
واشبة	٣١٠ .
ولية	٣٥٩ .

فهرس الأعلام

آدم ٣٣٤ , ٣٤٤

- أبا الحكم بن يرجان..... ٣٥٥
- أبا عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال..... ١٤٩
- أبا عمر الطلمنكي..... ٣١٨
- أبا نصر..... ٣٨
- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي..... ٤٤٠
- أبو الأصبغ..... ١٦٣ , ٢٢٨ , ٤٧٣ , ٤٧٥ , ٤٩١ , ٤٩٤
- أبو السعود..... ٧٣
- أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأنصاري..... ٢٧٩
- أبو العباس أحمد بن يونس..... ١٤٧
- أبو القاسم أحمد بن قيسي..... ٣٥٦
- أبو القاسم بن فيرة..... ٤٤٨
- أبو القاسم عبد الجبار البجائي الأستاذ العدوي..... ٣٤٧
- أبو بكر الجصاص..... ٧٢
- أبو بكر الخطيب..... ٤٤٠
- أبو بكر بن العربي..... ٤٤٩ , ٥٥
- أبو بكر بن غاره..... ٣٤٧
- أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري..... ١٥٠
- أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي..... ٣٥٠
- أبو بكر محمد بن عبد الملك..... ١٨٥
- أبو بكر محمد بن يحيى..... ١٤٨
- أبو ثمامة بكر بن سودة..... ٩٠

أبو جعفر أحمد القصري القيرواني.....	٢٢١
أبو حيان.....	٧٨
أبو زيد.....	٣١٢ , ٢٩٤ , ٦٧
أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي.....	٢٩٤
أبو عامر محمد بن عبد الله.....	٤٦١
أبو عبد الرحمن العمري.....	٨٤
أبو عبد الرحمن عبد الله.....	٩٠
أبو عبد الله الخشني.....	٤٥٥ , ٣٣٧ , ٢١٤
أبو عبد الله بن رشيد.....	٣٥٩
أبو عبد الله محمد بن حارث.....	١٤٦
أبو عبد الله محمد بن خالد.....	١٤٥
أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالسيوقي.....	٣٥٠
أبو عبد الله محمد بن مسعود الفساني.....	٣١٥
أبو عبد الله محمد بن يوسف.....	٥٧
أبو علي حسن بن محمد بن ذكوان.....	١٤٧
أبو عمر أحمد بن هاشم الإشبيلي.....	١٦٣
أبو عمر الداني.....	٤٤٨
أبو عمر المقامي يوسف بن يحيى الدوسي.....	٤٤٤
أبو عمر بن عبد البر.....	٤٤٠ , ٣٢٩ , ٢١٣
أبو محمد بن حزم.....	٤٤٠ , ٣٤١ , ٣٤٠
أبو محمد عبد الله بن العسال.....	٥١
أبو واقد الليثي - رضي الله عنه.....	٢٥١
أبو يوسف يعقوب.....	٤٦٧
أبي البسام.....	٢٣
أبي الخير.....	٥٣١ , ٣١٠ , ٣٠٤

أبي القاسم عبد الرحمن	٥٥٢ , ٤٤٠
أبي المطرف	٤٣
أبي الوليد الباجي	١٩٩ , ٥١
أبي بكر الزبيدي	٣١
أبي بكر الصديق	٨٣
أبي جعفر السمناني	٥٥٢ , ٤٤٠
أبي حامد الغزالي	٦٤
أبي ذر	٥٥٢ , ٤٤٠
أبي زيد	٤٨٥ , ٢٥
أبي عامر	٤٨٧ , ٤٧ , ٤٦ , ٢٥
أبي عبد الله محمد أحمد عlish	٣٢
أبي عبد الله محمد الملقب "بالفقيه"	٤٦٨
أبي مريم	١٦٥
أبي موسى الأشعري	٣٦٥
أبي هريرة	٧٦
أبي هريرة - رضي الله	٣٦٥ , ٣٦٤ , ٣٦٣ , ٢٥٣ , ١٨١ , ١٨٠
أبي يعلى الفراء	٦٣
أبي يوسف يعقوب المنصور	٥٥
أحمد المراغي	٦٧
أحمد بن أبي محمد بن برهان التغزي	٤٤٦
أحمد بن بسام المحتسب	٢٦٣ , ٦٤
أحمد بن بقي	٤٣٣ , ٣١١
أحمد بن بقي بن مخلد	٤٣٣
أحمد بن سعيد	٤٨٧ , ١٣٣ , ٢٩ , ٢٥
أحمد بن سعيد الجليلي	٢٧٧

أحمد بن عبد الرؤوف.....	١٧٥ , ١٧٢ , ١٧١ , ١٧٠
أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف.....	٢٨٦ , ٢٤٦ , ٢٤٥
أحمد بن عتيق البلنسي.....	٤٤٥
أحمد بن عمرو بن منصور.....	٤٤٤
أحمد بن فرج الإشبيلي.....	١٩٥
أحمد بن فرج الجياني.....	٢٩
أحمد بن محمد الرازي.....	٢٥
أحمد بن محمد القيسي القرطبي.....	٤٤٨
أحمد بن محمد بن أبي عبد الله أبو عمر الطلمنكي.....	٤٤٥
أحمد بن محمد بن زكرياء.....	١٥٠
أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب.....	٤٤٨
أحمد بن محمد بن عبد الرحمن.....	٢٢٦
أحمد بن محمد بن علي بن محمد.....	٤٣٢
أحمد بن مسعود بن مفرج.....	٤٣٢
أحمد بن نصر بن خالد أبو عمر.....	٤٨٧ , ١٤٨
أحمد بن هلال بن زيد العطار.....	٤٨٦ , ١٣٢
أسد بن الفرات.....	٢٦٧
أشهب.....	٤١٧ , ٢٢١
أم الشفاء الأنصارية.....	١٢٠

!

إبراهيم.....	٢٦ , ٣٠ , ٧٢ , ٨٠ , ٨٤ , ١٣٦ , ١٤١ , ١٤٣ , ١٤٦ , ١٤٧ , ١٦٢ , ١٦٦ , ٢١٤ , ٢٧٤ , ٣٠٧
إبراهيم بن أدهم.....	٨٤
إبراهيم بن حجاج.....	٢٦
إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي.....	٣٢٩

ابن أبي الفياض ٨٨ , ٢٥

ابن أبي زمين ٣٢

ابن أبي عامر ٤٨٧ , ٤٧

ابن الآبار ٢٩ , ٣٠ , ٣٧ , ٥١ , ٥٦ , ١٤٨ , ١٤٩ , ٣٣٤ , ٣٤٧ , ٣٥٣ , ٣٥٤ , ٣٥٥ , ٣٥٦ , ٣٥٨ , ٨

ابن الأثير ١٥٨ , ٤٤ , ١٥

ابن الأحمر ٥٧

ابن الأخوة ٢٦٣ , ٦٣

ابن الأزرق الأموي ٣٢٩

ابن الإقليس ٣٤٧

ابن الجزري ٣٢

ابن الحسن بن غالب ٣٥٠

ابن الخراز المليلي ٣٢٩

ابن الخطيب ٣٨ , ٤٧ , ٥٢ , ٥٧ , ١٥٦ , ١٨٥ , ٣٢٣ , ٣٣٠ , ٣٣٥ , ٣٥٣ , ٣٥٥ , ٣٥٦ , ٣٥٧ , ٣٥٨

ابن الرقعة ٢٧٩

ابن العربي ٣٥٩ , ٣٤٣ , ٣٤٢ , ١٢٠

ابن العريف ٣٥٥ , ٣٥٤ , ٣٥٣ , ٣٥٢ , ٣٥١ , ٣٥٠

ابن العماد ٣٣٥ , ٦٣

ابن الفرضي ٢٣ , ٢٩ , ٨٨ , ٩١ , ١٠٤ , ١٠٥ , ١١١ , ١١٣ , ١١٤ , ١٣٣ , ١٣٥ , ١٤٦ , ١٤٨

ابن القاسم ٢٢١ , ١٧٤ , ١٦٥ , ١٦١ , ١١٣

ابن القوطية ٤٥١ , ٤٢٨ , ١٩٧ , ١١٤ , ١١٠ , ٢٣

ابن القيم ٦٨

ابن الكرديوس ٩٠

ابن الماجشون ١٩٠

ابن الماجشون ٤٧٦ , ٤٧٥ , ٤١٥ , ١٧٧ , ١٧٣

ابن المراتب ٣٦٠

ابن بسام.....٤٣٠ , ٤٢٨ , ٦٤ , ٣٢

ابن بشكوال ٢٩. ٨٨ , ١٣٣ , ١٤٠ , ١٤٧ , ٤٢٠ , ٤٨٥ , ٤٨٦ , ٤٨٧ , ٤٨٩ , ٤٩٠ , ٤٩١ , ٤٩٧ , ٨

ابن تيمية.....٥٠٨ , ٣٤٦ , ٢٥٦ , ١٣٩ , ١٢٤ , ٧٩ , ٧٥ , ٧١ , ٦٨ , ٦٦ , ٦١

ابن جزري.....٣٦٠ , ٣٥٩ , ١٨٧ , ٢٢

ابن حبيب.....٤٧٥ , ٤٣٩ , ٢٢٤ , ١٩٠ , ١٨٩ , ١٧٦ , ١٧٥ , ١٧٤ , ١٦١ , ١٥٧

ابن حبيب الأندلسي المالكي.....١٦١

ابن حزم ٢٥. ٥١ , ١٥٩ , ٢١٠ , ٢٥٥ , ٣١٨ , ٣٢١ , ٣٢٢ , ٣٢٣ , ٣٣٩ , ٣٤٠ , ٣٤١ , ٤٣٧ , ٤٤٦

ابن حزم الظاهري.....٤٥٠

ابن حيان ٢٤. ٤٣ , ٤٤ , ٩٣ , ١٣٥ , ١٣٦ , ١٤٦ , ١٤٨ , ١٧٢ , ١٨٣ , ٣١٥ , ٣٢٢ , ٣٢٣ , ٣٢٤

ابن خلدون ٤٠. ٤٢ , ٤٩ , ٥٤ , ٦١ , ٦٧ , ٧٠ , ٩٤ , ١٣٥ , ١٣٩ , ١٤٠ , ١٤٣ , ١٤٤ , ١٩٤ , ١٩٨

ابن خلكان.....٣٣٢ , ٢٧٩ , ٢٧١

ابن رباح.....٩١

ابن رشد.....٤٧٢ , ٢٠٢ , ٢٠١ , ٢٠٠ , ١٨٧ , ١٥٤ , ١١٦ , ٢٠

ابن رشيد.....٣٦٠

ابن سعيد.....٤٨٣ , ٩٤ , ٥١ , ٤٧ , ٤٥ , ٣٠

ابن شهيد.....١٨٥

ابن عباس.....٢٠٥ , ١٩٠

ابن عبد البر.....٥٥١ , ٥٤٦ , ٤٥١ , ٤٥٠ , ٤٣٨ , ٣٥٩ , ٢٥٦ , ٢٥٣ , ٢١٣

ابن عبد الرؤوف ٦. ١٢١ , ١٢٣ , ١٢٤ , ١٢٧ , ١٧٠ , ١٧٤ , ٢٢٢ , ٢٤٦ , ٢٤٧ , ٢٨٧ , ٣٩٤ , ٩٥

ابن عبد المنعم.....٨٨

ابن عبدون ١١٩. ١٢١ , ١٢٣ , ١٢٥ , ١٢٦ , ١٢٧ , ١٢٩ , ١٣٤ , ١٤٠ , ١٧١ , ١٩٨ , ٢٠٠ , ٢١١

ابن عتاب.....٣١١ , ٣١٠ , ١٦٧ , ١٦٥ , ١٦٤

ابن عذارى ٢٥. ٤٢ , ٤٤ , ٢٤٦ , ٣٢٣ , ٣٢٤ , ٣٥١ , ٤٦٠ , ٤٦٧ , ٤٨٣ , ٤٨٤ , ٤٩٠

ابن عربي.....٣٥٨ , ٣٤٧ , ٣٤٦

ابن عطية.....٧٧

ابن فرحون..... ٣١ , ٥١ , ١٩٠ , ٣٣٠ , ٤٣٣ , ٤٤٥ , ٤٤٦ , ٤٥٢

ابن فطيس..... ٤٣٩

ابن قيسي..... ٣٥٠ , ٣٥٦ , ٣٥٧ , ٣٥٩

ابن كثير..... ٧١ , ٧٨ , ٧٩ , ٨١ , ١٠٣ , ٤٢٨

ابن مسعود..... ١٩٠

ابن هود..... ٥٧

ابن وضاح..... ١٦٥ , ٤٣٩ , ٤٥٠ , ٥٣٣ , ٥٥١

ابن وهب..... ١٩٠ , ٢٢١ , ٤٢٠

الأمير الحكم المنتصر..... ٣٣٣

الأمير عبد الرحمن ٢٤ , ٣٠ , ٤٦ , ٩٣ , ٩٤ , ١٠٤ , ١٠٦ , ١٤٣ , ١٤٦ , ١٧٢ , ١٨٦ , ٢١٥ , ٢٨٢ , ٣

الأمير محمد ٢٤ , ١٣٥ , ١٣٦ , ١٧٢ , ٢١٠ , ٢١٤ , ٢١٥ , ٢٣٧ , ٤٥٦ , ٤٧٩ , ٤٨٠ , ٤٨١ , ٥٥٢

الأمير هشام..... ٩٤ , ١٠٥ , ١١٠ , ١١٢

الأوزاعي..... ٤٣ , ١٠٠ , ١٠٣ , ١٠٤ , ١٠٥ , ١٠٦ , ١٠٨ , ١٠٩ , ١١١ , ١١٤

الإمام أبي حنيفة..... ١١٧

الإمام أحمد..... ٨٢ , ٨٣ , ١١٣ , ٢٥١ , ٢٥٣ , ٢٥٤ , ٢٩١

الإمام الشاطبي..... ١٥٢ , ١٥٥ , ١٥٩ , ١٦٦ , ١٦٧ , ١٧٣ , ٢٤٣ , ٢٤٤ , ٥٠٨

الإمام الشافعي..... ١١٥ , ١١٧ , ٤١٧

الإمام بن القيم الجوزية..... ٢٦٢

الإمام عبد الرحمن بن القاسم..... ١٩

الإمام مالك ١٩ , ٢١ , ٣٠ , ٤٣ , ٨٧ , ١٠٢ , ١٠٧ , ١٠٨ , ١٠٩ , ١١٠ , ١١١ , ١١٢ , ١١٣

الإمام مالك بن أنس..... ١٩ , ٤٣ , ١٥٤ , ١٦٠ , ١٨٢ , ٤٣٩

الباجي..... ٥١

البحاري..... ٦٠ , ٧٦ , ٨٢ , ١١٩ , ٢٠٥ , ٢٠٧ , ٤٢٩

البر ادعي..... ٢٧٠

الثقفي..... ٣٠ , ٢١٦ , ٤٢٨ , ٤٧٩ , ٤٨٠ , ٤٨١

.....	الجاحظ	٣٣٥
.....	الحافظ أبا بكر بن العربي المالكي	٣٤١
.....	الحسن بن السمار	٤٤٠
.....	الحسن بن محمد	٤٩٠ , ٤٤٠
.....	الحسن بن محمد بن الوزان المعروف "بليون الإفريقي"	٢٧٣
.....	الحكم الثاني المستنصر بالله	٤٦
.....	الحكم الرضوي	٢٨ , ٢٣
.....	الحكم المستنصر	٥٢٣ , ٤٧ , ٢٧ , ٢٤
.....	الحكم المستنصر بالله	٤٦١ , ٤٦٠ , ٤٥٩ , ٤٥٧ , ٣٠٧ , ٣٠٥ , ٢٤
.....	الحكم بن هشام	٤٢٨ , ٩٤ , ٤٤
.....	الحميدي	٥١٢ , ٤٦٢ , ٤٦١ , ٤٥٩ , ٣١٥ , ١٥٧ , ١٤٦ , ١١٢ , ٢٩
.....	الحشني	٤٨٥ , ٤٨٢ , ٤٨٠ , ٢١٤ , ١٤٥ , ١٤١ , ١٣٦ , ١٢٢ , ١٠٥ , ١٠١ , ٩٢ , ٢٧
.....	الخليفة المنصور	١١٠
.....	الذهبي	٤٢٨ , ٢١٥ , ١٢٠ , ١١٢ , ١١١ , ١١٠ , ١٠٩ , ١٠٣ , ١٠٢ , ٨٤ , ٦١ , ٥٧ , ٥٤ , ٣٥ , ٣١
.....	الرازي	٨٣ , ٧٤ , ٧٣ , ٧٢
.....	الزبيدي	١١٤ , ١١١
.....	الزجاج	٤٢١ , ٨٠ , ٧٤ , ٧٣
.....	السقطي	٨٥ , ٢٣٩ , ٢٣٨ , ٢٣٧ , ٢٣٦ , ٢٣٤ , ٢٠٢ , ١٩٨ , ١٤٠ , ١٣١ , ١٢٨ , ١٢٤ , ١٢١ , ١٧
.....	السمح بن مالك الخولاني	٤٠
.....	السنامي	٨٣ , ٦٦
.....	الشاطبي	٧٢
.....	الشافعي	٤١٧ , ٣٣٣ , ٢٦٠ , ١٩٣ , ١١٧ , ١١٥ , ٧١ , ٤٣
.....	الشعراني	٣٣٥
.....	الشيرازي	٦٤
.....	الصميل بن حاتم	١٩٧

النضي	٤١٩ , ٢٩
الطرطوسي	٤٤٩ , ٣٣٢ , ٣٣١
العاص بن خلف بن محمد الاشيلي	٤٤٨
الغازي بن قيس	٤٤٣ , ١٩٧ , ١١٣ , ١١١
الغزاري	٣٣٠ , ٦٧
القاضي أبي بكر العرني	٣٥١
القاضي أبي عبد الله محمد بن الحاج	٣٥١
القاضي ابن أسود	٣٥٤
القاضي ابن سهل	٣١٢ , ٣٠٥ , ٢٣٢ , ١٦٥ , ١٦٤ , ١٢٨
القاضي الأسعد أبو المكارم	٢٧٩
القاضي عياض	١٤٦ , ١٣٦ , ١٣٥ , ١٣٣ , ١١١ , ١٠٤ , ١٠١ , ٢٠ , ١٩
القرافي	١٩٠
القرطبي	١٤٧ , ١٤٦ , ١٣٣ , ١١٦ , ١١٥ , ١١٤ , ١١٢ , ١٠٥ , ٧٨ , ٧٣ , ٧٢ , ٥٧ , ٥١ , ٤٩ , ٤٦
القرني	٦٥
القلقشندي	٦٧
الماوردي	٢٩٨ , ٢٩٦ , ٢٧٩ , ٢٦٠ , ١٤٠ , ١٣٤ , ١٢٤ , ١٢٣ , ٧٥ , ٦٥ , ٦٣
المراكشي	٦٧ , ٤٦٦ , ٤٦٥ , ٤٥٩ , ٤٤٣ , ٤٣٥ , ٤١٩ , ٣٥١ , ٣٤٩ , ٣٤٨ , ٢٧٢ , ١٨٣ , ٨٧ , ٥٥
المظفر عبد الملك	٤٦٤ , ٤٦٣
المعتمد بن عباد	٢٤٢ , ١٨٤ , ٥٢
المعتمد على الله	٣١٣ , ٣١٢ , ١٨٤
المقري	٥٧ , ١٥٦ , ١٤٤ , ١٣٧ , ١٣٥ , ١٣٢ , ١١٥ , ١١٣ , ١١٢ , ١١٠ , ١٠٤ , ٨٨ , ٣٨ , ٣٤ , ٢٦
المنصور	٤٤٥ , ٤٣٠ , ٣١٥ , ٣٠٤ , ٢٧٢ , ٢٧١ , ٢١٠ , ١٨٤ , ١٥٧ , ١١٠ , ١٠٣ , ٥٥ , ٤٦ , ٢٥
المنصور بن أبي عامر	٥٠٦ , ٤٤٥ , ٣١٥ , ١٨٤ , ١٥٧ , ٢٥
المهدي	٩٢ , ٥٤
المهدي بن توموت	٢٧١ , ٢٣٥

النعمان بن بشير.....	٨٢
النورمان.....	٤٤
النووي.....	٢٠٦ , ٢٠٥ , ٧٥ , ٧١
الوزير أبو الوليد بن زيدون.....	١٨٢
الوزير أبو بكر بن عمار.....	١٨٢
الوزير بن خلدون.....	١٨٢
الوزير عيسى بن فطيس.....	٥٦٦ , ٢٠٧
الوليد بن عبد الملك.....	٢٩ , ٢٨ , ٢٧
الونشريسي.....	٢١

ب

بدر شالميتا.....	٢٤
بدر شالميتا.....	٢٣٦ , ٢٢٢ , ١٢٥ , ١٢٤ , ١٢٣ , ٦
بقي بن مخلد.....	٤٥٨ , ٤٥٦ , ٤٥١ , ٤٥٠ , ٤٤٦ , ٤٣٨ , ٤٣٣ , ٣٣٣ , ٢١٠ , ١١٥
بن الخطيب.....	٥٦٥ , ٤٩٦ , ٩٥ , ٥٣ , ٣٤ , ٣٠ , ٢٦ , ٢٥
بن حزري الكلبي.....	٢١
بن جمهور.....	٤٤٣ , ١٤٧ , ٤٩
بن حبيب.....	٤٨٤ , ٢١٧ , ١٠٥ , ٨٨ , ٨٧ , ٦٣
بن محمد العطار.....	٤٨٤ , ١٥٠ , ١٣٣

ث

ثور بن زيد الديلي.....	١٨٦
------------------------	-----

ج

جابر.....	٢٠٧ , ١١٥ , ٨٣
جعفر بن ميمون.....	١٥٥

ح

حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التيمي.....	٤٣٣
--	-----

٦٩ حاجي خليفة
٩٠ حبان بن أبي جبلة القرشي
٨٣ حذيفة بن اليمان
٢٧٩ حسام الدين السامري
٦٧ , ١٨ حسن بكريم
١٨ حسن بن علي بن حسن
٤٦٤ , ٣٣٩ , ١٥٦ , ٣٢ , ٢٠ حسين مؤنس
٣٢٩ حكم بن محمد القيرواني القرشي
٩١ حنش الصنعاني
٨٨ , ٣٨ حنش بن عبد الله
١٤٦ , ٢٣ حيان بن خلف
	ح
١٦٥ خالد بن الوليد
	ر
٢٢٩ , ١٧ رشيد النعيمي
	ز
١٨٦ زوياب
	س
١١٠ , ١٠٩ , ١٠٦ , ١٩ سالم الخلف
٤٦٧ , ٣١٦ , ٢٧٠ , ٢٦٨ , ٢٦٧ , ٢٢٥ , ٢٠٣ , ٢٠١ , ١٨٨ , ١٦١ , ١٦٠ , ١٥٤ , ٢٠ , ١٩	سحنون
١٩ سحنون بن سعيد
٤٤٤ سعد بن معاذ بن عثمان القرطبي
٣٠ سعيد أعراب
١٩٣ سفيان بن عيينة
٣١ سليمان بن جمل

سليمان بن عبد الملك ٣٩

سليمان بن يحيى بن سليمان بن بدر ١٤٩ , ٤٩٥

سهل بن حنيف ٣٦٥

ش

شارلمان ٤٣

شبطون بن عبد الله الطليطي ١١٤

شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٦ , ٧٥ , ٧٩ , ١٣٩

ص

صاعد بن أحمد الطليطي ٣١

ط

طارق ٣٥ , ٣٦ , ٣٩ , ٨٦ , ٩٠ , ٤٩٢

طارق بن زياد ٣٥ , ٣٩

طاش كبري زاده ٦٣ , ٦٩ , ٧٠

طالوت بن عبد الجبار ٢٣

طلحة القرشي ٢٦٤

طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب ٤٤٣

ع

عائشة ٢٥٥ , ٣٠٤

عباس بن ناجح الثقفي ٣١٧

عبد الخليم عويس ١٥٩

عبد الرحمن ٤ , ٦ , ١٩ , ٢٣ , ٢٤ , ٣٠ , ٣٤ , ٣٥ , ٣٨ , ٣٩ , ٤١ , ٤٢ , ٤٣ , ٤٤ , ٤٥ , ٤٦ , ٤٧ , ٥٦

٢١٤ , ٢١٥ , ٢١٧ , ٣٩٢ , ٤١٩ , ٤٢٨ , ٤٣٠ , ٤٧٩ , ٤٨١ , ٤٨٣ , ٤٨٤

٤٨٥ , ٤٨٦ , ٤٨٧ , ٤٩٠ , ٤٩١ , ٤٩٤ , ٤٩٧ , ٤٩٨ , ٥٢٣ , ٥٦٧

عبد الرحمن الأوسط ٢٤ , ١٤٣

عبد الرحمن الثالث ٤٨٥ , ٤٨٦

عبد الرحمن الحجي	٢٤ , ٣٤ , ٣٨ , ٣٩ , ٤٥ , ٥٦ , ٨٦ , ٩٢
عبد الرحمن الداخل	٣٤ , ٤٢ , ١٠٤
عبد الرحمن الغافقي	٤١
عبد الرحمن الفاسي	١٨ , ٩٣ , ٩٥ , ١١٦ , ١٢١ , ١٢٢ , ١٢٥ , ١٣١ , ١٣٤ , ١٦٠ , ٢٦٨ , ٢٦٩ , ٧١
عبد الرحمن الملقب بـ " شنجول "	٤٧
عبد الرحمن الناصر	٢٣ , ٢٤ , ٤٦ , ٤٧ , ١٢٥ , ١٣٤ , ١٤٩ , ٢١٤ , ٥٢٣
عبد الرحمن بن الحكم	٤٣ , ٩٣ , ٩٤ , ١٤٦ , ٢١٥ , ٢١٧ , ٤٨١
عبد الرحمن بن القاسم	١١٣ , ١٦٠ , ١٦١
عبد الرحمن بن معاوية	١٧٢ , ١٩٧ , ٣٢١ , ٣٢٤ , ٣٢٧
عبد الرحمن بن نصر الشيرازي	٢٦٢
عبد الرحمن رستم	٣١٧
عبد السلام الهرامس	٣٠
عبد السلام بن سعيد التنوخي	٢٠١ , ٢٦٨
عبد العزيز	٣٨ , ٤١ , ٦٧ , ٧٦ , ٨٣ , ٨٦ , ٢١٥ , ٤٨٢ , ٤٩٤ , ٤٩٥
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	٧٦
عبد العزيز بن علي الأزجي	٤٤٠
عبد العزيز بن محمد	٦٧ , ٤٩٤
عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي	٣٠٩
عبد الله بن المبارك	١٨٠ , ٣٦٦
عبد الله بن حسين بن عاصم	١٤٦ , ٤٧٩
عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي	٢٥٦
عبد الله بن عمرو	٨٣ , ١٨١ , ٢٥٢
عبد الله بن محمد بن يوسف	٤٤٥
عبد الله بن مسعود - رضي الله	٣٦٤
عبد الله بن وهب	١١٢ , ١١٣

عبد المؤمن	٥٤ , ٥٥ , ١٥٦ , ٤٥٢ , ٤٦٦
عبد المؤمن بن علي الكومي	٥٤
عبد الملك "المنظفر"	٤٧
عبد الملك بن العاصي بن محمد	٤٤٤
عبد الملك بن حبيب	٢٨ , ٨٧ , ٨٨ , ١٠٥ , ٢١٧ , ٢٢١ , ٢٢٥ , ٢١٨
عبد المنعم بن محمد الخزر جي الغرناطي	١٤٧
عبد الواحد بن محمد بن دينار	٤٣٢
عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي	٤٤٥
عثمان بن عفان	٣٥
عقبة بن الحجاج السلولي	٤١ , ٩٢ , ٢٨٢ , ٢٦٧
عقبة بن عامر - رضي الله عنه	٢٦٦
عقبة بن نافع	٣٥ , ٢٦٧
علي بن أبي رباح	٨٩
علي بن أبي طالب	١٨٦ , ٢٥٢ , ٣٠٥
علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني	٤٣٥
علي بن خلف بن بطال البكري	٤٤٥
علي بن معاذ بن سعمان	٤٥٩
علي بن يوسف	٣٤٩ , ٣٥٤ , ٣٥٥ , ٤٩٥
عمر بن الخطاب	٧٨ , ١٢٠
عمر بن حفصون	٢٦ , ٤٧
عمر بن عبد العزيز	٢٣ , ٤١ , ٨٣ , ٨٦ , ١٩٧ , ٢٦٧
عمر بن عبد العزيز الكرسيفي	٢٧٧
عنيسة بن محيم الكلبي	٤٠
عيسى بن أحمد الرازي	٢٤
عيسى بن دينار	٢٨ , ١١٥

عيسى بن دينار الطليطلي..... ٣١٨

عيسى بن سهل..... ١٧, ١١٥, ١٢٣, ١٢٦, ١٢٧, ١٢٨, ٣٩٥

ف

فطيس بن سليمان الكاتب..... ٩٤, ٤٧٩

ق

قاسم بن أصبغ..... ٤٥١

قاسم بن محمد..... ٣٠٤, ٣٠٥, ٣٣٨

ر

لسان الدين الخطيب..... ٢٦, ١٤٥, ٤٩٦

لسان الدين بن الخطيب..... ٢٥, ٢٦, ٤٩٦

ليفى بروفنسال..... ١٧, ٢٦

ليفى بروفنسال..... ٢٤٢, ٤٥٨

م

مالك بن أنس..... ٤٣, ١١٢, ١١٤, ٥٦٦

محمد بن أحمد بن بسام..... ٢٧٩

محمد الأمين الشنقيطي..... ٨٠

محمد المبارك..... ٦١, ٦٧, ٦٨

محمد النفس الزكية..... ١٠٩

محمد بن "تومرت"..... ٥٤

محمد بن أبي عامر..... ٤٦, ٤٧

محمد بن أبي محمد السقطي..... ١٧, ٤١٢, ٥٧٢

محمد بن أحمد الجبلي..... ٤٤٤

محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد..... ٢٧٦

محمد بن أيوب بن سليمان بن ربيع..... ٣٠٦

محمد بن الليث بن حريش..... ١٤٧

- محمد بن المكي بن أبي طالب ١٤٧
- محمد بن بشير ١١٤
- محمد بن تومرت ٤٦٦
- محمد بن جهور ٤٩
- محمد بن شبل بن بكر القيسي ٢٢١
- محمد بن شريفة ٢٠ , ١٩
- محمد بن عبد السلام الخثني ٤٥١ , ٣٣٧
- محمد بن عبد الله ٢٥ , ٤٦ , ٥٣ , ٥٤ , ٥٥ , ٩٤ , ١٢٠ , ١٦٧ , ٣٠٥ , ٣٠٦ , ٣١٣ , ٣٢٨ , ٣٣٩ , ٣٩٩
- محمد بن عبدون ١٧٥
- محمد بن عطية الغرناطي ٤٤٧
- محمد بن علي الصوري ٤٤٠
- محمد بن علي بن عبد الرحمن الأندلسي ٤٤٧
- محمد بن فضيل ١٣٣
- محمد بن فيصل بن الحداد ١٥٠
- محمد بن قاسم ٥٦٥ , ٤٩٦ , ٣٠٧
- محمد بن لييد المرابطي ٣٠٩
- محمد بن محمد ٦٣ , ٦٤ , ٧٣ , ٨٨ , ١٤٧ , ١٥٨ , ٢٧٦ , ٣٥٩ , ٤٤٨ , ٤٥٣ , ٤٦٩ , ٤٨٥ , ٤٨٩
- محمد بن موسى بن مفلح ٤٩١ , ١٣٣
- محمد بن وضاح ٤٨٣ , ٣٢ , ٢٨
- محمد بن يحيى بن خليل ٤٨٦ , ١٣٣
- محمد بن يوسف بن علي بن حبان ٤٤٨
- محمد بن يوسف بن محمد الأموي ٤٣٥
- محمد حجي ٢١
- محمد خلاف ١٧ , ٣٢ , ١٢١ , ١٢٣ , ١٢٥ , ١٢٧ , ١٢٨ , ١٢٩ , ١٣٣ , ١٣٤ , ١٣٦ , ١٤٧ , ١٤٨
- محمد عبد الله ١٦٢ , ١٥٧ , ١٥٦ , ٥١ , ٥٠

محمد كمال الدين.....	٦٤ , ٦٢
محمود علي مكى.....	٢٤
محمود عوف.....	١٨
محمود مكى.....	٢٤
مطرف.....	٤٩٥ , ٤٢٧ , ٣٠٧ , ٢٢٥
معاذ بن عثمان الشيباني.....	١٤٠
معاوية بن صالح.....	١٨٤ , ١١٢ , ١٠٦ , ١٠٢
مغيث الرومي.....	٣٨
مفرج بن يونس بن مفرج.....	٤٣٤
مكى بن أبى طالب.....	٥٥٢ , ٤٩١ , ٤٦٤ , ٤٤٦ , ٤٤٠
ملشور انطواني.....	٢٤
منذر بن سعيد.....	٥٥٨ , ٥٥٧ , ٥٢٣ , ٤٨٧ , ٤٥٠ , ٣٠٧ , ١٤٠ , ١٣٣
مهجة بنت التيانى القرطبية.....	١٨٤
موسى بن نصير.....	٤٣٤ , ٩١ , ٨٨ , ٨٦ , ٣٦ , ٣٥
ن	
نزهون القلاعية الفرناطية.....	١٨٤
ه	
هشام المؤيد.....	٤٣٠ , ١٤٧ , ٤٦
هشام بن عبد الرحمن.....	٤٨٤ , ١٠٥ , ٩٤
و	
وقرعوس بن العباس.....	١١٤
ولادة بنت المستكفي.....	١٨٤
ي	
يحيى بن يحيى اللثي.....	١١٣
يحيى بن سعيد.....	٤٨٣ , ٣٢١ , ١٨٧

يحيى بن عبد الله بن يونس المرادي..... ١٤٨ , ٤٨٥
يحيى بن عمر..... ٢٢١ , ٢٢٢ , ٢٢٦ , ٢٨٥ , ٣٢٨ , ٣٩٣ , ٣٩٩ , ٤٠٩ , ٤٧٥
يحيى بن عمر الأندلسي..... ٢٢١ , ٤٧٥
يحيى بن يحيى..... ٢٨ , ١١٢ , ١١٣ , ١١٤ , ١٥٣ , ٤٣٩ , ٤٤٢ , ٤٩٨
يحيى بن يحيى الليثي..... ٢٨ , ١١٢ , ١١٣
يوسف بن تاشفين..... ٥٢ , ٢١٧
يوسف بن سمؤل القرطبي..... ١٣٣
يونس بن مغيث..... ٤٤٠ , ٥٥١

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر القديمة:

- أبو القاسم: صاعد بن أحمد الأندلسي (ت: ٤٦٢هـ)
طبقات الأمم، تحقيق ، حياة العبد بوعنوان ، الطبعة الأولى (بيروت: دار الطليعة / ١٩٨٥م)
- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت(٢٧٥هـ)
سنن أبي داود، (سوريا، حلب، دار الحديث، ١٣٨٨هـ)
أبو زيد : بكر بن عبد الله أبو زيد.
بدع القراء القديمة والحديثة والمعاصرة. الطبعة الثانية ، (الرياض ، دار الضمعي / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)
- أبو نعيم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.
حلية الأولياء، الطبعة الخامسة، (بيروت، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ)
أبو يعلى: القاضي محمد بن الحسين انقراء الحنبلي ت(٤٥٨هـ)
الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، طبعة الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (الرياض، دار الوطن، بدون تاريخ)
أنيس: إبراهيم أنسي وآخرين.
- المعجم الوسيط . (تركيا، استنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، بدون تاريخ)
ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين، (ت: ٣٩٩هـ)
- أصول السنة . تحقيق عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم البخاري . الطبعة الأولى (السعودية، المدينة النبوية ، مكتبة الغرباء الأثرية / ١٤١٥هـ)
ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت/٦٥٨هـ - ١٢٥٩م)
التكملة لكتاب الصلة ، (القاهرة / د. ت)
ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت : ٦٥٨هـ)

كتاب الحلة السراء ، جزءان، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى (القاهرة ،
الشركة العربية للطباعة والنشر. ١٩٦٣ م)

المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي (بيروت، دار صادر، بدون
تاريخ)

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير،
الجزري، ت (٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ، عنت بنشره إدارة الطباعة الميزية، مصر ، ١٣٤٨هـ
ابن الأثير: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد عبد الكريم المعروف بابن الأثير،
ت (٦٣٧هـ)

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، (مصر،
شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م)
ابن الأثير: محمد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير.

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخر، (لبنان، بيروت، دار
الفكر، بدون تاريخ)

أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت، دار الفكر).
ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، ت (٥٩٧هـ)
تلبس إبليس: (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)
ابن الخطيب: لسان الدين بن الخطيب السلطاني. (ت: ٧٧٦هـ)

الإحاطة في أخبار غرناطة ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٥هـ -
١٩٧٥م)

تاريخ إسبانية إسلامية ، أو كتاب أعمال الأعلام . تحقيق ليفي بروفسال . الطبعة
الثانية (بيروت . دار المكشوف، ١٩٥٦م)

ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)
كتاب صلة الصلة : تحقيق د. عبد السلام الهرامس، (المغرب ، مطبعة فضالة ،
١٤١٣ - ١٩٩٣م)

ابن العربي: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بن العربي (ت: ٥٤٣هـ)
العواصم من القواصم، تحقيق الدكتور عمار الطالبي، الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة
دار التراث / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

أحكام القرآن، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطاء، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت،
دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)

ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ت (١٠٧٩هـ)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، (لبنان، بيروت، دار المسيرة،
١٣٩٩هـ)

ابن الغرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت: ٤٠٣هـ)
تاريخ علماء الأندلس. جزءان، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى (القاهرة:
الدار المصرية للتأليف والترجمة / ١٩٦٦م) و (دار الكتاب اللبناني،
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر عزت العطار الحسين، (القاهرة، ١٤٠٨
هـ - ١٩٨٨م)

ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي بن عبد الملك (ت: ٦٤٦هـ)
نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود مكي. الطبعة الأولى
(بيروت، دار الغرب الإسلامي / ١٩٩٠م)

ابن القويطة: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت: ٣٦٧هـ)
تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى (القاهرة دار الكتب
الإسلامية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية
ت (٧٥١هـ)

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، (القاهرة، مطبعة
المدني)

ابن الكردديوس: أبو مروان عبد الملك التوزري (ت: أواخر القرن السادس الهجري)

تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي (مدير: معهد الدراسات الإسلامية،
١٩٧١ م)

ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية (بيروت، دار
الثقافة / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)

ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك. (ت: ٥٧٨ هـ)
كتاب الصلة، نشر وتصحيح ومراجعة السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية
(القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)

ابن تفرج بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تفرج بردي الأتابكي.
النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، (مصر، المؤسسة المصرية العامة للطباعة
والنشر)

ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)
مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه
محمد، طبع بأمر خدام الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز، إشراف الرئاسة العامة لشئون
الحرمين الشريفين، تم الطبع (بالقاهرة، إدارة المساحة العسكرية / ١٤٠٤ هـ)
ابن جزى، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ)
كتاب القوانين الفقهية، (القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر)
ابن جماعة: ابن جماعة الكناشي.

تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية،
بدون تاريخ)

ابن حبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة (٧٣٩ هـ)
صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط، الطبعة
الثانية، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ)

ابن حجر: شهاب الدين أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)
تقريب التهذيب. تحقيق، عبد الوهاب عبد اللطيف. (بيروت، دار المعرفة، توزيع

مكتبة المعارف بالرياض)

الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب، لابن عبد البر، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨هـ)

الإصابة في تمييز الصحابة، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الثانية، (دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ)

ابن حزم . أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت، دار المعرفة / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول (م ١٣ ج ٢ / ديسمبر ١٩٥١م)

جوهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية / ١٩٨٣م)

ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، ت (٢٤١هـ)

مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ)

ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت: ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تحقيق د. محمود مكي (بيروت دار الكتاب اللبناني / ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)

المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ق ٣ باريس: منشورم أنطونيه، ١٩٣٧م المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق عبد الرحمن علي الحجي. (بيروت، الدار العربية للكتاب / ١٩٨٣م) و [الجزء الخامس] نشر شالميتا (مدير المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩م)

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي (ت: ٥٢٩هـ / ١١٣٥هـ)

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، الطبعة الأولى (بيروت، مؤسسة الرسالة / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت (٣١١هـ)

صحيح ابن خزيمة، تحقيق وتعليق وتخرىج الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثانية، (لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ)

مقدمة ابن خلدون، تحقيق وفهرسة ، أبو عبد الله السعيد المندوه . الطبعة الأولى . (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . (بيروت دار الكتاب اللبناني / ١٩٧٧م) و(بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت : ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. (بيوت دار الفكر / ١٩٦٨م) ابن رشد: الإمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، المعروف بابن رشد الحفيد، ت(٥٩٥)

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مراجعة وتعليق عبد الحليم محمد عبد الحليم، الطبعة الثانية (مصر، دار الكتب المصرية ، ١٤٠٣ هـ)

ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي بن محمد . (ت : ٦٨٥هـ)

المغرب في حلي المغرب. تحقيق شوقي ضيف . الطبعة الثالثة (القاهرة ، دار المعارف / ١٩٧٨م)

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، من كتاب المسالك والممالك (بغداد، دار المثنى)

ابن سهل ، القاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل الأندلسي (ت : ٤٨٦هـ)

وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، الطبعة الأولى، (القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨١م).

ديوان الأحكام الكبرى ، تحقيق المحامي رشيد النعيمي ، الطبعة الأولى (الرياض ، شركة الصفحات الذهبية المحدودة / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

وثائق في شئون الحسبة في الأندلس، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الوهاب خلاف ،

- الطبعة الأولى (القاهرة المركز العربي الدولي للإعلام / ١٩٨٥م)
- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، الطبعة الأولى، (القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨١م)
- وثائق في شئون العمران في الأندلس (المساجد والدور) الطبعة الأولى تحقيق الدكتور محمد خلاف ، (القاهرة المركز العربي الدولي للإعلام / ١٩٨٣م)
- ابن صاحب الصلاة: أبو مروان عبد الملك بن محمد (ت: أواخر القرن السادس الهجري) المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي ، الطبعة الثانية (بيروت، دار الغرب الإسلامي / ١٩٨٧م)
- ابن عبد البر: الإمام المحدث أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣هـ) جامع بيان العلم وفضله ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ابن عبد الرؤوف.
- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق . ليفي بروفنسال.
- ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨ هـ / ٩٣٩م)
- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت ، دار الفكر)
- وحققه أيضا أحمد أمين، وغيره، لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة، ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)
- ابن عبدون: محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (من أهل القرن السادس الهجري). رسالة في القضاء، تحقيق ليفي بروفنسال.
- ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت: ق ٨ هـ)
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان، ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة (بيروت، دار الثقافة / ١٩٨٣م)
- ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (المغرب، فاس، المجلس العلمي، مطبعة فضالة، ١٣٩٩هـ)
- ابن عمر: يحيى بن عمر الأندلسي. (ت: ٢٨٩ هـ / ٩٠١م)

- ابن وضاح: الإمام محمد بن وضاح القرطبي (ت: ٢٨٧ هـ)
البدع والنهي عنها ، تحقيق ودراسة عمر وعبد المنعم سليم، الطبعة الأولى (القاهرة،
مكتبة ابن تيمية / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)
الإدريس: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله.
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ)
الباجي: الفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي الأندلسي.
وصية الشيخ الفقيه الحافظ أبي الوليد الباجي لولديه، تحقيق عبد اللطيف بن محمد
الجيلاني، الطبعة الأولى (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)
البغوي:
شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق، زهير الشاوين وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية،
(لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ)
البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م)
جغرافية الأندلس وأروبا من كتاب ، المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي
الحجي (بيروت ، دار الإرشاد / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م)
البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت (٢٧٩ هـ)
فتوح البلدان، نشره ووضع فهارسه وملاحقه الدكتور صلاح الدين المنجد، (القاهرة،
مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦ م)
البيهقي: الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
السنن الكبرى: (لبنان، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ)
الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت (٢٧٩ هـ)
الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، (لبنان، بيروت،
دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)
التميمي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي، ت (٤٢٩ هـ)
الفرق بين الفرق محمد محي الدين عبد الحميد (لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة
والنشر، بدون تاريخ)

- الثعالبي: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي انفاسي ت (١٢٩١هـ)
 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تخريج وتعليق عبد العزيز قارئ، الطبعة الأولى، (المكتبة العلمية بالمدينة ١٣٩٦هـ)
 الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري.
 تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، (لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)
 الحموي: ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان. (بيروت: دار بيروت / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)
 الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت: ٤٨٨هـ) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة/ ١٩٦٦م)
 الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (توفي تقريبا ٧٢٨هـ / ١٣٢٦م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية (بيروت: مكتبة لبنان / ١٩٨٤م)
 الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي (ت: ٣٦١هـ) قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تصحيح ونشر السيد عزت العطار الحسيني، (القاهرة، مكتبة الخانجي / ١٣٧٢هـ)
 قضاة قرطبة. (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، بدون تاريخ)
 أخبار الفقهاء والمحدثين، دارسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا (المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي)
 الخطيب البغدادي: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. المتوفي (٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، أو مدينة السلام. (القاهرة، مكتبة الخانجي، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ)
 الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عز، الطبعة الأولى، (لبنان، بيروت، دار

الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ)

الخلال: الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت: ٣١١هـ)

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق مشهور حسن سلمان ، الطبعة الأولى

(بيروت، المكتب الإسلامي / ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)

الدباغ: عبد الرحمن الدباغ.

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (تونس، ١٩٠٢م)

الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (ت: ٧٤٨هـ - ١٢٧٤م)

سير أعلام النبلاء . الذهبي. تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثامنة . (بيروت ،

مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

تذكرة الحفاظ . (بيروت ، دار إحياء التراث العربي / ١٩٥٦م)

العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد زغلول، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية،

١٤٠٥هـ)

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين،

الطبعة الأولى، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، (القاهرة، دار

إحياء الكتب العربية، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)

الرازي: أبو بكر أحمد الرازي الجصاص.

أحكام القرآن، مراجعة صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر ، ١٤١٤هـ)

الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن الأندلس (ت: ٣٧٩هـ)

طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية (القاهرة :

دار المعارف / ١٩٧٣م)

الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي.

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم التزوي وآخرين، (لبنان، بيروت، دار

إحياء التراث العربي ١٣٨٥هـ)

السقطي: الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي.

في آداب الحسبة ، تحقيق ومراجعة د. حسن الزين، (لبنان، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧هـ)

السنامي: عمر بن محمد بن عوض السنامي . المتوفي في الربع الأول من القرن الثامن الهجري. نصاب الاحتساب، تحقيق د. مرزبن سعيد عسيري ، الطبعة الأولى (الرياض ، دار الوطن، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)

السيوطي: الخافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة : مطبعة السعادة / ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)

الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، السيوطي ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، الطبعة الثانية (الدمام، دار ابن القيم للنشر والتوزيع / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: (القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٣٢١هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، (الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م)

الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد انغرناطي الشاطبي الأندلسي (ت: ٧٩٠هـ) فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأحناف ، الطبعة الثانية (تونس نهج لوز ، الوردية / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م)

الاعتصام ، تحقيق مسلم بن عبد الهلالي ، الطبعة الرابعة (الخير ، دار ابن عفان / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)

الموافقات في أصول الشريعة، تخرج عبد الله دراز، الطبعة الأولى (لبنان، دار المعرفة، ١٤١٥هـ)

الشهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ)

الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير. الطبعة الثانية، (مصر،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٣هـ)

الشيرازي: جلال الدين أبو النجيب عبد الرحمن بن نصر الشيرازي (ت: ٥٩٠هـ)
نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريبي، الطبعة الثانية (بيروت، دار
الثقافة / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)

الضيبي: أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت: ٥٩٩هـ -)
بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس . (القاهرة دار الكتاب العربي /
١٩٦٧م)

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار سويدان / ١٩٠٠م)
الطرسوسي: أبو بكر محمد بن الوليد الطرسوسي ، (ت: ٥٢٠هـ)
كتاب الحوادث والبدع، تحقيق عبد المجيد تركي ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، دار
القرب الإسلامي ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

العقباني: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، ت(٨٧١هـ)
تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتقييد المناكر، تحقيق علي الشنومي،
(بدون ذكر تاريخ ودار نشر)

العُمري: السيد جلال الدين العُمري. تعريب ، محمد أجمل أبو الإصلاحي.
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (الكويت، شركة الشعاع للنشر)
العُمري: محمد بن أحمد العمري.

تفسير أبي السعود، (لبنان، دار إحياء التراث العربي).
الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ت(٥٠٥هـ)
إحياء علوم الدين ، الطبعة الأولى، (بيروت، دار الكتب العلمية)
الفاسي: الشيخ تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي (ت: ٨٣٢هـ)

جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه، تعليق علي حسن
عبد الحميد ، الطبعة الثانية (الدمام ، دار ابن الجوزي / ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)

الفاسي: عبد الرحمن الفاسي.

خطة الحسبة. الطبعة الأولى. (المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)

الفراء : القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨ هـ)

الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد حاق الفقي (الرياض ، دار الوطن)

الفيروز آبادي : أبو طاهر محمد بن محمد بن يعقوب بن محمد ، (ت: ٨١٧ هـ)

القاموس المحيط ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، الطبعة الثانية (القاهرة /

١٩٧١ م) و(لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع [١٤١٥ هـ]

القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرو بن يحيى (ت: ٥٤٤ هـ)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . (المغرب: وزارة الشؤون

الإسلامية).

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

الجامع لأحكام القرآن، تصحيح أحمد عبد العليم البروني، الطبعة الثانية (بيروت، دار

الفكر العربي)

القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١ هـ)

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. (القاهرة: المطبعة الأميرية / ١٩١٥ م)

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري.

كتاب الولاية وكتاب القضاة. مؤسسة قرطبة. و(القاهرة، مطبعة الفاروق الحديثة

للطباعة والنشر).

المالكي: أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي.

كتاب رياض النفس، قام على نشره د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة

النهضة، ١٩٥١ م)

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠ هـ)

الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تخرّيج وتعليق خالد عبد اللطيف السبع، طبعة

الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (بيروت : دار الكتب العلمية ،

١٩٧٨ م)

المجليدي : أحمد سعيد المجليدي .

كتاب التيسير في أحكام التسمير، تحقيق موسى لقبال، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٠م)

المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت: ٧٠٣ هـ)
الذيل والتكملة.

السفر الأول: تحقيق محمد بن شريفة.

السفر الرابع: تحقيق إحسان عباس.

السفر الخامس: تحقيق إحسان عباس.

السفر السادس: تحقيق إحسان عباس.

السفر الثامن : تحقيق محمد شريفة

وكل هذه الأسفار نشرتها دار الثقافة بيروت ما عدا الثامن فقد نشرته أكاديمية المملكة المغربية / ١٩٨٤م

المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧ هـ)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة السابعة (الدار البيضاء ، دار الكتاب / ١٩٧٨م)

المقدس: تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدس (ت: ٦٠٠ هـ)

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق فالح بن محمد الصغير ، الطبعة الأولى (الرياض ، دار العاصمة / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م)

المقدس: تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ت (٦٠٠ هـ)

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الطبعة الأولى، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م)

المقري: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت : ١٠٤١ هـ)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطب. وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، شرح وتعليق د. مريم قاسم طويل ود. يوسف علي طويل . الطبعة الأولى (بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م)

النباهي : الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي (ت :)

تاريخ قضاة الأندلس ، الطبعة الخامسة (بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م)

النباهي: الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي.
تاريخ قضاة الأندلس، أو كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، طبعة الخامسة (بيروت، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م)
النسائي: الإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي.

سنن النسائي، الطبعة الأولى، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)
النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.
صحيح مسلم بشرح النووي، تقديم، د. وهبة الزحيلي، (دار الخیر ، ١٤١٤ هـ)
النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥ هـ)
المستدرک علی الصحیحین: وبذیلہ تلخیص الذہبی له (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ)

الونشريسي: أحمد بن يحيى الونشريسي ، (ت: ٩١٤ هـ)
المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخرج جماعة من الفقهاء، بإشراف الدكتور. محمد حجي، الطبعة، (بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١ - ١٩٨١م)
زاده: طاش كبرى زاده.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)

سلفه: أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه (ت: ٥٧٦ هـ)
أخبار وتراجم أندلسية، تحقيق الدكتور إحسان عباس (بيروت ، دار الثقافة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)

عليش ، أبو عبد الله الشيخ محمد أحمد عليش ، (١٢٩٩ هـ)
فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك. (بيروت، دار المعرفة)
عياض القاضي: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت: ٥٤٤ هـ / ١١٤٩م)

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، (بيروت، دار الكتب العلمية)

عباس القاضي: عباس وولده محمد .

مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، تحقيق د. محمد بن شريفة ، الطبعة الأولى،

(بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠م)

فقه التصوف، تحقيق الشيخ زهير شفيق الكبي ، الطبعة الأولى (بيروت ، دار الفكر

العربي / ١٩٩٣م)

الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، تحقيق سيد محمد بن أبي سعدة،

الطبعة الأولى (الكويت، مكتبة دار الأرقم / ١٤٠٣ - ١٩٨٣م)

مالك بن أنس الأصبحي (ت: ١٧٩هـ)

موطأ الإمام مالك. رواية يحيى بن يحيى الليثي. الطبعة السابعة (بيروت، دار النفائس /

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م)

المدونة الكبرى ، وبليها مقدمات ابن رشد الأصبحي ، الإمام مالك بن أنس

الأصبحي، (ت: ١٧٩هـ) رواية سحنون ، ضبط الأستاذ أحمد عبد السلام . الطبعة

الأولى، (بيروت، دار الكتب العلمية/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م)

مجهول: مؤلف مجهول.

أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم.

(طبع في مدينة مجريط بمطبع ريدينز ، سنة ١٨٦٧م ، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد)

مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .

صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة (بيروت، دار إحياء التراث

العربي / ١٤٠٤ - ١٩٨٤م)

ثانياً: المراجع الحديثة : العربية والمعرية

أبو زهرة ، الإمام محمد أبو زهرة.

تاريخ المذاهب الإسلامية. (القاهرة ، دار الفكر العربي / ١٩٨٩م)

آدم: عبد الرحمن آدم علي .

الإمام الشاطبي ، عقيدته وموقفه من البدع وأهلها . الطبعة الأولى (الرياض ، شركة

الرياض للنشر والتوزيع / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)

أرسلان ، شكيب أرسلان.

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. (بيروت ، دار القلم / ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٧ م)

آل الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر. طبع في مطابع جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية.

إلهي: الدكتور فضل إلهي.

الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، الطبعة الأولى، (باكستان إدارة ترجمان،

الإسلام، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م)

إمام: الدكتور محمد كمال الدين إمام.

أصول الحسبة في الإسلام دراسة تأصيلية مقارنة، (دار الهداية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)

أنخل جنتالت بالنشيا. نقله إلى العربية الدكتور حسين مؤنس.

تاريخ الفكر الأندلسي، (الظاهر ، مكتبة الثقافة الدينية)

الحجي: الدكتور: عبد الرحمن علي الحجي.

التاريخ الأندلسي، الطبعة الثالثة (دمشق، دار القلم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)

أندلسيات المجموعة الأولى، (لبنان، بيروت، دار الإرشاد، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م)

أندلسيات المجموعة الثانية: (لبنان، بيروت، دار الإرشاد، ١٣٨٩ هـ / ١٩٨٩ م)

الزبيدي ، علي محمد الزبيدي.

بن جزري ومنهجه في التفسير. الطبعة الأولى (دمشق، بيروت، دار القلم / ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٧ م)

ابن الأخوة: محمد بن أحمد القرشي المشهور بابن الأخوة.

معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود سفيان، (مصر، الهيئة العامة المصرية

للكتاب، ١٩٧٦ م)

ابن باز: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة، (الرياض، دار الوطن، ١٤١٥هـ)

ابن بسام: محمد بن أحمد بن بسام المختب.

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م)

الإسلامي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الطبعة الثانية. (الرياض، مطبعة سفير

/ ١٤٠٩-١٩٨٩م)

الرويش. الدكتور/ موسى بن سليمان الرويش.

رسائل في ذم ابن عربي الصوفي. الطبعة الأولى (الرياض/ شركة الصفحات الذهبية

/ ١٤١٠هـ)

الزركلي، خير الدين الزركلي.

الأعلام قاموس تراجم. الطبعة الثانية عشر، (لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، م)

السامرائي: فاروق السامرائي.

مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (حدة، مكتبة دار الوفاء، بدون

تاريخ)

السبت: خالد بن عثمان السبت.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه. الطبعة الأولى (لندن،

المنتدى الإسلامي / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

السندي، عبد القادر بن حبيب الله السندي.

التصوف في ميزان البحث والتحقيق، الطبعة الأولى (المدينة النبوية مكتبة ابن القيم

/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

الشكعة: الدكتور مصطفى الشكعة.

الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، الطبعة السادسة، (لبنان، بيروت، دار العلم

للملايين، ١٩٨٦م)

الشنقيطي: محمد الأمين الشنقيطي ت (١٣٩٣هـ)

أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، (طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

- والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، مطابع الأُفست، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)
- الصمدي، الأستاذ خالد الصمدي. ابن عتاب نموذجاً.
- حركة الحديث بقرطبة، طبع في (المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
- العقل: الدكتور ناصر بن عبد الكريم .
- الخوارج، مناهجهم وأصولهم وسماتهم، قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم. الطبعة الأولى (الرياض، دار الوطن / ١٤١٦هـ)
- القرني، الدكتور علي بن حسن القرني.
- الحسبة في الماضي والحاضر. الطبعة الأولى (الرياض، مكتبة دار الرشد، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)
- المبارك: محمد المبارك.
- الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية، الطبعة الأولى، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م)
- الهراس: الأستاذ مصطفى اهروس.
- المدرسة المالكية الأندلسية. (المغرب، مطبعة فضالة / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)
- المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص. (المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)
- بكريم، حسن بكريم.
- الحسبة تطورها قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى (المغرب، مطبعة فضالة، ١٩٩٠م)
- حبية: الدكتور علي حبية.
- مع المسلمين في الأندلس. الطبعة الثانية (جدة، دار الشروق)
- حسن: الدكتور حسن إبراهيم حسن.
- تاريخ الإسلام الساسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة عشرة (بيروت، دار الجليل، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)
- خلاف: الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف.
- تاريخ القضاء في الأندلس. الطبعة الأولى (القاهرة، المطبعة العربية الحديثة / ١٤١٣هـ

- ١٩٩٢م)

الدعجان: الدكتور سعود بن عبد العزيز الدعجان.

منهج الإمام مالك رحمه الله تعالى في إثبات العقيدة، الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة ابن

تيمية، ١٤١٦هـ)

دندش: الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش.

الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين. الطبعة الأولى (بيروت، دار الغرب

الإسلامي / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)

رائف ، أحمد رائف:

وتذكروا من الأندلس الإبادة، الطبعة الثانية، (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي ،

١٤١٢هـ / ١٩٩١م)

زيدان ، الدكتور عبد الكريم زيدان.

أصول الدعوة. الطبعة الثالثة (الإسكندرية، دار عمر بن الخطاب / ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

سعد الدين: د. محمد منير سعد الدين .

العلماء عند المسلمين. الطبعة الأولى (بيروت ، دار المناهل / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

عنان: محمد بن عبد الله عنان.

دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، الطبعة الثالثة (القاهرة،

مؤسسة الخانجي، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)

دول الطوائف، الطبعة الأولى، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،

١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)

عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الرابعة، (مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)

عويس ، الدكتور عبد الحليم عويس .

ابن حزم الأندلسي جهوده في البحث التاريخي والحضاري. الطبعة الثانية (القاهرة ،

الزهراء للإعلام العربي / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)

دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية. الطبعة الثانية (جدة ، دار الشروق / ١٤٠٢هـ -

١٩٨٢م)

عيسى: محمد بن عبد الحميد عيسى.

تاريخ التعليم في الأندلس. الطبعة الأولى (القاهرة دار الفكر العربي / ١٩٨٢م)

معتوق: رشاد عباس معتوق.

نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون نشأته وتطوره، الطبعة الأولى، (جدة،

مؤسسة تهامة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)

مكي: الدكتور الطاهر أحمد مكي.

دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، (الطبعة الأولى، القاهرة، نشر مكتبة

وهبة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)

مكي: الدكتور محمود علي مكي.

التشيع في الأندلس. (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الثاني /

١٩٥٤م)

موسى: الدكتور حسين مؤنس.

موسوعة تاريخ الأندلس. الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية/ ١٤١٦هـ -

١٩٩٦م)

الفاسي: عبد الرحمن الفاسي.

خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين. الطبعة الأولى، (المغرب، الدار البيضاء، دار

الثقافة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)

الكفراوي: الدكتور محمود عوف محمود الكفراوي.

الرقابة المالية في الإسلام، (مصر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م)

انجيلدي: أحمد سعيد انجيلدي.

كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق موسى لقبال، (الجزائر، الشركة

الوطنية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ)

خليفة: حاجي خليفة.

كشف الظنون، الطبعة الرابعة، (بغداد، مكتبة المثنى)

سالم: الدكتور السيد عبد العزيز سالم.

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، (نشر مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ)

لقبال: موسى لقبال.

الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي. الطبعة الأولى، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع، ١٩٧١م)

مؤنس : د. حسين مؤنس.

فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة

الأموية (القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م)

مرشد: عبد العزيز بن محمد بن مرشد.

نظام الحسبة في الإسلام، (الرياض، مطبعة المدينة، بدون تاريخ)

هونكه: زيفريد هونكه:

شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون وكمال دسوقي

وراجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، الطبعة التاسعة (لبنان، بيروت، دار

صادر، [١٤٢١هـ/٢٠٠٠م])

ثالثاً : الرسائل الجامعية.

الخلف: الدكتور سالم بن الخلف.

نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)

الخلف، سالم بن عبد الله بن عبد العزيز الخلف.

العلاقات السياسية والثقافية بين الخلافة العباسية والإمارة الأموية في الأندلس (١٣١-٣٠٠هـ) (٧٥١-٩١٢م)، رسالة ماجستير، غير منشورة. الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الصافح، حيدر بن أحمد محمد الصافح.

الحسبة في العصر المملوكي، دراسة تحليلية نقدية. رسالة الدكتوراه غير منشورة، تقدم بها الباحث للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة / ١٤٠٨هـ - ١٤٠٩هـ

العبري، الدكتور خالد بن حسن العبري.

ولاية الحسبة ومناهج المحتسبين. دراسة تحليلية تأصيلية مع التطبيق علي الواقع المعاصر. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤١٨هـ - ١٤١٩هـ

فهرس المجلات والدوريات

- مجلة الأزهر: المجلد الثاني، الجزء الأول، المحرم (١٣٥٦هـ)
- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية (مدير، إسبانيا) المجلد الخامس، ١٩٥٧م،
والمجلد الثاني العدد (١-٢)، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- جريدة المدينة المنورة، العدد (١٢٨٨٠) ربيع الآخر : ١٤١٩هـ الموافق: ٢٥ يولييه ١٩٩٨م.
- بحوث ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات في الفترة (١٥-١٩) جهادي الأولى
(١٤١٤هـ) نشر مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.

فهرس الموضوعات

٢	المقدمة.....
٤	أهمية الموضوع، وسبب اختياره:.....
٧	مشكلة البحث:.....
٧	صعوبات البحث:.....
٩	تنبهات:.....
٩	منهج البحث.....
١١	موضوعات البحث.....
١٥	شكر وتقدير.....
١٦	أهم المصادر والمراجع.....
١٧	التمهيد:.....
١٧	أولاً: الدراسات السابقة.....
١٩	ثانياً: كتب الفقه والنوازل.....
٢٣	ثالثاً: الكتب التاريخية.....
٢٧	رابعاً: في كتب التراجم:.....
٣١	ب : تراجم عامة.....
٣١	خامساً: في كتب الطبقات.....
٣٣	موجز لعصور التاريخ الإسلامي في الأندلس، وفيه سبعة مطالب.....
٣٤	المطلب الأول: عهد الولاة: (٩٢ — ١٣٨ هـ) الموافق (٧١٠ — ٧٥٥ م).....
٤٠	مميزات هذا العهد:.....
٤٢	المطلب الثاني: عهد الإمارة (١٣٨ — ٣١٦ هـ) الموافق (٧٥٥ — ٩٢٩ م).....
٤٢	بداية هذا العهد.....
٤٣	الأحداث البارزة في هذا العهد.....
٤٥	مميزات هذا العهد:.....
٤٦	المطلب الثالث: عهد الخلافة (٣١٦ — ٤٠٠ هـ ٩٢٩ — ١٠٠٩ م).....

٤٧	مميزات هذا العهد
٤٩	المطلب الرابع: عهد الطوائف (٤٠٠ - ٤٨٤ هـ الموافق ١٠٠٩ - ١٠٩١ م)
٥٠	ملامح هذا العهد
٥١	المطلب الخامس: عهد المرابطين (٤٨٤ - ٥٢٠ هـ) الموافق (١٠٩٢ - ١١٣٤ م)
٥٤	المطلب السادس: عهد الموحدين (٥٤٠ - ٦٢٠ هـ) الموافق (١١٤٥ - ١٢٢٣ م)
٥٤	قيام دولة الموحدين
٥٥	أبرز الأحداث في هذا العهد
٥٧	المطلب السابع: مملكة غرناطة
٥٧	تأسيس مملكة غرناطة "الأندلس الصغرى"
٥٩	التمهيد
٥٩	وفيه أربعة مباحث
٦٠	المبحث الأول: تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً
٧١	المبحث الثاني: حكم الحسبة:
٧٦	المبحث الثالث: فضل الحسبة وأهميتها
٨٥	المبحث الخامس
٨٥	نشأة الحسبة في الأندلس
٨٦	التمهيد:
٨٦	هل ثبت دخول الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - إلى الأندلس؟
٨٧	دخول التابعين إلى الأندلس:
٩٠	دواعي التحقيق في دخول الصحابة أو التابعين إلى الأندلس:
٩٠	أبرز مجالات احتساب التابعين في الأندلس:
٩٢	أول الإشارات إلى لفظ المحتسب في الأندلس:
٩٣	في عهد من عرفت ولاية السوق كإدارة مستقلة في الأندلس؟
٩٤	أول من تولى ولاية السوق في الأندلس؟

٩٥	بقاء ولاية الحسبة في الأندلس حتى بعد رحيل المسلمين عنها:
٩٥	أسباب إنشاء ولاية الحسبة في الأندلس:
٩٧	الباب الأول
٩٧	الحسبة في الجانب النظري
٩٨	الفصل الأول
٩٨	نظام الاحتساب النظري، وفيه أربعة مباحث
٩٩	المبحث الأول
٩٩	الأصل المذهبي للحسبة في الأندلس وفيه مطلبان
١٠٠	المطلب الأول
١٠٠	مذهب الأوزاعي في الأندلس
١٠٣	المطلب الأول: مذهب الأوزاعي ^٥
١٠٤	مذهب الأوزاعي في الأندلس
١٠٥	آخر الأوزاعيين في الأندلس
١٠٦	لماذا أخذ أهل الأندلس بمذهب الأوزاعي؟
١٠٧	المطلب الثاني
١٠٧	المذهب المالكي في الأندلس
١٠٨	التقديم:
١٠٨	أسباب انتشاره
١١١	تلاميذ الإمام مالك الذين نقلوا مذهبه إلى الأندلس:
١١١	أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس
١١٢	رواة الموطأ الذين شاركوا في إدخال المذهب المالكي إلى الأندلس:

- ١١٤..... قوة المذهب المالكي في الأندلس والتفاف الأندلسيين حوله:
- ١١٥..... التأصيل والتأليف في المذهب المالكي في الأندلس:
- ١١٥..... لماذا بقي المذهب المالكي في الأندلس حتى النهاية؟
- ١١٦..... هل للخلاف المذهبي أثر في شؤون الحسبة؟
- ١١٧..... المذاهب الفقهية الأخرى في الأندلس:

١١٨..... المبحث الثاني.....

١١٨..... شروط المحتسب وواجباته.....

- ١٢٢..... واجبات المحتسب.....
- ١ - الإشراف على الأسواق: ١٢٢
- ٢ - الإشراف على تطبيق الإسلام في المجتمع: ١٢٣
- ٣ - التصدي للمذاهب الباطلة..... ١٢٥
- ٤ - الإشراف على الآداب العامة..... ١٢٥
- ٥ - الإشراف على الطرق..... ١٢٦
- ٦ - الإشراف على شؤون أهل الذمة..... ١٢٦
- ٧ - الإشراف على المساجد: ١٢٧
- ٨ - الإشراف على الدور: ١٢٧
- ٩ - الإشراف على الرقيق: ١٢٨
- ١٠ - الإشراف على الحيوان: ١٢٨
- ١١ - الإشراف على حل المشكلات: ١٢٨
- ١٢ - الإشراف على النظافة والصحة: ١٢٩
- ١٣ - الإشراف على الآداب المتعلقة بالجنانز: ١٢٩

١٣٠..... المبحث الثالث.....

١٣٠..... أعوان المحتسب، وسلطته، ومقر عمله.....

- أعوان المحتسب..... ١٣١

سلطة المحتسب:	١٣٤
مقر عمل المحتسب:	١٣٦
المبحث الرابع	١٣٨
علاقة الحسبة بالولايات الأخرى في الأندلس	١٣٨
توطئة:	١٣٩
علاقة الحسبة بالقضاء	١٣٩
المطلب الثاني	١٤٢
علاقة الحسبة بالشرطة	١٤٢
تعريف الشرطة لغة واصطلاحاً	١٤٣
استحداث خطة الشرطة في الأندلس، وتطورها	١٤٣
اختصاصات صاحب الشرطة في الأندلس	١٤٤
أوجه الاشتراك بين صاحب الشرطة والمحتسب في الأندلس	١٤٥
حسنات المزج بين الخطتين:	١٤٥
بعض من جمع بين الخطتين في الأندلس:	١٤٥
المطلب الثالث: علاقة الحسبة بغيرها من الخطط والولايات الأخرى	١٤٨
الفصل الثاني	١٥١
مجالات الاحتساب النظري، وفيه خمسة مباحث	١٥١
المبحث الأول	١٥٢
الاحتساب في مجال العقيدة:	١٥٢
التمهيد	١٥٣
العقيدة في الأندلس	١٥٤
البدع والإلحاد في الأندلس:	١٥٨

١٦٠.....	احتساب العلماء في تقرير عقيدة أهل السنة في أهل البدع:
١٦٦.....	الاحتفال بعيد السنة الميلادية:
١٦٦.....	فتوى الإمام الشاطبي في البدعة، والإلحاد:
١٦٩.....	المبحث الثاني.....
١٦٩.....	الاحتساب في مجال العبادة.....
١٧٠.....	التمهيد.....
١٧١.....	الاحتساب في دور العبادة:
١٧٣.....	الاحتساب في الإمامة.....
١٧٣.....	الاحتساب في الصيام.....
١٧٤.....	الاحتساب في الزكاة.....
١٧٤.....	الاحتساب في الأحباس.....
١٧٥.....	الاحتساب على منكرات الجنائز:
١٧٦.....	الاحتساب في النكاح.....
١٧٨.....	المبحث الثالث.....
١٧٨.....	الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب.....
١٧٩.....	التمهيد.....
١٧٩.....	مكانة الأخلاق في الأندلس.....
١٨٢.....	شرب الخمر، والغناء، والاحتساب عليهما.....
١٨٢.....	شرب الخمر.....
١٨٤.....	الغناء.....
١٨٦.....	الاحتساب على شرب الخمر والغناء.....
١٩١.....	المبحث الرابع.....
١٩١.....	الاحتساب في مجال العلم والتعليم وفيه ثالث مطالب.....

المطلب الأول: فضل العلم، وطلبه، والرحلة إليه إحتساباً.....	١٩٢
المطلب الثاني: العلم والتعليم في الأندلس والمبادرة إليه إحتساباً.....	١٩٦
المبادرة إلى طلب العلم منذ الصغر.....	١٩٧
المطلب الثالث نظام التعليم في الأندلس.....	١٩٨
طريقة التعليم في الكتاب.....	١٩٩
تنظيم أوقات الدراسة.....	٢٠٠
سلطة المعلم في الأندلس.....	٢٠٠
عدد الأسواط المسموح بضرب الصبي لقصد تأديبه.....	٢٠١
المجالات التي يعاقب فيها الصبي.....	٢٠٢
مرعاة حاجات الطفل الأساسية.....	٢٠٢
استعمال بعضهم في تعليم البعض.....	٢٠٣
المبحث الخامس.....	٢٠٤
الاحتساب على الأمراء والحكام في الأندلس وفيه تمهيد وخمسة مطالب.....	٢٠٤
التمهيد: في طاعة ولاية الأمور.....	٢٠٥
ضوابط طاعة ولاية الأمور:.....	٢٠٦
ثمار طاعة ولاية الأمور.....	٢٠٨
مواقف العلماء مع حكامهم.....	٢٠٩
المطلب الأول: مكانة العلماء عند الولاة في الأندلس.....	٢١٠
المطلب الثاني: بيان علماء الأندلس للحسبة على الحكام، وآدابها.....	٢١١
المطلب الثالث: دخول العلماء على الأمراء.....	٢١٣
المطلب الرابع: الجرأة والصدق في الاحتساب على الحكام والأمراء.....	٢١٥
المطلب الخامس: الكتابة إلى الأمراء والاحتساب في ذلك.....	٢١٧
الفصل الثالث.....	٢١٨
أبرز المؤلفات في الحسبة.....	٢١٨

التمهيد.....	٢١٩
١ - كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق.....	٢٢٠
التعريف بالمؤلف.....	٢٢١
التعريف بالكتاب:.....	٢٢١
وصف الكتاب من رواية القصري.....	٢٢٢
محتوى الكتاب:.....	٢٢٣
مقاصد الفتاوى المتعلقة بولاية السرق.....	٢٢٥
هل هذا المؤلف من المؤلفات الأندلسية؟.....	٢٢٥
فائدة هذا الكتاب وأهميته:.....	٢٢٥
نموذج من الكتاب:.....	٢٢٦
٢ - ديون الأحكام الكبرى (النوازل والأحكام لابن سهل).....	٢٢٧
التعريف بالمؤلف.....	٢٢٨
التعريف بالكتاب.....	٢٢٨
محتويات الكتاب.....	٢٣٠
مسائل الاحتساب.....	٢٣١
سمات الكتاب:.....	٢٣٢
٣ - في آداب الحسبة.....	٢٣٣
التعريف بالمؤلف.....	٢٣٤
السبب من تأليفه لهذا الكتاب:.....	٢٣٤
وصف الكتاب.....	٢٣٤
تاريخ التأليف.....	٢٣٤
محتويات الكتاب.....	٢٣٦
الباب الأول: في مقدمات الحسبة وشأن المحتسب.....	٢٣٦
أما الباب الثاني: ففي الكياليين، والأكيال.....	٢٣٧

أما الباب الثالث: ففي الموازين، والأكيال، والوزانين، والكيالين.....	٢٣٧
الباب الرابع: في عملة الدقيق والخبز وباعتها.....	٢٣٧
الباب الخامس: في ذابحي الجزور، وبائعي اللحم، والحوت، وأنواع المطبوعات.....	٢٣٨
الباب السادس: في العطارين والصيدلة.....	٢٣٨
الباب السابع: في باعة العبيد والخدم.....	٢٣٨
الباب الثامن: في الصناعات وصنائعهم.....	٢٣٩
قيمة الكتاب:.....	٢٣٩
٤- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب.....	٢٤٠
رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة.....	٢٤١
وصف الرسالة.....	٢٤٢
قيمة الرسالة:.....	٢٤٣
٥- رسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب.....	٢٤٥
التعريف بالمؤلف.....	٢٤٦
محتويات الرسالة:.....	٢٤٦
أهمية الرسالة وفائدتها:.....	٢٤٧
الفصل الرابع.....	٢٤٨
الحسبة في الأندلس مقارنة بغيرها في البلاد الإسلامية وفيه أربعة مباحث.....	٢٤٨
المبحث الأول: مكانة الحسبة في المشرق وفيه تمهيد ومطلبان.....	٢٤٩
المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في المشرق.....	٢٥٠
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.....	٢٥٠
الحسبة في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.....	٢٥٤
نبذة موجزة عن الحسبة في عهد الدولة الأموية:.....	٢٥٦
نبذة موجزة عن الحسبة في عهد الدولة العباسية:.....	٢٥٨

المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في المشرق	٢٦٠
المبحث الثاني.....	٢٦٦
مكانة الحسبة في المغرب، ومصر، وفيه مطلبان	٢٦٦
المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في المغرب ومصر	٢٦٧
الحسبة في القيروان.....	٢٦٨
الحسبة في دولة المرابطين في المغرب	٢٦٩
الحسبة في دولة الموحدين في المغرب	٢٧٠
الحسبة في مصر	٢٧٤
المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في المغرب ومصر	٢٧٦
المبحث الثالث.....	٢٨١
مكانة الحسبة في الأندلس وفيه مطلبان	٢٨١
المطلب الأول: نبذة موجزة عن الحسبة في الأندلس	٢٨٢
المطلب الثاني: أهم مصادر الحسبة في الأندلس	٢٨٥
المبحث الرابع: عقد المقارنة في الحسبة بين تلك البلاد	٢٨٨
المحور الأول: نشأة الحسبة	٢٨٨
المحور الثاني: مكانتها قوة وضعفا	٢٨٩
المحور الثالث: المؤلفات	٢٩٠
الباب الثاني	٢٩١
الحسبة في الجانب العملي	٢٩١
الفصل الأول	٢٩٢
الاحتساب وأنواع المحتسبين وفيه ثلاثة مباحث	٢٩٢
المبحث الأول: الحسبة العملية	٢٩٣

٢٩٣	بعض الكتب التي تناولت الجانب العملي من الحسبة
٢٩٤	بعض المحتويات للكتب الثلاثة والمقارنة بينها
٢٩٦	المبحث الثاني: المحتسب المولّى
٢٩٨	المبحث الثالث: المحتسب المتطوع
٣٠٠	الفصل الثاني
٣٠٠	مجالات الاحتساب العملي، وفيه سبعة مباحث
٣٠١	المبحث الأول
٣٠١	الاحتساب في مجالي العقيدة، والعبادة وفيه سبعة مطالب
٣٠٢	المطلب الأول: في المنكرات في العقيدة
٣٠٢	التمهيد:
٣٠٤	قضية الزنديق أبي الخير ^(١)
٣٠٩	قضية عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي:
٣١٣	قضية ابن مسرة ومدرسته والاحتساب عليه:
٣١٥	قضية الشاعر أبو عبد الله محمد بن مسعود الفساني:
٣١٥	قضية ادعاء بعض المعلمين النبوة:
٣١٦	منع مطالعة الكتب التي فيها منكرات في العقيدة:
٣١٧	المطلب الثاني: في الخوارج
٣١٧	تعريف الخوارج، ونبذة مختصرة عن نشأتهم
٣١٨	موقف ولاية الأمور والفقهاء من الخوارج في الأندلس:
٣٢٠	المطلب الثالث: في التشيع في الأندلس والاحتساب عليه:
٣٢٠	التمهيد: في تعريف الشيعة:
٣٢٠	تاريخ نشأة الحزب الشيعي:
٣٢٠	فرق الشيعة:
٣٢٠	تاريخ الحزب الشيعي في الأندلس:

الثورات الشيعية في الأندلس:	٣٢٢
ثورة شقيا بن عبد الواحد:	٣٢٢
ثورة شرق الأندلس:	٣٢٢
ثورة عمر بن حفصون:	٣٢٣
ثورة أحمد بن معاوية القط:	٣٢٣
طرق نقل الثقافات الشيعية إلى الأندلس:	٣٢٤
المطلب الرابع: في احتساب العلماء والأمراء على الشيعة في الأندلس:	٣٢٧
المطلب الخامس: في المنكرات في العقيدة التي وجدت في الأندلس:	٣٣٠
السحر:	٣٣٠
الأعياد غير المشروعة:	٣٣١
قيام بعض الجماعات بسبب الإسلام:	٣٣٣
الانتساب إلى المعتزلة، والقول بالقدر، وبخلق القرآن:	٣٣٣
التبرك بالأوراق التي فيها ذكر الله:	٣٣٤
علو شأن العقيدة في الأندلس:	٣٣٤
المحتسب المولى حريص على صيانة عقيدة السلف:	٣٣٦
المطلب السادس: علماء الأندلس في الاحتساب في الذب عن عقيدة السلف في مؤلفاتهم:	٣٣٩
المطلب السابع: التصوف في الأندلس والاحتساب عليه:	٣٤٥
التمهيد:	٣٤٥
معنى التصوف:	٣٤٥
أفكار الصوفية:	٣٤٥
طرق ومدارس الصوفية:	٣٤٦
ظهور التصوف في الأندلس:	٣٤٦
أسباب ظهور التصوف في الأندلس:	٣٤٧
ثورة الصوفية على المرابطين:	٣٤٨
أول من أعلن الثورة على المرابطين:	٣٥٠

٣٥٠	طوائف الصوفية في الأندلس:
٣٥١	طائفة "المريدين" تقوم بحوادث تزعزع أمن الدولة:
٣٥٢	ابن العريف ينكر على فرق الصوفية، ويدعوهم إلى الاعتدال:
٣٥٤	آراء ابن العريف يثير غضب الفقهاء والقضاة:
٣٥٤	العلماء يحرضون الولاة على قبض ابن العريف:
٣٥٦	ابن قيسي وشيعته يخططون للوصول إلى الحكم:
٣٥٩	الاحتساب على الصوفية:
٣٦١	المبحث الثاني:
٣٦١	الاحتساب على الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله:
٣٦٢	توطئة:
٣٦٢	بعض الآيات الدالة على مشروعية الجهاد في سبيل الله:
٣٦٣	بعض الأحاديث الدالة على فضل الجهاد في سبيل الله:
٣٦٦	المطلب الثاني: الجهاد والدعوة إلى الإسلام في الأندلس:
٣٦٦	نبذة موجزة عن الجهاد في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية:
٣٦٩	الجهاد في دول الطوائف:
٣٧١	نبذة موجزة عن الجهاد في الأندلس في دولة المرابطين والموحدين:
٣٨٠	المطلب الثالث: جهاد المسلمين في مملكة غرناطة:
٣٨٤	المطلب الرابع: الدعوة إلى الإسلام في الأندلس:
٣٨٩	المبحث الثالث:
٣٨٩	الاحتساب في مجال الأسواق، والمعاملات وفيه تمهيد وثمانية مطالب:
٣٩٠	التمهيد:
٣٩٠	في أهمية السوق في الإسلام:
٣٩٠	وصف الأسواق الأندلسية:

٣٩١	من أفضل كسب الإنسان البيع المبرور
٣٩٢	السوق وأهميته في المجتمع
٣٩٤	المطلب الأول: الاحتساب على المواد الغذائية:
٣٩٤	المكاييل:
٣٩٥	شأن المحتسب مع أولئك:
٣٩٦	الدقيق والخير وباعتها
٣٩٨	شأن المحتسب معهم
٤٠٠	المطلب الثاني: الاحتساب على العطارين
٤٠٠	طريقة الاحتساب عليهم
٤٠١	بياعي المركبات
٤٠٢	طرق الاحتساب عليهم
٤٠٣	المطلب الثالث: الاحتساب على باعة العبيد والخدم
٤٠٤	طريقة الاحتساب عليهم
٤٠٥	الجلاسون في الأسواق
٤٠٦	كيفية الاحتساب على أولئك
٤٠٧	المطلب الرابع: الاحتساب على أهل الحرف والصنائع
٤٠٧	طرق الاحتساب عليهم
٤٠٩	المطلب الخامس: الاحتساب على الجزارين، وبائعي الخوت
٤٠٩	طريقة الاحتساب عليهم
٤١٠	وسائل الكشف عن حيل الجزارين
٤١١	طريقة المحتسب مع بياعي الخوت
٤١٢	المطلب السادس: الاحتساب على الطبّاخين
٤١٣	طريقة الاحتساب على الطبّاخين
٤١٥	المطلب السابع: الاحتساب على البقالين أو البياعين
٤١٥	شأن المحتسب مع أولئك:

٤١٦.....	شأن المحتسب مع هذه البيوع.....
٤١٨.....	المبحث الرابع.....
٤١٨.....	الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب.....
٤١٩.....	١ - من الأمراء:.....
٤٢٠.....	٢ - من العلماء:.....
٤٢٠.....	٣ - من الأدباء:.....
٤٢١.....	المحتسب المولى يراقب الأخلاق.....
٤٢٢.....	المحتسب يراقب تصرفات النساء.....
٤٢٢.....	المحتسب يراقب النظام والأخلاق العامة.....
٤٢٥.....	المبحث الخامس.....
٤٢٥.....	الاحتساب على الأمراء والحكام وفيه تمهيد ومطلبان.....
٤٢٦.....	التمهيد.....
٤٢٦.....	المطلب الأول: حصة العلماء على الأمراء والولاءة.....
٤٣٠.....	المطلب الثاني: حصة العامة على الأمراء والولاءة.....
٤٣١.....	المبحث السادس.....
٤٣١.....	الاحتساب في مجال العلم والتعليم وفيه مطلبان.....
٤٣٢.....	المطلب الأول: طرق التعليم في الأندلس.....
٤٣٢.....	التعليم في المنزل واهتمام الأندلسيين به.....
٤٣٤.....	التعليم في المسجد:.....
٤٣٤.....	بناء المساجد في الأندلس.....
٤٣٤.....	عدد المعلمين الذين تولوا التدريس:.....
٤٣٥.....	طرق التعليم في الأندلس:.....
٤٣٦.....	المطلب الثاني: الرحلة في طلب العلم.....

٤٣٧.....	أنواع الرحلات:
٤٣٨.....	من كبار العلماء الذين اكتفوا بالرحلات الداخلية:
٤٣٩.....	الرحلات الخارجية لبعض أكابر العلماء:
٤٤٢.....	المبحث الخامس: الاحتساب في تعليم العلم ونشره:
٤٤٢.....	الاحتساب من الأمراء:
٤٤٢.....	الاحتساب من العلماء:
٤٤٢.....	العلوم الدينية:
٤٤٦.....	أشهر المفسرين الأندلسيين:
٤٤٧.....	أشهر القراء الأندلسيين:
٤٤٩.....	التأليف في الفقه:
٤٤٩.....	انخفاض مستوى فن الفقه في الأندلس:
٤٥٠.....	المذاهب الأخرى في الأندلس:
٤٥٠.....	علم الحديث في الأندلس:
٤٥٢.....	الاحتساب في إنشاء المدارس في الأندلس:
٤٥٤.....	المحتسب المولى يراقب التعليم:
٤٥٦.....	الأمراء يراقبون على التعليم:
٤٥٧.....	عناية الأمراء في الأندلس بالعلم واحتسابهم فيه:
٤٥٧.....	أولاً: الدولة الأموية وعناية أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:
٤٦٠.....	وسائل تشجيع التأليف داخل الأندلس:
٤٦١.....	ثانياً: الدولة العامرية واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:
٤٦٥.....	ثالثاً: دولة المرابطين واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:
٤٦٦.....	رابعاً: عهد الموحدين، واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:
٤٦٧.....	خامساً: دولة بني الأحمر واهتمام أمرائها بالعلم واحتسابهم فيه:
٤٧٠.....	المبحث السابع:
٤٧٠.....	الاحتساب على أهل الذمة وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد.....	٤٧١
أولاً: تعريف الذمة.....	٤٧١
ثانياً: الأصل فيه.....	٤٧١
ثالثاً: الأحكام التي تجرى عليهم في ديار المسلمين.....	٤٧٢
المطلب الأول: أهل الذمة في الأندلس.....	٤٧٣
المطلب الثاني: القيام بأمر أهل الذمة ومراقبة أحوالهم.....	٤٧٤
المطلب الثالث: صور من الاحتساب على أهل الذمة في الأندلس.....	٤٧٥
الفصل الثالث.....	٤٧٧
أبرز مختسبين في المجال العملي، وفيه مبحثان.....	٤٧٧
المبحث الأول.....	٤٧٨
أبرز من تولى الخسبة في الأندلس وفيه خمسة مطالب.....	٤٧٨
المطلب الأول: ولاية السوق في عهد الدولة الأموية [١٣٨/٤٢٢هـ].....	٤٧٩
تمهيد:.....	٤٧٩
المطلب الثاني: ولاية السوق في عهد ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ).....	٤٨٩
التمهيد:.....	٤٨٩
المطلب الثالث: ولاية السوق في عهد المرابطين: (٤٨٤-٥٢٠هـ).....	٤٩٢
المطلب الخامس: ولاية الخسبة في عهد الموحيدين (٥٤٠-٦٢٠).....	٤٩٤
المطلب السادس: ولاية السوق في مملكة بني نصر بغرناطة.....	٤٩٥
المبحث الثاني: أشهر المختسبين المتطوعين في الأندلس.....	٤٩٧
التمهيد.....	٤٩٧
الفصل الرابع.....	٥٠٤
آثار الاحتساب في المجتمع الأندلسي وفيه خمسة مباحث.....	٥٠٤
المبحث الأول: آثار الاحتساب في مجال العقيدة والعبادة.....	٥٠٥

٥٠٥	التمهيد:
٥٠٥	ومن آثار الاحتساب على العقيدة في الأندلس ما يلي:
٥٠٩	المبحث الثاني: آثار الاحتساب في الجهاد والدعوة إلى الإسلام
٥١٠	آثار الانحراف بالجهاد عن غرضه وهدفه الشرعي:
٥١٢	المبحث الثالث: آثار الاحتساب في الأسواق، والمعاملات
٥١٤	المبحث الرابع:
٥١٤	آثار الاحتساب في الآداب والأخلاق قوة وضعفاً، وفيه مطلبان:
٥١٥	المطلب الأول: آثار قوة الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب
٥١٧	المطلب الثاني: ضعف آثار الاحتساب في مجال الأخلاق والآداب
٥٢١	المبحث الخامس: آثار الاحتساب في العلم والتعليم
٥٢٣	المبحث السادس: آثار الاحتساب على الأمراء والحكام
٥٢٥	الباب الثالث:
٥٢٥	الدروس المستفادة من الاحتساب في الأندلس، وفيه ثلاثة فصول
٥٢٦	التمهيد:
٥٢٧	الفصل الأول:
٥٢٧	دروس في العقيدة والعبادة وفيه أربعة مباحث
٥٢٨	المبحث الأول: دروس في العقيدة الصحيحة ونشرها
٥٢٨	التمهيد:
٥٣١	المبحث الثاني: دروس في محاربة العقائد الباطلة
٥٣٥	المبحث الثالث: دروس في إقامة العبادات والمحافظة عليها
٥٣٧	المبحث الرابع: دروس في الولاء والبراء
٥٣٩	الفصل الثاني:

دروس في الأسواق والمعاملات، والأخلاق والآداب، والعلم والتعليم وفيه ثلاثة	
مباحث.....	٥٣٩
المبحث الأول: دروس في الأسواق والمعاملات.....	٥٤٠
المبحث الثاني: دروس في الأخلاق والآداب.....	٥٤٣
المبحث الثالث: دروس في مجال العلم والتعليم.....	٥٤٦
الفصل الثالث.....	٥٥٤
دروس في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث.....	٥٥٤
المبحث الأول: دروس في الجهاد وأمن الأمة الخارجي.....	٥٥٥
المبحث الثالث: دروس في وحدة الأمة.....	٥٥٩
الخاتمة.....	٥٦١
أبرز النتائج والتوصيات:.....	٥٦٢
التوصيات.....	٥٦٣
الملحق الأول.....	٥٦٥
رسالة من لسان الدين ابن الخطيب إلى محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري بمناسبة	
توليته الحسبة بمالقة.....	٥٦٥
الملحق الثاني.....	٥٦٦
في كتاب للحكم المستنصر في الخضر على التمسك بمذهب مالك وزجر مخالفيه.....	٥٦٦
الملحق الثالث.....	٥٦٧
كتاب الخليفة في التنديد بمذهب ابن مسرة وأتباعه.....	٥٦٧
الملحق الرابع.....	٥٧١
في عملة الدقيق والخبر وباعتها.....	٥٧١
الملحق الخامس.....	٥٧٣
في باعة العبيد والخدم.....	٥٧٣

طريقة الاحتساب على هؤلاء.....٥٧٣

الملحق السادس.....٥٧٥

المحتسب.....٥٧٥

الملحق السابع.....٥٧٧

صلاة الجمعة.....٥٧٧